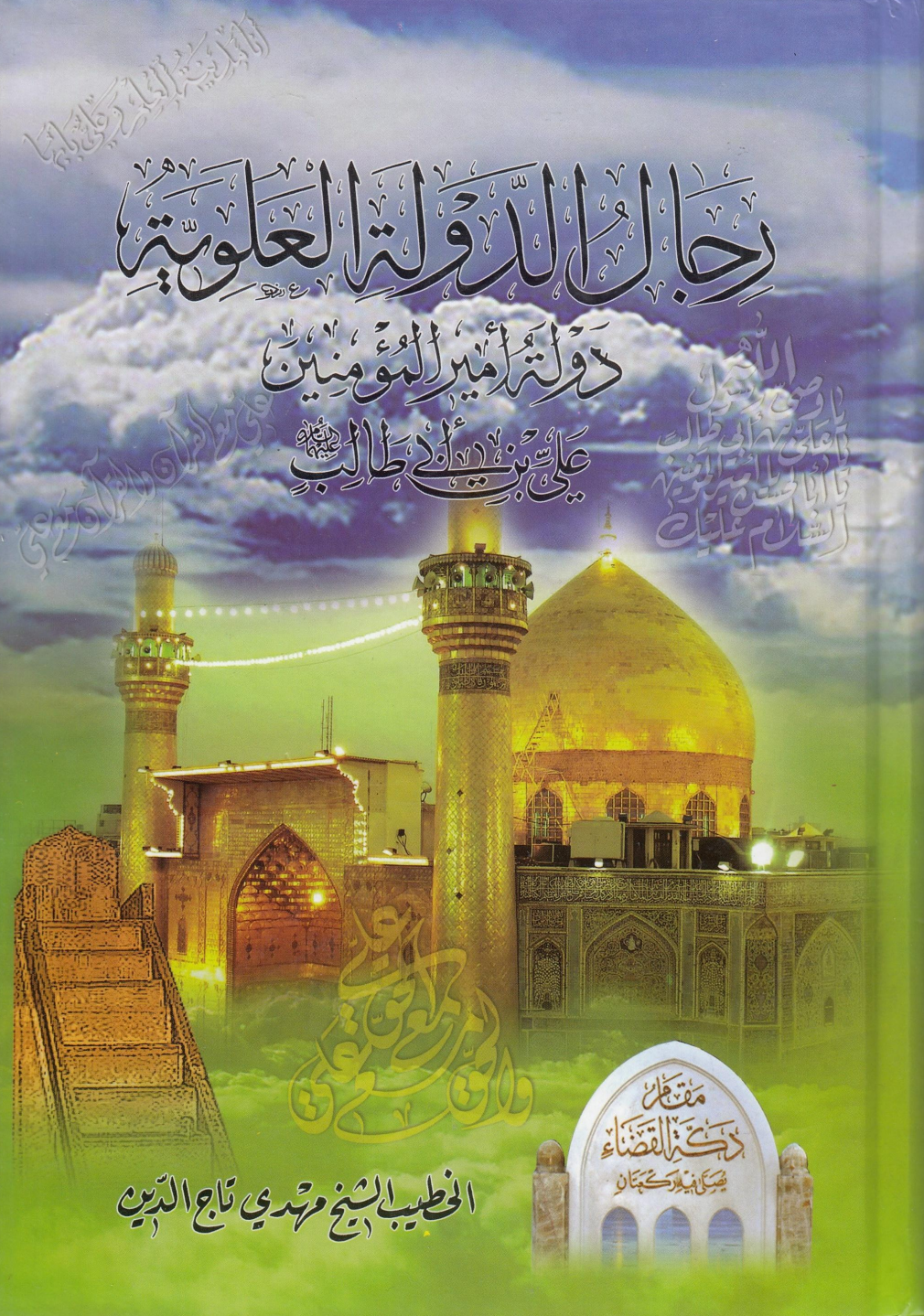
رجال الدولة العلوية

دولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام



الخطيب الشيخ مهدي تاج الدين


بسم الله الرحمن الرحيم

رجال الدولة العلوية

دولة أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام



الخطيب الشيخ مهدي تاج الدين

سرشناسه: تاج‌الدین، مهدی، ۱۳۴۴ -
عنوان: رجال الدولة العلوية دولة اميرالمؤمنين عليه السلام
تکرار نام پدیدآور: مهدی تاج‌الدین
مشخصات نشر: قم: المکتبة الحیدریة، ۱۴۳۷ هـ.ش = ۲۰۱۵ م = ۱۳۹۴ هـ.ق
مشخصات ۶۳۲ ص. • بهاء: ۴۰۰۰۰ ریال • شابک: ۳-۲۷۱-۵۰۳-۹۶۴-۹۷۸
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا • یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس • یادداشت: عربی
موضوع: علی بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اوّل، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - اصحاب
موضوع: علی بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اوّل، ۲۳ قبل از هجرت، ۴۰ ق. - اثبات خلافت
موضوع: صحابه. • موضوع: اسلام - تاریخ
رده‌ی کنگره: ۱۳۹۴، ۳ر۲ت/۳۷/۸۷ BP • رده‌ی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱ • شماره‌ی مدرک: ۳۹۱۲۵۷۹

هوية الكتاب

الكتاب: رجال الدولة العلوية دولة اميرالمؤمنين عليه السلام

المولف: مهدی تاج‌الدین

الناشر: انتشارات المكتبة الحيدريه

عدد الصفحات و القطع: ۶۳۲ صفحة وزيری

الطبعة: الاولی

سنة الطبع: ۱۴۳۶ قمری، ۱۳۹۴ شمسی

الطبعة: شريعت

ردمک الكتاب: ۹۷۸-۹۶۴-۵۰۳-۲۷۱-۳

الفاتحة علی روح المرحوم الحاج احمد حسن عاشور

الإهداء :

إلى رسول الله وخاتم النبيّين ،
وإلى ابن عَمِّه أمير المؤمنين ،
وإلى فاطمة الزهراء وأولادها المعصومين ،
أَخُصُّ منهم الإمام الحجّة صلوات الله عليهم أجمعين ،
أُهدي هذا الجهد المتواضع ، راجياً أن يتقبَّلوا مني هذه البضاعة المُزجاة
ويتصدَّقوا عَلَيَّ إِنَّ اللهَ يجزي المتصدِّقين .

تقديم

بقلم سماحة حجة الإسلام والمسلمين
العلّامة الشيخ قيس العطار (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد ﷺ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد :

فلا أُريد في هذا التقريظ المتواضع أن أوصف الكلمات ولا أن أُدبج المدائح واستجدي العبارات واستمطر الثناء أن أمدح من أُلِّف لأجله الكتاب ولا مؤلف الكتاب.

ذلك أن أمير المؤمنين ﷺ هو البحر الّذي لا يُساحل والدرّ المصفّى الذي به الدرر لا يقابل، فهو باب علم مدينة النبي ﷺ وجامع كلّ الكلمات والذي يتفجّر العلم من جوانبه، وما علم الصحابة إلى علمه إلّا كقطرة في لُجّي.

من هنا تشعَّبت الكتابات والموسوعات والتأليفات والتحقيقات والمقالات والكلمات حول هذه الشخصية التي لا ينوف عليها إلّا

رسول الله ﷺ فمن متناول شجاعته، ومن دارس لبلاغته، ومن مهتدٍ بأخلاقه، ومن مترسّمٍ لصبره، ومن محلّلٍ لحكومته، وسياسته و....

ويبرز في هذا المضمار دراسة جانب ولاته ورجاله الذين التفّوا حوله، فإنّ سَبْرَ أغوار أُسلوبه عليه السلام في تولية الولاة وماهية أُولئك الولاة ممّا استقرَّت إليه المكتبة العربيّة.

لأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ينتقي لولاية أعماله الرجال الصالحين المجرَّبين المعروفين بالحنكة والأمانة فإذا بدا من أحدهم زَلَل أو شبهة زَلَل سارع إلى تقويمه أو عزله حفاظاً على استراجية العدل الإلهي المحمَّدي العلوي.

حتى أن بعض الرجاليين ذهب إلى توثيق من أناط به أمير المؤمنين عليه السلام مهمّة الولاية أو قيادة جيش أو سريَّة، لما عُرف من عدله عليه السلام وعدم توليته غير الثقات. ومنهم الشيخ المامقاني حيث قال: أنه لا يخفى عليك إمكان استفادة وثاقة الرجل من أُمور:

منها: تولية الإمام عليه السلام رجلاً على صقع أو بلدة، فإنه لا يعقل أن يولّي الإمام عليه السلام غير العادل المرضي على رقاب المسلمين وأموالهم وأحكامهم[1].

وبالاستقصاء والتتبّع وجدنا صحة هذا الرأي، فقد ولّى الإمام عليه السلام على البقاع والأصقاع ـ خصوصاً الكبير منها ـ خيرة الصحابة وعلّية أتباعه، مثل مالك الأشتر، ومحمّد ابن أبي بكر، وقيس بن سعد بن عبادة، وأمثالهم من عيون الرجال.

---

(١) الفوائد الرجالية من تنقيح المقال: ٢٧٩ ـ ٢٨٢.

أضف إلى ذلك أنّنا نلاحظ عدم تخصيص أقربائه وحامّته بالولايات ـ كما كان يفعل عثمان ومن قبله، بل كان يولّي الثقات الصناديد والأفذاذ من جميع القبائل ومن مختلف العشائر، حتى لا تكون أَثَرةٌ في الولايات، كما نلاحظ بروز أسماء كوكبه نيّرة من رجال الأنصار في ضمن ولاته عليه السلام، لأنّ الأنصار كانوا أشد لصوقاً بأمير المؤمنين عليه السلام وأكثر معرفة بحقّه وإمامته، وقد اضطهدوا من قبل الحزب القرشي الذي أبعدهم عن مفاصل الدولة، حيث وعدهم أبو بكر أن يكون الأمر بين القرشيين وبينهم نصفين كشقّ الأبلمة[1]، لكنه حين تربّع على العرش نقض عهده وأبعد الأنصار، حتى رفع حسّان بن ثابت صوته قائلاً:

يا للرجال لخلفة الأطوار ... ولِما أراد القوم بالأنصار
لم يدخلوا منّا رئيساً واحداً ... يا صاح في نقضٍ ولا إمرار[2]

أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد مدحهم بمثل قوله عليه السلام: هم والله ربّوا الإسلام كما يُربّىٰ الفِلو، مع غناهم بأيديهم السباط وألسنتهم السِّلاط[3].

والميزان عند أمير المؤمنين عليه السلام أن يولّي العدل الضابط الحازم، ويشفّع ولايته بوصيته بالتقوى والعدل ورعاية أُمور المسلمين، فإذا تغيّر عن مسيرة العدل العلوي وبَّخه وعزله، حتّى إنّه يلاحظ أنّ

---

(١) أُنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٥٣، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ١٨٢ برواية، كقد الأبلمة وهي الخوصة.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٩.

(٣) نهج البلاغة ٤ : ١٠٦، الكلمة ٤٦٥.

أمير المؤمنين عليه السلام يعزل من يشتكى منه الناس وإن لم تثبت عليه الخيانة، وذلك مبالغه منه في العدل، ولأنّ الوالي ـ وإن كان عادلاً في نفسه ـ وإذا اشتكى منه الناس لم تستقم ولايته، ويبدأ عليه الشغب وعدم الانصياع لأوامره.

وحسبك ما في قضية وفود سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانيّة على معاوية، تشكو ظلم بسر بن أرطاة، قالت: هذا بُسر بن أرطاة قدم علينا من قِبَلِكَ فقتل رجالي وأخذ مالي... ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإمّا عزلته عنا فشكرناك وإمّا لا فعرفناك.

فقال معاوية: أتهدّديني بقومكِ؟! لقد هممت أن أحملك على قَتَب أشرس فأرّدك إليه ينفذ فيك حكمه.

فأطرقت تبكي ثمّ تقول:

صلّى الإلهُ على جسم تَضمَّنهُ ... قبرٌ فأصبح فيه العدلُ مدفونا
قد حالف الحظ لايبغي به بدلا ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال لها معاوية: ومن ذلك؟

قالت: علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وما صَنَع بك حتى صار عندك كذلك؟

قالت: قدمتُ عليه في رجل ولّاه صدقاتنا، قدم علينا من قِبَلِه، فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين، فأتيت عليّاً عليه السلام لأشكو إليه ما صنع بنا، فوجدته قائماً يصلّي فلمّا نظر إليَّ انفتل من صلاته، ثمّ قال لي برأفة وتعطّف: ألكِ حاجة؟

فأخبرته الخبر، فبكى، ثمّ قال: **اللهم إنّك أنت الشاهد عليَّ وعليهم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقّك.**

ثمّ أخرج من جيبه قطعة جلدٍ كهيئة طرف الجراب، فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[١]، ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[٢]، إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتّى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام.

فأخذته منه، والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته...[٣].

وهنا يلاحظ:

أ ـ اشتغال أمير المؤمنين عليه السلام بالعبادة وانفتاله من صلاته لقضاء حوائج المسلمين.

ب ـ نظرة التعطّف والرأفة على الرعيّة.

ج ـ تبرّؤ أمير المؤمنين عليه السلام من الظلم، وإنّه لم يأمر ولاته إلّا بالحقّ والعدل.

د ـ المسارعة إلى عزل من يشكو الناس ظلمه.

---

(١) اعراف: ٨٥.

(٢) هود: ٨٥ ـ ٨٦.

(٣) بلاغات النساء: ٣٠ ـ ٣٢، الفتوح ٣: ٥٩ ـ ٦١، كشف الغمة ١: ١٧٢.

هـ ـ منح الثقة العالية للمسلمين، فلم يختم كتابه ولا خزمه، لأنّ الأصل في المسلمين عنده أنّهم ثقاة لا يخونون.

و ـ ردّ الحقوق إلى أهلها ردّاً فوريّاً.

والحديث عن عدل أمير المؤمنين عليه السلام طويل جداً، المهم منه هو عدله وسيرته في ولاته وعماله، غير غافلين عن أنّ بعض ولاته ربما ذهبوا لأداء مهمة ما فاستخلفوا آخرين على العمل لمدة محدودة، كما ذهب ابن عباس من البصرة فاستخلف عليها زياد بن أبيه، وذلك قبل انحرافه عن جادة الحق والصواب، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام هو المولّى إيّاه.

وعلى أية حال، فمن أراد تدقيق المطالب وبحثها فعليه بهذا الكتاب النفيس «رجال الدولة العلويّة» الذي قلّ نظيره في المكتبة العربيّة، والذي كتبه رجل فاضل أديب لوذعي خطيب، هو سماحة حجة الإسلام الشيخ «مهدي عباس تاج الدين» الذي بذل جهوداً مشكورة، فسال مزبرُهُ بما يروي غلة الظمأن، ويُشنّف آذان الزمان بأقراط الحقائق الناصعة، فقد استقصى واستوعَبَ ولاة أمير المؤمنين عليه السلام وعماله على البلدان والأصقاع، مما يعطي للمرء صورة واضحة عن سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في التولية والعزل، كما يعطي خارطة جغرافية سياسية لتقسيم البلدان والولايات في زمان حكومة أمير المؤمنين عليه السلام من مكة والمدينة والكوفة والأهواز ـ التي كانت تابعة للبصرة ـ وغيرها من المناطق وملحقاتها، مما يبيّن النظام الإداري آنذاك.

وقد أضاف المؤلف لكلّ ذلك سيرة بعض العظماء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحواريه وخُلّص أصحابه وإن لم يكونوا من ذوي الولايات ليأتي العمل متكاملاً متجانساً حاوياً لكل أطراف البحث.

بعد كل ما قدّمناه، نقف بإجلال وإكبار أمام هذا العمل الجبّار، سائلين المولى أن يمدّ المؤلف بالمزيد والمزيد من عناياته وألطافه، ليتحف المكتبة الإسلامية بمزيد من المؤلفات القيمة فللّه درّه وعليه أجره.

مشهد المقدّسة

قيس العطار

٢٥ / جمادي الثاني / ١٤٣٦ هـ

المقدمة

بالرغم من مطالعاتي في الكُتب التاريخية، يؤسفني أن أقول بأنني لم أعثر على كتاب يتكفَّل الحديث عن وُلاة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وعُمّاله ورجال دولته المباركة، بصورة مستقلّة.

مع العِلم أنه كان فيهم مجموعة من الصحابة والتابعين الأبطال والعلماء والشخصيَّات البارزة.

وفيهم مَن لازَمَ الإمام عليه السلام في حِلّه وترحاله وشاركه في حروبه ووافقه وسانَده في القرارات التي اتّخذها عليه السلام في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، وخاصة حينما نقل عاصمة دولته إلى الكوفة.

وكان لهؤلاء الرجال المواقف المشرّفة والجولات الشجاعة والصولات الجريئة في حروبه ـ صلوات الله عليه ـ ضد أعداء الدين وأعداء الإمامة والولاية، وخاصة في حرب الجمل وصفّين والنهروان.

لقد ضرب هؤلاء الرقم القياسي في الفداء والوفاء والولاء لإمام المتّقين وقدوة المجاهدين وخليفة رسول ربّ العالمين: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى سقطوا ضحايا بين يدي الإمام في ساحات الشرف والكرامة والمجد والشهادة...

فلا عجب.. إذا وقف الإمام عليه السلام يذكرهم ويُثني عليهم أحسن الثناء.. فيقول:

«.. ما ضرَّ إخوانَنا الذين سُفكت دماؤهم وهم بصفّين أن لا يكونوا اليوم أحياءً، يُسيغون الغُصَص، ويشربون الرنق.

قد ـ والله ـ لَقُوا الله فوفّاهم أُجورهم، وأحلَّهم دار الأمنِ من بعد خوفهم.

أَين إخواني الَّذين ركبوا الطَّريق، ومَضَوا على الحقّ؟

أين عمار؟!

وأين ابن التَّيِّهان؟!

وأين ذو الشَّهادتين؟!

وأين نُظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة، وأُبرد برؤوسهم إلى الفجرة ...».

ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء..[1].

لقد بكى ـ صلوات الله عليه ـ لِفَقْد أُولئك الأبطال الأوفياء الذين كتبوا ولاءَهم بدمائهم...

فيا حبّذا.. لو اتَّخذناهم قدوة وأُسوة لنا.. في مجال العقيدة والولاء...

ويا حبّذا.. لو اقتفينا أثرهم، وانتهجنا سبيلهم، وسلكنا طريقهم...

حتى نسعد كما سعدوا.. ونفوز كما فازوا.. ونخلد كما خلدوا...

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠٩ / خ ١٨٢.

أيّها القارئ الكريم : من هـذا المـنطلق : مـنطلق الاقـتداء بـهؤلاء الصالحين الأبرار.. رأيتُ من المناسب أن أكتب كـتاباً يـتحدّث عـن رجال دولة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وسيرتهم الصالحة ومواقفهم المشرِّفة.

كما أتعرّض لذكر الولاة الذين خانوا الإمام وانحرفوا عـنه فَـعزَلهم الإمام وتبرَّأ منهم، فخسروا الآخرة ذلك هو الخسران المبين.

الشيخ مهدي تاج الدين

تقريظ

لشاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ سلطان الصابري الحائري

تاريخ كتاب (رجال الدولة العلوية) لِمؤلّفهِ الجليل الخطيب الشيخ مهدي تاج الدين :

رِجالُ الدَّوْلَةِ الْمَوْلَى الأَمِيرِ ... عِظامْ مُكْرَمونَ فِي البَراري

جَرَوا كَالشَّمْسِ وَالنّاسُ اسْتَقَرَّوا ... وَهُمْ مِنْ دونِ برجٍ لِلْقَرارِ

وَكَمْ قَدْ سانَدَوا الإِسْلامَ حَزْماً ... وَعَلْيا هِمَّةِ دونَ الْغِرارِ

وَكَمْ قَدْ حارَبوا الكُفْرَ بِجُهْدٍ ... فَلاذَ الْخَصْمُ مِنْهُمْ بِالْفَرارِ

لِتاجٍ أَرِّخوا أَيْضاً (وَساقِي ... رِجالِ الدَّوْلَةِ الْمَوْلَى الْبَراري)

١٧٧ + ٢٣٤ + ٤٧١ + ١٠٨ + ٤٤٤ =

١٤٣٤ الهجري

خصائص الكتاب

حين نقرأ هذا الكتاب نطّلع على طريقة حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في الإدارة الإسلامية، كما ويتمّ الاطّلاع ـ من خلال قراءة سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في مجال الحكم ـ على السّرّ الكامن وراء سبب تقبّل الإمام عليه السلام للحكم، وما هي الضوابط الّتي كان يتحرّاها عليه السلام لاختيار العناصر للمواقع الإدارية.

كما ويتمّ الاطّلاع علىٰ شطر من عهوده عليه السلام التّي كان يعمّمها علىٰ الولاة لأجل سلامة المجتمع، ثمّ العلاقة الّتي تربط المسلمين والولاة بأمير المؤمنين عليه السلام.

كما ويستفاد من سيرته عليه السلام أنّ الولاة وذوي المناصب الإدارية للمناطق المختلفة يجب عليهم اتّباع القيادة في اتّخاذ قرارات الحرب والصّلح.

وكان من خصائص حكمه عليه السلام التحرّجُ الشديد في قراراته المالية والتصّرف ببيت مال المسلمين، والتّحرّي الدقيق في توظيف بيت المال لصالح المسلمين، وصرامتُهُ عليه السلام على مَنْ كان يريد إساءة استخدام موقعه للأغراض الشخصية، ومَنْحُ الحرّيّات المطلقة حتَّى لمناوئيه وأعدائه عليه السلام على جميع المُستَوَيات، وفي كُلِّ المضامير، حتَّى إنَّنا نَرى

في نهجه التعاطيَ الإنسانيَّ البالغ إزاء أَتْباع مختلف الدّيانات الأُخرىٰ بل وحتّى الكفّار منهم، والاهتمامَ المتزايد منهُ عليه السلام لإحياء مختلف المناطق ـ على المستوى العمراني ـ ومن جملتها إصلاح القنوات الّتي تمّ تدميرها، والعنايةَ البالغة بالمُعْوِزين والأيتام والطبقات الاجتماعية المسحوقة.

حتّى ورد أنّه عليه السلام حين قضى حاجةَ جملةٍ من الدَّهاقين[1]، فقدّموا له أربعين ألف درهم كتقدير للجهود الّتي بذلها عليه السلام في ذلك المضمار، فرفض عليه السلام قبول ذلك قائلاً: **إنّا قوم لا نأخذ على معروفٍ ثَمَناً**[2].

وكذلك من جملة خصائص حكمه عليه السلام الالتزام بالثّوابت الإسلاميَّة، والصَّفْح عن المناوئين، والتَّغاضي عن زلّات الزّالّين الشخصيَّة، بينما نراه عليه السلام شديداً على أصحابه اللّذين التحقوا بمعسكر العدوّ لتحقيق بعض المكاسب الدنيوية.

وقبل الخوض والدخول في البحث عن شؤون ولاة الإمام عليه السلام وعمّاله وما زوّدهم به الإمام عليه السلام من الأنظمة والنصائح في وثائقه إليهم، نتناول بعض البحوث التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً وموضوعياً بأجهزة الحكم ومناصب الدولة وشؤون الولاة والعمّال وشرائطهم وغير ذلك، كمقدمة لبحث موضوع الكتاب.

---

(١) أي التجّار.

(٢) أنساب الأشراف: ٥٣.

أهمّيّة الولاة وخطر الإمارة:

أمّا الولاة على الأقطار والأقاليم الإسلامية فهم الذين يُعيِّنهم الخليفة الذي تقلّد أُمور المسلمين ليحكموا بينهم بالحقّ والعدل، ويقيموا سنّة الله تعالى وأحكامه في الأرض، ويعملوا على تطوير العالم الإسلامي في إنماء ثرواته، وعمارة أرضه، وإقصاء الفقر والحاجة عن كلّ مواطن يقيم في بلاد المسلمين.

ثمّ إن الامارة على الأقطار والأقاليم من المناصب الحسّاسة في جهاز الحكم الإسلامي، فإن أُدّيت على الوجه الصحيح نجا صاحبها من عذاب الله و عقابه، وإن لم تُؤَدَّ على واقعها المشروع تعرّض من تقلّدها للنقمة والعذاب، وقد صَرَّح بذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال:

«**سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يقُولُ: أَيُّما والٍ وَلِي الأمرَ مِن بَعدِي أُقِيمَ عَلى حَدِّ الصِّراطِ، وَنَشَرَتِ المَلائِكَةُ صَحِيفَتَهُ، فَإن كانَ عَادِلاً أَنجاهُ اللهُ بِعَدلِهِ، وَإن كانَ جائِراً انتَقَضَ بِهِ الصِّراطُ حَتّى تَتَزايلَ مَفاصِلُهُ، ثُمَّ يهوِي إِلَى النَّارِ، فَيكونَ أَوَّلَ ما يتَّقِيها أَنفُهُ وحُرُّ وَجهِهِ**[1]»[2].

أرأيتم خطر الإمارة ومدى المسؤولية العظمى لمن تولّاها؟ فإن عدل في إمارته وأقام الحقّ كان بمنجىً من عذاب الله تعالى، ومن جار في حكمه وابتعد عن الطريق القويم كان في عذاب الله ونقمته...

---

(١) حرّ الوجه: ما بدا من الوجنة.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٧: ٣٦ ـ ٣٧، أمالي الشيخ الطوسي: ٧٢٨ / ح ١٥٣٠.

وقد تَرَسَّم أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بذلك خُطى أَخيه رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال لأصحابه:

«وَإن شِئتُم أَنبأتُكم عَنِ الإمارَةِ وَما هِي ؟».

فانبرى إليه عوف بن مالك قائلاً:

ما هي يا رسول الله ؟

فقال صلى الله عليه وآله:

«أَوَّلُها ـ أي الإمارة ـ مَلامَةٌ، وَثانِيها نَدامَةٌ، وَثالِثُها عَذابُ يومِ القِيامَةِ، إلّا مَن عَدَلَ، وَكَيفَ يعدِلُ مَعَ قَرابَتِهِ ؟!»[1].

إنّ الإمارة عذاب وندامة، وخسران لمن حاد عن الطريق واقترف الظلم والاعتداء على الناس، لذلك أَكَّدَ صلى الله عليه وآله هذا المفهوم محذّراً أصحابَهُ من الإمارة قائلاً:

«سَتَحرِصُونَ عَلَى الإمارَةِ، ثُمَّ تَكونُ عليكم حَسرةً وَنَدامَةً يومَ القِيامَةِ، فَنِعْمَتِ المُرضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفاطِمَةُ»[2].

وقد حرص الكثيرون من الصحابة وتهالكوا على الإمارة والسُّلطان، فكانت النتائج المؤسفة أنّ العالم الإسلامي غرق بالفتن والكوارث.

وحدّث عوف بن مالك أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إنّي أَخافُ عَلى أُمَّتِي مِن أَعمالٍ ثَلاثة ...».

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام، لباقر القرشي: ٣٦٠. وانظر مجمع الزوائد، للهيثمي ٥: ٢٠٠ عن البزّار والطبراني.

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١: ١، تحف العقول، لابن شعبة الحراني: ٣٥.

فسارع بعض أصحابه قائلاً: ما هي يا رسول الله؟

«**زَلَّةُ عالِمٍ، وَحُكمُ جائِرٍ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ...**»[١].

إنّ أيّ واحدة من هذه الأُمور الثلاثة توجب سخط الله، وإطفاء نور العدل، وشيوع الجور في الأرض...

وكان الأخيار والصلحاء من الصحابة يتحرّجون من قبول الإمارة لأنّها من موجبات الإغراء والتّعالي على الناس، يقول المقداد: استعملني رسول الله ﷺ على عملٍ، فلمّا رجعت قال لي:

«**كَيفَ وَجَدتَ الإمارَةَ؟**».

قُلْتُ: يا رسول الله، ما ظننت إلّا أنَّ الناس خَوَلٌ لي، والله! لا أَلي على عمل ما دمت حياً...[٢].

إنّ الحكم يوجب الاعتزاز بالنفس، ويغري الإنسان بالعظمة والكبرياء، ولا يفلت من ربقته إلّا المتحرّج في دينه فإنّه لا ضير عليه في تقلّد الامارة، فقد روى عطاء بن يسار؛ قال:

إنّ رجلاً كان عند النبيّ ﷺ فقال: بئس الشَّيء الإمارة.

فأجابه النبي ﷺ:

«**نِعْمَ الشَّيءُ الإمارَةُ لِمَنْ أَخَذَها بِحَقِّها وَحِلِّها**»[٣].

---

(١) مجمع الزوائد، للهيثمي ٥:٢٣٩، مستدرك الوسائل، للنوري ١٧:٣٥٨ / ح ٢١٥٧٥.

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم الاصفهاني ١: ١٧٤، تاريخ دمشق، لابن عساكر ٦٠:١٦٩.

(٣) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١ : ١، مجمع الزوائد، للهيثمي ٥ : ٢٠٠.

انتخاب الأُمراء و تعيينهم وعقابهم:

أمّا انتخاب الولاة وتعيينهم في مناصب الدولة، فإنّه من مختصّات زعيم الدولة، فهو الذي يختار وينتخب لهذا المنصب من تتوفّر فيه النزعات الكريمة والصفات الفاضلة؛ من العلم، والورع، والتقوى، وأصالة الرأي، وعمق التفكير، والدراية التامّة بشؤون الحكم والإدارة...

وهذه بعض الصفات التي ينبغي أن تتوفّر فيه:

الصدق في القول.

الوفاء بالعهد والوعد.

أداء الأمانه إلى أهلها.

التَّجنُّب عن الخيانة.

لِينُ الكلام وحسن الخلق مع الرعية.

العطف على الأَيتام والرِّفق بهم وتعهّد شؤونهم.

التفقّه في أحكام الإسلام.

الحلم وكظم الغيظ.

خفض الجناح للرعية[1].

هذه بعض الصفات التي يعتبر توفُّرها في الولاة، ويجب على وليّ أمر المسلمين الفحص بدقّة وإمعان عن وجودها في المتصدّي لهذا المنصب لئلّا يتولّى أُمور المسلمين من لا حريجة له في الدين.

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام، لباقر القرشي: ٣٦١ ـ ٣٦٢.

وإذا سَبَرْتَ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقَفْتَ على جَلِيَّة الأمر، وعرفت الموازين التي كان يتَّبعُها عليه السلام في انتخاب الأُمراء، فلا يُؤَمِّرُ إلّا من تجتمع فيه خصال الدِّين والمروءة والسياسة والشجاعة والعدالة و....

وأما عقاب الإمام الجائر ـ الذي يجور ويولّي على المسلمين ولاة الجور ـ فقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِندَ اللهِ إمامُ جائِرٍ ضَلَّ، وَضُلَّ بِهِ، فَأَماتَ سُنَّةً مُأخُوذَةً، وَأَحيىٰ بِدعَةً مَتروكَةً، وَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: يُؤْتَى بِالإمامِ الجائِرِ وَلَيسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلا عاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فيها كَما تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يُرْتَبَطُ فِي قَعرِها»[1].

إمارة السُّفَهاء:

وحذّر النّبي صلى الله عليه وآله من إمارة السفهاء الذين لا رصيد لهم من الوعي والتقوى، فقد روى كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال له:

«أَعاذَكَ اللهُ يا كَعبُ! مِن إمارَةِ السُّفهاءِ».

وبادر كعب قائلاً: ما إمارة السفهاء يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله: «أُمَراءُ يكونُونَ بَعدِي لا يهتَدِونَ بِهَدِيي، وَلا يستَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَن صَدَّقَهُم بِكَذِبِهِم، وَأَعانَهُم عَلى ظُلمِهِم، فَأُولئِك لَيسُوا

(١) نهج البلاغة ٢: ٦٩/ خ ١٦٤، ربيع الأبرار، للزمخشري ٤: ٢٢٤.

مِنِّي وَلَستُ مِنهُم، وَلا يـرِدُونَ عَـلَى حَـوْضِي، وَمَـن لَـم يُـصَدِّقهُم بِكَذِبِهِم، وَلَم يُعِنْهُم عَلى ظُلمِهِم، فَأُولئِك مِنِّي وَأَنا مِنهُم، وَسَـيرِدُونَ عَلَى حَوضِي ...»[1].

إنّ إمارة السفهاء ظلم وجور واعتداء على الناس؛ لأنّهم لا يهتدون بهدى النبي ﷺ ولا يستنّون بسنّته.

واجبات الولاة عند الإمام عليه السلام وذم عُشّاقها:

وحذّر الرسول الأعظم ﷺ من توظيف العاشقين للسلطة والمتهالكين على المنصب، فقد روي أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، استعملني؟ فردّه النبي وقال:

«إنّا لا نَستَعمِلُ عَلى عَمَلِنا مَن أرادَهُ[2] ...»[3].

وعلّق بعض الفضلاء على هـذه الروايـة بـقوله: السِّـرُّ فـي ذلك أنّ الولايات أمانات، وتَصَرُّفٌ في أرواح الخلائق وأمـوالهـم، والتَّسـرُّع إلى الأمانة دليل على الخيانة، وأنّه لا يخطبها إلّا مـن يـريد أكـلها... وإذا ائْتُمِنَ خائن على موضع الأمانات كان كمن استرعى الذئبَ على الغنم، ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا عـلى مـلوكها؛ لأنّـه إذا

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ١: ٧٩، سنن البيهقي ٤: ١١٥، الأموال، لأبي عبيد: ٥٧.

(٢) الضمير يعود للعمل، أي: مَن أراد العَمَل.

(٣) صحيح البخاري ٣: ٤٨ و ٨: ٥٠.

اهتُضِمَتْ حقوقهم وأُكلت أموالهم، فسدت نياتهم، وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء والتّشكّي، وذكروا سائر الملوك بالعدل والإحسان، فكانوا كالبيت السائر.

وراعي الشَّاةِ يحمي الذئب عنها فكيف إذا الذِّئابُ لها رِعاءُ؟

وإذا خان أهل الأمانات، وفسدت قلوب أهل الولايات، كان الأمر كما قال الأوّلون:

الملحُ يُصْلِحُ ما نخشى تَغَيُّرَهُ فكيفَ بالملحِ إن حَلَّتْ بِهِ الغِيَرُ[1]؟

إنّ الإسلام احتاط أشدّ الاحتياط في مناصب الدولة، فلم يسمح لوليّ أمر المسلمين أن يمنح الولاية لمن طلبها وتهالك عليها، وقد دفع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طلحة والزبير عن الولاية حينما أصرّا عليها؛ لأنّهما لم يكونا مدفوعين بدافع رعاية الصالح العامّ، وإنّما رغبا في الولاية ليتّخذا منها وسيلة للثراء العريض والتّحكّم في رقاب المسلمين.

وأمّا الواجبات على الولاة في الأقاليم الإسلامية، فهي أن يقيموا العدل، ويحكموا بين الناس بالحقّ، ويتعاهدوا مصالح المسلمين وقضاياهم، ومن أوّليات مسؤوليّاتهم ما يلي:

١ ـ إشاعة تعليم أحكام الإسلام المستمدّة من الكتاب والسنّة.

٢ ـ تربية المجتمع بالأخلاق الفاضلة والآداب العالية.

٣ ـ الرِّفْق بالرعية والعفو عن المسيء من غير تَرْكٍ للحقّ العامّ.

---

(١) حقيقة الإسلام وأُصول الحكم، لعبد الرزاق المصري: ٧٠.

٤ ـ القضاء على معالم الجاهلية الرعناء.

٥ ـ الاهتمام بالشعائر الإسلامية، ومن أهمّها الصلاة.

٦ ـ نشر الوعظ والإرشاد لوقاية المجتمع من الانحراف.

٧ ـ نشر العلوم النافعة التي بها تتطوّر الحياة كالطبّ والهندسة وغيرهما[١].

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«يجِبُ عَلَى الوالِي أَن يتَعَهَّدَ اُمُورَهُ، وَيَتَفَقَّدَ أَعوانَهُ، حَتّى لا يخفى عَلَيهِ إِحسانُ مُحسِنٍ، وَلا إِساءَةُ مُسِيءٍ، ثُمَّ لا يَتْرُك واحِداً مِنهُما بَغِيرِ جَزاءٍ، فَإِن تَرَك ذلِك تهاوَنَ المُحسِنُ، وَاجتَرأَ المُسِيءُ، وَفَسَدَ الأَمرُ، وَضاعَ العَمَلُ»[٢].

هذه بعض البنود التي يلزم الولاة تنفيذها على مسرح الحياة العامّة.

ووضع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مناهج وآداباً خاصّة للولاة، وأمرهم بالتحلّي بها ليكونوا هداةً للناس وأمثلة للحكّام الصالحين، وذلك في عهده لمالك الأشتر، ونشير إلى بعضها:

١ ـ على الولاة أن يُشْعِرُوا قلوبَهُم الرأفة والرحمة للرعية من دون فرق بين المسلمين وغيرهم، يقول عليه السلام لمالك الأشتر:

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام، لباقر القرشي: ٣٦٤.

(٢) صبح الأعشى، للقلقشندي ٢: ٣٢٥، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، للحلواني: ٦٩ / ح ٦٢.

«وَأَشعِر قَلبَك الرَّحمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالمَحَبَّةَ لَهُم، وَاللُّطفَ بِهِم، وَلا تَكونَنَّ عَلَيهِم سَبُعاً ضَارِياً تَغتَنِمُ أَكلَهُم، فَإِنَّهُم صِنفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَك فِي الدِّينِ، وإِمّا نَظِيرٌ لَك فِي الخَلقِ»[1].

وحكت هذه الكلمات المسؤوليات التي ينبغي للولاة مراعاتها. وهي:

١ ـ أن يحملوا في مشاعرهم وعواطفهم المحبّة والرأفة لجميع المواطنين.

٢ ـ أن لا يكونوا كالأُسود الضارية على الشَّعْب ينهبون أرزاقهم ومواردهم الاقتصادية.

٣ ـ أنّ يعاملوا المواطنين من مسلمين وغيرهم على حدّ سواء، من دون أن يكون لأحدهم فضل على أحد، ولا لفئة على أُخرى، فالمسلمون وغيرهم على صعيدٍ واحدٍ.

٢ ـ أن لا يتّخذوا الإمرة والسلطة وسيلةً للاستعلاء على الناس والتكبّر عليهم.

يقول عليه السلام:

«وَلا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِك إِدْغَالٌ[2] فِي القَلبِ، وَمَنهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الغِيَرِ.

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٨٤ / الكتاب ٥٣ وهو عهده لمالك الأشتر.

(٢) الإدغال: الإفساد.

وَإذا أَحدَثَ لَك مَا أَنتَ فِيهِ مِن سُلطَانِك أُبَّهةً أَو مَخِيلَةً[١]، فانظُر إِلَى عِظَمِ مُلك الله فَوقَكَ، وَقُدرَتِهِ مِنك عَلَى مَا لا تَقدِرُ عَلَيهِ مِن نَـفسِكَ، فَإِنَّ ذلِك يُطَامِنُ إِلَيك مِن طِمَاحِكَ، وَيكفُّ عَنك مِن غَرْبِكَ[٢]، وَيفِيءُ إِلَيك بِمَا عَزَبَ عَنك مِن عَقلِكَ!

إِيَّاك وَمُسامَاةَ[٣] الله فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَـإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُختَالٍ»[٤].

وقد نهى الإمام عليه السلام وحذّر واليه على مصر من التكبّر على الرعـية، فإنّ التكبّر مفسد للدين ومحبط للعمل، وقد علّمه الوسيلة التي ينجو بها ويتخلّص من التكبّر، وهي أن ينظر إلى عظمة الله تعالى المالك القادر الذي هو فوق كلّ شيء؛ فإنّه يكفّ عنه هذا الداء وينجيه من هذا الشرّ.

وعلى الولاة أن ينصفوا الله تعالى وذلك بطاعته وامتثال أوامره، وأن ينصفوا الناس وذلك بإعطاء حقوقهم، وقد حَـفِلَ بـذلك وغـيرِهِ مـن صنوف العدل قولُهُ عليه السلام:

«أَنْصِفِ اللهَ وَأنصِفِ النَّاسَ، مِن نَفسِكَ، وَمِن خَاصَّةِ أَهلِكَ، وَمَن لَك فِيهِ هَوًى[٥] مِن رَعِيتِكَ، فَإِنَّك إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ!

---

(١) المخيلة: الخيلاء والعجب بالنفس.

(٢) الغَرْب: الحدّة.

(٣) المساماة: المباراة في السُّمُوّ.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٨٤ ـ ٨٥ / الكتاب ٥٣ وهو عهده لمالك الأشتر.

(٥) الهوى: الميل.

وَمَن ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَن خَاصَمَهُ اللهَ أَدحَضَ حُجَّتَهُ[١]، وَكَانَ للهِ حَرباً حَتَّى ينزِعَ ويتُوبَ.

وَلَيسَ شَيءٌ أَدعَى إِلَى تَغييرِ نِعمَةِ اللهِ وَتَعجِيلِ نِقمَتِهِ مِن إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعوَةَ المُضطَهَدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالمِرصَادِ»[٢].

أرأيتم هذا العدل الذي ينعش الشعوب، و يعود بالخير العميم على الجميع، ويساوي بين السلطة والشعب، ولا يجعل لأحد سلطاناً أو تفوّقاً على غيره؟

وقال عليه السلام: «وَليكن أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيك أَوسَطُهَا فِي الحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي العَدلِ، وَأَجمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخطَ العَامَّةِ يُجْحِفُ[٣] بِرِضَى الخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخطَ الخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى العَامَّةِ. وَلَيسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثقَلَ عَلَى الوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي البَلاءِ، وَأَكرَهَ لِلإِنصَافِ. وَأَسأَلَ بِالإِلحَافِ[٤]، وَأَقَلَّ شُكراً عِندَ الإِعطَاءِ، وَأَبطَأَ عُذراً عِندَ المَنعِ، وَأَضعَفَ صَبراً عِندَ مُلِمَّاتِ الدَّهرِ مِن أَهلِ الخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ المُسلِمِينَ، وَالعُدَّةُ لِلأَعدَاءِ، العَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ؛ فَليكن صَغْوُك لَهُم، وَمَيلُك مَعَهُم»[٥].

---

(١) أدحض حجّته: أي أبطل حجّته.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٨٥ / الكتاب ٥٣ وهو عهده لمالك الأشتر.

(٣) أجحف: أي أذهب.

(٤) الالحاف: الالحاح.

(٥) نهج البلاغة ٣: ٨٦ / الكتاب ٥٣ وهو عهده لمالك الأشتر.

أوصى الإمام عليه السلام بهذا المقطع عامله مالك الأشتر برعاية العامّة من الشعب، وتلبية مطالبهم، وتنفيذ رغباتهم؛ لأنّ الدولة لا تقوم ألا بهم، فهم عمودها الفقري ومركز ثقلها، فليس من الصَّواب إسخاط العامّة من أجل رضى الخاصَّة، لأنَّ العامّة هم عماد الدَّولة، لأنّ الحاكم ليس له مكانٌ قطّ لولا المحكومون، والخاصّة إنّما هم فئة قليلة لا يجوز تدمير الدولة من أجل رضاهم ورعاية مصالحهم.

وقال عليه السلام: «وَلا يكونَنَّ المُحسِنُ وَالمَسِيءُ عِندَك بِمَنزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذلِك تَزهِيداً لأَهلِ الإِحسَانِ فِي الإِحسَانِ، وَتَدرِيباً لأَهلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ!

وَأَلزِمْ كلّاً مِنهُم مَا أَلزَمَ نَفسَهُ. وَاعلَم أَنَّهُ لَيسَ شَيءٌ بِأَدعَى إِلَى حُسنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِن إِحسَانِهِ إِلَيهِمْ، وَتَخفِيفِهِ المَؤُونَاتِ عَلَيهِمْ، وَتَرك استِكرَاهِهِ إِيَاهُمْ عَلَى مَا لَيسَ لهُ قِبَلَهُم[1]. فَليكُنْ مِنك فِي ذلِك أمرٌ يجتَمِعُ لَك بِهِ حُسنِ الظَّنَّ بِرَعِيتِكَ، فَإِنَّ حُسنُ الظَّنِّ يقطَعُ عَنك نَصَباً[2] طَوِيلاً.

وَإِنَّ أَحَقَّ مَن حَسُنَ ظَنُّك بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُك عِندَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَن سَاءَ ظَنُّك بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاؤُك عِندَهُ»[3].

---

(١) قِبَلهم: أي عندهم.

(٢) النصب: التعب.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٨٨ ـ ٨٩ / الكتاب ٥٣ وهو عهده لمالك الأشتر.

أكّد الإمام عليه السلام على تكريم المحسن والاشادة به، وأنّه ليس من الانصاف في شيء أن يساوي بينه وبين المسيء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان وتشجيعاً للمسيئين، كما أكّد الإمام عليه السلام على الإحسان إلى الرعية، والبرّ بهم، وتخفيف المؤونات عنهم، فإنّ ذلك ممّا يوجب ارتباط الشعب بحكومته، وهو من أنجع الوسائل وأكثرها نجاحاً لاستقرار الدّولة وسلامتها من الفتن الداخلية.

محاسبة الولاة عند الإمام عليه السلام وإقالتهم:

على وليّ أمر المسلمين أن يقف بيقظة وحزم أمام ولاته على الأقطار والأقاليم، فيراقب تصرّفاتهم، ويحاسبهم على ما جَبَوْهُ وأنفقوه من بيت المال، وينظر إلى ما عندهم من ثراء، فإن كانوا قد اصطفوه من بيت المال بغير وجه مشروع فالواجب مصادرته، وعزلهم وذلك لخيانتهم، وقد سنّ ذلك، ووضع منهاجه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فكان يحاسب عمّاله على ما في أيديهم وعلى ما أنفقوه، وقد استعمل رجلاً من الأزد على الصدقات فلمّا رجع حاسبه فقال الرجل:

هذا لكم، وهذا أُهدي لي.

فأنكر النبي عليه السلام ذلك و قال:

«ما بالُ الرَّجُلِ نَستَعمِلُهُ عَلَى العَمَلِ مِمّا وَلَّانا الله، فَيَقُولَ: هذا لَكم، وَهذا أُهدِي لِي؟ أفَلا قَعَدَ فِي بَيتِ أَبِيهِ وأُمِّهِ فَنَظر أَيُهْدَى لَهُ أَم لا؟

وَالَّذِي نَفسِي بِيدِهِ! لا نَستَعمِلُ رَجُلاً عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانا اللهُ فَيَغُلُّ مِنهُ شَيئاً إِلَّا جاءَ بِهِ يومَ القِيامَةِ يحمِلُهُ عَلى رَقَبَتِهِ، إِن كانَ بَعِيراً لَهُ رُغاءُ، وَإِن كانَت بَقَرَةً لَها خُوارٌ، وَإِن كانَت شاةً تَيْعِرُ»[1].

ثمّ رفع يديه إلى السماء وقال: «**اللّـهُمَ بَـلَّغتُ**»، قـالها مـرّتين أو ثلاثاً[2].

وسار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على هذا المنهج في دور حكـومته. فكان يراقب الولاة والعمّال، ويمعن في محاسبتهم، فإذا بـدرت مـن أحدهم خيانة بادر إلى عزله، ومصادرة ما اختلسه من الأموال، وقـد بلغه عن بعض عمّاله أنّه استأثر ببعض أموال المسلمين فكتب إليه:

«**أَمَّا بَعدُ، فَقَد بَلَغَنِي عَنك أَمرٌ، إِن كنتَ فَعَلتَهُ فَقَد أَسـخَطتَ رَبَّكَ، وَعَصَيتَ إِمَامَكَ ... ، بَلَغَنِي أَنَّك جَـرَدْتَ الأَرضَ فـأَخَذتَ مَـا تَـحتَ قَدَمَيكَ، وَأَكَلتَ مَا تَحتَ يدَيكَ، فَارفَع إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعلَم أَنَّ حِسَابَ اللهِ أَعظَمُ مِن حِسَابِ النَّاسِ**»[3].

وكتب إلى زياد بن أبيه، وهو والٍ من قِبل عامله على البصرة عبد الله بن عباس، يحذّره من الخيانة، وقد جاء فيما كتبه إليه:

---

(١) يَعَرَت العنزُ تَيْعِرُ يُعاراً: صاحَتْ.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية: ٢٤٨، صحيح البخاري ٣: ١٣٦.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٦٤ ـ ٦٥ / الكتاب ٤٠.

«وَإِنِّي أُقسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِن بَلَغَنِي أَنَّك خُنتَ مِن فَيءِ المُسلِمِينَ شَيئاً صَغِيراً أَو كَبِيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيك شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمرِ»[1].

ما أحوج المسلمين إلى هذا العدل الصارم الذي لا تطغى فيه النزعات والأهواء، ولا ميل فيه إلّا للعدل والحقّ، ولا مكسب فيه إلّا خدمة الأُمّة ورعاية مصالحها.

وروى المؤرّخون أنّ عمر بن الخطّاب كان يحاسب عمّاله ويشاطرهم ما عندهم من أموال، فقد شاطر أموال سعد بن أبي وقّاص، وعمرو بن العاص، والحجّاج ابن عتيك الثقفي، وغيرهم، ويقول المعنيون بهذه البحوث: إنّ الواجب كان يقضي بمصادرة جميع أموالهم إن كانوا قد اختلسوها، وإن لم يكونوا قد اختلسوها فلا وجه لمصادرة نصفها.

ولا يجوز فصل الولاة وإقالتهم إذا كانوا قائمين بواجباتهم وملتزمين بما عهد إليهم، أمّا إذا اقترفوا الظُّلم وشذّوا عن الطريق القويم، فإنّهم يُفْصَلُون، ويُقَدَّمون إلى القضاء، وقد عزل الإمام عليه السلام أحد ولاته حينما أخبرته سَوْدَة بنتُ عُمارة الهمدانية أنّه قد جار في حكمه، فبكى الإمام وقال بلوعةٍ وحرارة:

«اللَّهُمَّ أَنتَ الشَّاهِدُ عَلَيَّ وَعَلَيهِمْ، إِنِّي لَم آمُرْهُم بِظُلمِ خَلقِكَ، وَلا بِتَرك حَقِّكَ».

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٩ / الكتاب ٢٠.

ثُمَّ عزله في الوقت[١].

إنّ سعادة الأُمّة منوطة باستقامة حكّامها، وعدل موظّفيها، فإذا مالوا عن الحقّ، وابتعدوا عن العدل وجب عزلهم لئلّا تتعرّض البلاد إلى الأزمات والنكسات.

ومن النُّكات البديعة اللّافتة النَّظَر، هي أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانَ يعزل الوالي الّذي يشتكي منه عددٌ من النَّاس دون مزيد تحقيق وتدقيق، وذلك واضح في سياسته عليه السلام.

وقد بَيَّنَ بعض المؤلِّفين وَجْهَ ذلك وعزاه إلى أنَّ الإمام عليه السلام كان يعلم صِدْق الشَّاكين والمظلومين، فيعزل الوالي.

لكنّ الصَّواب هو أَنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يعزل الوالي بمجرَّد التصاق الشبهة به بشكلٍ مُعْتَدٍّ به، وإن لم يكن الوالي خائناً في الواقع، وذلك لأنّه عليه السلام كان لا يريد في دولته ومنظومته الحكومية شخصاً لا يرغب به الشعب ولا تريده الرَّعيَّة وإن لم يكن في الواقع خائناً، وذلك مبالغةً منه عليه السلام في العدل، وحثّاً لولاته على المبالغة في إرضاء الشَّعب، وهذه السياسة هي قمّة العدالة التي لم تَصِلْها الإنسانية حتى اليوم.

ومن مظاهر عدل الإمام عليه السلام عزله للمنذر بن الجارود حينما بلغه أنّه جافى سيرة أبيه الجارود الحافلة بالتقوى والصلاح، فقد كتب إليه الإمام عليه السلام ما نصّه:

---

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي ١: ٢١١، تاريخ دمشق، لابن عساكر ٦٩: ٢٢٦.

«أَمَّا بَعدُ، فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيك غَرَّنِي مِنكَ، وَظَنَنتُ أَنَّك تَتَّبِعُ هَديهُ، وَتَسلُك سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنتَ فِيما رُقِيَ إِلَيَّ عَنك لاَ تَدَعُ لِهَوَاك انْقِياداً، وَلاَ تُبقِي لآخِرَتِك عَتَاداً. تَعمُرُ دُنياك بَخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَك بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَئِن كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنك حَقّاً، لَجَمَلُ أَهلِك وَشِسْعُ نَعلِك خَيرٌ مِنكَ، وَمَن كَانَ بِصِفَتِك فَلَيسَ بِأَهلٍ أَن يُسَدَّ بِهِ ثَغرٌ، أَو يُنْفَذَ بِهِ أَمرٌ، أَو يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَو يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَو يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايةٍ، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيك كتَابِي هذَا إِن شَاءَ الله»[1].

لقد صبّ الإمام عليه السلام جام غضبه على المنذر حينما بلغه أنّه خان المسلمين، فقد عنّفه بهذا اللّون من التعنيف الذي هو أشدّ من ضرب السيوف، ثمّ عزله عن منصبه من أجل صيانة العدل، والحفاظ على حقوق المسلمين ومصالحهم، وليس من العدل في شيء إبقاء من خان المسلمين في منصبه، بل لابدّ من عزله وإقصائه.

والمُلاحظ هنا سرعة الأوامر وفوريّة التنفيذ، إذ أمر عليه السلام هذا الوالي بالاعتزال فَوْرَ وصول أمر العزل إليه دون تأخير لحظة واحدة، وهذا فيه الدين والتقوى، والحفاظ على حقوق المسلمين، وضبط موازين الدولة.

الجيش والشرطة عند الإمام عليه السلام:

أمّا الجيش فهو السياج الواقي للأُمّة، والحامي لها من الاعتداء

(١) نهج البلاغة ٣: ١٣٢ / الكتاب ٧١.

والغزو، وهو أفضل جهاز في الدولة، فلننظر إلى ما قاله الإمام عليه السلام من المدح والإطراء:

«**فَالجُنُودُ بِإِذنِ اللهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَينُ الوُلاةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الأَمْنِ، وَلَيسَ تَقُومُ الرَّعِيةُ إِلّا بِهِمْ**»[1].

أرأيتم هذا التمجيد؟

أرأيتم هذا الثناء؟

إنّ الجند حصون الرّعيّة، وزين الولاة، وسبل الأمن العامّ في البلاد، وليس فوق هذا الثناء من ثناء.

وأضاف الإمام عليه السلام يقول لمالك الأشتر:

«**فَوَلِّ مِن جُنُودِكَ أَنصَحَهُم فِي نَفسِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، وَأَنقَاهُم جَيْباً، وَأَفضَلَهُم حِلماً، مِمَّن يبطِئُ عَنِ الغَضَبِ، وَيستَرِيحُ إِلَى العُذرِ، وَيرؤُفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَينبُو عَلَى الأَقوِياءِ، وَمِمَّن لا يُثيرُهُ العُنفُ، وَلا يقعُدُ بِهِ الضَّعفُ**»[2].

عرض الإمام إلى مَنْ يريد أن يولّيه ويرشّحه مالكُ الأشتر بعضَ المراتب المهمّة في الجيش، واشترط أن تتوفّر فيهم الصفات التالية:

١ ـ أن يتّصف المرشّح لقيادة الجيش بالنّصيحة لله ورسوله ولإمام الأُمّة.

٢ ـ أن يكون بعيداً عن أكل المال الحرام.

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٩٠ / الكتاب ٥٣ وهو عهده لمالك الأشتر.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٩١ / الكتاب ٥٣ وهو عهده لمالك الأشتر.

٣ ـ أن يكون من أفضل الناس، ويبطئ عن الغضب الذي هو مصدر كلّ رذيلة وظُلْم.

٤ ـ أن يتّصف بالرأفة والرحمة على الضعفاء والفقراء.

٥ ـ أن يكون ذا بأس وقوّة على الأقوياء.

٦ ـ أن يكون قويَّ الشخصية، فلا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف.

وأكَّد الإمام في عهده لمالك على العناية بقادة الجيش، فقال عليه السلام له:

«**وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَن وَاسَاهُم فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيهِم مِن جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُم وَيَسَعُ مَن وَرَاءَهُم مِن خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُم هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ العَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيهِم يَعطِفُ قُلُوبَهُم عَلَيكَ**»[1].

ألمّت هذه الكلمات بأرقى الوسائل التي توجب تلاحم الجيش وقادته مع ولاة الأمر، وأنّهم يكونون جميعاً يداً واحدة على عدوّهم.

أمّا الشرطة فهي من أجهزة الدولة الحسّاسة، وأوّل من أسّسها في الإسلام هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد انتخب جماعة من خيار جنوده، وأطلق عليهم «شرطة الخميس»، وكانوا يمثّلون النَّزاهة والتقوى، حتّى كانت شهادة أحدهم في المحاكم تعدل شهادة رجلين، وكان منهم الشهيد الخالد حبيب بن مظاهر، والثقة الأمين عبد الله بن يحيى الحضرمي، الّذي قال له الإمام عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٩٢ / الكتاب ٥٣ وهو عهده لمالك الأشتر.

«أَبْشِرْ يا عَبدَ اللهِ، فَإِنَّك وَأَباك مِن شُرطَةِ الخَمِيسِ حَقّاً، لَقَد أَخبَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِاسمِك وَاسمِ أَبِيك فِي شُرطَةِ الخَمِيسِ»[١].

وأُنيطت بالشرطة كثير من الواجبات والمسؤوليّات كان من بينها:

١ ـ القبض علىٰ المجرمين.

٢ ـ اتّخاذ التدابير الوقائية لمنع وقوع الجرائم.

٣ ـ المحافظة على النِّظام والأمن العامّ.

٤ ـ المحافظة على أموال الناس وأعراضهم.

وقد حدّد الإسلام صلاحيّات الشرطة، فليس لها أن تعتقل أيَّ شخص إلّا إذا ثبتت في حقّه تهمة يعاقب عليها القانون الإسلامي، وإذا ارتكب بعض الشرطة المخالفات فإنهم يقدّمون للقضاء، وتجري عليهم العقوبات المقرّرة في الإسلام[٢].

ومن الجدير بالذكر أنّ الشرطة في الأندلس قد انقسمت إلى شرطة كبرى، وشرطة صغرى، فالكبرى هي التي تضرب على أيدي الزعماء، ومن يتّصل بهم، والصغرى تحكم في الغوغاء وعامّة الناس... وكانت ولاية الشرطة للزعماء والأكابر من رجال الدولة[٣].

---

(١) حياة الإمام الحسن ﷺ، لباقر القرشي ٢: ٣٧٧. والنصّ عن اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١: ٢٣/ح ١٠.

(٢) نظام الحكم والإدارة في الإسلام، لباقر القرشي: ٤٤١.

(٣) النظم الإسلامية وحاجة البشر إليها، لعبد الرحمن الجويبر، طبعة دار المآثر: ٣٣٤.

حق الوالي على الرَّعيَّة وحقّها عليه :

عرض الإمام عليه السلام في حديثه التالي حقَّ الوالي على الرعية، وحقّها عليه، فقال :

« وأَعْظَمُ ما افْتَرَضَ سُبحانَهُ من تِلْكَ الحُقُوقِ حَقُّ الوَالِي عَلَى الرَّعيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعيةِ عَلَى الوَالِي، فريضةٌ فَرَضَهَا اللهُ سُبحَانَهُ لِكلٍّ عَلَى كلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِم، وَعِزّاً لِدِينِهِم، فَلَيسَت تَصلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلّا بِصَلاحِ الوُلاةِ، وَلا تَصلُحُ الوُلاةُ إِلّا بِاستِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيةُ إِلَى الوالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الوَالِي إِلَيهَا حَقَّها، عَزَّ الحَقُّ بَينَهُم، وَقَامَت مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعتَدَلَت مَعَالِمُ العَدلِ، وَجَرَت عَلَى أَذْلالِهَا السُّنَنُ، فَصَلُحَ بِذلِك الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّولَةِ، وَيَئِسَت مَطَامِعُ الأَعدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيهَا، أو أَجحَفَ الوالي بِرَعِيَّتِهِ، اختَلَفَت هُنَالِك الكَلِمَةُ، وَظَهَرَت مَعَالِمُ الجَورِ، وَكَثُرَ الإدغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَت مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالهوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحكَامُ، وَكَثُرَت عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلا يُستَوحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلا لَعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِك تَذِلُّ الأَبرَارُ، وَتَعِزُّ الأشرَارُ »[1].

وفي هذا الكلام الذهبيّ عيون قواعد المجتمع والحكم، وإذا أردنا أن نختصر مغازي ومعاني هذا المقطع في نقاط، فنستطيع تلخيصها بما يلي :

---

(١) نهج البلاغه ٢ : ١٩٨ ـ ١٩٩ / خ ٢١٦.

١ ـ إنّ الحقَّ المتقابل بين الوالي والرعيّة فريضة واجبة، وليس هذا الحق أمراً اعتباريّاً يمكن التغاضي عنه.

٢ ـ إنّ هذا الحقّ المتقابل هو سرّ النِّظام والأُلْفَة، وسرّ عزّ الدين.

٣ ـ إنّ صلاح الوالي والرعيَّة من المقولات الإضافية، فلا صلاح لأحدهما بدون الآخر. وهذا ما توصَّلت إليه حديثاً نظريات علم الاجتماع والدَّولة.

٤ ـ عند تأدية كُلٍّ من الوالي والرَّعيَّة ما عليه من الحقّ للآخر، يتماسك المجتمع، وتجري الأُمور على أَحْسنِ مجاريها، وتقوى الدولة وتتوفّر لها مقوِّمات البقاء والدَّوام، وَيَيْأس منها الأعداء.

٥ ـ عند اختلال هذه الموازنة باختلال أحد طرفيها، يظهر الاختلاف، ثمّ الجَوْر، ثمّ يعمّ التلاعب بالدِّين لِفَقْد الاستقرار، وبالتالي ينفرط عقد المجتمع ثقافياً وسياسيّاً وعسكريّاً، فيستولي الأشرار على الأخيار، لأنّ المنطق حينذاك يكون منطق الغَلَبة والقهريّة.

الباب الأَوّل

في

بدء خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

والبحث فيه يقع في فصول :

الفصل الأول

في

الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله

في فترة خمس وعشرين سنة
وفيه أمور :

الأمر الأوَّل
النبي ﷺ واللحظات الأخيرة من حياته

بعد ما أقام الرسولُ الأعظمُ ﷺ الإمامَ أمير المؤمنين عليه السلام خليفةً على أُمّته، وأَعْلَن ذلك إعلاناً عامّاً في غدير خُمّ، ونصّبه إماماً من بعده، قفل راجعاً إلى يثرب، وقد بدت صحّته تنهار يوماً بعد يوم، فقد أَلَمَّ به المرض وأصابته حمى مبرحة، حتَّى كأنَّ به لهباً منها، وقد لازمته ولم تنقطع عنه، وكانت عليه قطيفة، فإذا وضع أزواجه وعُوّاده أيديهم عليها شعروا بحرّها[1]، وقد وضعوا إلى جواره إناء فيه ماء بارد، فكان يضع يده فيه ويمسح بها وجهه الشريف لتخفّ حرارة الحُمَّى عنه.

ولمّا أُشيع مرضه هُرِعَ المسلمون لعيادته وهم ما بين باك وواجم، قد طافت بهم موجات من الألم والذُّهُول، واستقبلهم الرسول بأسى بالغ فنعى إليهم نفسه الشريفة، وأوصاهم بما يضمن لهم الاستقامة والتوازن في حياتهم قائلاً: «**أيها النَّاسُ، يوشِك أنّ أُقبَضَ قبضاً سَرِيعاً فَيُنْطَلَقَ بِي، وَقَدْ قَدَّمتُ إِلَيكم القَولَ مَعذِرَةً إِلَيكم، أَلا إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكم كتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِترَتِي أَهلَ بَيتِي ..**».

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانبه، فأخذ بيده وقال لعوّاده:

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير ٥: ٢٥٧.

«هذا عَلِيٌّ مَعَ القِرآنِ، وَالقُرآنُ مَعَ عَلِي، خَليفتانِ بَصِيرانِ لا يفتَرِقانِ حَتَّى يرِدا عَلَيَّ الحَوضَ»[١].

وقد وضع النبي ﷺ أهمّ المخطّطات الرئيسية التي تضمن لأُمّته النجاح وتقيها من الأزمات. وهي:

أوّلاً: التمسّك بكتاب الله والعمل بما فيه، فإنّه يهدي للتي هي أقوم.

ثانياً: التمسّك بالعترة الطاهرة، وعلى رأسها سيدها الإمام أمير المؤمنين، فإنّها لا تألوا جهداً في إسعاد الأُمَّة وبلوغ أهدافها.

سرية أُسامة:

واستبانت للنبيّ ﷺ التيارات الحزبيّة من صحابته الذين صمّموا على صرف الخلافة عن أهل بيت النبوة، فرأى خير وسيلة يتدارك بها الموقف أن يبعث بجميع أصحابه لغزو الروم حتى تخلو عاصمته منهم إذا انتقل إلى حضيرة القدس، وبذلك يتمّ ما أراده من تسلّم الإمام أمير المؤمنين ﷺ مقاليد الحكم من دون منازع له.

وقد أَمَرَ أعلام المهاجرين والأنصار بالالتحاق بالجيش، وكان من بينهم أبوبكر وعمر وأبو عبيدة الجرّاح وبشير بن سعد[٢]، وهم من أقطاب الحزب المعارض للإمام. وعهد النبيّ ﷺ بإمارة الجيش إلى أُسامة بن زيد، وكان في شرخ الشباب، ولم يعهد بها إلى أَحدٍ من شيوخ أصحابه،

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٧٩ / ح ١٠٤٥، الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي ٢: ٣٦١.

(٢) كنز العمال، للمتقي الهندي ٥: ٣١٢، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٤: ٤٦، تاريخ الخميس، للديار بكري ٢: ٤٦.

وكان في ذلك إشعار منه بأنّ القيادة العامّة لا تخضع لكبر السنّ والتَّقدُّم في العمر، وإنّما تخضع للمؤهّلات والقابليّات التي يتمتّع بها القائد.

وقال النبي صلى الله عليه وآله لأُسامة: «**سِر إلى مَوضِعِ قَتلِ أَبيك فَأَوطِئهُمُ الخَيلَ، فَقَد وَلَّيتُك هذَا الجَيشَ، فَأَغِرْ صَباحاً عَلى أَهلِ أُبْنَى**[1] **وَحَرِّق عَلَيهِم، وَأَسرِعِ السَّيرَ لِتَسبِقَ الأَخبارَ، فَإن أَظهَرَكَ اللهُ عَلَيهِم فأَقْلِلِ اللَّبْثَ فِيهِم، وَخُذ مَعَك الأَدِلّاءَ، وَقَدِّمِ العُيونَ وَالطَّلائِعَ مَعَكَ ...**»[2].

وحفلت هذه الوصية بالمناهج العسكرية الرائعه التي دلّت على أصالة التعاليم العسكرية في الإسلام، وكان الأمر بإحراق ثكناتهم العسكرية لإخافتهم وكسر شوكتهم، لأنّهم كانوا قوّة عظمى آنذاك.

ولمّا رأى النبي صلى الله عليه وآله جيشه قد مُني بالتَّمرُّد، فلم يلتحق أعلام الصحابة بوحداتهم العسكرية، ساءه ذلك وخرج مع ما به من المرض فحثّهم على المسير، وعقد بنفسه اللِّواء لأُسامة وقال له:

«**اغزُ بِسمِ اللهِ، وَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَ قاتِل مَن كَفَرَ بِاللهِ**»، وخرج أُسامة معقوداً لواؤه، فدفعه إلى بُرَيْدَةَ وعسكر بالجرف[3]، وتثاقل الصحابة من

---

(١) أُبْنَى: ناحية بالبلقاء من أرض سوريا، تقع بين عسقلان والرملة بالقرب من مؤتة التي استشهد فيها الشهيدان الخالدان جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة. انظر معجم البلدان ١: ٧٩.

(٢) السيرة الحلبية، لبرهان الدين الحلبي ٣: ٢٢٧، تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢: ٥٤، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٢: ١٩٠.

(٣) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو جهة الشام. انظر معجم البلدان ٢: ١٢٨.

الالتحاق بالمعسكر، وأظهروا العصيان والطعن بقيادة أُسامة، فتكلّم قومٌ وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين ؟!

ونقلت هذه الكلمات إلى النبي ﷺ وكانت قد ازدادت به الحمى فغضب، وخرج وهو معصَّب الرأس قد دُثِّر بقطيفته، فصعد المنبر وهو متبرّم، فأعلن سخطه على من لم يلتحق بجيش أُسامة، وقال: «**أيها النّاس، ما مَقالَةٌ بَلَغَتنِي عَن بَعضِكم في تَأمِيرِي أُسامَةُ ؟ ولَئِن طعنتُمْ في إمارتي أُسامة لَقَد طَعَنتُم فِي تَأمِيرِي أَباهُ مِنْ قبله، وَأَيمُ اللهِ إِنَّهُ كانَ لَخَلِيقاً بِالإِمارَةِ وَإِنَّ ابنَهُ مِن بَعدِهِ لَخَلِيقٌ بِها ..**»[1].

ثمّ نزل عن المنبر وهو متألّم كأشدّ ما يكون الألم، وجعل يؤكّد على الالتحاق بجيش أُسامة، ويلعن من تخلّف عنه قائلاً:

«**جَهِّزُوا جَيشَ أُسامَةَ ..**».

«**نَفِّذُوا جَيشَ أُسامَةَ ..**».

«**لَعَنَ اللهُ مُن تَخَلَّفَ عَن جَيشِ أُسامَةَ ..**»[2].

ولم تثر هذه الأوامر المُشدَّدة من رسول الله ﷺ حفائظ نفوسهم، ولم تدفعهم إلى الالتحاق بجيش أُسامة، فقد تثاقلوا واعتذروا للرسول بشتّى المعاذير الواهية، وهو صلوات الله عليه لم يمنحهم العذر، وإنّما أظهر السخط وعدم الرضا.

---

(١) السيرة الحلبية، لزيني دحلان المكي ٣: ٣٤، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٢: ١٩٠.

(٢) الملل والنحل ١: ٢٣، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٥٢.

الأمر الثاني
رزية يوم الخميس

واستبان للنبي صلى الله عليه وآله بصورة مكشوفة ما عليه بعض الصحابة من تصميمهم على صرف الخلافة عن وصيه، وباب مدينة علمه، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فرأى أن يكتب كتاباً خاصّاً بالنصّ عليه، ويعزّز بيعة يوم الغدير، ويسدّ بذلك أبواب المتآمرين عليه، فقال:

«ائتُونِي بِكَتِفٍ وَدَواةٍ لأَكتُبَ لَكم كتاباً لَن تَضِلُّوا بَعدَهُ أَبَداً..».

يا لها من نعمة كبرى على المسلمين، إنّه التزام من سيد الكائنات بأن لا تضلّ أُمّته على امتداد التاريخ إن كتب لها هذا الكتاب، إنّه الكتاب الذي أراد الرسول به أن يصون أُمّته من الزيغ والانحراف، ولا تصاب بأيّةِ نكسة في جميع الأحقاب والآباد. وعلم بُعَيْضُ الصحابة ما يريده النبي صلى الله عليه وآله من نصب الإمام عليه السلام خليفةً من بعده، وقائداً لمسيرة أُمّته، فقال عمر بن الخطاب:

حسبنا كتاب الله...

والمتأمّل في هذا الكلام يطلّ على الغاية المنشودة لهذا القائل، وهي صرف النبي صلى الله عليه وآله عن الكتابة في حقّ الإمام عليه السلام، فلوكان يعتقد أنّ النبي صلى الله عليه وآله يريد أن يوصي بحماية الثغور أو بجهاد الكفّار أو بالمحافظة على الطقوس الدينية لَما ردَّ على النبي عليه السلام وقابله بهذه الجرأة، ووقف

بصلافة دون تنفيذ رغبته. وقد صَرَّح بعض أبناء العامّة بأَنّ النبي ﷺ أراد أن يكتب قضية الخلافة من بعده لكي لا يقع الاختلاف من بعده، لكنّ عمر منع من ذلك!!

قال العيني في عمدة القاري: واختلف العلماء في الكتاب الذي هَمَّ ﷺ بكتابته، قال الخطّابي: يحتمل وجهين: أحدهما: أنّه أراد أن ينصّ على الإمامة بعده فترتفع تلك الفتن[1]....

وقد صَرَّح عمر نفسه بذلك، فقال لابن عباس في حديث دار بينهما: أراد [أي النبي ﷺ] أن يذكره [يعني علياً عليه السلام] للأمرِ في مرضه، فصددته عنه[2].

وعلى أَيَّةِ حال، فقد كثر الجدل بين القوم، فطائفة حاولت تنفيذ ما أمر به النبي ﷺ، وطائفة أُخرى أصرّت على معارضتها والحيلولة بينه وبين ما طلبه من الكتابة؛ وذلك خوفاً على فوات مصالحها وأطماعها، وانطلقت بعض السَّيِّدات من وراء الستر فأنكرن على القوم هذا الموقف المتَّسم بالجُرأة الوقحة على النبي وهو في ساعاته الأخيره، فقلن لهم:

ألا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ؟

ألا تنفّذون ما يريد رسول الله ﷺ؟

فثار عمر وهو رأسُ الحَرْبة، وزعيم المعارضة، فصاح بالنساء قائلاً:

إنّكنّ صويحبات يوسف، إذا مرض عَصَرْتُنَّ أعيُنَكُنَّ، وإذا صَحَّ رَكِبْتُنَّ عنقه...

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢: ١٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢: ٧٩.

فرمقه الرسول صلى الله عليه وآله بطرفه وصاح به :

« **دَعُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ خَيرٌ مِنكم** » .

وبدا صراع رهيب بين القوم ، وكادت تفوز الجبهة التي أرادت أن يكتب النبي صلى الله عليه وآله ، فانبرى بعض الحاضرين ـ عمر بن الخطاب ـ فسدّد سهماً آخر لما رامَهُ النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال ـ ويا لهول ما قال ! ـ :

إنّ النبي لَيهجُر[1] !

ما أعظم هذه الجرأة على النبي صلى الله عليه وآله !

ما أقسى هذا الاعتداء على مركز النُّبوَّة !

يا لها من كلمة تحمل جميع ألوان الشرور ! ألم يسمع هذا القائل كلام الله تعالى في حقّ نبيّه العظيم : ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوى * إِن هُوَ إِلّا وَحي يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى** ﴾[2] .

أَلم تمرّ عليه هذه الآية في سموّ مكانة رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ **إِنَّـهُ لَـقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العَرشِ مَكينٍ** ﴾[3] ، بلى والله ! لقد سمع هذا القائل ما أنزل الله من الآيات في كتابه المجيد في شأن رسوله الكريم ، ولكنَّ الأطماع السياسية دفعته إلى هذا الموقف الذي يحزّ في

---

(١) نصّ على هذه الحادثة المؤلمة كبار المؤرخين والمحدّثين ، ذكرها البخاري في صحيحه عدّة مرات في ٤ : ٦٨ ـ ٦٩ و ٦ : ٨ ، وفي نهاية ابن الأثير ٤ : ١٣٠ ، وشرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ٣ : ١١٤ وغيرها وفي بعضها إخفاء اسم عمر ، وفي بعضها التصريح باسمه .

(٢) النجم : ٢ ـ ٥ .

(٣) التكوير : ١٩ ـ ٢٠ .

نفس كلّ مسلم... وكان ابن عباس حبر الأُمّة إذا ذكر هذا الحادث الرهيب يذوب لوعةً ويبكي حتى تسيل دموعه على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ، وهو يقول:

يومُ الخميس، وما يومُ الخميس؟ قال رسول الله ﷺ: «**ائتُوني بِالكَتِفِ وَالدَّواةِ أَكتُبُ لَكم كتاباً لَن تَضِلُّوا بَعدَهُ أَبداً**»، فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ يهجر[1].

وأنت ترى كيف يحاول أتباع عمر إخفاء اسمه، فيقولون: «فقالوا» دون بيان القائل الأصلي وهو عمر، لكن شهاب الدين الخفاجي صَرَّح بأنّ القائل هو عمر، فقال في نسيم الرياض في شرح الشِّفا للقاضي عياض: (وفي بعض طرقه) أي طرق هذا الحديث [حديث القرطاس] المرويّة عنه، فقال عمر: (إنّ النبيّ ﷺ (يهجر)[2].

إنّه يحقّ لابن عبّاس أن يجزع ويبكي بأمرّ ألوان البكاء، فقد دهمت المسلمين كارثةٌ مدمّرة ألقتهم في شرّ عظيم، فقد حيل بينهم وبين ما أراده الرسول ﷺ من تطوير حياتهم وسيادتهم في جميع الأحقاب والآباد.

وأكبرُ الظّنّ أنّ النبي ﷺ لو كتب في حقّ عليٍّ ونصّ على خلافته لما أَجْدَتْ كتابته شيئاً، فقد اتّهموه بالهجر وعدم الوعي، وفي ذلك طعن

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٥٥، تاريخ الطبري ٢: ٤٣٦، صحيح مسلم ٥: ٧٦.

(٢) نسيم الرياض، لشهاب الدين الخفاجي ٤: ٢٧٨.

صريح في مركز النّبوّة وقداسة الرسول صلى الله عليه وآله، فرأى صلوات الله عليه الإعراضَ عن الكتابة.

على أنَّ أبا السعادات، سفرويه الإصفهاني قال: وفي روايةٍ كَتَبَ صلى الله عليه وآله الكتابَ ومزّقه عمر[١].

واشتدّ الوجع برسول الله صلى الله عليه وآله، فنظرت إليه سيدة النساء فاطمة عليها السلام فقالت له:

«أَنتَ وَاللهِ! كَما قالَ القائِلُ:

وَأَبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بِوَجهِهِ ثِمالُ اليتامى عِصمَةً لِلأَرامِلِ

فقال لها أبوها:

«هذا قَولُ عَمِّك أَبِي طَالِبٍ»، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعقَابِكم وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٢]»[٣].

النبي صلى الله عليه وآله يوصي بأهل بيته:

روى أنس بن مالك، قال: جاءت فاطمة ومعها الحسنان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفّي فيه، فانكبّت عليه وألصقت صدرها

---

(١) رشح الولاء في شرح الدعاء، لسفرويه الاصفهاني: ١٣٤.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) أنساب الأشراف، للبلاذري ١: ١٣٣، الإرشاد، للمفيد ١: ١٨٦.

بصدره وهي غارقة في البكاء، ثمّ انطلقت إلى بيتها، والنبي تسبقه دموعه وهو يقول:

«**اللَّهُمَّ أَهلَ بَيتِي، وَأَنا مُستَودِعُهُم كلَّ مؤمِنٍ ...**».

وجعل يردّد ذلك ثلاث مرّات[1] وهو مُثقل بالألم والحزن، فقد استشفّ من وراء الغيب ما يجري عليهم من المحن والخطوب، كما أوصى بسبطيه ورعايتهما الإمامَ أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك قبل أن ينتقل إلى حضيرة القدس بثلاثة أيام، قائلاً:

«**سَلامُ اللهِ عَلَيْكَ يا أَبا الرَّيحانَتَينِ، أُوصِيك بِرَيحانَتَيَّ مِنَ الدُّنيا، فَعَن قَلِيلٍ ينهَدُّ رُكناكَ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَيكَ ...**».

ولمّا قبض النبي صلى الله عليه وآله قال الإمام عليه السلام:

«**هذا أَحَدُ رُكنَيَّ الَّذِي قالَ لي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله**»، ولمّا ماتت فاطمة عليها السلام قال: «**هذا الرُّكنُ الثَّانِي الَّذِي قالَ لِي رَسُولُ اللهِ**»[2].

---

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري ١: ١٣٣.

(٢) أمالي الصدوق: ١٩٨ / ح ٢١٠.

الفصل الثاني
في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
مع الخلفاء (الحكام)

و فيه أُمور :

الأمر الأول
مؤتمر السقيفة وحكومة أبي بكر

ليس في دين الإسلام كارثة مدمّرة امتُحِنَ بها المسلمون امتحاناً عسيراً كحادثة السقيفة، فقد ولّدت الأحقاد، وأَجّجت نيران الفتن بين المسلمين، وفتحت أبواب الطمع والتهالك على السلطة بين الزُّعماء.

إنّ جميع ما عاناه السادة من أهل البيت عليهم السلام يستند أولاً وبالذات إلى مؤتمر السقيفة التي تعمَّد أعضاؤها على الغَضِّ من شأنهم، ومعاملتهم معاملةً شائنة تتّسم بالكراهية والحقد عليهم، متناسين ما ألزمهم الله تعالى من مودَّتهم في قوله: ﴿قُل لا أَسأَلُكم عَلَيهِ أَجراً إِلّا المَوَدَّةَ فِي القُربَى﴾[1]، وغيرها من الآيات الكريمة، وما حثّ عليه النبي صلى الله عليه وآله من وجوب اتّباعهم، ولزوم مودّتهم، وتعظيم شأنهم، فلم يرعوا أوامر النبي صلى الله عليه وآله بهم، فأقصوهم عن مركز الحكم وعن جميع ما يتعلّق بالدولة الإسلامية التي أنشأها جدّهم الرسول، وقامت على أكتاف أخيه وباب مدينة علمه أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

لقد آلت الخلافة الإسلامية ـ مع الأسى والأسف ـ إلى بني أُمية، فأمعنوا في ظلم العترة الطاهرة وإبادتها، وما كارثة كربلاء الخالدة في دنيا الأحزان إلّا من تبعات السقيفة، ورحم الله الإمام كاشف الغطاء إذ يقول:

---

(١) الشورى: ٢٣.

تـا اللهِ مـا كَـرْبلا لولا سَـقِيفَتُهُم ومِثْلُ ذاالفَرْعِ ذاكَ الأصلُ أَنْتَجَهُ[١]

الذي سبقه الشاعر القديم ابن قُرَيعة البغدادي حيث قال :

يـا مـن يُسـائلُ دائـباً عـن كُـلِّ مُـعْضِلَةٍ سَـخِيفةْ
إنَّ الجـوابَ لَـحاضِرٌ لكـنّني أُخـفيه خِـيفَةْ
لولا اعـتداءُ رعـيَّةٍ أَلْـقَى سياسَتَها الخـليفَةْ
وسـيوفُ أَعـداءٍ بِـها هـاماتُنا أَبـداً نَـقِيفَةْ
لَـنَشَرْتُ مـن أَسْـرارِ آ لِ مُـحَمَّدٍ جُـمَلاً طـريفَةْ
وأَرَيْـتُكُمْ أَنَّ الحُسَـيْ نَ أُصيبَ من يَوْمِ السَّقيفةْ[٢]

إنّ الأحداث الجسام التي فزع منها المسلمون ـ كإباحة مدينة النبي ﷺ، وحرق الكعبة، وتسلّط الأشرار المارقين عن الدين على رقاب المسلمين، أمثال بسر بن أرطاة، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، وعبيد الله بن زياد، وأضرابهم من الخونة المجرمين الذين أمعنوا في ظلم المسلمين، وأغرقوهم في المآسي والخطوب ـ كلّها قد نجمت من السقيفة، وما يرتبط بها من أحداث.

ولسنا في البحث عن السقيفة خاضعين للمؤثّرات المذهبية، نعوذ بالله أن نخضع لغير الحقّ، وأن نكتب ما تمليه علينا العواطف التقليدية، وإنّما نكتب هذه البحوث على ضوء الدراسة العلمية التي اقتبسناها من الوثائق التاريخية، وحلّلنا أَبعادها بأمانة وإخلاص، وفيما أَعتقد

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، للسيّد عبد الرزاق المقرّم : ٣٨٩.

(٢) كشف الغمّة، للأربلي ٢ : ١٢٧، الوافي بالوفيات، للصفدي ٣ : ١٨٩.

أنّ كلّ من يتأمّل في أحداث السقيفة يؤمن بأنّها غير طبيعية، وأنّها دُبِّرت لصرف الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام.

وعلى أَيَّةِ حال، فلابدّ لنا من وقفة قصيرة للبحث عن هذا الحادث المروِّع الذي ابتُلِيَ بِهِ المسلمون كأشدّ وأقسى ما يكون الابتلاء، وفيما يلي ذلك:

البواعث لمؤتمر السقيفة :

عقد الأنصار في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله مؤتمراً في سقيفة بني ساعدة، ضمّ الجناحين منهم الأوس والخزرج، تداولوا فيه شؤون الخلافة، وأن لا تخرج من حوزتهم، ولا يكونوا تبعاً لزعامة المهاجرين من قريش وتحت نفوذهم.

والشيء الذي يدعو إلى التساؤل هو: لماذا سارعوا إلى عقد مؤتمرهم بهذه السرعة الخاطفة، والرسول لم يُغَيِّبه عن عيون القوم مَثْواه؟

إنّ أسباب ذلك تتلخّص بما يلي:

أوّلاً: أنّ الأنصار قد استبان لهم بصورة مكشوفة لا خفاء فيها تصميم المهاجرين من قريش للاستيلاء على الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله وصرفه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويدعم ذلك:

أ ـ أنّ المهاجرين من قريش أعلنوا رفضهم الكامل لبيعة الإمام يوم غدير خمّ، فقد قالوا: لقد حَسِبَ محمّد أنّ هذا الأمر قد تمّ لابن عمّه وهيهات أن يتمّ، وتناقلت حديثهم معظمُ الأوساط في يثرب.

ب ـ امتناع قادة المهاجرين من الالتحاق بجيش أُسامة خوفاً أن يتمّ الأمر للإمام بعد وفاة النبي ﷺ ويفلت الزمام منهم، ولم يكن يَخْفَى على الأنصار ذلك.

ج ـ قيام بعض المهاجرين بالحيلولة بين النبي وبين ما رآه من الكتابة التي تضمن لأُمّته السعادة في جميع الأحقاب والآباد، فقدرموه بالهجر، وهو طعن في شخصية الرسول ﷺ كانوا قد خَطَّطوا له، فامتنع بأبي وأُمّي من الكتابة التي تهدف إلى النصّ الصريح على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانياً: أنّ الأنصار كانوا على يقين لا يخامره شكٌّ أنّ المهاجرين من قريش كانوا حاقدين على الإمام عليه السلام؛ لأنّه قد وترهم، وحصد رؤوس أعلامهم، وقد أعلن ذلك عثمان بن عفّان، فقد قال للإمام عليه السلام:

ما أصنع إن كانت قريش لا تحبّكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين رجلاً كأنّ وجوههم شُنُوف الذهب، تصرع آنافهم قبل شفاههم...[1].

أرأيتم كيف صوّر عثمان لوعة القرشيين على فتيانهم وفرسانهم الذين أبادهم الإمام عليّ عليه السلام في يوم بدر، وأبادتهم القوّات المسلّحة في الجيش الإسلامي. وكانت قريش ترى أنّ الإمام عليه السلام هو الذي وترها، فهي تطالبه بذحلها.. يقول الكناني[2] من شعراء قريش محرّضاً لها على الوقيعة بالإمام:

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩ : ٢٢.

(٢) هو أسيد بن أبي أُناس ـ أو إياس ـ بن زنيم بن عمرو... الكناني الدئلي، وكان من المشركين، ويرثي قتلى بدر، فأهدر النبي ﷺ دمه، ثمّ أسلم يوم الفتح فعفا عنه النبي ﷺ. انظر الإصابة، لابن حجر العسقلاني ١ : ٢٣٠ / الترجمة ١٧٥.

فـي كُـلِّ مَـجْمَعِ غـايةٍ أخـزاكُـمُ ... جَذَعٌ أَبَرَّ عـلى المَـذاكـي القُـرَّحِ
للهِ دَرُّكُـــمُ أَلَـــمَّا تَـــذْكُـــرُوا؟ ... قَدْ يذكُرُ الحرُّ الكَـرِيمُ ويَسْـتَحِي
هٰذا ابنُ فاطِمَةَ[1] الَّـذي أَفْـناكُـمُ ... ذَبْـحاً بـقتلة بـعضه لم يـذبحِ
أَيْـنَ الكُـهُولُ وأَيْـنَ كُـلُّ دِعـامَةٍ ... فيالمُعْضِلاتِ وَأَيْنَ زَيْنُ الأَبْطَحِ[2]؟

وروي ابن طاووس، عن أبيه، أنّه قال للإمام زين العابدين:

ما بال قريش لا تحبّ علياً؟

فأجابه الإمام: «لأنّه أورد أوّلهم النار، وألزم آخرهم العار»[3].

لقد كان بغض القرشيين للإمام عليه السلام مكشوفاً وغير خفيٍّ على أحد، وخاف الأنصار من استيلاء المهاجرين على دست الحكم، وإنزال الضربات القاصمة بهم لولائهم للإمام عليه السلام ومودّتهم له.

ثالثاً: أنّ الأنصار كانوا العمود الفقري للقوّات الإسلامية، وقد أشاعوا الحزن والحداد في بيوت القرشيين، ومن المؤكَّد أنّ القرشيين كانوا يحقدون أشدّ الحقد على الأنصار، وأنّهم لا يألون جهداً في الانتقام منهم، فلذا سارَعَ الأنصار إلى عقد مؤتمرهم خشيةً من المهاجرين، يقول الحُباب بن المنذر وهو من مفكّري الأنصار:

«لكنّنا نخاف أن يليها بعدكم من قَتَلْنا أبناء هم وآباءهم وإخوانهم»[4].

---

(١) فاطمة بنت أسد أُم أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٢٣٥.

(٣) معجم الشيوخ، لابن العربي ٤ : ١٦.

(٤) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٢٣٦.

وتحقّق ما تنبأ به الحُباب، فإنّه لم يكد ينتهي حكم الخلفاء القصير الأمد حتى آل الحكم إلى الأمويين، فسعوا جاهدين وبالغوا في إذلال الأنصار والتنكيل بهم. وقد أمعن معاوية في قهرهم وظلمهم، ولمّا ولي الأمر بعده يزيد تفنّن في الوقيعة بهم، فأباح دماءهم وأموالهم وأعراضهم في واقعة الحرّة المحزنة التي لم يشاهد التاريخ لها نظيراً في فظاعتها وقسوتها.

بل ظهرت عداوة الخلفاء القرشيِّين ـ أبي بكر، وعمر، وعثمان ـ للأنصار بشكل سافر، فاحتقروهم وأبعدوهم عن مراكز الحكم، اللهمّ إلّا من كان متواطئاً معهم ودائراً في فلكهم.

وقد أعلن حسّان بن ثابت الأنصاري اعتراضه بصوت عالٍ حين نقض أبو بكر عهده للأنصار، حيث قال لهم: منّا الأُمراء ومنكم الوزراء، لكنّه خاسَ بعهده، لذلك قال حسان:

يا للرِّجالِ لِخِلْفَةِ الأَطوارِ وَلِما أَرادَ القَومُ بالأَنْصارِ

لَم يُدْخِلُوا مِنَّا زعيماً واحِداً ياصاحِ في نَقْضٍ ولا إِمْرارِ[1]

رابعاً: أنّ النبي ﷺ كان قد أخبر بما ستتحمّله وتعانيه الأنصار من بعده من جهد وبلاء، فقال لهم: «**سَتَلْقَونَ بَعدِي أَثَرَةً فَاصبِرُوا حَتّى تَلقَونِي عَلَى الحَوضِ ..**»[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٩.

(٢) صحيح ابن حبان ١٦: ٢٦٤، كنز العمال ١٢: ٧/ ح ٣٣٧٠٨.

فخافوا كأشدّ ما يكون الخوف، فلذا بادروا إلى عقد مؤتمرهم ليكونوا بمأمن من الأَثَرَةِ والجَهْد والبلاء.

وفيما أحسب أنّ هذه العوامل بعض الأسباب التي أدّت إلى عقد الأنصار مؤتمرهم في سقيفة بني ساعدة.

خطاب سعد والمؤاخذة عليه:

ولمّا عقد الأنصار مؤتمرهم في السقيفة انبرى سعد بن عبادة زعيم الخزرج إلى افتتاح مؤتمرهم، وكان مريضاً لا يتمكّن أن يجهر بكلامه، وإنّما كان يقولُ فيبلِّغُ بعضَ أقربائه مقالَتَهُ، وهذا نصّ كلامه:

« يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لأحد من العرب، إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمان، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به إلّا قليل، ما كانوا يقدرون على منعه، ولا على إعزاز دينه، ولا على دفع ضيم، حتّى إذا أراد الله بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة، وخصّكم بالنعمة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشدَّ الناس على عدوّه، حتّى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيدُ المقادةَ صاغراً، فَدانَتْ لرسوله بأسيافكم العربُ، وتوفّاه الله وهو عنكم راضٍ، وبكم قريرُ العينِ.. استبِدُّوا بهذا الأمر دون الناس فإنّه لكم دونهم... »[1].

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن اثير ٢ : ٣٢٨، تاريخ الطبري ٢ : ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

وحفل خطاب سعد بالاشادة بإيمان الأنصار وحمايتهم للإسلام، وأنّه قام على سُوقِهِ عَبْلَ الذِّراع، مفتول الساعد، بفضل جهادهم ونصرتهم له، فهم الَّذين حموه أيَّام غربته ومحنته.. فإذن هم أولى بالنَّبيّ، وأحقّ بمركزه ومقامه، فإنّ من كان عليه الغُرْم فهو أولى بالغُنْم.

وكان من بنود هذا الخطاب التنديد بالقرشيين الذين ناهضوا النبي ﷺ وناجزوه الحرب، حتى اضطرّ إلى اللّجوء إلى يثرب، وما آمن به من قومه إلّا فئة قليلة لم تتمكن من حمايته والذبّ عنه.. وبذلك فلا حقّ للقرشيين في الخلافة ولا نصيب لهم بها.

وتناسى سعد في خطابه المصيبة العظمى التي دهمت المسلمين وهي موت سيد الكائنات، فلم يشر إليها بقليل ولا بكثير، ولم يُعَزِّ الأنصار بهذا الخطب المروِّع، كما تناسى في خطابه العترة الطاهرة التي هي وديعة النّبيّ في أُمّته، وعديلة القرآن الكريم، ولم يتعرّض لحق سَيِّد المسلمين وإمام المتّقين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الذي هو باب مدينة علم النبي، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى، فقد تجاهله سعد بالمرّة، ونسي البيعة له يوم غدير خمّ، فدعا لنفسه وقومه.

لقد أخطأ سعد إلى حدّ بعيد، ولا مبرّر له في عقد مؤتمره، فقد خَلَّف للأُمّة الفتن والمصاعب، وألقاها في شرّ عظيم، ومن ذلك اليوم عانت العترة الطاهرة ألواناً قاسية من الكوارث والخطوب، وآلت الخلافة إلى الطلقاء وأبنائهم، فاتّخذوها مغنماً ووسيلة لنيل شهواتهم ورغباتهم، ولم يعد للأُمّة أي ظلّ لمصالحها طيلة الحكم الأموي والعباسي.

وفي نهاية المطاف لاقى سعد جزاء عمله، فإنّه لم يكد يستقرّ الحكم القصير الأمد لأبي بكر حتى جهد في ملاحقته، وفرض الرقابة عليه حتى اضطُرَّ إلى الهجرة إلى الشام، فتبعه خالد بن الوليد مع صاحب له، فكمنا له ليلاً وطعناه وألقياه في البئر، وتحدَّثا أنّ الجنّ هي التي قتلته، وأوردا على لسان الجن شعراً تفتخر فيه بقتله، وهو:

قَدْ قَتَلْنا سَيِّدَ الخَزْ رَجِ سعدَ بنَ عُبادَهْ
وَرَمَيْناهُ بِسَهْمَيْ نِ فلم نُخْطِئْ فُؤادَهْ[1]

ومن الغريب أنّ دبلوماسية الحكم في ذلك العصر استخدمت الجنّ في أغراضها السياسية، و قد آمن بذلك البسطاء و السذّج من غير وعي للأهداف السياسية[2].

ضعف نفسية الأنصار:

لم تكن للأنصار إرادة صلبة ولا عزم ثابت، فقد مُنُوا بالضعف والوهن والتَّخاذل، فكانوا بعد خطاب زعيمهم سعد متخاذلين، فقد أخذ بعضهم يقول لبعض: فإن أَبَى المهاجرون من قريش، وقالوا: نحن المهاجرون وأصحابه الأوّلون وعشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعون هذا الأمر بعده...

---

(١) انظر حادثة اغتيال سعد بن عبادة في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٠ : ١١١ و ١٧ : ٢٢٣. وفي بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٢٨ : ٣٦٦ عن تاريخ البلاذري أنّ عمر أشار إلى خالد بن الوليد ومحمد بن مسلمة الأنصاري بقتل سعد، فرماه كلّ منهما بسهم فَقُتِلَ.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، لباقر القرشي ١ : ٢٣٧ ـ ٢٣٩.

وانبرت طائفة منهم فقالوا:

فإنّا نقول: منّا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا أبداً...

وأظهرت هذه المحاورة ضعفهم وانهيار عزائمهم وخوفهم من المهاجرين من قريش، وثار سعد حينما رأى منهم هذه الروح الانهزامية فقال لهم: هذا أوّل الوهن[١].

أجل إنّ هذا أوّل الوهن وآخره، فقد تنازلوا للقرشيين وشاركوهم في الأمر، في حين أنّ الساحة آنذاك كانت قد خلت من كلّ قرشي، وقد دلّ هذا على عدم نضوجهم السياسي وعدم عمقهم، فإنّهم قد أحاطوا مؤتمرهم بكثير من الكتمان ليسبقوا الأحداث ويظفروا بالحكم قبل أن يعلم المهاجرون من قريش، فقد ظلّوا قابعين في هذا الصراع الفارغ فأضاعوا عليهم الفرصة، فقد دهمهم المهاجرون وسيطروا على الوضع، واستلموا الحكم بمهارة فائقة كما سنبين ذلك[٢]. وإن كُنّا لا نُنْكِر أنّ المهاجرين كانوا قد خَطَّطوا من قبل لاسترداق الخلافة، وزرعوا عملاء لهم من الأنصار في قلب الأنصار لتفريق كلمتهم وتشتيت أمرهم.

اختلاف الأنصار

وشيء بالغ الأهمّية في انهزام الأنصار وعدم سيطرتهم على الموقف، وهو ما مُنُوا به من الصراع القبلي بين الأوس والخزرج، فقد كانت بينهما

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٢ : ٣٢٨.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٢٣٩.

أحقاد وضغائن منذ عهد بعيد، وشاعت بينهما الفتن والحروب، وكان آخر أيّام حروبهم هو (يوم بُغاث)، وكان ذلك قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وآله إليهم، ولمّا حلّ في ديارهم جهد على نشر المحبّة والوئام فيما بينهم، ولكن بقيت الأحقاد كامنة في نفوسهم، وقد ظهرت بشكل سافر يوم السقيفة، فإنّهم حينما عزموا على مبايعة سعد حقد عليه أُسَيد بن حُضَير زعيم الأوس، فقال لقومه:

لئن ولّيتموها ـ أي الخلافة ـ سعداً عليكم مرّة واحدة لا زالت لهم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقُومُوا فبايعوا أبابكر[1].

وحكى ذلك مدى الحقد المستحمّ في نفوس الأوس للخزرج، فإنّ سعداً إذا ولي الحكم مرّة واحدة تكون له فضيلة على الأوس ويكون للخزرج تفوّق عليهم، وفعلاً انبرى أُسيد بن حُضير مع قومه فبايع أبابكر ولولاه لما تمّ الأمر لأبي بكر وحزبه.

أضف إلى ذلك الأحقاد بين الأوس والخزرج؛ إذ أنّ بعض أبناء الخزرج الذين هم من أُسرة سعد كانوا يحقدون عليه، فهذا بشير بن سعد الخزرجي انبرى فبايع أبابكر، وكان هذا الشخص من عملاء القرشيين المندسّين في صفوف الأنصار.

وشيء خطير بالغ الأهمّية قام به عمر لتجميد الأوضاع وإيقاف أية عملية تؤدّي إلى انتخاب خليفة على المسلمين، فإنّ صاحبه أبابكر

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ٣٣١.

لم يكن في يثرب عند وفاة النبي ﷺ وإنّما كان في السَّنْح[١]، فبعث خلفه من يأتي به على وجه السرعة، وانطلق عمر وهو يجوب شوارع المدينة، وقد شهر السيف وهو يلوّح به وينادي بصوت عالٍ:

إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله ﷺ قد مات، واللهِ! ما مات ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران.. والله ليرجعنَّ رسولُ الله ﷺ فيقطعنَّ أيدي رجال وأرجلهم ممّن أرجفوا بموته...

وجعل لا يمرّ بأحد يقول مات رسول الله إلّا خَبَطَهُ بسيفه وتهدّده وتوعّده..[٢].

وذُهِلَ الناس وساورتهم موجات من الشُّكوك والأوهام، فلا يدرون أيصدّقون مزاعم عمر بحياة النبي وأنّه لم يمت وهي من أعزّ أمانيِّهم، ومن أروع أحلامهم، أم يصدّقون ما عاينوه من جثمان النبي ﷺ وهو مسجّى بين أهله لا حرك فيه؟

ويستمرّ عمر يجول في الأزقّة والشوارع وهو يُبْرِق ويُرْعِد حتى أزبد شدقاه، وهو يتهدّد بقتل من أرجف بموت النبي وبقطع يده، ولم يمض قليل من الوقت حتى أقبل أبوبكر فانطلق مع عمر إلى بيت النبيّ فكشف الرداء عن وجهه فتحقّق من وفاته، فخرج إلى الناس وأخذ يفنّد مزاعم عمر، وخاطب الجماهير التي أخرسها الخطب وأَذْهلها المصاب، قائلاً:

---

(١) السَّنْح: محل يبعد عن المدينة بميل، وقيل: هو أحد عواليها، ويبعد عنها بأربعة أميال.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١: ٢٤١، نقلاً عن شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ١٧٨ و ٢: ٤٠.

« من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحمَّدُ إِلّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أعقابِكم وَمَن ينقَلِب عَلَى عَـقِبَيهِ فَلَن يضُرَّ اللهَ شَيئاً وَسَيجزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

وصدَّق عمر بسرعة مقالته، وراح يقول: فو الله ما هو إلّا أَنْ سمعتُها فعُقِرْتُ حتَّى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي، وقد عـلمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات..[2][3].

نظرة وتأمّل:

ولم تكن الحادثة بسيطة وساذجة، فقد حُفَّت بالغموض، وتواجهها عدّة من التساؤلات، وهي:

١ ـ أنّ القرآن الكريم أعلن بصراحة ووضوح أنّ كلّ إنسان لابدّ أن يُسقَى كأس المنية، سواء أكان نبياً أم غيره، قال تعالى: ﴿كلُّ نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ ثُمَّ إِلَينَا تُرجَعُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَـنْ عَـلَيْهَا فَـانٍ﴾[5]، وقال تعالى في خصوص نبيه: ﴿وَمَا مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أعقَابِكم..﴾.

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الاثير ٢: ٣٢٤.

(٣) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٤) العنكبوت: ٥٧.

(٥) الرحمن: ٢٦.

وهذه الآيات الكريمة تُتْلى في وضح النهار وفي غلس الليل، فهل خفيت على أبي حفص ولم يسمعها، وهو قريب جسديّاً من رسول الله ﷺ، ويسمع منه ما يتلوه من كتاب الله ؟!

٢ ـ أنّ عمر بالذات كان متفائلاً بموت النبيّ ﷺ، وكان يعلم الأمارات التي ذكرها النبيّ ﷺ في أيّامه الأخيرة قبل مرضه وبعده إذ نعى نفسه إلى المسلمين.

٣ ـ أنّ عمر هو الذي حال بين النبيّ ﷺ وبين ما رامه من الكتابة التي ضمن فيها أن لا تضلّ أُمّته في جميع الأحقاب والآباد، فقال له: حسبنا كتاب الله، وقال: إنّ النبيّ يهجر، ومن المؤكّد أنّه إنّما قال ذلك بعد الاعتقاد بوفاته، ولو كان يحتمل أنّ النبيّ لا يموت في مرضه لما قال ذلك.

٤ ـ أنّ سكوت عمر وهدوء ثورته الجامحة حينما جاء أبوبكر وأعلن وفاة النبيّ، وتصديقه إيّاه دون مناقشة ولا مُرادّة يقضي وجود اتّفاق مسبق بينهما في ذلك.

٥ ـ أنّ حكم عمر بأنّ رسول الله ﷺ سوف يرجع إلى الأرض ويقطع أيدي رجال وأرجلهم ممّن أَرْجَفُوا بموته لا يخلو من مناقشة، فإنّ تقطيع الأيدي والأرجل والحكم بالإعدام إنّما هو على الّذين يخرجون عن دين الله أو يسعون في الأرض فساداً، والذهاب إلى موت الرسول لا يوجب ذلك أَبداً.

٦ ـ أنّ حكم أبي بكر بأنّ من كان يعبد محمّداً فإنّه قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، لا يخلو من النظر؛ لأنّه لم يُؤْثَرْ عن أيٍّ

أحد من المسلمين أنّه كان يعبد محمّداً واتّخذه ربّاً يعبده من دون الله، وإنّما أجمع المسلمون على أنّه عبدالله ورسوله اختاره الله لوحيه، واصطفاه لرسالته...

هذه بعض الملاحظات التي تحوم حول هذه الحادثة، وتؤكِّد وجود مؤامرة مبيَّتة[1].

مداهمة الأنصار وخطاب أبي بكر :

وبينما كان الأنصار في سقيفتهم يدبّرون أمرهم ـ ويتداولون الرأي في شؤون الخلافة، ويحدّدون موقفهم من المهاجرين من قريش ـ إذ خرج من مؤتمرهم ـ وهم لا يشعرون ـ عويم بن ساعدة الأوسي، ومعن بن عدي حليف الأنصار، وكانا من أولياء أبي بكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أعضاء حزبه، كما كانا من ألدّ أعداء سعد، فانطلقا مسرعين صوب أبي بكر، وأحاطاه علماً بما جرى، وفزع أبوبكر وعمر وسارعا نحو السقيفة، ومعهما أبو عبيدة بن الجرّاح، وسالم مولى أبي حذيفة، وجماعة من المهاجرين، فكبسوا الأنصار في ندوتهم، وذُعِرَ الأنصار وأُسْقِط بأيديهم، وغاض لون سعد وخاف من خروج الأمر منهم، وذلك لعلمه بضعف الأنصار وتصدّع وحدتهم، وفعلاً فشل سعد وانهارت جميع مخطّطاته.

---

(١) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٢٤١ ـ ٢٤٣.

وبعد أن داهم المهاجرون ندوة الأنصار أراد عمر أن يفتح الحديث معهم فنهره أبوبكر، وذلك لعلمه بشدّته، وهي لا تنجح في مثل هذا الموقف الملبّد بالضغائن والأحقاد، الأمر الذي يستدعي الكلمات الناعمة لكسب الموقف، فانبرى أبوبكر فخاطب الأنصار وقابلهم ببسمات فياضة بالبشر المُبَطَّنِ بالمكر، قائلاً:

«نحنُ المهاجرين أوّلُ الناس إسلاماً، وأكرمُهُم أحساباً، وأوسطُهُم داراً، وأحسنُهُم وجوهاً، وأكثر الناس ولاية في العرب، وأمسُّهُم رَحِماً برسول الله ﷺ....

وأنتم إخواننا في الدِّين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدوّ، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأُمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلّا لهذا الحيّ من قريش، وأنتم مَحْقُوقُون، فلا تَنْفَسُوا على إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين؛ عمر بن الخطّاب أو أبا عبيدة بن الجرّاح»[1].

دراسة و تحليل

تحوم حول خطاب أبي بكر كثير من التساؤلات، منها ما يلي:

١ ـ أنّه لم يُعْنَ بصورة مطلقة بوفاة النبي ﷺ التي هي أعظم كارثة مدمّرة فُجِعَ بها المسلمون، فكان الأجدر به ـ فيما يقول المحقّقون ـ

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١ : ٢٢٢، تاريخ الطبري ٢ : ٤٤٣ و ٤٤٦.

أن يعزّي الحاضرين بوفاة المنقذ العظيم الذي أَعزَّ العرب في دينهم ودنياهم، ويدعوهم إلى الالتفاف حول جثمانه حتَّى يواروه في مقرّه الأخير، ويعودوا بعد ذلك إلى عقد مؤتمر عامّ يضمّ المسلمين لينتخبوا عن إرادتهم وحرّيّتهم من يرضونه خليفةً لهم ـ على فرض أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينصّ على أمير المؤمنين عليه السلام ـ.

٢ ـ أنّ هذا الخطاب قد حفل أوّلاً وأخيراً بطلب الإمرة والسلطان، وقد عرض أبوبكر على الأنصار التنازل عن الخلافة ومنحها للمهاجرين، ومنّاهم عوض ذلك أن تكون لهم الوزارة، إلّا أنّه من المؤسف أنّه لمّا تمّ له الأمر لم يقلّدهم أيَّ منصب من مناصب الدولة، وأقصاهم عن جميع مراتب الحكم.

٣ ـ وتجاهل خطاب أبي بكر بالمرّة حقّ الأُسرة النّبويّة التي هي عديلة القرآن، أو كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى، حسبما تواترت الأخبار بذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

وكان الأجدر بأبي بكر التريُّث بالأمر حتَّى يتمّ تجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله، ويؤخذ رأي عترته الطاهرة في الخلافة حتَّى تحمل طابعاً شرعياً، ولا يحدث انقسام بين صفوف المسلمين، ولا توصم بيعته بأنّها فلتة وقى الله المسلمين شرّها، كما يقول عمر.

وعلّق الإمام شرف الدين ـ على إهمال العترة الطاهرة وعدم أخذ رأيها في بيعة أبي بكر ـ بقوله:

لو فُرِضَ أَنْ لا نصَّ بالخلافة على أحد من آل محمد ﷺ، وفُرِضَ كونهم غير مبرَّزين في حسب أو نسب أو أخلاق أو جهاد أو علم أو عمل أو إيمان أو إخلاص، ولم يكن لهم السبق في مضامير كلّ فضل، بل كانوا كسائر الصحابة، فهل كان مانع شرعيّ أو عقليّ أو عرفيّ يمنع من تأجيل عقد البيعة إلى فراغهم من تجهيز رسول الله ﷺ، ولو بأَنْ يوكل حفظ الأمن إلى القيادة العسكرية مؤقّتاً حتى يستتبّ أمر الخلافة.

أليس هذا المقدار من التريُّث كان أرفق بأُولئك المفجوعين وهم وديعة النبيّ لديهم، وبقيته فيهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَد جَاءَكم رَسُولٌ مِن أَنفُسِكم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَاعَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكم بِالمُؤمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]؟

أليس من حقّ هذا الرسول الذي يعزّ عليه عَنَتُ الأُمّة، ويحرص على سعادتها وهو الرؤوف بها الرحيم لها، أن لا تُعَنَّت عترته، فلا تُفاجَأَ بمثل ما فوجئت به، والجرحُ لمّا يندمِلْ والرسول لمَّا يُقْبَرْ[2].

٤ ـ أنّ الحجّة التي استند إليها أبوبكر في أحقّية المهاجرين للخلافة هي أنّهم أمسّ الناس رحماً برسول الله ﷺ، وأقربهم إليه، وبهذه الحجّة تغلّب على الأنصار، وممّا لا ريب فيه أنّ هذا المِلاك متوفّر في أهل البيت عليهم السلام فهم ألصق الناس به، وأمسّهم رحماً به، وقد عرض لذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) النص والاجتهاد، لشرف الدين: ٧.

«احتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ»[١].

وأُثر عنه أنّه خاطب أبابكر بقوله :

فَإِن كنتَ بِالشُّورَى مَلَكتَ أُمُورَهُم ... فَكَيفَ بِهذَا وَالمُشِيرُونَ غُيَّبُ ؟

وَإِن كنتَ بِالقُربَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُم ... فَغَيرُك أَولَى بِالنَّبِيِّ وأَقرَبُ[٢]

وقال الإمام عليه السلام في حديث له :

«وَاللهِ ! إِنِّي لأَخُوهُ ـ أي أخو النبيِّ ـ وَوَلِيُّهُ ، وَابنُ عَمِّهِ ، وَوارِثُ عِلْمِهِ ، فَمَن هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي ... ؟»[٣].

والتفت الشُّعراء المتكلّمون من الشيعة إلى هذه الجهة ، فقال الكميت في إحدى روائعه :

بِحقّكُمُ أَمْسَتْ قريشٌ تَقُودُنا ... وبالقَذِّ مِنْها والرَّديفَينِ نركبُ

وقالُوا وَرِثْناها أَبانا وأُمَّنا ... وما وَرَّثَتْهُمْ ذاكَ أُمٌّ ولا أبُ

يَرَوْنَ لَهم فَضْلاً على النَّاس واجِباً ... سَفاهاً وحَقُّ الهاشِمِيِّينَ أَوْجَبُ[٤]

وعلى أيَّةِ حال فقد أعرض القوم عن أهل البيت عامدين أو غير عامدين ، فواجهت الأُمّة منذ ذلك اليوم إلى أن يرث الله الأرض وما عليها أعنف المشاكل وأقسى ألوان الخطوب.

---

(١) نهج البلاغة ١ : ١١٦ / خ ٦٧.

(٢) نهج البلاغة ٤ : ٤٣ / ١٩٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ٣ : ١٢٦.

(٤) الهاشميات : ٣١ ـ ٣٣.

٥ ـ أنّ أبابكر في خطابه رشّح لقيادة الأُمّة عمر وأبا عبيدة بن الجراح، وكان ذلك منه التفاتة ماكِرَة، فقد أظهر نفسه بصورة المجرَّد من الأطماع السياسية، وغزا نفوس الأنصار، وملك عواطفهم ومشاعرهم، وقد أجابه عمر بلباقة:

لا يكون هذا وأنت حيّ، ما كان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله ﷺ..[1].

وعلّق بعض المحقّقين على مقالة عمر بقوله: لا نعلم متى أقامه رسول الله ﷺ، أو دلّل عليه، وقد كان مع بقية المهاجرين جنديّاً عاديّاً من جملة الجنود في سرية أُسامة، ولو كان قد رشّحه للخلافة لأقامه معه في يثرب، وما أخرجه وأبعده عن المدينة.

هذه بعض الملاحظات التي تواجه خطاب أبي بكر.

وكسب الموقف أبوبكر في خطابه السالف الذي أثنى فيه على الأنصار، فقد منّاهم بالوزارة، وأزال ما في نفوسهم ممّا كانوا يحذرونه من استبداد المهاجرين بالحكم، إلّا أنّ بعض الأنصار شجب البيعة لأبي بكر، فردّ عليه عمر بعنف قائلاً:

«هيهات لا يجتمع اثنان في قَرَنٍ، والله! لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيُّها من غيركم، ولكنَّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم، ووليّ أُمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من

---

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري ١: ٥٨١.

العرب الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمَّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته؟ إلَّا مُدْلٍ بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورِّط في هلكة..»[1].

وليس في هذا الكلام شيء جديد سوى أنّ المهاجرين من قريش أولى بالرسول صلى الله عليه وآله لأنّهم من أُسرته القرشية، وإذا أخذوا الحكم بهذه الحجّة وسيطروا على الموقف بها، فإنّ علياً عليه السلام أولى لأنّه من صميم الأُسرة النّبويّة، بالإضافة إلى جهاده وجهوده في سبيل الإسلام، يقول الأُستاذ محمّد الكيلاني:

إنّه احتجّ عليهم ـ أي على آل النبيّ ـ بقرابة المهاجرين للرسول، ومع ذلك فقد كان واجب العدل يقضي بأن تكون الخلافة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام مادامت القرابة اتُّخِذَتْ سَنَداً لِحيازة ميراث الرسول، لقد كان العبّاس أقرب الناس إلى النبيّ، وكان أحقّ الناس بالخلافة، ولكنّه تنازل بحقّه هذا لعليّ عليه السلام، فمن هنا صار لعليّ عليه السلام الحقّ وحده في هذا المنصب[2].

وكيفما كان فإنّ عمر لم ينته من كلامه حتى ردّ عليه الحُباب بقوله:

«يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأُمور، فأنتم ـ والله! ـ

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٤٥٧، الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ٢٥.

(٢) أثر التشيع في الأدب العربي : ٥.

أحقّ بهذا الأمر منهم؛ فإنّه بأسيافكم دان الناس لهذا الدين من دان ممّن لم يكن يدين، أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك، وعُذَيْقُها المُرَجَّب، أنا شِبْلٌ في عرينة الأسد، والله! لو شئتم لنعيدَنَّها جَذَعَة[١]، والله! لا يردُّ أحدٌ عَلَيَّ ما أقول إلّا حطمت أنفه بالسيف..»[٢].

وحفل هذا الخطاب بالعنف والتهديد، والدعوة إلى الحرب، وإجلاء المهاجرين ـ الذين لا يتجاوز عددهم عدد الأصابع ـ عن يثرب، كما حفل بالاعتزاز بنفس المتكلّم والافتخار بشجاعته، وردّ عليه عمر بغيظ قائلاً: «إذاً يقتلك الله..».

فردّ عليه الحبّاب: بل إياك يقتل..[٣].

وخاف أبوبكر من تطوّر الأحداث فهدَّأَ الموقف وبادر أعضاء حزبه بسرعة خاطفة فبايعوه، وكان أوّل من بايعه عمر، وبشير، وأسيد بن حُضَيْر، وعويم بن ساعدة، ومعن بن عدي، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسالم مولى أبي حذيفة، وكان من أشدّهم حماساً واندفاعاً لبيعته عمر وخالد بن الوليد، واشتدّ هؤلاء في حمل الناس وإرغامهم على مبايعة أبي بكر، وجعل عمر يجول ويصول ويدفع الناس دفعاً إلى البيعة، ومن أبى علاه بدِرَّته، وسمع الأنصار يقولون:

قتلتم سعداً...

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٢ : ٣٣٠، تاريخ الطبري ٢ : ٤٥٨.

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ٢٥.

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٢ : ٣٣٠، تاريخ الطبري ٢ : ٤٥٨.

فاندفع يقول بعنف : اقتلوه قتله الله ، فإنّه صاحب فتنة ..[١].

وكادوا يقتلون سعداً ، وهو زَمِنٌ وَجِعٌ ، وحمل إلى داره وهو وَجِعٌ قد انهارت آماله وتبدّدت أحلامه وضاعت أمانيُّهُ.

وانتهت البيعة لأبي بكر بهذه السرعة ، فأقبل به حزبه يزفّونه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله زفاف العروس إلى بيت زوجها ، وقد علا منهم التّكبير والتّهليل ، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله مسجّى في فراش الموت لم يغيِّبه عن عيون القوم مثواه ، وقد انشغل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتجهيزه ، ولمّا علم ببيعة أبي بكر تمثّل بقول القائل :

وأَصْبَحَ أقوامٌ يَقُولُون ما اشْتَهَوا ويَطْغَون لمَّا غالَ زَيْداً غَوائِلُهْ[٢]

لقد تمّت البيعة لأبي بكر بهذه الكيفية التي أُهمل فيها رأي الأُسرة النّبويّة ورأي خيار الصحابة ، أمثال الطيب ابن الطيب عمّار بن ياسر ، وأبي ذرّ ، وسلمان المحمّدي ، وغيرهم من أعلام الإسلام[٣].

هزيمة الأنصار :

وأفل نجم الأنصار وانهارت قواهم ، وعراهم الذلّ والهوان ، وقد حكى حسّان بن ثابت الأنصاري خيبة آمالهم بقوله :

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٤٦٠ ، تاريخ الإسلام ، للذهبي ٣ : ١١.

(٢) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ١ : ٢٥٠.

(٣) حياة الإمام الحسين بن علي ، لباقر القرشي ١ : ٢٤٤ ـ ٢٥٠.

نَصَرنا وآوَيْـنا النَّـبيَّ ولم نَـخَفْ صُرُوفَ اللَّيالي والبلاءَ على رِجْلِ
بَـذَلْنا لَـهُمْ أنـصافَ مـال أكُـفِّنا كقِسْمَةِ أَيْسارِ الجَزُورِ من الفَضْلِ
فكـانَ جَـزاءُ الفَـضْلِ مِـنَّا عَـلَيْهِمُ جَهالَتَهُمْ حُمْقاً وما ذاكَ بـالعَدْلِ[1]

وتعرّضت الأنصار للمحن والخطوب في كثير مـن عـهود الخـلفاء والملوك، وكان ذلك جزاء ما اقترفوه في حقّ العترة الطاهرة، فهم الذين فتحوا الباب لظلمهم و الاعتداء عليهم.

وابتهجت الأُسر القرشية بحكومة أبي بكر واعتبرته فوزاً ساحقاً لهم، وقد عبّر عن مدى فرحها وسرورها ابن أبي عبرة[2] القرشي بقوله:

شُكْراً لِمَنْ هُوَ لِلثَّناءِ حَـقِيقُ ذَهَبَ اللِّجاجُ وبُويِعَ الصِّدِّيقُ
مِنْ بَعْدِ ما زَلَّتْ بسَعْدٍ نَـعْلُهُ وَرَجا رَجاءً دونَـهُ العَـيُّوقُ
إِنَّ الخلافةَ في قُرَيشٍ ما لَكُمْ فيها وَرَبِّ مُـحَمَّدٍ مَـعْرُوقُ

وحكى هذا الشعرُ سرورَ القـرشيين البـالغ بـحرمان الأنـصار مـن الخلافة، كما أظهر عمرو بن العاص سروره وفرحه بـبيعة أبـي بكـر،

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ٢٥.

(٢) نسب الشعر لابن أبي عزّة القرشي الجمحي، في الاستيعاب، لابن عبد البر ٣: ٩٧٥، والوافي بالوفيات، للصفدي ١٧ : ١٦٧، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي الشـامي ١٢ : ٣١٤.
ونُسب للحارث بن هشام بن المغيرة في كتاب العثمانية، للجاحظ : ١٢٥.
ونسب لرَجُل من قريش يكنى أبا عمرة في تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٠ : ٢٩٩.
ونسب لابن أبي عبرة القرشي في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢٠، عـن الموفقيات، للزبير بن بكار : ٥٧٩.

ولم يكن في يثرب وإنّما كان في سفر له، فلمّا قدم وسمع بالبيعة قال:

أَلا قُـلْ لأوسٍ إذا جـئتَها وَقُلْها إذا ما جئت للـخزرج

تَمَنَّيْتُمُ المُـلْكَ فـي يَـثْرِبٍ فَأُنزِلَتِ القِدْرُ لَـم تَـنْضَجِ[1]

لقد عمّت الفرحة الكبرى جميع القرشيين ببيعة أبي بكر، فقد تخلّصوا من حكومة الأنصار وحكومة الأُسرة النبوية.

وأعلن أبو سفيان معارضته لحكومة أبي بكر، ومضى إلى الإمام عليه السلام يحفّزه على فتح باب الحرب على أبي بكر، ويعده بنصره إن نهض لاسترداد حقّه، فقال له:

إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم، يا آل عبد مناف فِيمَ أبوبكر من أُموركم؟!

أين المستضعفان؟

أين الأذلّان عليّ والعبّاس؟...

ما بال الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟ ثمّ قال للإمام:

ابسط يدك أُبايعك، فوالله! لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجالاً، وتمثّل بشعر المتلمّس:

ولَنْ يُقِيمَ على خَسْفٍ يُرادُ بـهِ إلَّا الأَذلّانِ عَيْرُ الحـيِّ والوَتِـدُ

هذا على الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وذا يُشَجُّ فلا يَبْكي لَـهُ أَحَـدُ[2]

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣:١٦٧، عن الموفقيات، للزبير بن بكار: ٥٩١.

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٤٤٩، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٢ : ٣٢٦.

وقال أبو سفيان:

وأَضْحَتْ قُرَيْشٌ بعد عِزٍّ ومِـنْعَةٍ خُضُوعاً لِتَيْمٍ لا بِضَرْبِ القَواضِبِ

فيا لَهْفَ نَفْسِي للَّذي ظَفِرَت بِـهِ وَما زالَ مِنْها فـائِزاً بـالرَّغائِبِ[1]

ولم يكن موقف أبي سفيان متّسماً بالإخلاص والولاء للإمام، فهو العدوّ الأوّل للإسلام وللمسلمين، ولم تكن تخفى على الإمام دوافعه، فلم يستجب له ونهره وأغلظ له في القول قائلاً:

«وَالله! ما أَرَدتَ بِهذا إلَّا الفِتنَةَ، وإنَّك وَالله! طالَما بَغَيتَ لِلإسلامِ شَرّاً، لا حاجَةَ لَنا فِي نَصِيحَتِك»[2].

وراح أبو سفيان يشتدّ لإثارة الفتنة بين المسلمين، ويدعو الإمام إلى إعلان الثورة على حكومة أبي بكر، وكان ينشد هذه الأبيات:

بني هاشم لا تُطمِعُوا النَّاسَ فـيكُمُ ولا سِيَّما تَيْمَ بـنَ مُـرَّةَ أو عَـدِيْ

فَـما الأَمْـرُ إلَّا فـيكُمُ وإلَـيْكُمُ وليسَ لَـها إلَّا أَبُـو حَسَـنٍ عَـلِيْ

أَبا حَسَنٍ فاشدُدْ بِـها كَـفَّ حـازِمٍ فإنَّكَ بالأَمْرِ الَّذي يُرْتَجَى مَـلِيْ[3]

ومن المؤكَّد أنّه لم تكن معارضة أبي سفيان ناشئة عن إيمان بـحقّ الإمام والإخلاص له، فإنّه بعيد عن ذلك كلّ البعد، وإنّما كانت عواطف كاذبة أراد بها الكيد للإسلام والبغي عليه، وتمزيق صفوف المسلمين، ولذا أعرض الإمام عنه ولم يُعِرْ كلامه أيَّ اهتمام.

---

(١) الأغاني، لأبي الفرج الإصفهاني ٦: ٣٥٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٩، الكامل في التاريخ، لابن الاثير ٢: ٣٢٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٦، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ١٧ ـ ١٨.

لقد كان أبو سفيان يريد إعادة الأمر جاهليَّةً، ويحاول أن يصوِّر النزاع نزاعاً قَبليّاً لا دينيّاً، لذلك استدلَّ بأنّ آل تيم قبيلة وضيعة النَّسَب، بخلاف بني هاشم الشامخة الذُّرَى، وأراد بذلك تأجيجِ نار الفتنة القبلية ليصطاد هو في الماء العكر.

وقد صارت علاقة أبي سفيان بأبي بكر وثيقة للغاية، فكلاهما صاحب نزعة قرشية قبليّة، وكلاهما يتصرّف بدوافع قوميّة لا إسلاميّة، فقد روى أحمد ومسلم أنّ أبا سفيان اجتاز على جماعة من المسلمين فيهم أبوبكر وسلمان وصهيب وبلال، فقال بعضهم:

واللهِ ما أخذتِ سُيُوفُ الله من عُنُقِ عدوّ الله مأخذها بَعْدُ.

فزجرهم أبوبكر قائلاً:

أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟

ومضى أبوبكر مسرعاً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره بمقالة القوم في أبي سفيان، فردّ عليه النبي قائلاً: «**يا أَبابكرٍ، لَعَلَّك أغضَبتَهُم، لَئِن كنتَ أَغضَبتَهُم لَقَد أغضَبتَ رَبَّكَ ...**»[1].

ودلّت هذه البادرة على الصلة الوثيقة بينهما، كما كانت الصلة وثيقة للغاية بين أبي سفيان وعمر، فقد أفرد عمر غرفةً في داره فرشها بأحسن فرش، ولم يسمح لأحد بالدخول إليها إلّا لأبي سفيان، وقد سئل عن ذلك فقال: هذا شيخ قريش[2].

---

(١) مسند أحمد ٥ : ٦٤، صحيح مسلم ٧ : ١٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣ : ٣٤١.

ومن هنا جهد أبوبكر في استمالة أبي سفيان وكسب عواطفه، فقد استعمله عاملاً على ما بين آخر الحجاز وآخر حدٍّ من نَجْران[١]، كما عيَّنَ ولده يزيد والياً على الشام، ولم يعيِّن أحداً من أعلام المسلمين والياً في هذا المكان الحسّاس، ويقول المحلّلون للأخبار: إنَّ نجم بني أُمية قد علا في أيام حكومة أبي بكر[٢].

موقف الإمام عليه السلام من بيعة أبي بكر:

وأجمع المؤرّخون والرواة على أنّ موقف الإمام تجاه بيعة أبي بكر كان متّسماً بالكراهية وعدم الرِّضا، فهو أحقّ بالخلافة وأولى بها من غيره؛ لأنّه المنصوص عليه بالخلافة والإمامة، ولأنّه ألصق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، بالإضافة إلى ما يتمتّع به من القابليات الفذّة والمواهب العظيمة التي لم تتوفّر بعضها في غيره، وما كان يظنّ أنّ القوم يزعجون هذا الأمر ويخرجونه عنه، فقد بادره عمّه العبّاس قائلاً:

«يابن أخي، امدُدْ يدك أُبايعك، فيقول الناس: عمُّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عمّ رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان...».

فردّ عليه الإمام: «**مَن يطلُبُ هذَا الأَمرَ غَيرُنا ...؟!**»[٣].

---

(١) فتوح البلدان، للبلاذري: ١٢٣ / ٢٩٢.

(٢) حياة الإمام الحسن بن علي، لباقر القرشي ١: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٣) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ٢١.

وعلّق الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي على ذلك بقوله:

نظر العباس في الأمر فرأى ابن أخيه أحقّ منه بوراثة السلطان؛ لأنه ربيب النبيّ، وصاحب السابقة في الإسلام، وصاحب البلاء الحسن الممتاز في المشاهد كلّها؛ ولأنّ النبيّ كان يدعوه أخاه حتى قالت له أُمّ أيمن ذات يوم مداعِبَةً: تدعوه أخاك وتزوّجه ابنتك؟ ولأنّ النبي قال له: «**أَنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي**»، وقال للمسلمين يوماً آخر: «**مَن كنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاهُ**»، من أجل ذلك أقبل العبّاس بعد وفاة النبيّ على ابن أخيه وقال له: ابسط يدك أُبايعك..[1].

إنَّ الإمام عليّاً عليه السلام امتنع عن بيعة أبي بكر، وأعلن سخطه البالغ على ذلك في كثير من خطبه وكلماته.

امتناع الإمام من البيعة:

وأجمع رأي الجهاز الحاكم على إرغام الإمام وقسره على البيعة لأبي بكر، فأرسلوا حفنة من الشرطة فأحاطت بداره، وأمامهم عمر بن الخطّاب وهو يرعد ويبرق ويتهدّد ويتوعّد، وبيده قَبَسٌ من نار يريد أن يحرق بيت الوحي، فخرجت إليه حبيبة الرسول وبضعته الصّدّيقة الطاهرة الزهراء فصاحت به:

«**ما الَّذِي جِئتَ بِهِ يابنَ الخَطّاب ؟**».

---

(١) علي وبنوه، طه حسين: ١٩.

فأجابها بعنف: الذي جئت به أقوى فيما جاء به أبوك[١].

وأُخْرِجَ الإمام عليه السلام بعنف، وجيء به إلى أبي بكر، فصاح به حزبُ أبي بكر الغاصب:

بايع أبا بكر.

فأجابهم الإمام بحجّته الدامغة ـ وهو غير وجل من جبروتهم ـ قائلاً:

«أَنا أَحَقُّ بِهذَا الأَمرِ مِنكم، لا أُبايعُكم، وَأَنتُم أَولى بِالبَيعَةِ لِي، أَخَذتُم هذَا الأمرَ مِنَ الأنصارِ، وَاحتَجَجتُم عَلَيهِم بِالقَرَابَةِ مِن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وَتَأْخُذُونه مِنّا أَهلَ البَيْتِ غَصْباً، أَلَستُم زَعَمتُم لِلأَنصارِ أَنَّكم أَولى بِهذا الأَمرِ مِنهُم لمَّا كانَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله مِنكم، فَأَعطَوكُمُ المَقَادَةَ وَسَلَّمُوا إِلَيكمُ الإِمارَةَ؟ وأَنا أَحتَجُّ عَلَيكم بِمِثلِ ما احتَجَجتُم بِهِ عَلى الأَنصارِ، نَحنُ أَولى بِرَسُولِ اللهِ حَيّاً وَمَيّتاً، فَأَنْصِفُونا إِن كنتُم تُؤمِنُونَ، وَإِلَّا فَبُوءوا

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ١٠، وقد أجمع المؤرخون والرواة على تهديد عمر للإمام بإحراق داره، حتّى قال شاعر النيل حافظ إبراهيم:

وقولة لعليّ قالها عُمَر ... أَكْرِمْ بسامِعِها أَعْظِمْ بمُلْقِيها
حَرَّقْتُ دارك لا أُبْقي عَلَيْكَ بها ... إِن لم تُبايعْ وبِنْتُ المُصْطفى فِيها
ما كان غيرُ أَبي حفصٍ يَقُوهُ بها ... أَمامَ فارسِ عدنانٍ وحامِيها

وقد نصّت على ذلك هذه المصادر: الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ١٢، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ٣٤، تاريخ الطبري ٣: ٢٠٢، تاريخ أبي الفداء ١: ١٥٦، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠٥، الأموال لأبي عبيد: ١٣١، مروج الذهب، للمسعودي ١: ٤١٤، الإمام علي بن أبي طالب، لعبد الفتاح عبد المقصود ١: ٢١٣، أعلام النساء، عمر رضا كحالة ٣: ٢٠٥.

بِالظُّلمِ وَأَنتُم تَعلَمُونَ »[١].

وحكى هذا الخطابُ الحجَّة التي تغلّب بها المهاجرون من قريش على الأنصار، وهي قربهم من النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّها متوفّرة فيه على أكمل الصور والوجوه، فهو ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبو سبطيه، وختنه على ابنته، ولم يُجْدِ هذا المنطق الفيّاض مع القوم، فاندفع عمر بعنف قائلاً:

بايع.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « وَإِن لَم أَفعَل ؟ ».

فقالوا: والله! الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك.

ونظر الإمام عليه السلام فإذا ليس له معين ولم يكن يأوي إلى ركن شديد، فقال بصوت حزين النبرات:

« إِذَن تَقتُلُونَ عَبْدَاللهِ وَأَخا رَسُولِهِ ».

واندفع ابن الخطّاب بثورة قائلاً:

أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا.

ونسي عمر أنّ الإمام عليه السلام أخو النبيّ صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه، والتفت إلى أبي بكر يحثّه على الوقيعة به قائلاً:

ألا تأمر فيه بأمرك؟...

وخاف أبوبكر من الفتنة فقال:

لا أُكرهه على شيء ما كانَتْ فاطمةُ إلى جانبه...

---

(١) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٢٥٦.

وانبرى أبو عبيدة بن الجرّاح ـ وهو من أبرز أنصار أبي بكر ـ فخاطب الإمام قائلاً: يابن عمّ، إنّك حَدَثُ السِّنّ، وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور، ولا أرى أبابكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً واضطلاعاً به، فسلِّم الأمر لأبي بكر، فإنّك إن تَعِشْ ويَطُلْ بكَ بقاءٌ، فأنت لهذا الأمر خَلِيقٌ، وبه حقيقٌ، في فضلك ودينك وعملك وسابقتك ونسبك وصهرك....

وأثارت هذه المخادعة كوامن الألم والأسى في نفس الإمام فاندفع يخاطب المهاجرين ويعظهم قائلاً:

«اللهَ اللهَ يا مَعشَرَ المُهاجِرِينَ! لا تُخرِجُوا سُلطانَ مُحَمَّدٍ فِي العَرَبِ عَن دارِهِ وَقَعرِ بَيتِهِ إِلى دُورِكم وَقُعُورِ بيوتِكم، وَلا تَدفَعُوا أَهلَهُ عَن مَقامِهِ فِي الناسِ وَحَقِّهِ.. فَواللهِ يا مَعشَرَ المُهاجِرِينَ! لَنَحنُ أَحَقُّ الناسِ بِهِ ـ لأَنّا أَهلُ البَيتِ ـ، وَنَحنُ أَحَقُّ بِهذا الأَمرِ مِنكم، ما كانَ فِينا إِلّا القارِئُ لِكتابِ اللهِ، الفَقِيهُ فِي دِينِ اللهِ، العالِمُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، المُضطَلِعُ بِأَمرِ الرَّعِيَّةِ، الدّافِعُ عَنهُم الأُمُورَ السَّيِّئَةَ، القاسِمُ بَينَهُم بِالسَّوِيَّةِ، وَاللهِ! إِنَّهُ لَفِينا فَلا تَتَّبِعُوا الهوى فَتَضِلُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ فَتَزدادُوا مِنَ الحَقِّ بُعداً»[1].

وحفل كلام الإمام عليه السلام بما يتمتّع به أهل البيت من الصفات القيادية،

---

(١) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١: ١٥٧، نقلاً عن الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ٢٩.

من الفقه بدين الله، والعلم بسنن رسول الله، والاضطلاع بأُمور الرعية، وغير ذلك من الصفات التي يشترطها الإسلام فيمن يتولّى شؤون الحكم، وهي لم تتوفّر إلّا في أهل البيت عليهم السلام.

احتجاجات أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم:

وتخلّفت الأُسرة النّبويّة ومن يتّصل بها من أعلام الإسلام عن بيعة أبي بكر، واحتجّت عليه بحجج دامغة بأنّ آل النبيّ صلى الله عليه وآله أولى بمقامه، وأحقّ بمركزه منه، ونعرض لها فيما يلي:

١ ـ احتجاج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: بكوكبة من الاحتجاجات الصارمة على أبي بكر، وقد مرّ شيء منها، وسوف نشير إلى بعضها الآخر خلال البحث.

٢ ـ الزهراء: احتجّت سيدة نساء العالمين على أبي بكر وغيره بحجج بالغة على أحقّيّة الإمام للخلافة، وندّدت بما اقترفه القوم من إقصاء الإمام عنها، وأنّ الأُمّة من جرّاء ذلك ستواجه أعنف المشاكل وأقسى ألوان الخطوب، قالت سلام الله عليها:

«وَيحَهُم أَنّى زَحزَحُوها ـ أي الخلافة ـ عَن رَواسِي الرِّسالَةِ، وَقَواعِدِ النُّبُوَّةِ، وَمَهبِطِ الرُّوحِ الأَمِينِ! وَالطِّبِنِ[1] بِأُمُورِ الدُّنيا وَالدِّينِ،

---

(١) الطِّبِن: الخبير.

أَلا ذلِك هُوَ الخُسرانُ المُبينُ، وَمَا الَّذِي نَقِمُوا مِن أَبِي الحَسَنِ؟ نَقِمُوا وَاللهِ! مِنهُ نَكيرَ سَيفِهِ، وَقِلَّةَ مُبَالاتِهِ لِحَتفِهِ، وَشِدَّةَ وَطأَتِهِ، وَنَكَالَ وَقعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللهِ.

وَتَاللهِ لَو مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ اللاَّئِحَةِ، وَزَالُوا عَن قَبُولِ الحُجَّةِ الوَاضِحَةِ، لَرَدَّهُم إِلَيهَا، وَحَمَلَهُم عَلَيهَا، ولَسَارَ بِهِم سَيراً سُجُحاً[١]، لا يُكْلَمُ خُشَاشُهُ[٢]، وَلا يَكِلُّ سَائِرُهُ، وَلا يَمَلُّ رَاكِبُهُ، وَلأَورَدَهُم مَنهَلاً نَمِيراً صَافِياً رَوِيّاً، تَطفَحُ ضِفَّتَاهُ[٣]، وَلا يَتَرَنَّقُ جَانِبَاهُ، وَلأَصدَرَهُم بِطَاناً[٤]، وَنَصَحَ لَهُم سِرّاً وَإِعلاناً.

أَلاَ هَلُمَّ فَاسمَع، وما عِشتَ أراك الدَّهرُ عَجَباً!

أَمَا لَعَمري، لقد لَقَحَت، فَنَظِرَةٌ رَيثَمَا تُنتِجُ، ثُمَّ احتَلِبُوا مِلْءَ القَعبِ دماً عَبيطاً، وذُعَافاً[٥] مُبيداً، هُنالِك يخسَرُ المُبطِلُونَ، ويَعْرِفُ التَّالُونَ غِبَّ مَا أَسَّسَ الأَوَّلُونَ. ثُمَّ طِيبُوا عَن دُنياكم أَنفُساً، وَاطمَئِنُّوا لِلفِتنَةِ جَأْشاً، وأَبشِرُوا بسَيفٍ صَارِمٍ، وَسَطوَةِ مُعتَدٍ غَاشِمٍ، وَبِهَرَجٍ شَامِلٍ، وَاستِبدادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ، يدَعُ فَيئَكم زَهِيداً، وَجَمعَكم حَصِيداً.

فَيا حَسرةً لَكم، وَأَنّى بِكم، وَ قَد ﴿عُمِّيت عَلَيكم أَنُلزِمُكمُوهَا

---

(١) أي سهلاً.

(٢) الخشاش: عود يجعل في أنف البعير يشدّ به الزمام.

(٣) تطفح ضفّتاه: أي يمتلئ ويفيض منه الماء.

(٤) أصدرهم بطاناً: أي أشبعهم وأفاض عليهم بالخير.

(٥) الذعاف: الطعام الذي يجعل فيه السم.

وَأَنتُم لَهَا كَارِهُونَ ﴾[١].

استَبدَلُوا وَاللهِ ! الذُّنَابىٰ بِالقَوَادِمِ ، وَالعَجُزَ بِالكَاهِلِ[٢]، فَرَغماً لِمَعَاطِسِ قَومٍ يحسَبُونَ أَنَّهُم يحسِنُونَ صُنعاً . أَلا إِنَّهُم هُمُ المُفسِدُونَ وَلكن لا يشعُرُونَ ، وَيحَهُم ﴿ أَفَمَن يهدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَم مَن لا يهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكم كَيفَ تَحكمُونَ ﴾[٣]؟ »[٤].

محتويات الاحتجاج :

وشجبت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله في خطابها بمحضر نساء الأنصار والمهاجرين بيعة أبي بكر ، وأنّهم قد جافوا بها وصيّة الرسول صلى الله عليه وآله بعترته ، وقد حفل خطابها الذائع البليغ بما يلي :

أوّلاً : أنّها أدلت بالأسباب التي من أجلها أعرض القوم عن بيعة الإمام ، وهي :

أ ـ نكير سيف الإمام الذي حصد به رؤوس المشركين من قريش ، ذلك السيف الذي كان معجزة للنبيّ صلى الله عليه وآله ، وقد ولّد في نفوس القوم حقداً على الإمام وكراهية له .

---

(١) هود : ٢٨.

(٢) الكاهل : سند القوم ومعتمدهم .

(٣) يونس : ٣٥.

(٤) بلاغات النساء ، لابن طيفور : ١٩ ـ ٢٠ ، أعلام النساء ، لعمر رضا كحالة ٣ : ٢١٩ ـ ٢٢٠.

ب ـ شدّة وطأة الإمام، فإنّه لم يصانع طيلة حياته، ولم يهب أحداً ما لا يستحق، ولم تأخذه في الله تعالى لومة لائم، الأمر الذي ملأ قلوب أعداء الله عليه غيظاً وحنقاً.

ج ـ تنمّره في ذات الله، فقد وهب حياته لله تعالى، وتنكّر للقريب والبعيد إرضاءً لله وتفانياً في طاعته.. هذه هي الأسباب التي أدّت إلى إعراض القوم عن بيعة الإمام عليه السلام.

ثانياً: إن الأُمّة لو تابعت الإمام وأخذت بهديه لظفرت بما يلي:

أ ـ أن يسير فيهم بسيرة العدل الخالص، والحقّ المحض، ويحكم فيهم بما أنزل الله.

ب ـ أنّه يوردهم منهلاً عذباً، ويقودهم إلى شاطئ الأمن والسلام.

ج ـ أنّه ينصح لهم في السرّ والعلانية، ويهديهم إلى سواء السبيل.

د ـ أنّ الإمام لو تقلّد زمام الحكم لما تَعَلَّقَ من دنياهم بطائل، وما استأثر من أموالهم بشيء من متاع الحياة. والشاهد على ذلك أنّه عليه السلام حينما صارت إليه الخلافة اكتفى من دنياه بطِمْرَيْه، ومن طعامه بقُرْصَيْه، وما وضع لبنة على لبنة، وعاش عيشة الفقراء البائسين، وهو القائل:

«أَأَقْنَعُ مِن نَفسِي بِأَن يقَالَ: هذَا أميرُ المؤمنين، وَلا أُشَارِكهُم فِي مَكَارِهِ الدَّهرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ في جُشُوبَةِ العَيشِ!»[1].

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٧٢ / الكتاب ٤٥.

هـ ـ أنّ الإمام لو تقلّد الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله لانتشرت خيرات الله وبركاته وعمّت جميع أنحاء الأرض، ولأكل الناس من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم، ولكنَّ المتآمرين والمسلمين المتخاذلين آنذاك حرموا أنفسهم وحرموا الأجيال الآتية من بعدهم، فقد استبدلوا الذُّنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ثالثاً: أنّ بضعة الرسول صلى الله عليه وآله استشفّت من وراء الغيب ما تعانيه الأُمّة من الأزمات والخطوب من جرّاء ما اقترفه القوم من إقصاء الإمام عليه السلام عن الحكم وهي:

أ ـ انتشار الفتن بين المسلمين وتفلّل وحدتهم.

ب ـ تنكيل السلطات الحاكمة بهم.

ج ـ استبداد الظالمين بشؤونهم.

وقد تحقّق كلّ ذلك على مسرح الحياة الإسلامية حينما ولي معاوية على المسلمين، فأمعن في ظلمهم وإرهاقهم، وسلّط عليهم جلاوزته الجلادين: سمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، وبسر بن أرطاة، وأمثالهم من الجناة الذين لا يرجون لله وقاراً، فنشروا الخوف وأخذوا الناس بالظّنّة والتهمة، خصوصاً في عهد زياد؛ فقد سمل الأعين، واستخرج قلوب المسلمين، وصلب على جذوع النخل، أبعده الله عن رحمته.

وولّى معاوية من بعده ابنه يزيد صاحب الأحداث والموبقات، فاقترف من الجرائم ما لا توصف لمرارتها وقسوتها، وخَلَّف للمسلمين الفتن

والمصائب وذلك بإبادته لعترة رسول الله ﷺ في صعيد كربلاء، مضافاً إلى ما اقترفه في المدينة المنوّرة من الآثام، فقد أباحها لجنده وحمل أهلها على البيعة له على أنّهم عبيد له، كما هدم الكعبة وأحرقها بالنار.

استنجاد الزهراء عليها السلام ببني قَيْلَةَ:

واستنجدت بضعة الرسول وريحانته ببني قيلة، وهم القوّة الضاربة من الأنصار في الجيش الإسلامي، فقالت لهم:

«إيهاً بَنِي قَيْلَةَ، أَأُهضَمُ تُراثَ أَبِي وَأَنتُم بِمَرأى مِنِّي وَمَسمَعٍ، وَمُنتَدى وَمَجمَعٍ، تَلبَسُكُمُ الدَّعوَةُ، وَتَشمَلُكُمُ الخُبرَةُ، وَأَنتُم ذَوُو العَدَدِ وَالعُدَّةِ، وَالأَدَاةِ وَالقُوَّةِ، وَعِندَكُمُ السِّلاحُ وَالجُنَّةُ، تُوَافِيكُمُ الدَّعوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأتِيكُمُ الصَّرخَةُ فَلا تُغِيثُونَ، وَأَنتُم مَوصُوفُونَ بِالكَفَاحِ، مَعرُوفُونَ بِالخَيرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّخبَةُ الَّتِي انتُخِبَت، وَالخِيرَةُ الَّتِي اختِيرَت لَنَا أَهلَ البَيتِ.

قَاتَلتُمُ العَرَبَ، وَتَحَمَّلتُمُ الكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاطَحتُمُ الأُمَمَ، وَكَافَحتُمُ البُهَمَ، لا نَبرَحُ أَو تَبرَحُونَ، نَأمُرُكم فَتَأتَمِرُونَ، حتَّى إِذَا دَارَت بِنَا رَحَى الإِسلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيامِ، وَخَضَعَت نَعرَةُ الشِّركِ، وَسَكَنَت فَورَةُ الإِفكِ، وَخَمَدَت نِيرَانُ الكُفرِ، وَهَدَأَت دَعوَةُ الهَرَجِ، وَاستَوسَقَ نِظَامُ الدِّينِ، فَأَنَّى حِرتم بَعدَ البَيانِ، وَأَسرَرتُم بَعد الإِعلانِ، وَنَكَصتُم بَعدَ الإِقدَامِ، وَأَشرَكتُم بِعدَ الإِيمَانِ؟»[1].

---

(١) بلاغات النساء، لابن طيفور: ١٨، أعلام النساء، عمر رضا كحالة ٣: ٢١٤.

وأثارت حفائظ النفوس، وألهبت نار الثورة في النفوس، إلّا أنّ أبابكر استقبلها باحترام بالغ، وخادع، وراوغ، فأخمد الثورة وشلّ حركتها.

٣ - الإمام الحسن عليه السلام :

كان الإمام الحسن عليه السلام لا يتجاوز عمره سبع سنين حينما ولّي أبوبكر، فقد انطلق إلى مسجد جدّه فرأى أبابكر على المنبر، فوجّه إليه لاذع القول قائلاً:

«**انزِل عَن مِنبَرِ أبِي وَاذهَبْ إلى مِنبَرِ أَبِيكَ ...**».

فبهت أبوبكر وأخذته الحيرة والدهشة، واسترّد خاطره فقال له بناعم القول:

صدقت، والله! إنّه لَمِنْبَرُ أبيك لا مِنْبَرُ أبي[1].

إنّ احتجاج الإمام الحسن عليه السلام وهو في غضون الصبا انبعث عن عصمةٍ وإمامة ودفاع عن مبادئ الحق، إذ كان يرى المنبر يرقاه جدّه الرسول صلى الله عليه وآله، وهو لا يجد أحداً خليقاً بأن يرقاه سوى أبيه سيد الأوصياء.

---

(١) الرياض النضرة، لمحب الدين الطبري ١ : ١٣٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٤٢، مقتل الحسين، للخوارزمي ١ : ٩٣، مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٣ : ٢٠١. وفي الاصابة، لابن حجر العسقلاني ٢ : ٦٨ : «أنّ هذا الاحتجاج كان من الإمام الحسين». وجاء في الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي : ١٠٥، وفي حاشية الصبّان المطبوع على هامش نور الأبصار : ١٢٥ : «أنّ الحسن قال ذلك لأبي بكر، ووقع للحسين مثل ذلك مع عمر بن الخطاب».

٤ ـ سلمان الفارسي ﷺ :

سلمان الفارسيُّ من أكثر الصحابة وعياً للإسلام وإحاطة بـأحكامه ومبادئه، وقد عُنِيَ به الرسول فألحقه بأُسرته، فقال: «**سَلمانُ مِنّا أَهلَ البَـيتِ**»[١]، «**لا تَـقُولُوا سَـلمانُ الفـارِسِي وَلكـن قُـولُوا سَـلمانَ المُحَمَّدِي**»[٢]، وحرّم عليه الصدقة كما حرّمها على أهل بيته، فـقال: «**الصَّدَقَةُ حَرامٌ عَلى سَلمانَ**»، ولمّا رأى هذا الصحابي العظيم الخـلافة قد انتزعت من العترة الطاهرة، اندفع إلى الانكار على أبي بكر، فقال له:

يا أبا بكر، إلى من تُسْنِدُ أمرك إذا نزل بك ما لاتعرفه؟! وإلى من تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلمه؟! وما عذرك في تقدّمك على من هو أعلم منك، وأقرب إلى رسول الله وأعلم بتأويل كتاب الله عزوجل وسنة نبيّه، ومَنْ قدّمه النبيّ في حياته وأوصاكم به عند وفاته؟! فنبذتم قوله، وتناسيتم وصيته، وأخلفتم الوعد، ونقضتم العهد، وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أُسامة[٣].

وفي هذا الاحتجاج دعوة إلى الحقّ، ودعوة إلى جمع الكلمة، ووحدة الصفّ، وتسليم الأمر إلى أعلم من في الأُمّة وهو الإمام أمير المؤمنين ﷺ.

---

(١) مجمع الزوائد، للهيثمي ٦ : ١٣٠، المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ٣ : ٥٩٨، المعجم الكبير، للطبراني ٦ : ٢١٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١ : ٥٤ / ح ٢٦، نهج الإيمان، لابن جبر : ٥٨٩.

(٣) الاحتجاج، للطبرسي ١ : ٩٩.

٥ ـ عمّار بن ياسر رضي الله عنه :

عمّار بن ياسر من المساهمين في بناء صرح الإسلام، ومن المعذَّبين في سبيل الله، وكان أثيراً عند النبي صلى الله عليه وآله، ومن خلّص أصحابه، وهذا الصحابيّ الجليل لمّا آلت الخلافة إلى أبي بكر اندفع إلى الإنكار عليه وعلى القرشيِّين قائلاً:

يا معاشر قريش، ويا معاشر المسلمين، إن كنتم علمتم وإلّا فاعلموا، أنّ أهل بيت نبيّكم أولى به، وأحقّ بإرثه، وأَقْوَمُ بأُمور الدين، وآمَنُ على المؤمنين، وأحفظُ لملّته، وأنصح لأُمته، فمُرُوا صاحبكم فليردَّ الحقّ إلى أهله قبل أن يضطرب حَبْلُكُم، ويضعف أمرُكُم، ويظهر شتاتكم، وتعظم الفتنة بكم، وتختلفون فيما بينكم، ويطمع فيكم عدوّكم، فقد علمتم أنّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم.

وعليٌّ عليه السلام أقرب منكم إلى نبيِّكم، وهو من بينهم وليكم بعهد الله ورسوله، وفَرْقٌ ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال عندما سدّ النبي صلى الله عليه وآله أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلّها غير بابه، وإيثاره إيَّاه بكريمته فاطمة، دون سائر من خطبها إليه منكم.

وقوله صلى الله عليه وآله: «**أنا مَدينَةُ الحِكمةِ وَعَليٌّ بابُها، فَمَن أَرادَ الحِكمَةَ فَلْيأتها مِنْ بابِها**»، وإنّكم جميعاً مضطرّون فيما أشكل عليكم من أُمور دينكم إليه، وهو مُسْتَغْنٍ عن كلّ أحد منكم، إلى ما لَهُ من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه؟! وتبتزّون علياً

حقّه ؟! وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ؟! ﴿ **بئس للظالمين بدلاً** ﴾[١]، أعطوه ما جعله الله له، ولا تولّوا عنه مدبرين، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين[٢].

وحفل احتجاج عمّار بالدعوة إلى صالح الأُمّة وإبعادها من مظانّ الفتن والأهواء، كما دعاها إلى تسليم القيادة العامّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، والعالم بما تحتاج إليه الأُمّة في جميع مجالاتها.

٦ ـ أبوذرّ:

أبوذرّ هو صوت العدل والحقّ في الإسلام الذي استوعب فكرُهُ تعاليمَ الدين وأحكامه الهادفة إلى بسط العدالة الاجتماعية في الأرض، وهو في طليعة الثائرين والناقمين على الحكم الأموي الذي اتّخذ مال الله دُوَلاً وعباده خَوَلاً، وقد نقم هذا الصحابي الجليل على القوم لإقصائهم الإمام عن الخلافة، فقال مخاطباً القرشيين والأنصار:

أمّا بعد يا معشر المهاجرين والأنصار، لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الأَمرُ لِعَلِيٍّ بَعدِي، ثُمَّ لِلحَسَنِ والحُسَينِ، ثُمَّ فِي أهلِ بَيتي مِن وُلدِ الحُسَين**»، فطرحتم قول نبيّكم وتناسيتم ما أوعز إليكم، واتّبعتم الدنيا، وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لايهدم بنيانها،

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الاحتجاج، للطبرسي ١: ١٠٢.

ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها، ولا يموت سكّانها، وكذلك الأُمم التي كفرت بعد أنبيائها بدّلت وغيرت، حذو القذة بالقذّة، والنعل بالنعل، فعمّا قليلٍ تذوقون وَبالَ أمركم، وما الله بظلّام للعبيد...[1].

وحكى خطاب الثائر العظيم ما ستعانيه الأُمّة في مستقبلها من الويلات من جرّاء فصل الخلافة عن بيت النبوّة ومركز الدعوة الإسلامية، وتحقّق ذلك على مسرح الحياة الإسلامية، فقد سُفِكَت الدماء، وتهالك الأشرار من بني أُمية على الحكم، فعاثوا فساداً في الأرض حينما استولوا عليه، فأنفقوا أموال المسلمين على رغباتهم وشهواتهم، ونكّلوا أشد التنكيل وأقساه بعترة النبي صلى الله عليه وآله. وما كان ذلك إلّا بسبب الَّذين مَهَّدوا الأمر لِمَنْ هبّ ودَبَّ أن يرتقي منبر الخلافة، ويجلس على كرسيّ الحكم.

٧ـ المقداد:

المقداد بن الأسود من أعلام الإسلام، ومن خلّص أصحاب الإمام عليه السلام، ومن عيون أصحابه، وقد نقم على أبي بكر وخاطبه بعنف قائلاً:

يا أبابكر، ارجع عن ظلمك، وتُبْ إلى ربّك، والزَمْ بيتَك، وابْكِ على خَطيئتك، وسلّم الأمر إلى صاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما

---

(١) الخصال، للصدوق: ٤٦٣ / ح ٤.

عقده رسول الله ﷺ في عنقك من بيعته[١]، وألزمك بالنفوذ تحت راية أُسامة بن زيد، وهو مولاه، ونبّه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عَضَدَك عليه، بضمّه لكما إلى عَلَمِ النِّفاق ومَعْدِنِ الشَّنآن والشِّقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الابتَر﴾[٢].

وأضاف بعد ذلك قائلاً:

اتّق الله، وبادر بالاستقالة قبل فوتها، فإنّ ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركن إلى دنياك، ولا تغرّنّك قريش وغيرها، فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك، ثمّ تصير إلى ربّك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقّنت أنّ علي بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فسلّمه إليه بما جعله الله له، فإنّه أتمّ لسترك، وأخفّ لوزرك، فقد والله! نصحتُ لك إن قبلتَ نُصْحي، وإلى الله ترجع الأُمور[٣].

ولو أنّ القوم استجابوا لنصحه، وسلّموا الأمر للإمام لما ابتُلي المسلمون بالأَزمات والكوارث التي انجرَّت إلى هذا اليوم.

٨ ـ عتبة بن أبي لهب:

ومن الناقمين على إقصاء الإمام عن الخلافة عتبة بن أبي لهب، وقد عبّر عن شعوره بهذه الأبيات:

---

(١) يشير بذلك إلى حديث الغدير الذي بايع فيه المسلمون الإمامَ بالإمرة والخلافة، والحديث مجمع عليه.

(٢) الكوثر: ٣.

(٣) الاحتجاج، للطبرسي ١: ١٠١.

ما كنتُ أحسبُ أنّ الأَمْرَ مُـنْصَرِفٌ عن هاشمٍ ثُمَّ منهم عن أَبي حَسَـنِ
عـن أوّلِ النَّـاسِ إيـماناً وسـابِقَةً وَأَعْـلَمِ النَّـاسِ بـالقُرآن والسُّـنَنِ
وآخرِ النَّاس عَـهداً بـالنّبيِّ ومَـنْ جبريلُ عَونٌ لَهُ في الغُسْلِ وَالكَفَنِ
مَن فِيهِ مـا فِـيهِمُ لايَـمْتَرُونَ بِـه وَليسَ في القَومِ مافيهِ مِنالحَسَنِ[1]

وحكت هذه الأبيات عن أساه ولوعته من عدم تقلّد الإمام للخلافة الذي هو أوّل الناس إيماناً بـالله وبـرسول الله صلى الله عليه وآله وأعـلمهم بـالكتاب والسنّة، وآخرهم عهداً بالنبي صلى الله عليه وآله، وأنّ الصفات الكريمة المتوفّرة فـيه لاتوجد عند غيره، فكيف أقصى هذا العملاق العظيم عن الخلافة.

٩ ـ أبو أيوب الأنصاري:

أبو أيوب الأنصاري من ألمع أصحاب الإمام صلى الله عليه وآله، وقـد شـهد مـعه مشاهده كلّها، وقد آمن بحقّه، وأنّه أولى بالخلافة من غـيره[2]، وقـد انبرى للإنكار على أبي بكر، فقال له:

اتّقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم، وردّوا إليهم حقّهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقامٍ لنـبينا صلى الله عليه وآله، ومجلس بعد مجلس يقول: «**أَهلُ بَيتِي أَئِمَّتُكم بَـعدِي**»، ويـومئ إلى عليّ، ويقول: «**وَهذا أَمِيرُ البَرَرَةِ، وَقاتِلُ الكَفَرَةِ، مَخذُولُ مَن خَذَلَهُ**،

---

(١) تاريخ أبي الفداء ١ : ١٥٩.

(٢) الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي ١ : ١٣.

مَنصُورٌ مَن نَصَرَهُ»، فَتُوبُوا إِلَى الله مِن ظُلمِكم إِيَّاهُ، إِنَّ اللهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ، وَلا تَتَوَلَّوا عَنهُ مُعرِضِينَ[١].

وفي هذا الخطاب دعوة إلى الحقّ، ووئام المسلمين، وجمع كلمتهم، ووحدة صفّهم إلّا أنّ القوم أعاروا خطابه آذاناً صُمَّاً.

١٠ ـ أُبي بن كعب:

أُبي بن كعب الأنصاري سيِّد القرّاء، ومن أصحاب العقبة الثانية، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلّها، وكان عمر يسمّيه سيِّد المسلمين[٢]، وقد أنكر على أبي بكر تقمّصه الخلافَةَ، وقال له:

يا أبا بكر، لا تجحد حقّاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله ﷺ في وصيِّه وصفيِّه، وصَرَف عنه أمره، اردُدِ الحقّ إلى أهله تَسْلَمْ، ولا تتمادَ في غَيِّك فتندم، وبادر الإنابة يخفَّ وزرك، ولا تخصُصْ بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك، فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربّك فيسألك عمّا جنيت، ﴿وما ربّك بظلام للعبيد﴾[٣][٤].

وفي هذا الخطاب الإشادة بمركز الإمام عليه السلام، وأنّه أحقّ بالخلافة من غيره.

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي ١: ١٠٣.

(٢) الإصابة، لابن حجر العسقلاني ١: ١٨٠ / الترجمة ٣٢.

(٣) فُصِّلت: ٤٦.

(٤) الاحتجاج، للطبرسي ١: ١٠٢.

١١ ـ النعمان بن عجلان :

النعمان بن عجلان الأنصاري، صاحبيّ جليل، كبير الشَّأن، وكان لسان الأنصار وشاعرهم، وهو من النَّاقمين على أبي بكر، وقد خاطب القوم بهذه الأبيات:

وقُلْتُمْ حرامٌ نَصْبُ سعدٍ وَنصْبُكُمْ عَتِيقَ بنَ عُثْمانٍ حلالٌ أَبابَكْرِ ؟
وأَهلُ أبوبكرٍ لها خيرُ قائمٍ وإنَّ عليّاً كانَ أَخْلَقَ بالأَمْرِ
وإنّ هَوانَا في عليٍّ وإنّه لأَهْلٌ لها من حيثُ تَدْري ولا تَدْري[1]

ومعنى هذا الشعر أنّ المهاجرين أنكروا على سعد تصدّيه للخلافة وحرّموها عليه؛ لأنّه ليس من الأُسر القرشية وأخذوها منه؛ لأنّهم يُمتُّون إلى النبي صلى الله عليه وآله بصلة النسب، فهلا أرجعوها إلى الإمام الذي هو ألصق الناس برسول الله وأقربهم إليه.

١٢ ـ عثمان بن حُنيف :

كان عثمان بن حنيف الأنصاري من خيار الصحابة، وقد انضمّ إلى الجماعة التي أنكرت على أبي بكر، فقد قال له: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**أَهلُ بَيتِي نُجُومُ الأَرضِ، فَلا تَتَقَدَّمُوهُم وَقَدِّمُوهُمْ، فَهُم الوُلاةُ مِن بَعدِي**»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، وأيُّ أهل بيتك؟ فقال: «**عَلِيٌّ وَالطَّاهِرُونَ مِن وُلدِهِ**»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٩ : ١٧٤.
(٢) الاحتجاج، للطبرسي ١ : ١٠٣.

وحكى هذا الاحتجاجُ النصَّ الواردَ من النبي ﷺ في شأن أهل بيته، وهو صريح واضح في تعيينهم خلفاء لأُمّته.

١٣ ـ سهل بن حنيف:

سهل بن حنيف الأنصاري من خيار الصحابة، وهو أخو سهل بن حنيف، وقد أعلن تأييده للإمام عليه السلام، فقد قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي:

يا معشر قريش، اشهدوا علَيّ، أنّي أشهد على رسول الله ﷺ وقد رأيته في هذا المكان ـ يعني مسجده ـ وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول:

«**أَيُّها النّاسُ، هذا عَلِي إمامُكم مِن بَعدِي، وَوَصِيِّي فِي حَياتِي وَبَعدَ وَفاتِي، وَقاضِي دَيني، وَمُنجِزُ وَعدِي، وَأَوَّلُ مَن يصافِحُني عَلى حَوضِي، طُوبى لِمَن تَبِعَهُ وَنَصَرَهُ، وَالوَيلُ لِمَن تَخَلَّفَ عَنهُ وَخَذَلَهُ**»[1].

لقد أدلى سهل بشهادته أمام القوم بأنّ الرسول ﷺ قد نصّ على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعلى سمو منزلته، وعظيم مكانته عند الله تعالى وعند رسوله.

١٤ ـ خزيمة بن ثابت:

خزيمة بن ثابت الأنصاري من ألمع الصحابة ومن أوثقهم وآثرهم عند النبي ﷺ، وقد كانت شهادته عند النبي تعادل شهادة شاهدين،

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي ١: ١٠٣.

وذلك لما عرف به من الصِّدق ولقضية مشهورة حدثت أجاز النبي صلى الله عليه وآله فيها شهادته بشهادتين، فسُمِّي «ذا الشهادتين»، وقد أعلن تأييده الكامل للإمام عليه السلام قال:

«أيها الناس، ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قَبِل شهادتي وحدي، ولم يُرِدْ معي غيري؟» فقالوا: بلى، قال: فأشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«**أَهلُ بَيتِي يفَرِّقونَ بَينَ الحَقِّ وَالباطِلِ، وَهُم الأئِمَّةُ الَّذِين يقتَدى بِهِم**»، وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين[1].

وحكى خزيمة في احتجاجه ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن عترته، وهم الأئمّة الذين يقتدى بهم، وهي شهادة صدق وحقّ.

١٥ ـ أبوالهيثم بن التيّهان:

أبو الهيثم بن التيّهان الأنصاري من خيرة الأصحاب وعليّة القوم، وكان ممّن عرف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد أدلى بشهادته على أنّه أُولى بالخلافة من غيره، فقال:

أنا أشهد على نبينا صلى الله عليه وآله أنّه أقام علياً يوم غدير خمّ، فقالت الأنصار: ما أقامه إلّا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلّا ليُعْلِمَ الناس أنّه مولى مَن كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولى له، وكثر الخوض في ذلك، فَبَعْثنا رجالاً منّا إلى رسول الله فسألوه عن ذلك؟ فقال: «**قُولُوا لَهُم: عَلِيٌّ وَلِيُّ المُؤمِنِينَ**

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي ١: ١٠٢.

بَعدِي، وَأَنصَحُ الناسِ لأُمَّتِي»، وقد شهدتُ بما حضرني، ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[١]، ﴿إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً﴾[٢][٣].

وحكت شهادة أبي الهيثم أنّ الرسول ﷺ أقام الإمام عليه السلام خليفةً على أُمّته، وقلّده منصب الإمامة من بعده، وعلى هذا الأساس بَنَتِ الشيعة إطارها العقائدي في إمامة الإمام عليه السلام.

١٦ ـ خالد بن سعيد بن العاص :

كان هذا الرجل من بني أُميّة، لكنّه كان من الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام العارفين بحقه، لذلك اعترض على أبي بكر واحتجّ عليه قائلاً :

اتّقِ اللهَ يا أبا بكر، فقد علمتَ أنّ رسول الله ﷺ قال : ... يا معاشر المهاجرين والأنصار، إنّي موصيكم بوصيّة فاحفظوها، ومُوعِدكُمْ أمراً فاحفظوه، ألا إنّ عليّ بن أبي طالب أميركم بعدي، وخليفتي فيكم، بذلك أوصاني ربّي.

ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم، واضطرب عليكم أمر دينكم، ووليَكُمْ أشراركم.

ألا وإنّ أهل بيتي هم الوارثون لأمري، والعالمون بأمر أُمّتي من بعدي. اللهمّ من أطاعهم من أُمّتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي، واجعل له نصيباً من مرافقتي يدرك به نور الآخرة. اللهم ومن أساء خلافتي

---

(١) الكهف : ٢٩.

(٢) النبأ : ١٧.

(٣) الاحتجاج، للطبرسي ١ : ١٠٣.

في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض[١].

ثم احتدم الكلام واشتدّ النزاع بينه وبين عمر، فكان يما قاله خالد لعمر : وإنّك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[٢]، فأَبْلَسَ عمر[٣].

١٧ ـ بريدة بن الخصيب الأسلمي :

كان رئيس قبيلة أسلم، قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة وهو يبني المسجد[٤]، وكان من الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام فقام فاعترض على أبي بكر قائلاً :

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ماذا لقي الحقّ من الباطل، يا أبا بكر أَنسيت أم تناسيت، وخُدِعْتَ أم خدعتك نفسك أم سوّلت لك الأباطيل، أَوَ لَمْ تذكر ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله من تسمية علي عليه السلام بإمرة المؤمنين والنبيُّ بين أظهرنا... اتّقِ الله وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها ممّا يهلكها، واردد الأمر إلى من هو أحقّ به منك، ولا تَتمادَ في اغتصابه، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتكَ النّصح، ودللتك على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين[٥].

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي ١ : ٩٩.

(٢) الحشر : ١٧.

(٣) الاحتجاج، للطبرسي ١ : ٩٩.

(٤) المعارف، لابن قتيبة : ٣٠٠.

(٥) الاحتجاج، للطبرسي ١ : ١٠٣.

١٨ ـ عبد الله بن مسعود :

وهذا الصحابي الجليل كان من السابقين إلى الإسلام، وكان من كبار قراء القرآن، ومن الملازمين للنبي ﷺ وأهل بيته، وقد اعترض على أبي بكر واحتجّ عليه قائلاً :

يا معشر قريش، قد علمتم وعلم خياركم أنّ أهل بيت نبيكم ﷺ أقرب إلى رسول الله ﷺ منكم، وأقدم سابقة منكم. وعلي بن أبي طالب صاحب هذا الأمر بعد نبيّكم، فأعطوه ما جعله الله له ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين[١].

واحتجاجه هذا فيه الاستدلال على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته من جهة، وفيه تفنيد مزعمة الحزب القرشي بأنهم أحقّ بالخلافة لقربهم من رسول الله ﷺ، لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام أقرب للنبي ﷺ من تيم وعديّ.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الاحتجاجات الصارمة التي أُثرت عن أعلام الإسلام المتحرّجين في دينهم على أحقّية الإمام بالخلافة والولاية العامّة لأُمور المسلمين.

فإذَنْ أحداث السقيفة هي التي أدّت إلى انشقاق المسلمين وتفرّق كلمتهم، فهي مصدر الفتنة الكبرى التي مُني بها المسلمون على امتداد التاريخ، ولم تنشأ الفتنة في أيّام عثمان وعليٍّ، كما يدّعي ذلك عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

---

(١) الخصال، للصدوق : ٤٦٤ / ح ٤.

لقد نظرت الشيعة بعمق وشمول إلى ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وآله من الأحاديث والأخبار والسيرة النبويّة الصريحة في فضل الإمام والإشادة بشخصيّته، ولم يَرِدْ عُشْرُها ولا عُشْر عُشَيْرِها في غيره من أعلام الصحابة، الأمر الذي يدلّ بوضوح على أنّه عليه السلام قد نصّ عليه بالخلافة، ولو لم تكن النصوص في حقّه موجودة لكان هو المتعيِّن لهذا المنصب، وذلك لمواهبه وعبقرياته وجهاده في سبيل الإسلام، وسائر كمالاته التي أعجزت الآخرين.

إجراءات تعسُّفيَّة:

واتّخذت حكومة أبي بكر ضِدَّ أهل البيت عليهم السلام إجراءات تعسُّفيَّة اتّسمت بالقسوة والشّدة والهمجيّة، كان منها ما يلي:

كبس دار الإمام عليه السلام:

لمّا أعلن الإمام عليه السلام رفضه الكامل لبيعة أبي بكر، واحتجّ عليه بأنّه أولى بالخلافة منه لأنّه المنصوص عليه، وأخو النبي، وأبو سبطيه، وختنه على بضعته، والمجاهد الأوّل في الإسلام ووو...، وانضمّ إليه كبار الصحابة، وكانوا يعقدون الاجتماع في داره، فضاق أبوبكر من ذلك ذرعاً، وقَرَّرَ أن يكبس دار الإمام ويتّخذ معه جميع وسائل العنف، فأصدر أوامره إلى عمر بكبس داره وإخراجه قسراً إلى المسجد الجامع ليبايع، وراح عمر يشتدّ ومعه جلاوزته وشرطته وجنوده، وحمل معه قبساً من النار، وحمل جنوده الحطب وراحوا مسرعين يعلوهم الغضب ليحرقوا

بيت الوحي والتنزيل، البيت الذي أذهب الله عن أهله الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهجم عمر على دار الإمام وهو مغيظ محنق رافعاً صوته:

والذي نفس عمر بيده ليخرجنّ أو لأحرقنّها على مَن فيها.

فعذلته طائفة، وحذّرته من عقوبة الله قائلة:

«إنّ فيها فاطمة»!!

وقد ذكّرته بحفاوة رسول الله بها وقوله فيها: «**إنَّ اللهَ يرضَى لِرِضاك، وَيغضَبُ لِغَضَبِك**»[1]، فلم يحفل ابن الخطّاب بذلك وصاح بهم غير مكترث ولا مبال:

وَإِنْ، وَإِنْ..[2].

أي: وإن كانت فاطمة فيها لأحرقنّها، غير حافل ولا معتنٍ بها، وخرجت بضعة الرسول وريحانته قائلة:

«**لا عَهدَ لِي بَقَومٍ حَضَرُوا أَسْوَأَ مَحْضَرٍ مِنكم، تَرَكتُم رَسُولَ اللهِ ﷺ جَنازَةً بَينَ أَيدِينا، وَقَطَعتُم أَمرَكم بَينَكم، لَم تَستَأْمِرُونا وَلَم تَرُدُّوا لَنا حَقّاً...**».

وتبدّد جبروت القوم وذاب عنفهم، وأسرع عمر ـ وهو شرّير الموقف ـ نحو أبي بكر طالباً منه حمل الإمام بالقوّة للبيعة قائلاً:

ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟

---

(١) الحديث متواتر أخرجه أصحاب الصحاح والسنن.

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ٣٠.

واستجاب أبوبكر له، فأرسل معه قُنْفُذاً، وكان شرِّيراً معروفاً بالغلظة والشدّة، ومعه جماعة من الشرطة، فاقتحموا دار الإمام وأخرجوه مُلبَّباً بحمائل سيفه، وانطلقت خلفه زهراء الرسول، وهي تهتف بأبيها وتستغيث به قائلةً:

« يا أَبَتِ ... يا رَسُولَ اللهِ ! ماذا لَقِينا بَعدَك مِن ابنِ الخَطَّابِ وَابنِ أَبِي قُحافَةَ ... ».

وازدحمت الجماهير على باب الإمام وعلاها الذُّهُول، وغرق بعضهم في البكاء، إلّا أنّ ابن الخطّاب وحزبه لم يُجْدِ معهم موقف بضعة الرسول وَهِيَ وَلْهَى مستغيثة بأبيها، فلم تَلِنْ قلوبهم وعواطفهم، فأخرجوا الإمام وانطلقوا به يهرول نحو أبي بكر، فقال له:

بايع .. بايع.

فردّ عليه الإمام:

« وَإن لَم أَفعَل ؟ ».

فأسرع القوم وقد أضلّهم الهوى وأعماهم حبّ الدنيا قائلين:

والله ! الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك..

وسكت الإمام برهة، ونظر إلى القوم، فإذا ليس له ركن شديد يفزع إليه، فقال بصوت حزين النبرات:

« إذاً تَقتُلُونَ عَبْدَ اللهِ وَأَخا رَسُولِهِ .. ».

فاندفع ابن الخطّاب بشراسته قائلاً:

أمّا عبد الله فنعم، وأمَا أخو رسوله فلا...

ونسي عمر ما أعلنه النبي أنّ الإمام أخوه وباب مدينة علمه، ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى، كلّ ذلك تنكَّر له ابن الخطّاب، والتفت إلى أبي بكر يحثّه على التنكيل به قائلاً:

ألا تأمر فيه بأمرك؟

وخاف أبوبكر من تطوّر الأحداث وتبلور الرأي العامّ، فقال لابن الخطّاب:

لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمةُ إلى جانبه.

وأطلقوا سراح الإمام، ومضى مُسْرعاً نحو مثوى أخيه رسول الله ﷺ يشكو إليه ما ألمّ به من المحن والخطوب، وهو يبكي أَمَرَّ البكاء قائلاً:

« يابنَ أُمّ، إنّ القَومَ استَضعَفُونِي وَكَادُوا يقتُلُونَنِي ... »[1].

لقد استضعفه القوم وتنكرّوا له، وأعرضوا عمّا أوصاهم به النّبيّ، وقفل الإمام راجعاً إلى بيته وهو كئيب حزين، وقد طُبِّقَ ما يحمله القوم من الحقد والكراهية له بشكل عمليّ مفضوح.

موقف الإمام عليه السلام وفقده للقوة العسكرية:

ووقف الإمام مع حكومة أبي بكر موقفاً سلبيّاً اتّسم بالعزلة التامّة عن الناس، وعدم الاشتراك مع الجهاز الحاكم بأي لون من ألوان الاجتماع، فقد انصرف إلى تدوين الأحكام الشرعية وتفسير القرآن الكريم، إذ

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ٣٠ ـ ٣١.

أعرض عن القوم وأعرضوا عنه لا يراجعهم ولا يراجعونه، اللّهم إلّا إذا حلّت في ناديهم مشكلة لا يعرفون حلّها فإنّهم يفزعون إليه ليحلّها لهم.

ويتساءل الكثيرون: لماذا لم يقف الإمام عليه السلام من أبي بكر موقفاً عمليّاً قتاليّاً، ويفتح معه باب الحرب، ويأخذ حقّه منه بالقوّة، فقد أعرض عن ذلك، وخلد إلى الاعتزال؟

لقد أدلى الإمام عليه السلام ببعض الأسباب التي دعته لإلقاء الستار على حقّه، وهي:

أ ـ فقده عليه السلام للقوّة العسكرية: لم تتوفّر عند الإمام عليه السلام أية قوّة عسكرية يستطيع أن يتغلّب بها على الأحداث، ويستلم مقاليد الحكم، وقد صرّح بذلك في كثير من المناسبات، وهذه بعضها:

قال عليه السلام في خطبته الشقشقية:

«وَطَفِقْتُ أَرتَئِي بَينَ أَن أَصُولَ بِيدٍ جَذَّاءَ، أَو أَصبِرَ عَلَى طَخيةٍ[1] عَمياءَ، يهرَمُ فيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيكدَحُ فِيهَا مُؤمِنٌ حَتَّى يلقَى رَبَّهُ! فَرَأَيتُ أَنَّ الصَّبرَ عَلَى هَاتَا أَحجَى، فَصَبَرتُ وُفي العَينِ قَذىً، وَفي الحَلقِ شَجاً[2]، أرى تُرَاثي نَهْباً...»[3].

وقد حكى هذا المقطعُ من خطابه ما ألمّ به من الأسى من فقدان الناصر أيام حكومة أبي بكر، فإنّه لم تكن عنده قوّة تحميه ولم يكن

---

(١) الطخية: الظلمة.

(٢) الشَّجا: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه.

(٣) نهج البلاغة ١: ٣١ / خ ٣.

يأوي إلى ركن شديد لإرجاع حقّه، فصبر على ما في الصبر من قذىً في العين، وشجاً في الحلق.

وقال عليه السلام:

«فَنَظَرتُ فَإِذَا لَيسَ لِي مُعِينٌ إلّا أَهلُ بَيتِي، فَضَنِنتُ بِهم عَنِ المَوتِ، وَأَغضَيْتُ عَلَى القَذَى، وَشَرِبتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرتُ عَلَى أَخْذِ الكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّ مِن طَعمِ العَلقَمِ»[1].

وحكى هذا المقطع أنّه لم يكن مع الإمام عليه السلام سوى أُسرته الماثلة في أبنائه وأبناء أخيه، ومن المؤكد أنّه لو فتح باب الحرب ضِدَّ أبي بكر لقضى على الأُسرة الهاشمية.

ب ـ لو فتح أمير المؤمنين عليه السلام باب الحرب لوقع الاختلاف في صفوف المسلمين، واستَشْرَتْ حربٌ داخلية طاحنة لا تعود عواقبها إلّا بالضَّرر على الإسلام والمسلمين، فهاهنا المنافقون، وهاهناك فارس والروم، وكُلُّهُم يتحيَّنون الفرصة للانقضاض على دولة الإسلام الفتية.

وهنا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي[2] وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلانٍ[3] يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي، حَتَّى

(١) نهج البلاغة ١: ٦٧/ خ ٢٦.

(٢) الرُّوع: القلب.

(٣) أي على أبي بكر.

رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ ...[1].

ج ـ وبايعت الأكثرية الساحقة أبابكر تحت ضغط عمر، وقد أراد الإمام عليه السلام أن يقيم عليهم الحجّة فطاف بزهراء الرسول صلى الله عليه وآله على بيوت المهاجرين والأنصار يسألهم النجدة ومناهضة الحكم القائم، فكانوا يقولون لبضعة الرسول صلى الله عليه وآله :

يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل.

فتردّ عليهم حبيبة رسول الله : « أَفَتَدَعُونَ تُراثَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يخرُجُ مِن دارِهِ إِلى غَيرِ دارِهِ ؟ ... ».

وراحوا يعتذرون إليها قائلين :

يا بنت رسول الله، لو أنّ زوجك سبق إلينا قبل أبي بكر لما عدلنا به ....

ويجيبهم الإمام عليه السلام : « أَفكنتُ أَدَعُ رَسُولَ اللهِ فِي بَيتِهِ لَم أَدفِنْهُ، ثُمَّ أَخرُجُ أُنازِعُ النَّاسَ سُلطانَهُ ؟! ... ».

وتدعم سيدة النساء مقالة الإمام عليه السلام قائلة :

« ما صَنَعَ أَبُو الحَسَنِ إِلّا ما كان ينبَغي لَهُ ... وَقَد صَنَعوا ما اللهُ حَسِيبُهُم عَلَيهِ »[2].

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ١١٨ ـ ١١٩ / الكتاب ٦٢.

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ٣٠، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ١٣.

إنّ موقف الإمام عليه السلام مع حكومة أبي بكر متّسم بعدم الرضا إلّا أنّه لم يستطع القيام بأي عمل عسكري للإطاحة بها، لعدم الناصر، ولأجل المحافظة على الإسلام، حيث إنَّ من جملة الأُمور التي دعت الإمام إلى الكفِّ عن القوم حرصَهُ على وحدة المسلمين، وقد أعلن ذلك حينما عزم القوم على البيعة لعثمان، فقال عليه السلام:

«لَقَد عَلِمتُم أَنّي أَحقُّ النّاس بِها ـ أي الخلافة ـ مِن غَيري؛ وَوَاللهِ! لأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمتْ أُمُورُ المُسلِمِين؛ وَلَم يكن فيها جَورٌ إلّا عَلَيَّ خاصَّةً، التماساً لأَجرِ ذلك وَفَضلِهِ، وَزُهداً فِيما تَنافَستُمُوهُ مِن زُخرُفه وَزِبرِجِه»[1].

إذن، من أجل الحفاظ على وحدة المسلمين، وجمع كلمتهم، سالَمَ الإمامُ عليه السلام وأعرض عمّا يكنّه في نفسه من الألم والأسى على ضياع حقّه، الذي فيه ضياع حقّ المسلمين إلى الأبد.

ولاة أبي بكر من الأُسرة الأموية المعادية لأهل البيت عليهم السلام:

اعتزل الإمامُ القومَ وأعرض عنهم، وأعرضوا عنه، وقد صمّموا على إبعاده وأنصاره عن الحياة السياسية وعدم مشاركتهم بأيِّ شأن من شؤون الدولة.

ومن الجدير بالذكر أنّ حكومة أبي بكر لم ترشّح أحداً لمناصب الدولة وله ميول علويَّة، فقد روى المؤرّخون أنّ أبابكر عزل خالد بن سعيد بن

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٢٤ / خ ٧٤.

العاص عن قيادة الجيش الذي بعثه لفتح الشام، ولم يكن هناك موجب لعزله إلّا ميله لعليٍّ يوم السقيفة، وقد نبّهه لذلك عمر[١]، كما أَنَّ أبا بكر لم يعهد لأيٍّ أحد من الهاشميِّين بأيٍّ منصب من مناصب الدولة، وقد تحدّث عمر مع ابن عبّاس عن سبب حرمانهم فصرَّح بأنّه يخشى أنّه إذا مات وأَحدُ الهاشميين والٍ على قُطْرٍ من الأقطار الإسلامية أن يحدث في شأن الخلافة ما لا يحبّ، حيث يدعو الناس للهاشميين فيجيبه الناس[٢].

وكان معظم ولاة أبي بكر من الأُسرة الأموية، وكان منهم:

١ ـ يزيد بن أبي سفيان، استعمله والياً على الشام، وخرج مودِّعاً له إلى خارج يثرب، وبعد وفاته أُسندت ولاية الشام إلى أخيه معاوية[٣].

٢ ـ عتّاب بن أُسيد بن أبي العِيص، استعمله والياً على مكة[٤].

٣ ـ عثمان بن أبي العاص، استعمله والياً على الطائف[٥].

٤ ـ أبوسفيان، جعله عاملاً على ما بين آخر حدّ الحجاز وآخر مكان من نجران[٦].

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢ : ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) انظر مروج الذهب، للمسعودي ٥ : ١٣٥، حيث قال لابن عباس : يابن عباس، إنّي خشيت أن يأتي عَلَيَّ الّذي هو آتٍ وأنت في عملك، فتقول : هَلُمَّ إلينا، ولا هَلُمَّ إلّا إليكم دون غيركم!

(٣) فتوح البلدان، للبلاذري ١ : ٢٠٤ / ٤٥٣.

(٤) الاصابة، لابن حجر العسقلاني ٤ : ٣٥٦ / الترجمة ٥٤٠٧.

(٥) الكامل في التاريخ، لابن اثير ٢ : ٤٢١.

(٦) فتوح البلدان، للبلاذري ١ : ١٢٣ / ٢٩٢.

وبهذا الإجراء الذي اتّخذه أبو بكر برز نجم الأُمويّين، واحتلّوا مكانة مرموقة في الدولة الإسلامية، وقد أبدى المراقبون لسياسة أبي بكر دهشتهم من هذه السياسة، يقول العلايلي:

فلم يفز بنو تيم بفوز أبي بكر بل فاز الأمويّون وحدهم، لذلك صبغوا الدولة بصبغتهم، وأثّروا في سياستها وهم بعيدون عن الحكم كما يحدّثنا المقريزي في رسالته (النزاع والتخاصم)[1].

وكان الأولى بأبي بكر أن يعهد بأُمور المسلمين إلى السادة من الأُسرة النبوية، وإلى الأخيار المتحرّجين في دينهم من الأوس والخزرج، وإبعاد الأمويّين عن كلّ منصب من مناصب الدولة، وأن يعاملهم بالازدراء كما عاملهم الرسول ﷺ، وكما قابلهم المسلمون، فقد كانوا ينظرون إليهم نظرة احتقار وامتهان لأنّهم خصوم الإسلام، وإسلامُهُم لم يكن واقعياً وإنّما كان صورياً، وعلى أَقَلِّ التّقادير أن لا يُولّوا المناصب الحسّاسة، ولا يُعطَوا أدواراً خطيرة في مستقبل الأُمّة.

وفاة أبي بكر وعهده لعمر:

لم يطل سلطان أبي بكر ولم تمتد مدّة حكمه، فقد ألّمت به الأمراض بعد مضيّ سنتين من حكمه، وقد صَمّمَ وهو في الساعات الأخيرة

---

(١) حياة الإمام الحسين، لباقر القرشي ١: ٢٧٦ ـ ٢٧٧. والنصّ الأخير في كتاب الإمام الحسين، للعلايلي: ١٩١.

من حياته على تقليد زميله عمر بن الخطّاب شؤون الخلافة؛ لأنّه هو الذي أقامه في منصبه، ولما بينهما من التزامات وعهود سابقة في تداول أمر الحُكْم.

ويقول المؤرّخون: أنّه لاقى معارضة كثيرة في ترشيحه لعمر خليفة من بعده، فقد انبرى إليه طلحة بعنف قائلاً:

ماذا تقول لربّك وقد ولّيت علينا فظّاً غليظاً تَفْرُقُ منه النفوس، وتَنْفِرُ منه القُلُوب...؟![1].

ووجم أبوبكر فلم يجبه، إلّا أنّ طلحة كرّر عليه إنكاره قائلاً:

يا خليفة رسول الله، إنّا كنّا لا نتحمّل شراسته وأنت حيٌّ تأخذ على يديه، فكيف يكون حالنا معه وأنت ميت وهو الخليفة؟!...[2].

ولم يهتمَّ أبوبكر لإنكار طلحة، ولم يُقِمْ له أيَّ وزن، كما أنّ أكثر المهاجرين اندفعوا إلى الإنكار عليه قائلين:

أراك استخلفت علينا عُمَرَ، وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا، فكيف إذا وَلَّيْتَ عنّا، وأنت لاقٍ الله عزّوجلّ فسألك، فما أنت قائل...؟!

فأجابهم أبوبكر: لئن سألني الله لأقولنّ: استخلفتُ عليهم خيرهم في نفسي[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١ : ١٦٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ٣٤٣.

(٣) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ٣٧.

ويذهب الكثيرون إلى أنّه كان الأجدر بأبي بكر أن يستجيب لعواطف وآراء الأكثرية من المسلمين، فلا يولّي عليهم أحداً إلّا بعد رضاهم وإجراء عملية انتخابية، أو يستشير أهل الحلّ والعقد، إلّا أنّه استجاب لعواطفه المترعة بالولاء والحبّ لابن الخطّاب، وقد طلب أبوبكر من بعض خواصه أن يخبره عن رأي المسلمين في ذلك، فقال له:

ما يقول الناس في استخلافي عمر؟

فقال: كرهه قوم ورضيه آخرون...

فقال أبو بكر: الذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه؟....

فقال: بل الذين كرهوه...[١].

وإذا كانت الأكثريّةُ الساحقة ناقمةً على ولاية عمر من بعده، فكيف فرضه عليهم، ولم يمنح المسلمين الحرية في انتخاب من شاءُوا لرئاسة الحكم!!

ومهما يكن الأمر فإنّ عمر لازم أبابكر في مرضه خوفاً من التأثير عليه في العدول عن رأيه، وكان يعزّز مقالته في انتخابه له قائلاً:

أيها النّاس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ...[٢].

وطلب أبوبكر من عثمان بن عفّان أن يكتب للناس عهده في تولية عمر من بعده، وجعل أبوبكر يملي عليه وهو يكتب، وهذا نصّه:

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح الحنبلي ١: ٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٦١٨.

«هذا ما عهد أبوبكر بن أبي قحافة، آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها، وأوّل عهده بالآخرة داخلاً فيها، أنّي استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، فإن تروه عَدَلَ فيكم فذلك ظنّي به، ورجائي فيه، وإن بدّل وغيَّر فالخيرَ أردتُ ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون..»[1].

ولم يقل أحد: إنّ أبابكر يهجر، وما حالوا بينه وبين كتابته في النّصِّ على عمر، كما حالوا بين النبيّ وبين ما رامه من الكتابة في حقّ الإمام عليه السلام وقالوا: إنّه يهجر.

نَعَمْ، وقّع أبوبكر الكتاب فتناوله عمر، وانطلق به يهرول إلى المسجد ليقرأه على الناس، فاستقبله رجلٌ وقد أنكر حالته، فقال له:

ما في الكتاب يا أبا حفص؟...

فنفى عمر عِلْمَهُ بما فيه إلّا أنّه أذعن لما يحتويه، قائلاً:

لا أدري، ولكنّي أوَّلُ من سمع وأطاع...

فرمقه الرجل بطرفه، وعرف واقع الحال، فقال له:

ولكنّي واللهِ! أدري بما فيه، أمَّرتَهُ عام أوَّل، وأَمَّرَك العام[2].

وانطلق عمر وهو يلوّح بالكتاب ويدعو الناس إلى استماع ما فيه، فقرأه على الناس، وبذلك تمّ له الأمر بسهولة من دون أن ينازعه أحد في ذلك.

---

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ٣٧.

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ٣٨.

موقف الإمام عليه السلام :

والتاع الإمام عليه السلام كأشدّ ما تكون اللّوعة، وأعرب عن أساه بعد حين من الزمن، وذلك في خطبته الشقشقية، حيث قال عليه السلام :

«فَرَأَيتُ أَنَّ الصَّبرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَىٰ، فَصَبَرتُ وفي العَينِ قَذىً، وَفي الحَلقِ شَجاً، أَرى تُرَاثي نَهباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدلَى بِهَا إِلَى فلانٍ ـ يعني عمر ـ بَعدَهُ. ثُمّ تمثَّل بقول الأعشى :

شَتَّانَ مَا يومِي عَلَى كُورِهَا وَيَومُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيا عَجَباً! بَينَا هُوَ يستَقِيلُها[1] فِي حَياتِهِ إِذ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرعَيهَا[2]!

وحكت هذه الكلمات آلامَهُ عليه السلام وأساه على ضياع حقّه وإزالته عن مركزه ومقامه، فقد تناهبته الرجال، فوضعوه مرَّةً في تيم مرّة، وأُخرى في عدي، وتناسوا مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وجهاده المشرق في نصرة الإسلام.

والخلاصة : أنَّ أبا بكر لم يلبث إلّا زماناً قصيراً حتَّى وافاه الأجل المحتوم، وانبرى صاحبه وخليله عمر إلى القيام بشؤون جنازته، فغسّله وأدرجه في أكفانه، وصلّى عليه، وواراه في بيت النبي صلى الله عليه وآله وألصق لحده بلحده[3].

---

(١) إشارة إلى قول أبي بكر : أَقيلوني أَقيلوني بيعتكم، فلستُ بخيركم وعليٌّ فيكم.

(٢) نهج البلاغة ١ : ٣١ ـ ٣٢ / خ ٣.

(٣) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٢.

ويذهب المتكلّمون من الشيعة إلى أنّ البيت الذي دفن فيه إن كان من تركة النبيّ فهو لوارثته سيدة نساء العالمين، ومن بعدها انتقل إلى زوجها وأولادها، ولم يؤثر عن النبي عليه السلام أنّه وهبه لعائشة، و على هذا فلا يحلّ دفنه فيه إلّا بعد الإذن من وَرَثة النبي، أمّا إِذْنُ عائشة فلا موضوعيّة له؛ لأنّها لا ترث من الأرض وإنّما ترث من البناء، حسبما ذكره الفقهاء في ميراث الزوجة.

وإن كان البيت النبويّ خاضعاً لعمليّة التأميم حسبما يرويه أبـوبكر عن النبيّ ـ من أنّ الأنبياء لا يورّثون شيئاً من متاع الدنيا، وإنّما يورّثون الكتاب والحكمة، وما تركوه فهو صدقة لعموم المسلمين ـ فعلى هـذا لابُدَّ من إرضاء الجماعة الإسلامية في دفنه في البيت، ولم يتحقّق أيُّ شيء من ذلك.

الأمر الثاني
في حكومة عمر

وتولّى عمرُ الحكومة بسهولة وسرور ولم يلق أيّ جهد أو عناء، وقد قبض على الحكم بيد من حديد، وساس الأُمّة بشدّة وعُنف حتّى تحامى لقاءه أكابر الصحابة، فقد كانت دَرَّتُهُ ـ كما يقولون ـ أرهب من سيف الحجّاج، وحتّى إنّ حبر الأُمّة عبد الله بن عباس لم يستطع أن يجهر برأيه في حلّيّة المتعة إلّا بعد وفاته، وقد خافه وهابه، ووصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية بالحوزة الخشناء التي يغلظ كلمها ويخشن مسّها.

واتّسمت سياسة عمر الداخلية بالعنف والشدّة، وقد سيطر سيطرة تامّة على البلاد، وقابل كلّ من كان يعتدّ بنفسه بالصرامة.

ولم تكن شدّة عمر مقتصرة على رعيته، وإنّما كانت شاملة لأهله؛ يقول المؤرّخون: إنّه إذا غضب على أحد من أهله لا يسكن غضبه حتى يعضّ على يده عضاً شديداً فيدميها[1].

ووصف عثمان بن عفّان شدّة عمر حينما نقم عليه المسلمون بقوله: لقد وطئكم ابن الخطّاب برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه،

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٣٢٤.

فخفتموه ورضيتم به ...[١].

ويقول المعنيون بالبُحُوث الإسلامية : إنّ هذه السياسة تُجافي سيرة الرسول صلى الله عليه وآله التي بُنيت على الرفق واللين واجتناب جميع مظاهر العنف والشدّة، وقد روى المؤرّخون صوراً كثيرة من تواضعه، كان منها أنّ رجلاً جاءه فأخذته الرهبة منه وبدىٰ عليه الرُّعب، فنهره الرسول صلى الله عليه وآله وقال له : «**إنَّما أنا ابنُ امرأةٍ مِن قُرَيشٍ كانَت تَأكلُ القَدِيدَ**»[٢]، وسار مع أصحابه سيرة الأخ مع أخيه، وكره أن يتميَّز على أحد منهم، وقد شاركهم في العمل في بناء مسجده الأعظم، وقد مدحه الله تعالى على سموّ أخلاقه فقال : ﴿**وَإِنَّك لعلى خُلُقٍ عَظِيم**﴾[٣].

ومن الواضح اللّائح أنّ الغلظة لا تتّفق بأيّة حال من الأحوال مع نصوص القرآن ومفاهيمه، ولا تنسجم بل تتنافر مع ما أُثر عن الرسول صلى الله عليه وآله من سموّ الأخلاق ومحاسن الآداب.

فرض الإقامة الجبرية على الصحابة :

ومن بنود السياسة العمرية فرض الإقامة الجبرية على الصحابة، فلم يسمح عمر لهم بمغادرة يثرب إلّا بعد أن يأذن لهم بذلك، ويرى الباحثون في الشؤون الإسلامية أنّ هذا الإجراء يتنافى مع ما شرّعه الإسلام من منهج الحريات العامّة للناس جميعاً، فهم أحرار فيما

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، لباقر القرشي ١ : ١٧٥.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٢٩٠.

(٣) القلم : ٤.

يعملون ويقولون شريطة أن لا تكون مجافية للتعاليم الإسلامية، وليس للسلطة أن تقف منهم موقفاً سلبياً، اللّهمّ إلّا إذا أحدثت الحرّيّة أضراراً وتطاولاً على الآخرين أو فساداً في الأرض.

رأي طه حسين:

وبرّر الدكتور طه حسين ما اتّخذه عمر من فرض الحصار على الصحابة بقوله:

ولكنّه ـ أي عمر ـ خاف عليهم ـ أي على الصحابة ـ الفتنة، فأمسكهم في المدينة لا يخرجون منها إلّا بإذنه، وحبسهم عن الأقطار المفتوحة، لا يذهبون إليها إلّا بأمر منه، لأنّه خاف أن يفتتن الناس بهم، وخاف عليهم أن يغرهم افتتان الناس بهم، وخاف على الدولة عواقب هذا الافتتان[1].

وفيما أرى أنّ هذا التوجيه لا يحمل أيَّ طابع من التحقيق، فإنّ الصحابة الذين راموا السفر من يثرب إلى الأقطار والأقاليم التي فتحها الإسلام: إن كانوا من الأخيار والمتحرّجين في دينهم فإنّهم بكلّ تأكيد يكونون مصدر هداية ومصدر خير وتهذيب للشعوب المتطلّعة لهدى الإسلام ومعرفة أحكامه، وهم ـ من دون شك ـ يشيعون الفضيلة ويعملون على تهذيب السلوك ونشر محاسن الأخلاق. وإنّ كانوا من الذين فتنتهم الدنيا، وخدعتهم مظاهر الفتوحات الإسلامية، فأيضاً

---

(١) الفتنة الكبرى، لطه حسين ١: ١٧.

ليس هناك مبرِّرٌ شرعي لمنعهم من السَّفر ما لم تظهر منهم بوادر شِقاقٍ أو نفاقٍ أو خروجٍ بالسيف، إذ ليس من المعقول حبس شخص لخوفِ اغترارِ الناس به، أو لخوفِ اغتراره بتقدير الناس له واحترامهم له.

ولو أردنا أن نُحَكِّم هذا المنطق في الدولة لمَنَعْنا سفر كُلَّ عبقريٍّ، أو فيلسوف، أو ذي مكانة اجتماعية عند الناس، أو فقيه، أو عالِمٍ، أو... وهذا يؤدّي إلى كبت حريّة شرائح كبيرة من المجتمع والقضاء على الحرّيّات وانتشار العلم.

ولو تَنَزَّلْنا وقلنا: إنَّ للحاكم أن يمنع من يُخاف شَرُّه من السَّفر حفظاً لصالح الدولة ووقاية للناس من الفتنة، فإنّ ذلك يقتضي منع فئة خاصة وفريق خاصّ من الصحابة، ولكن لم يؤثر عنه أنّه فرض الحصار على فريق من الصحابة دون فريق، وإنّما فرضه على جميع الصحابة، وبذلك يكون قد حال بينهم وبين حرياتهم.

ولاته و عمّاله:

والشيء البارز في سياسة عمر مع الولاة والعمّال أنّه لم يعهد بأيِّ منصب من مناصب الدولة إلى أحد من الأُسرة النّبويّة، أو من أتباعهم من الأنصار، وإنّما أقرّ مَنْ ولّاهم أبوبكر في مناصبهم، كما لم يُعَيِّنْ أحداً من الصحابة البارزين، وقيل له:

إنّك استعملت يزيد بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، وفلاناً وفلاناً من المؤلّفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء، وتركت أن تستعمل علياً عليه السلام والعبّاس والزبير وطلحة؟

فقال: أمّا عليٌّ عليه السلام فأَنْبَهُ من ذلك، وأمّا هؤلاء النَّفر من قريش فإنّي أخاف أن ينتشروا في البلاد فيكثروا فيها بالفساد...

وعلّق ابن أبي الحديد على هذا الكلام بقوله:

فمن يخاف من تأميرهم لئلّا يطمعوا في الملك، ويدّعيه كلّ واحد منهم لنفسه، كيف لم يخف من جعلهم ستّة متساوين في الشورى مرشّحين للخلافة، وهل شيء أقرب إلى الفساد من هذا؟![1].

لقد رشّح عُمَرُ طلحةَ والزبيرَ وجعلهما من أعضاء الشورى، وشهد بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله توفّي وهو راضٍ عنهما، فكيف يتفق ذلك مع خوف عمر من أن يكونا ممّن ينشران الفساد في الأرض إذا أسند إليهما بعض مناصب الدولة.

اعتزال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

واعتزل الإمام أيام حكومة عمر، ولم يشترك بأيٍّ عمل من أعمال الدولة، كما اعتزل في أيام حكومة أبي بكر، يقول محمّد بن سليمان في أجوبته على أسئلة جعفر بن مكي عمّا دار بين علي عليه السلام وعثمان: إنّ علياً عليه السلام دحضه الأوّلان ـ يعني أبابكر وعمر ـ وأسقطاه، وكسرا ناموسه بين الناس فصار نسياً منسياً...[2].

ويعزو الإمام عليه السلام جميع ما لاقاه في حياته من النكبات والأزمات إلى

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩: ٢٨.

عمر، وذلك في حديث خاصّ له مع عبدالله بن عمر، إذ قال ابن عمر لأمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا الحسن، أتريد أن تضرب بعضهم ببعض وذلك في الشورى، فقال عليه السلام : اسكت ويحك، فوالله لولا أبوك وما ركب منّي قديماً وحديثاً، ما نازعني ابن عفّان ولا ابن عوف[١].

أَجَلْ، اعتزل الإمام عليه السلام الناس اعتزالاً تامّاً، وانصرف إلى تفسير القرآن الكريم، ولم يتّصل بأحد سوى الصفوة من أصحابه أمثال الطيب ابن الطيب عمّار بن ياسر، والثائر على الحكم الأموي أبي ذر، وسلمان الفارسي المحمّدي، وغيرهم من خيار أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله.

وكان عمر يرجع إلى الإمام في المسائل الفقهية؛ لأنّ بضاعته كانت قليلة فيها، وقد شاع عنه قوله:

لولا عليٌّ لهلك عمر...[٢].

وقد نزلت بعمر نازلة فحار في التخلّص منها، وعرض ذلك على أصحابه فقال لهم:

ما تقولون في هذا الأمر؟

فأجابوه: أنت المفزع والمنزع...

فلم يُرْضِهِ قولهم، وتلا قوله تعالى: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولا سَدِيداً﴾[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩ : ٥٤.

(٢) الغدير للعلّامة الأميني ٦ : ٨٣، وفيه عرض شامل لذلك.

(٣) الأحزاب : ٧٠.

ثمّ قال لهم: أما واللهِ! إنّي وإياكم لَنَعْلَمُ ابنَ بَجْدَتِها والخبير بها.

فقالوا: كأنّك أردت ابن أبي طالب؟

فقال: وأنّى يعدل بي عنه، وهل طفحت حرّة بمثله؟!

فقالوا: لو دعوته يا أمير المؤمنين.

فامتنع من إجابتهم وقال: إنّ هناك شمخاً من هاشم، وأَثَرَة من علم، ولُحْمَةً من رسول الله ﷺ، يؤتى ولا يأتي، فامضوا بنا إليه...

وخفّوا جميعاً إليه فوجدوه في حائط له يعمل فيه وعليه تِبَّان، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿أَيحسَبُ الإنسَانُ أَن يُترَك سُدى﴾[1].. إلى آخر السورة ودموعه تنهمر على خدّيه، فلمّا رآه القوم أَجهشوا في البكاء، ولمّا سكتوا سأله عمر عمّا ألمّ به، فأجابه عنه، والتفت عمر إلى الإمام فقال له: أما واللهِ! لقد أرادك الحقُّ، ولكنْ أَبى قَوْمُكَ.

فأجابه الإمام عليه السلام:

«يا أَبا حَفص، خَفِّض عَلَيك مِن هُنا وَهُنا»، وقرأ قوله تعالى: ﴿إنَّ يومَ الفَصلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾[2].

وذهل عمر فوضع إحدى يديه على الأُخرى، وخرج كأنّما ينظر في رماد[3].

وعلى أي حال فإنّ الإمام في خلافة عمر قد كان جليساً في بيته

---

(١) القيامة: ٣٦.

(٢) النبأ: ١٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢: ٧٩ ـ ٨٠.

يساور الهموم، ويسامر النجوم، ويتوسّد الأرق، ويتجرّع الغصص، قد كظم غيظه، وأوكل أمره إلى الله تعالى.

نصيحته عليه السلام لعمر في الحكم:

ونصح الإمام عليه السلام عمر في موضعين، وأسدل عمّا يكنّه من الموجدة من ضياع حقّه، وذلك حفظاً لكلمة الإسلام، وهما:

غزو الروم:

رام عمر أن يمضي لغزو الروم، فنهاه الإمام عن ذلك، وقال له:

«إنَّك مَتَى تَسِرْ إلَى هذَا العَدُوِّ بِنَفسِكَ، فَتَلقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنكَبْ، لا تَكُنْ لِلمُسلِمينَ كَانِفَةٌ[1] دُونَ أَقصَى بِلادِهِم. لَيسَ بَعدَكَ مَرجِعُ يرجِعُونَ إلَيهِ، فَابعَث إلَيهِم رَجُلاً مِحْرَباً، وَاحفِزْ مَعَهُ أَهلَ البَلاءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإن أَظهَرَ اللهُ فَذَاك مَا تُحِبُّ، وَإن تَكُنِ الأُخرَى، كنتَ رِدْءاً للنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلمُسلِمينَ ...»[2].

غزو الفرس:

واستشار عمرُ الإمام عليه السلام في الخروج بنفسه لغزو الفرس، فأشار عليه بعدم خروجه، قائلاً:

«إنَّ هذَا الأَمرَ لَم يكن نَصرُهُ وَلا خِذلانُهُ بِكَثرَةٍ وَلا بِقلَّةٍ. وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أظهَرَهُ، وَجُندُهُ الَّذِي أَعدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ

---

(١) الكانفة: هي العاصمة التي يلجأون إليها.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٨ / خ ١٣٤.

حَيثُ طَلَعَ؛ وَنَحنُ عَلَى مَوعُودٍ مِنَ اللهِ، وَاللهُ مُنجِزٌ وَعدَهُ، وَنَاصِرٌ جُندَهُ. وَمَكَانُ القَيِّمِ بِالأَمرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الخَرَزِ يجمَعُهُ وَيضُمُّهُ: فَإِنِ انقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الخَرَزُ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَم يجتَمِع بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً. وَالعَرَبُ اليومَ، وَإِن كَانُوا قَلِيلاً، فَهُم كَثِيرُونَ بِالإِسلامِ، عَزِيزُونَ بِالاجتِماعِ! فَكن قُطباً، وَاستَدِرِ الرَّحَىٰ بِالعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ دُونَك نَارَ الحَربِ، فَإِنَّك إِن شَخَصتَ مِن هذِهِ الأَرضِ انتَقَضَت عَلَيك العَرَبُ مِن أَطرَافِهَا وَأَقطَارِهَا، حَتَّى يكونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَك مِنَ العَورَاتِ أَهَمَّ إِلَيك مِمَّا بَينَ يدَيكَ.

إِنَّ الأَعَاجِمَ إِن ينظُرُوا إِلَيك غَداً يقُولُوا: هذَا أَصلُ العَرَبِ، فَإِذَا اقتَطَعتُمُوهُ استَرَحتُم، فَيكونُ ذلِك أَشَدَّ لِكَلَبِهِم عَلَيكَ، وَطَمَعِهِم فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرتَ مِن مَسِيرِ القَومِ إِلَى قِتَالِ المُسلِمِينَ، فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ هُوَ أَكرَهُ لِمَسِيرِهِم مِنكَ، وَهُوَ أَقدَرُ عَلَى تَغيِيرِ مَا يكرَهُ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرتَ مِن عَدَدِهِم، فَإِنَّا لَم نَكن نُقَاتِلُ فِيما مَضَى بِالكَثرَةِ، وَإِنَّمَا كنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصرِ وَالمَعُونَةِ!»[1].

وكان رأي الإمام هو الرأي المُشْرق، فإنّ خروج عمر مع الجيش تكون له مضاعفاته السيئة على المسلمين، والتي منها أنّه لو اندحر الجيش الإسلامي وفيهم عمر لانطوت بذلك راية الإسلام، لأنّ الأعداء سيطمعون في هَزْم المسلمين في عقر دارهم وإلى الأَبد.

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٩ ـ ٣٠ / خ ١٤٦.

على أَنَّ بعض المفكّرين قالوا : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أعرض عن مشاركة القوم في أيّ نوع من أنواع السلطة والحكم، وراح يربّي النخبة الصالحة والكوكبة الخيِّرة من أصحابه، خافه عمر أشدّ الخوف، وظَنَّ أنّه يريد تدبير انقلاب عسكريّ عليه، فأراد اختبار نيّته وباطنه، فسأله هذا السؤال، فلو أجابه بغير ذلك لأَوقَعَ به، وكان ذلك ذريعة لقتله أو نفيه. وفات عليه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لا ينتهج المناهج الملتوية التي كان يسير عليها ابن الخطاب وحزبه، وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أكبر من أن يغشّ ويخون جيش المسلمين ويشير بغير الصواب.

حليّ الكعبة :

وفي أيّام عمر كثرت الحليّ على الكعبة، فأشار عليه القوم ببيعها وإرصاد ثمنها للجيوش الإسلامية، لأنّ الكعبة الكعبة بزعمهم لا تحتاج إلى الحِلِيّ، وأراد عمر تنفيذ ذلك، فاستشار الإمام عليه السلام فقال له الإمام:

« إنَّ القُرآنَ أُنزِلَ عَلَى النَّبي صلى الله عليه وآله، وَالأَموَالُ أَربَعَةٌ : أَموَالُ المُسلِمِينَ فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيءُ فَقَسَمَهُ عَلَى مُستَحِقِّيهِ؛ وَالخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهَ حَيثُ وَضَعَهُ؛ وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيثُ جَعَلَهَا. وَكَانَ حَلْيُ الكَعبَةِ فِيهَا يومَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَم يترُكهُ نِسياناً، وَلَم يَخْفَ عَلَيهِ مَكَاناً، فَأَقِرَّهُ حَيثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ».

فاستحسن عمر رأي الإمام، وأبدى إعجابه قائلاً: «لولاك لافتضحنا»، وترك الحلي بحاله..[1].

---

(١) نهج البلاغة ٤ : ٦٥ / الحكمة ٢٧٠.

اغتيال عمر:

وآثرنا الايجاز في خلافة عمر ولم نتعرّض إلى الأحداث التي رافقت حكومته، خصوصاً ما صدر منه من الفتاوى التي كانت من الاجتهاد قبال النصّ، كتحريم المتعة، وإنكار التيمّم، وصلاة التراويح، وغيرها، فقد عرض لها علماء الشيعة وفقاؤهم، وفي طليعتهم الإمام الأعظم السيّد عبد الحسين شرف الدين في كتابه الذائع الصيت (النصّ والاجتهاد)، والمحقّق الكبير الإمام الشيخ عبد الحسين الأميني في كتابه الخالد (الغدير).

والذي يعنينا هنا هو اغتيال عمر، ووضعه لنظام الشورى قبل وفاته.

أمّا اغتيال عمر فيعزوه بعض الكتّاب المحدثين إلى بني أُمية، فقد أرادوا التخلّص من حكمه وفرض سلطانهم على المسلمين[١]، وقد استدلّوا على ذلك بأنّ أبا لؤلؤة الذي اغتال عمر كان مولى للمغيرة بن شعبة الذي له صلة وثيقة بالأمويين، وهذا الراي لايحمل أيّ طابع من التحقيق، لأنّ علاقة عمر بالأمويين كانت وثيقة للغاية، ولم تقع بينهما أية منافسة، وكانوا من أعداء الإمام وهو المنافس الوحيد له.

واستعمل عمر وجوه الأمويين ولاةً على الأقطار الإسلامية أمثال يزيد بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، ومعاوية، ولم يشاطر أيَّ واحد منهم أمواله كما شاطر بقيّة عمّاله، وكان معنياً بشؤون نسائهم، فقد أقرض هند بنت عتبة أُمّ معاوية أربعة آلاف من بيت المال تتّجر

---

(١) من أنصار هذا الرأي العلامة المغفور له العلايلي، ذهب إلى ذلك في كتابه (سموّ المعنى في سموّ الذات): ٣١.

بها[١]، وقد أعدّ في بيته مكاناً خاصّاً فرشه بأحسن الفرش ولم يسمح لأيٍّ أحد بالدخول فيه سوى أبي سفيان، وعوتب على ذلك فقال: هذا شيخ قريش[٢]، فكيف يقومون باغتياله ؟!

ومهما كان، فقد قام أبو لؤلؤة بعملية الاغتيال[٣]، فطعنه ثلاث طعنات إحداهنّ تحت السرّة فخرقت الصفاق[٤].

وحمل عمر إلى داره وجراحاته تنزف دماً، فقال لمن حوله:

من طعنني ؟

فقالوا له: غلام المغيرة...

فقال عمر: ألم أقل لكم لا تجلبوا لنا من العلوج أحداً، فغلبتموني[٥].

وأحضر له أهله طبيباً فقال له: أيُّ الشراب أحبُّ إليك ؟

فقال: النبيذ.

فسقوه منه، فخرج من بعض طعناته، فقال الناس: خرج صديداً، ثمّ سقوه لبناً فخرج من بعض طعناته، فيئس منه الطبيب، وقال له: لا أرى أن تمسي[٦].

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن اثير ٣ : ٣٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣ : ٣٤١.

(٣) مروج الذهب، للمسعودي ٢ : ٢١٢.

(٤) الصِّفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد.

(٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢ : ١٨٧.

(٦) الاستيعاب، لابن عبد ربه الأندلسي ٣ : ١١٥٤، الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ٢٩ ـ ٣٠.

عمر مع ابنه عبد الله:

وطلب عبد الله من أبيه عمر أن ينصّ على أحد من المسلمين ويجعله خليفة عليهم من بعده، قائلاً له:

يا أبتي، استخلف على أُمّة محمّد ﷺ، فإنّه لو جاء راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها، لقُلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة؟! فكيف بأُمّة محمّد، فاستخلف عليهم...

ورمقه عمر بطرفه، وأجابه:

إن استخلف عليهم فقد استخلف أبوبكر، وإن أتركهم فقد تركهم رسول الله ﷺ[1]. ولعلّ «الوجع» قد غلب عمر فنسي قيام النبي ﷺ بنصب علي عليه السلام خليفة من بعده في يوم «غدير خم»، وإلزام المسلمين بمبايعته، وعمر بالذات ممّن بايعه، وقال له: «بَخْ بَخْ لك يا عليّ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة»[2].

وهل أبوبكر أَشْفَقُ على المسلمين من النبيّ، فأوصى من بعده بالخلافة إلى عمر، وأهمل ذلك النبيّ ولم يُوصِ لأحد من بعده؟!

وعلى أيَّةِ حال، فإنّ عمر قد فتكت به جراحاته، وأحاطت به الآلام فجزع جزعاً شديداً، وجعل يقول:

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٢: ٢١٧.

(٢) انظر بخبخة عمر في شواهد التنزيل، للحاكم الحسكاني ١: ١٥٧، ورسائل الشريف المرتضى ٤: ١٣١، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، لابن المغازلي: ١٩.

لو أنّ لي ما في الأرض ذَهَباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه[١].

والتفت لولده عبد الله وقال له: ضع خدّي على الأرض...

فلم يحفل به ولده، وظنّ أنّه قد اختُلِسَ عقله، وأمره ثانياً بذلك فلم يُجِبْهُ، فصاح به: ضَعْ خدّي على الأرض لا أُمّ لك.

وبادر عبد الله فوضع خدّ أبيه على الأرض، فأخذ أبوه يجهش بالبكاء ويقول: يا ويل عمر!! وويل أُمّ عمر!! إن لم يتجاوز الله عنه[٢]، ولعلّه قد لاحت له في تلك اللحظات الأخيرة من حياته غِبَّ ما أنزله بالأُسرة النبوية من النَّكبات والأَزمات.

ولم يَفُتْ عُمر وهو في اللحظات الأخيرة من عمره أن يثبت مقام عائشة ـ التي شاركته وبنته حفصة وأباها أبا بكر في كُلّ تفاصيل غصب الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام ـ وحاول أن يعطيها مقاماً رفيعاً لا تستحقّه؛ فإنّ عمر بعث ولده إلى عائشة يستأذن منها أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر، فسمحت بذلك[٣].

وعلّقت الشيعة على ذلك فقالت: إنّ ما تركه النبي صلى الله عليه وآله من متع الحياة إن كان لا يرثه أهله، وإنّما هو لوليّ الأمر من بعده حسب ما يرويه أبوبكر، فلا وجه للاستئذان من عائشة، وإن كان يرجع إلى ورثة

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢ : ١٩٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢ : ١٩٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢ : ١٩٠.

النبي ﷺ كما يقول بذلك أهل البيت عليهم السلام فليس لعائشة فيه أي نصيب؛ لأنّ الزوجة لا ترث من الأرض، وإنّما ترث من البناء، حسبما قرّره فقهاء المسلمين، ولابدّ حينئذٍ أن يكون الإذن في دفنه من ورثة النبي ﷺ، ولم يتحقّق ذلك.

وعلى فرض كونها وارثة فإنّها واحدة من تسع نسوة، ونصيبها من إرث النبي ﷺ تُسْعٌ من ثُمن، فأنّى لها التصرّف بالكُلِّ؟! وفي هذا الأمر قال أحد الشعراء:

أيا بنت أبي بكرٍ ... فلا كانَ ولا كُنْتِ
تَجَمَّلْتِ تَبَغَّلْتِ ... ولو عِشْتِ تَفَيَّلْتِ
ويوم الحسنِ الهادي ... على بَغْلِكِ أَسْرَعْتِ
وفي بيت رسول اللّـ ... ـه بالظُّلْم تحكَّمتِ
هلِ الزوجة أولى بالـ ... ـمواريث من البنتِ؟!
لك التُّسع من الثُّمنِ ... وبالكُلِّ تَصَرَّفْتِ[1]

(١) انظر مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٣: ٢٠٤، والخرائج والجرائح، لقطب الدين الراوندي ١: ٢٤٣.

الأمر الثالث
حكومة عثمان بن عفّان

لقد خاف المسلمون على دينهم، وخافوا على دولتهم من الأُمويين، وتحقّق ما خافوا منه، فإنّه لم يمض قليل من الوقت حتى استولى الأُمويون على جميع أجهزة الدولة، وسخّروا الاقتصاد العامّ لمصالحهم، حتّى عمّ الفقر وسادت الفوضى في جميع أنحاء البلاد.

إنّ عبد الرحمن بن عوف حينما فَرَضَ عثمانَ خليفةً على المسلمين في قضيّة الشورى، التي كان هو أحد أعضائها الستة، حيث أعطى حقَّه لعثمان عادلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام لمَّا قال لعليٍّ: «أُبايعك على كتاب الله وسنة النبي وسيرة الشيخين، فرفض الإمام عليه السلام سيرة الشيخين، وقبلها عثمان، ولكنه لم يعمل لا بكتاب الله، ولا بسنّة النبي صلى الله عليه وآله، بل لم يعمل حتّى بسيرة الشيخين.

واحتفّ الأُمويون وإخوانهم القرشيون بعثمان، وجاءوا به يزفّونه إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله، وقد علت أصواتهم بالدعم الكامل لحكومته، والهتاف بحياته، واعتلى عثمانُ المنبرَ فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يجلس في المكان الذي كان يجلس فيه أبوبكر وعمر، وارتاب بعض الحاضرين، فقالوا: اليوم وُلد الشَّرّ[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٦٣، البداية والنهاية، لابن كثير ٧ : ١٤٨.

واتّجه المجتمع ليسمع ما يُدلي به عثمان، وما يفتح به مناهجه السياسية، فأُرْتِجَ عليه ولم يَدْرِ ما يقول، وأَجْهَدَ نفسه فألقى هذه الكلمات المتقطّعة المضطربة.

أمّا بعد، فإنّ أوّل مركبٍ صعبٌ، وما كنّا خطباء، وسيعلم الله، وإنّ امْرَءاً ليس بينه وبين آدم إلّا أبٌ مَيِّتٌ، لمَوْعوظ، ثمّ نزل عن المنبر وهو وَجِل[1]، و أنت ترى أنّه ليس بين هذه الكلمات أيّ ربط أو اتّصال، وإنّما كانت متنافرة في أُسلوبها، الأمرُ الذي دعا الحاضرين ليهزأوا به ويسخروا منه، وكان ذلك من آفات الشُّورى التي امتحن بها المسلمون، فقد أقصت أمير البيان ورائد الحكمة والعدالة في دنيا الإسلام، وفرضت عثمان حكماً على المسلمين!!

مظاهر شخصيّته:

لابدّ لنا من التحدّث عن مظاهر شخصية عثمان، وقياسها بالصِّفات التي هي المقياس في نجاح أي حاكم أو فشله في الميادين السياسية والاجتماعية، وهذه بعضها:

أوّلاً - ضعف الإرادة:

كان عثمان -فيما أجمع عليه المؤرّخون- ضعيف الإرادة، خائر العزيمة، ولم تكن له أيّة قدرة على مواجهة الأحداث والتغلّب عليها،

---

(١) الموفقيات، للزبير بن بكّار: ٢٠٢.

فقد استولى عليه الأُمويون وسيطروا على جميع شؤونه، ولم يستطع أن يقف موقفاً إيجابياً ضدّ رغابتهم وأهوائهم، ووصفه بعض الكتّاب المحدثين بأنّه كالميت في يد الغاسل لا حول له ولا قوّة.

وكان الّذي يدير شؤون دولته مروان بن الحكم، فهو الذي يعطي ويمنع ويتصرّف حسب ما يشاء، ولا رأي لعثمان ولا اختيار له، وقد قبض على الدولة بيد من حديد، وكان الخليفة في الحقيقة والواقع إنّما كان مروان، وعثمان له اسم الخلافة.

وأراد بعض المؤرّخين أن يدافع عن عثمان، فقال: إنّه هو شديد الرأفة والرقّة واللّين والتسامح. نعم، إنّه كذلك، ولكن مع أرحامه وأُسرته، أمّا مع الجبهة المعارضة لسياسته فقد اتّسم بالشدّة والغلظة معهم، فقد نفى المصلح العظيم أباذر إلى الشام، ثمّ إلى الربذة، وفرض عليه الإقامة الجبرية فيها، وقد انعدمت في هذه البقعة جميع وسائل الحياة حتى مات جائعاً غريباً، وفي يد عثمان ذهب الأرض ينفقه بسخاء على بني أُمية وآل أبي مُعَيْط.

كما نكّل بالطّيّب ابن الطّيّب عمّار بن ياسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر بضربه حتى أصابه فتق، وألقته شرطته في الطريق مغمىً عليه.

كما نكل بعبد الله بن مسعود القارئ الكبير، فقد ألهبت جسمه سياط شرطته، وهشّموا أضلاعه، وحرّم عليه العطاء، وهكذا كانت معاملته مع الناقمين لسياسته، أمّا المؤيدون له فقد وهبهم الثراء العريض وأسند لهم المناصب الحسّاسة في الدولة وحملهم على رقاب الناس.

ثانياً – حبّه العارم للأمويين :

من النزعات التي اشتهر بها عثمان هي أنّه كان عظيم الحبّ والولاء لأُسرته، حتَّى تمنّى أن تكون مفاتيح الجنّة بيده ليهبها لبني أُميّة، ولمّا تقلّد زمام الدولة آثرهم بالفيء، ووهبهم الملايين، وجعلهم ولاة على الأقطار والأمصار الإسلامية، وكانت تتواتر إليه الأخبار أنّهم جانبوا الحقّ وأشاعوا الفساد في الأرض، فلم يحفل بذلك، ولم يُجْرِ معهم أيَّ لون من التحقيق، الأمر الذي أدّى إلى النقمة عليه، وسنتعرّف على ذلك في البحوث الآتية.

ثالثاً ـ ميله إلى التَّرَف :

كان عثمان شديد الميل إلى الترف والبذخ، فاتَّخذ القصور، واصطفى لنفسه ما شاء من بيت المال، وأحاط نفسه بالثراء العريض، ووصفه الإمام عليه السلام بقوله :

« **نَافِجَاً حِضنَيهِ بَينَ نَثِيلِهِ وَمُعتَلَفِهِ** »[1]، وكان ذلك من موجبات النقمة عليه.

رابعاً ـ مصانعة الوجوه :

ومن نزعاته مصانعة الوجوه والأشراف، وإن أدّى ذلك إلى إهمال الأحكام الشرعية، وكان من ذلك ما ذكره المؤرّخون أنّ أبا لؤلؤة لما اغتال عمر قام ولده عبيد الله فقتل الهُرْمُزان صديق أبي لؤلؤة، وقتل جَفِينَةَ وابنة أبي لؤلؤة، وهو قتلٌ متعمَّد بغير حقّ، فأقفل عثمان سَيْرَ

---

(١) نهج البلاغة ١ : ٣٥ / خ ٣.

التحقيق مع عبيد الله وأصدر عفواً عنه ممالأةً لأُسرة عمر، وقد قوبل هذا الإجراء بمزيد من الإنكار، فقد أنكر عليه الإمام وطالَبَهُ بالقود من ابن عمر، وكذلك طالبه المقداد فلم يَعْتَنِ عثمان بذلك، وكان زياد بن لبيد إذا لقي عبيد الله بن عمر خاطبه بهذه الأبيات:

ألا يا عُبَيْدَ الله ! مـالكَ مَـهْرَبٌ ... ولا مَلجَأٌ مِن ابن أَرْوَى ولا خَفَرْ
أَصَبْتَ دماً والله ! في غَيْرِ حِـلِّهِ ... حَراماً وقتلُ الهُرْمُزانِ لَهُ خَـطَرْ
على غَيرِ شَيْءٍ غيرَ أن قال قائِلٌ: ... أَتَتَّهِمُونَ الهُرْمُزَان على عُـمَرْ ؟
فقال سَفِيهٌ ـ والحوادثُ جَمَّة ـ: ... نَعَمْ أتَّهِمُهُ قَدْ أَشارَ وَقَـدْ أَمَـرْ !
وكانَ سِلاحُ العَبْدِ في جَوْفِ بَيْتِهِ ... يُـقَلِّبها والأَمْـرُ بـالأَمْرِ يُـعْتَبَرْ

وشكا عبيدُ الله إلى عثمان ما قاله زياد فيه، فدعاه عثمان ونهاه عن ذلك إلّا أنّه لم يَنْتَهِ، وتناول عثمان بالنَّقدِ، فقال فيه:

أَبـا عَـمْروٍ[1] عُـبَيْدُ اللهِ رَهْـنٌ ... ـ فلا تَشْكُكْ ـ بِقَتْلِ الهُـرْمُزَانِ
فـإنَّكَ إن غَـفَرْتَ الجُـرْمَ عَـنْهُ ... وَأَسْـبابَ الخَـطا فَـرَسا رِهـانِ
أَتَـعْفُو إذ عَـفَوْتَ بـغَيْرِ حَـقٍّ ... فـمالَكَ بـالَّذِي تَـحْكِي يَـدانِ

فغضب عثمان من زياد وحذّره العقوبة حتّى انتهى[2].

وأمر عثمان بإخراج عبيد الله إلى الكوفة، وأقطعه بها أرضاً واسعة، فنسبت إليه، وقيل (كوفية ابن عمر)، وكانت هذه الحادثة من الأسباب التي أدّت إلى نقمة المسلمين عليه.

---

(١) أبو عمرو : عثمان بن عفّان.

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٣٠٢ ـ ٣٠٣، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٧٥ ـ ٧٦.

ولاته وعمّاله:

وفرض عثمان أُسرته وذوي قرباه من بني أُمية وآل أبي معيط ولاةً وحكّاماً على المسلمين، يقول المقريزي:

وجعل عثمان بني أُمية أوتادَ خِلافَتِهِ. مع العلم أنّه لم تتوفّر في أيٍّ واحدٍ القابلية لتحمّل المسؤولية وإدارة دفّة الحكم، مع أنّ الكثيرين منهم ليس لهم معرفة بأحكام الإسلام، كما لم تكن لهم حَرِيجة في الدين، فكيف يُجْعَلُون ولاةً وحكّاماً على المسلمين؟!

ويرى السيّد مير علي أنّ المسلمين تذمّروا من استبداد الحكّام واغتصابهم الأموال[١]، وكان من ولاته أبو موسى الأشعري، فسمح لأحد عمّاله بالتِّجارة في أقوات أهل العراق[٢].

عمال عثمان:

والمهمّ في البحث هنا هو أن نلقي نظرة على بعض عمّاله الذين عانى منهم المسلمون الجهد والبلاء، وفيما يلي ذلك:

١ ـ عبدالله بن عامر:

عبدالله بن عامر بن كريز هو ابن خال عثمان، وقد ولّاه إمارة البصرة بعد أن عزل منها أبا موسى الأشعري، وكان ولّاجاً خرّاجاً[٣]، وهو أوّل

---

(١) مختصر تاريخ العرب: ٤٣.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١: ٣٤٠.

(٣) الكامل في التاريخ، لابن أثير ٣: ١٠٠، حيث قال أبو موسى الأشعري في حقّه: يأتيكم غلام خَرَّاج ولّاج.

من لبس الخزّ في البصرة، وقد لبس جبّة دكناء، فقال الناس: لبس الأمير جلد دبّ، فَغَيَّر لباسه ولبس جبّة حمراء[١].

وقد نقم الناس على سياسته وسوء تصرّفاته، وعابوا على عثمان ولايته له، وخفّ إلى يثرب عامر بن عبد الله[٢] موفداً من قِبل أهل البصرة يطالب عثمان بالاستقامة في سلوكه فقال له:

إنّ أُناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أُموراً عظاماً، فاتّق الله عزّوجلّ وتُبْ إليه وانزع عنها...

فاحتقره عثمان وأعرض عنه، وقال لمن حوله:

انظروا إلى هذا، فإنّ الناس يزعمون انّه قارئ، ثمّ هو يجيء فيكلّمني في المحقّرات، فوالله! ما يدري أين الله؟

ولم يكلّمه عامر إلّا بتقوى الله وطاعته، وإيثار مصلحة المسلمين، فهل هذه الأُمور من المحقّرات؟

والتفت إليه عامر فقال له:

أنا لا أدري أين الله؟!

نعم.

---

(١) أُسد الغابة، لابن أثير ٣ : ١٩٢.

(٢) هو عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري، ويُدعى عامر بن عبد قيس، كان مع عليّ عليه السلام، وهو أحد الزهاد الثمانية، وأحد قرّاء القرآن المجيد، وكان من المعترضين على عثمان، وقبره ببيت المقدس. جامع الرواية، للأردبيلي ١ : ٤٢٧، الإصابة، لابن حجر ٥ : ٦٠ / الترجمة ٦٣٠٠.

إنّي لأَدري أنّ الله بالمرصاد.

وغضب عثمان، فعقد مؤتمراً من مستشاريه وعرض عليهم انتقاد المعارضين لسياسته، فأشار عليه ابن خاله عبد الله بن عامر أن يتّخذ معهم الإجراءات الصارمة قائلاً:

أرى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تُجَمِّرَهُمْ في المغازي حتى يذلّوا لك، فلا يكون همّةُ أحدهم إلّا نفسه، وما هو فيه من دَبَرِ دابّته وقُمَّل فروته.

وأشار عليه آخرون بخلاف ذلك، إلّا أنّه استجاب لرأي ابن خاله، وأوعز إلى عمّاله بالتضييق على الجبهة المعارضة، ومقابلتهم بالشدّة والعنف، فاستجاب له، وطبّق ما أشار عليه، فقد أمر عمّاله بتجمير الناس في البعوث، وعزم على حرمانهم من العطاء حتى يشيع الفقر فيهم والبؤس، فيضطروا إلى طاعته[1].

ولمّا قفل عبد الله بن عامر إلى البصرة عمد إلى التنكيل بعامر بن عبد الله، وأوعز إلى عملائه أن يشهدوا عليه شهادة زور بأنّه خالف المسلمين في أُمور قد أحلّها الله، كان منها:

أنّه لا يأكل اللَّحم.

ولا يشهد الجمعة.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٧٢ ـ ٣٧٣، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ١٤٩، تاريخ ابن خلدون ٢: ٣٩.

ولا يرى مشروعية الزواج[١].

ودوّنت شهادتهم، ورفعها إلى عثمان، فأمره بنفيه إلى الشام، وحمله على قَتَبٍ حتى يَشِقَّ عليه السفر، ولمّا انتهى إلى الشام أنزله معاوية (الخضراء)، وبعث إليه بجارية تكون عيناً عليه، وأشرفت عليه الجارية فرأته يقوم اللَّيل متعبّداً، ويخرج من السحر فلا يعود إلّا بعد العَتَمَة، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً، وكان يتناول كِسَراً من الخبز ويجعلها في الماء تحرّجاً من أن يدخل جوفه شيء من الحرام، وانبرت الجارية فأخبرت معاوية بشأنه، فكتب إلى عثمان بأمره[٢]، وقد نَقِمَ الأخيار والمتحرّجون في دينهم على عثمان ما اقترفه في شأن هذا العبد الصالح.

وظلّ عبد الله بن عامر والياً على البصرة لم يتحرّج من إثم وبغي، ولمّا قُتِلَ عثمان نهب ما في بيت المال وسار إلى مكة، فوافى بها طلحة والزبير وعائشة فانضَمَّ إليهم، وأمدّهم بالأموال التي نهبها ليستعينوا بها على حرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي أشار عليهم بالنُّزُوح إلى البصرة[٣][٤].

---

(١) الفتنة الكبرى، لطه حسين ١ : ١١٦.

(٢) الاصابة، لابن حجر العسقلاني ٥ : ٦٠ ـ ٦١ / الترجمة ٦٣٠٠.

(٣) أُسد الغابة، لابن أثير الجزري ٣ : ١٩٢.

(٤) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٣٤٣ ـ ٣٤٦.

إنّ هذا الذئب الجاهلي من ولاة عثمان ومن المقرّبين إليه، وقد أسند إليه ولاية هذا القطر المهمّ.

٢ ـ الوليد بن عقبة:

كان سعد بن أبي وقّاص الزُّهري والياً على الكوفة، فعزله عثمان وولّى عليها الوليد بن عقبة، وهو ـ فيما أجمع عليه المؤرّخون ـ من فسّاق بني أُمية، ومن أكثرهم مُجُوناً، وقد أخبر النبي ﷺ أنّه من أهل النار[١].

وكان أبوه عقبة من ألدّ أعداء النبي ﷺ، فكان يأتِي بالرَّوْث ويطرحه على بابه[٢]، وهو الذي بصق بوجه النبي ﷺ، فهدّده النبي ﷺ بأنّه إن وجده خارجاً من جبال مكة أن يأمر بضرب عنقه، ولمّا كانت واقعة بدر امتنع من الخروج، فأصرَّ عليه أصحابه فأخبرهم بخوفه من النبي ﷺ، فأغروه وخدعوه وقالوا له: لك جمل أحمر لا يُدْرَك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فاستجاب لهم وخرج لحرب النّبيّ ﷺ، فلمّا هزم الله المشركين حمل به جَمَلُهُ في جُدُودٍ من الأرض، فأخذه المسلمون وجاءوا به أسيراً، فأمر النبي ﷺ علياً عليه السلام بضرب عنقه، فقام

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٢: ٢٢٣.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد ١: ٢٠١١. حيث قال رسول الله ﷺ: كنت بين شرّ جارين؛ بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي؛ حتّى إنّهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذى فيطرحونه على بابي.

إليه وقتله[١]، وقد أُترعت نفس الوليد بالحقد والعداء للنبي صلى الله عليه وآله وللإمام عليه السلام لأنّهما قد وتراه بأبيه، وقد أسلم الوليد مع من أسلم من كفّار قريش خوفاً من حدّ السيف.

وقد أُنزلت آيتان في فسقه وذمّه، وهما:

الأُولى: قوله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ فَتُصبِحُوا عَلَى مَا فَعَلتُم نَادِمِينَ** ﴾[٢]، وكان سبب نزول هذه الآية أنّ النبي صلى الله عليه وآله أرسله إلى بني المصطلق لأخذ الصدقة منهم، فعاد إليه وأخبره بأنّهم منعوه منها، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وآله، فنزل الوحي على النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره بكذبه، فتبين له كذبه، ونزلت الآية في فسقه[٣].

الثانية: قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يستَوُونَ** ﴾[٤]، وكان السبب في نزولها أنه جرت بين الوليد وبين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مشادّة كلاميّة، فقال الوليد للإمام: اسكت فإنّك صبي وأنا شيخ، والله! إنّي أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة.

---

(١) الغدير، للعلّامة الأميني ٨ : ٢٧٣.

(٢) الحجرات : ٦.

(٣) السنن الكبرى، للبيهقي ٩ : ٥٤ ـ ٥٥، مجمع الزوائد، للهيثمي ٧ : ١٠٩ ـ ١١١، المعجم الكبير، للطبراني ١٨ : ٧.

(٤) السجدة : ١٨.

فردّ عليه الإمام قائلاً: «اسكُتْ فَإِنَّك فاسِقُ ...».

فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية[١]، ونظم هذه الحادثة حسّان بن ثابت بقوله:

أَنْـــزَلَ اللهُ والكِـــتابُ عَـــزِيزٌ ... فـــي عـلـيٍّ وفـي الوَلِـيدِ قُـرانـا
فَـتَبَوّا الوليـدُ مـن ذاك فِسْقاً ... وعـــلـيٌّ مُـــبَوّأٌ إيـــمانا
لَـيْسَ مَـنْ كـان مُـؤْمناً عَـرفَ اللّـ ... ـهَ كَـمَنْ كـانَ فـاسِقاً خَـوّانـا
فَـــعَلِيٌّ يَـــلْقى لَـدَى الله عِـــزّاً ... ووَلِـيدٌ يَـلْقَى هُـناك هَـوانـا
سَوْفَ يُجْزَى الوليـدُ خِـزْياً ونـاراً ... وعـــلـيٌّ لا شَكَّ يُـجْزَى جِـنانا[٢]

ولمّا ولّاه عثمان ولاية الكوفة كان يشرب الخمر جهاراً، وقد دخل القصر وهو ثَمِلٌ يتمثّل بأبيات تأبط شرّاً:

وَلَسْتُ بَـعِيداً عـن مُـدامٍ وقَـيْنَةٍ ... ولا بِصفاً صَلْدٍ عـن الخـير مُـعْزَل
ولكنَّني أَرْوِي من الخَـمْرِ هـامتي ... وَأَمشي الملَابالسَّاحِبِ المُتَسَلْسِلِ[٣]

ومن مجونه أنّه كان يسهر لياليه سكران مع المغنّين حتّى الصباح، وكان نديمه أبو زبيد الطائي من نصارى تغلب، وقد أنزله داراً له على باب المسجد، ثمّ وهبها له، وكان الطائي يشقّ صفوف المصلّين

---

(١) تذكرة الخواص، لسبط ابن الجوزي: ١١٥، المناقب، للخوارزمي: ١٩٧، والمناقب، لابن المغازلي: ٣٢٤، تفسير الثعلبي ٧: ٣٣٣.

(٢) تذكرة الخواص، لسبط ابن الجوزي: ١١٥.

(٣) مروج الذهب، للمسعودي ١: ٢٣٢.

في المسجد حتى ينتهي إليه وهو سكران[١].

وكان من إدمانه على الخمر أنّه شربها فصلّى بالناس صلاة الصبح وهو ثمل أربع ركعات، وصار يقول في ركوعه وسجوده: اشرب واسقني، ثمّ قاء الخمر في المحراب وسلّم، والتفت إلى المصلّين خلفه وقال: هل أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: لا زادك الله خيراً ولا مَنْ بعثك إلينا، وأخذ فَردَة خُفِّهِ وضرب بها وجهه، وحصبه الناس، فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو ثَمِلٌ مترنّح[٢].

وأسرع جماعة من خيار الكوفة إلى يثرب يشكون الوليد إلى عثمان، وقد صحبوا معهم خاتمه الذي انتزعوه منه في حال سكره، وقابلوا عثمان، وعرضوا عليه أنّ الوليد شرب الخمر فزجرهم عثمان وقال لهم بعنف:

ما يدريكم أنّه شرب الخمر؟

قالوا: هي الخمر التي كنّا نشربها في الجاهلية.

وأعطوه خاتمه الذي انتزعوه منه في حال سكره لتأييد شهادتهم، فغضب عثمان، ودفع في صدورهم وقابلهم بأخبث القول وأقساه، فخرجوا منه وهم يتميَّزون من الغيظ، واتّجهوا صوب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخبروه بما جرى لهم مع عثمان، فانبرى لعثمان وقال له:

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٧ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) السيرة الحلبية، زيني دحلان المكي ٢ : ٣١٤.

«دَفَعتَ الشُّهُودَ وَ أَبطَلتَ الحُدُودَ».

وخاف عثمان من عواقب الأُمور، فقال للإمام عليه السلام: ما ترى؟

فقال عليه السلام: «أَرى أَن تَبعَثَ إِلى صاحِبِكَ، فَإِن أَقاما الشَّهادَةَ فِي وَجهِهِ وَلَم يُدْلِ بِحُجَّةٍ أَقَمتَ عَلَيهِ الحَدِّ...».

ولم يجد عثمان بُدّاً من امتثال أمر الإمام، فكتب إلى الوليد يأمره بالحضور إلى يثرب، ولمّا انتهت إليه رسالة عثمان نزح من الكوفة إلى يثرب... ولمّا مثل أمام عثمان دعا بالشهود، فأقاموا عليه الشهادة، ولم يُدْلِ الوليد بأيَّةِ حجّة، وقد خضع بذلك لإقامة الحدّ، ولم يَنْبَرِ أحد لإقامة الحدّ عليه خوفاً من عثمان، فقام الإمام عليه السلام ودنا منه فسبّه الوليد وقال له: يا صاحب مَكْسٍ[1]، وقام إليه عقيل فردّ عليه سبّه، وضرب الإمام به الأرض وعلاه بالسوط، وعثمان يتميَّز غيظاً، فصاح بالإمام عليه السلام:

ليس لك أن تفعل به هذا.

فأجابه الإمام بمنطق الشرع:

«بَلى، وَشَرٌّ مِن هذا إِذا فَسَقَ، وَمَنَعَ حَقَّ اللهِ أَن يؤخَذَ مِنهُ»[2].

وعلّق العلّامة العلايلي على هذه البادرة بقوله:

هذه القصة تضع بين أيدينا شيئاً جديراً غير العطاء الذي يرجع إلى مكان العاطفة، تضع بين أيدينا صورة عن الإغضاء عن مجاوزة السلطة

---

(١) المكس: النقص والظلم.

(٢) مروج الذهب، للمسعودي ٢: ٢٢٥.

للقانون، والإغضاء في واقعة دينية، بحيث يجب على الخليفة أن يكون أوّل من يغار عليها، وإلّا هُدِّدَ مكانه وأُفْسِحَ المجال للناس للنقد والتجريح، وبالأخصّ حين جاءت حكومته عقيب حكومة عمر التي عرفت بالشِّدَّة فيما يتعلّق بالحدود الدينية حتّى لو كان من أقرب ذوي القربى.

إذن، فهذه المبالغة في الإغضاء والصفح والمجاوزة لا ترجع إلى مكان العاطفة وحدها ـ إن كانت ـ بل إلى الحزبية أيضاً حتّى تتناصر مجتمعة[١].

إنّ الوليد بفسقه وفجوره قَنَّنَ الدَّعارةَ واللهو والمُجُون في الكوفة، وقد أُسِّست فيها دُورٌ للغناء والطرب، وانتشر فيها المغنّون، فكان فيها عبد الله بن هلال الذي لُقِّب بصاحب إبليس[٢]، وحُنَيْن الحِيْري الشاعر المُغَنِّي النصراني[٣]، وغيرهما من أعلام الغناء[٤].

٣ ـ عبدالله بن سعد :

ومن ولاة عثمان أخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فجعله والياً على مصر، وأسند إليه إقامة الصلاة والولاية على الخراج، وهو فيما أجمع عليه المؤرّخون من أكثر زنادقة قريش عداءً للنبي صلى الله عليه وآله،

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام، للعلايلي : ٣٣.

(٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ٢ : ٣٥١.

(٣) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ٢ : ٣٤٩.

(٤) حياة الإمام الحسين، لباقر القرشي ١ : ٣٤٦ ـ ٣٥١.

وكان يقول مستهزئاً به: إنّي أصرفه حيث أُريد، وأَحَلَّ النبيُّ ﷺ دمه وإن كان متعلّقاً بأستار الكعبة، وقد هرب بعد فتح مكّة فاستجار بعثمان فغيَّبه، وبعدما اطمأن أهلُ مكة أتى به عثمانُ إلى النّبيِّ، فلمّا رآه صمت طويلاً، ثمّ آمنه وعفا عنه، فلمّا انصرف عثمان التفت النبي إلى أصحابه وقال لهم:

«**ما صَمَتُّ إلّا لِيقُومَ إلَيهِ بَعضُكم لِيضرِبَ عُنُقَهُ**».

فقال له رجل من الأنصار: هلا أو مَأْتَ إليَّ يا رسول الله؟

فقال ﷺ: «**إنّ النَّبيَّ لا ينبغي له خائنة الأعين**»[1].

ولمّا ولي عبد الله مصر ساس المصريين سياسةَ عنفٍ وكلّفهم فوق ما يطيقون، وأظهر الكبرياء والجبروت، فضجروا منه، فذهب خيارهم إلى عثمان يشكون إليه، فاستجاب لهم عثمان وأرسل إليه رسالةً يستنكر فيها سياسته في القطر، فلم يستجب لعثمان، وراح مصرّاً على غَيِّه، وعمد إلى من شكاه لعثمان فقتله، وشاع التَّذمُّر وعَمَّ السَّخط في جميع الأوساط في مصر، فتشكّل منهم وَفْدٌ كبير بلغ عدد أعضائه سبعمائة شخص، فخفّوا إلى عثمان، ولمّا انتهوا إلى يثرب نزلوا في المسجد وشكوا أميرهم إلى الصحابة، فانبرى طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام قاسٍ، وأرسلت إليه عائشة تطالبه بإنصاف القوم، وكلّمه الإمام أمير المؤمنين ﷺ في هذا الشَّأْن قائلاً:

---

(١) تفسير القرطبي ٧: ٤٠.

«إِنَّما يسأَلُك القَومُ رَجُلاً مَكانَ رَجُلٍ ، وَقَد ادَّعَوا قِبَلَهُ دَماً ، فَاعزِلهُ وَاقضِ بَينَهُم ، فَإِن وَجَبَ عَلَيهِ حَقٌّ فَأَنصِفهُم مِنهُ ...» .

واستجاب عثمان ـ على كُرْهٍ ـ لنصيحة الإمام ، وقال للقوم : اختاروا رجلاً أُولّيه عليكم مكانه ، فأشاروا عليه بمحمّد بن أبي بكر ، فكتب إليه عهده ، وبعث معه عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح[١] .

نَزَحَ القوم من المدينة ، فلمّا انتهوا إلى الموضع المعروف بـ(حَمْس) وإذا بقادم من المدينة ، تأمّلوه وإذا هو «وَرْش» غلام عثمان ، ففتّشوه وإذا به يحمل رسالة من عثمان إلى ابن أبي سرح يأمره فيها بالتنكيل بالمصريين ، وتأمّلوا الكتاب وإذا به بخطّ مروان ، فقفلوا راجعين إلى المدينة وقد صمّموا على قتل عثمان أو خلعه[٢] .

٤ ـ معاوية بن أبي سفيان :

وأقرّ عثمان معاوية على الشام ، فقد ولّاه عمر عليه ، وزاد عثمان في رقعة سلطانه ، وزاد في نفوذه ، وقد مهّد له الطريق لنقل الخلافة إليه .

يقول الدكتور طه حسين :

وليس من شك في أنّ عثمان هو الذي مهّد لمعاوية ما أُتيح له من نقل الخلافة ذات يوم إلى آل أبي سفيان وتثبيتها في بني أُميّة ، فعثمان هو

---

(١) أنساب الأشراف ، للبلاذري ٥ : ٢٦ .

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي ، لباقر القرشي ١ : ٣٥١ ـ ٣٥٣ .

الذي وسّع على معاوية في الولاية فضمّ إليه فلسطين وحمص، وأنشأ له وحدة شاميَّة بعيدة الأرجاء، وجمع له قيادة الأجناد الأربعة، فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين، ثمّ مَدَّ له في الولاية أثناء خلافته كلّها كما فعل عمر، وأطلق يده في أُمُور الشام أكثر ممّا أطلقها عمر، فلمّا كانت الفتنة فإذا هو أبعد الأُمراء بالولاية عهداً، وأقواهم جنداً، وأملكهم لقلب الرعيّة ...[١][٢].

وحكى حديث الدكتور الواقع، فإنّ عثمان هو الذي مدّ في سلطان معاوية، وبسط له النفوذ والسعة حتّى صار من أقوى الولاة، وأصبح قطره من أهمّ الأقطار الإسلامية ومن أكثرها ولاءً له.

٥ ـ سعيد بن العاص:

وأسند عثمان ولاية الكوفة إلى سعيد بن العاص، فولّاه هذا القطر العظيم الذي كان حامية للجيوش الإسلامية بعد أن عزل عنه الوليد الذي شرب الخمر وأقام الإمام عليه السلام عليه الحدّ.

وقد استقبل الكوفيون ولاية سعيد بكثير من الكراهية؛ لأنّه كان شاباً مترفاً متهوّراً لا يتحرّج من اقتراف الإثم والمنكر، وقد روى المؤرّخون صوراً من استهتاره بالقيم الإسلامية والاجتماعية، كان منها ما يلي:

---

(١) الفتنة الكبرى، لطه حسين ١ : ١٢٠.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، لباقر القرشي ١ : ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

أنّه طلب من الحاضرين رؤية عيد شهر رمضان المبارك، فقام إليه الصحابي الجليل هاشم بن عتبة المرقال، فقال له:

أنا رأيته...

فوجّه إليه كلاماً جافياً لايصدر من إنسان شريف، قائلاً له: بعينك هذه العوراء رأيته؟...

فالتاع هاشم وانبرى يقول:

تعيِّرني بعيني، وإنّما فقئت في سبيل الله، وكانت عينُهُ قد أُصيبت يوم اليرموك.

لقد فقئت عين هذا المجاهد الكبير في واقعة اليرموك، وقد عيَّره بها هذا الجاهلي الذي لم يَتَرَبَّ إلّا على الرذائل والموبقات.

وبناءً على رؤيته للهلال أصبح هاشم مفطراً؛ وذلك حُكْمُ من رأى الهلال، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفطِرُوا لِرُؤيَتِهِ**»، وقد فطر الناس لإفطاره، فانتهى الخبر إلى سعيد، فأرسل خلفه وضربه ضرباً موجعاً وأمر بإحراق داره[1]، وقد أثار ذلك حفائظ النفوس ونقم عليه الأخيار والمتحرّجون في دينهم، فقد كان اعتداؤه على عَلَمٍ من أعلام الإسلام بغير حقّ ووجه مشروع إلّا إرضاء لعواطفه المترعة بالجهل والحقد على رجال الإسلام[2].

---

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٥ : ٣٢، تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢١ : ١١٤.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٣٤١.

كما كان سعيد بن العاص يطفح بروح الغطرسة والتعالي والنَّهَم، فكان يَعُدُّ الناس خَوَلاً وعبيداً، ويحسب أنّ السواد كلّه بستان لقريش، وذلك ما أثار عليه حفائظ رجالات الكوفة، وعلى رأسهم الزعيم الكبير مالك الأشتر، حيث ردّ على سعيدٍ طغيانه، قائلاً له: أتجعل مراكز رماحنا، وما أفاء الله علينا، بستاناً لك ولقومك؟! والله لو رامه أحدٌ لقُرِعَ قَرْعاً يتصأصأ منه.

وهنا ثارت الثائرة، فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فأمره أن يسيِّر الثوار إلى دمشق ليكونوا تحت وطأة معاوية والشاميين، فسُيِّروا إلى هناك، وكانت هناك لهم خُطوب ومحاورات، اضطُرَّ معاوية على إثرها أن يكتب لعثمان بذلك، فأمره أن يسيّرهم إلى حمص...[1].

وهكذا كانت السياسة العثمانية الأموية الرَّعناء، وهي التي جعلت الناس يثورون على عثمان وحاشيته وعمّاله وزبانيته، فكان عثمان كالحافر حتفه بظلفه، وقد انتكث عليه فتله، وكَبَتْ به بطنته.

الثورة على عثمان:

كان من الطبيعي أن تندلع الثورة على عثمان بعدما اقترفه من الأحداث الجسام، فلم تكن الثورة عفويّة، وإنّما كانت نتيجة للنضج الاجتماعي، وكانت إصلاحية إلى حدّ كبير؛ يقول العلّامة العلايلي:

---

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري ٥: ٣٩ ـ ٤٣ ملخّصاً.

فقد شاع التذمّر، وعَمّ السخط، وأخذت المجالس والأندية تتحدّث عن مظالم عثمان واستبداده بشؤون المسلمين، وتنكيله بخيار المسلمين[١].

مُذَكِّرة المهاجرين لأهل مصر :

ورفع المهاجرون وخيار الصحابة مُذَكِّرةً لأهل مصر يستنجدون بهم للقيام بتغيير نظام الحكم القائم، وهذا نصّ مُذكّرتهم :

من المهاجرين الأوّلين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين.

أمّا بعد، أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يُسْلَبَها أهلها، فإنّ كتاب الله قد بُدِّل، وسُنَّة رسوله قد غُيِّرت، وأحكام الخليفتين قد بُدِّلَتْ[٢]، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقيّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله والتابعين بإحسان إلّا أقبل إلينا، وأخذ الحقّ لنا وأعطاناه، فأَقْبِلوا إلينا إن كُنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحقّ على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيّكم، وفارقكم عليه الخلفاء، غُلِبْنا على حقّنا، واستُوليَ على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوّة ورحمة، وهي اليوم مُلْكٌ عَضُوضٌ، مَنْ غَلَبَ على شيءٍ أَكَلَهُ...[٣].

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام، للعلايلي : ٦٦.

(٢) يلاحظ أنّ الناس ألزموا عثمان بما ألزم به نفسه من سيرة الشيخين. فكانت وبالاً عليه وعلى المسلمين. وهذا الشرط التعسّفي طرحه ابن عوف على أمير المؤمنين عليه السلام فأباه ورفضه.

(٣) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ٥٣ ـ ٥٤.

وحفلت هذه المذكِّرة بالأخطاء التي ارتكابها عثمان، وهي:

١ ـ تبديل كتاب الله وإلغاء أحكامه ونبذ نصوصه.

٢ ـ تغيير سنّة الرسول.

٣ ـ تبديل أحكام الخليفتين.

٤ ـ استئثار السلطة بالفيء.

٥ ـ صرف الخلافة الإسلامية عن مفاهيمها الخيِّرة إلى ملك عضوض[١].

وتحفّز المصلحون حينما انتهت إليهم هذه المذكِّرة إلى إرسال وفد للاطّلاع على أوضاع الخليفة والتعرُّف عليها.

وأرسل الصحابة مذكِّرة أُخرى لأهل الثغور جاء فيها:

إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزوجل؛ تطلبون دين محمد ﷺ، فإنّ دين محمد قد أفسده خليفتكم ـ أو مَنْ خَلفَكُمْ ـ وتُرِكَ، فهلمّوا فأقيموا دين محمّد[٢].

كما أوفدت الجبهه المعارضة مذكرة أُخرى لأهل الامصار، وقد اشاعت النقمة والسخط على حكومة عثمان.

وفود الأمصار:

واستجابت الأمصار الإسلامية لنداء الصحابة، فأرسلت وفودها إلى المدينة للاطلاع على حال عثمان، أما الوفود فهي:

---

(١) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١: ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٣٩٩ ـ ٤٠٠، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ١٦٨، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ١٤٩.

١ ـ الوفد المصري :

أرسلت مصر وفداً كبيراً قُدّر بأربعمائه شخص، وقيل أكثر، بقيادة المؤمن محمد بن ابي بكر وعبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَويّ.

٢ ـ الوفد الكوفي :

وأرسلت الكوفة وفداً بقيادة الزعيم الكبير مالك الأشتر، وزيد بن صوحان العبدى، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم العامري، وعمرو بن الأهتم.

٣ ـ الوفد البصري :

وأوفدت البصرة مائة رجل بقيادة حكيم بن جبلة، ثمّ أوفدت خمسين رجلاً وفيهم ذريح بن عبّاد العبدي، وبشر بن شريح القيسي، وغيرهم من الوجوه والأعيان[1].

واستقبلت الصحابةُ الوفودَ بمزيد من الحفاوة والتكريم، وحرّضتها على إقالة عثمان والإطاحة بحكومته.

مذكّرة المصريّين لعثمان :

و رفع الوفد المصري مذكّرة لعثمان يدعوه فيها إلى الاستقامة في سلوكه والتوازن في سياسته، وهذا نصّها :

أمّا بعد، فاعلم أنّ الله لا يغير ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم، فالله الله، ثمّ الله الله، فإنّك على دنيا زائلة، فاستقم معها، ولا تنسَ نصيبك من

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، لباقر القرشي ١ : ٣٨١.

الآخرة، فلا تسوّغ لك الدنيا، واعلم أنّا لله، ولله نغضب، وفي الله نرضى، وأنّا لا نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مُصَرّحة أو ضلالة مُجْلِحَة مُبْلِجَة[١]، فهذه مقالتنا لك، وقضيّتنا إليك، والله عذيرنا منك، والسلام[٢].

وحوت هذه المذكرة الدعوة إلى الإصلاح والاستقامة، وقد قرأها عثمان بإمعان، وحوله المصريون قد أحاطوا به، فبادر المغيرةُ بن شعبة فطلب منه أن يتكلّم مع المصريين، فأذِن له، ولمّا أراد أن يفتح معهم الكلام صاحوا جميعاً:

يا أعور وراءك.

يا فاجر وراءك.

يا فاسق وراءك.

ورجع المغيرة خائباً لم تفلح وساطته، ودعا عثمانُ عمرَو بن العاص وطلب منه أن يكلّم القوم، فبادر تجاههم وسلّم عليهم، فلم يردّ أحد منهم عليه السلام لعلمهم بفسقه، وصاحوا به:

ارجع يا عدوّ الله.

ارجع يابن النابغة، لست عندنا بأمين ولا مأمون..[٣].

ورجع ابن العاص خائباً في وفادته، فقد قوبل بمزيد من الاستهانة.

---

(١) مجلحة: مكشوفة. مبلجة: واضحة بينة.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٠٣، أنساب الأشراف، للبلاذري ٥: ٦٤ ـ ٦٥.

(٣) أنساب الأشراف، للبلاذري ٥: ٦٣ ـ ٦٤.

استجارته بالإمام عليه السلام :

وسُدَّت على عثمان جميع الوسائل، فلم يـرهناك طـريقاً مـفتوحاً ليتخلّص به ممّا هو فيه من المحنة، ورأى أنّه لا ملجأ له إلّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فاستغاث به، فأجابه الإمام بعد أن شرط عليه أن يدعو القوم ويلتزم لهم بالسِّيْر على كتاب الله وسنّة نـبيّه، فـأجابه إلى ذلك، وانطلق الإمام صوب الثوّار وهو يحمل لهم الضمان والالتزام بجميع ما طلبوه، فلمّا رأوا الإمام قالوا له: وراءك؟

فأجابهم الإمام بالالتزام الكامل بجميع مطالبهم قائلاً:

تُعطَونَ كتابَ اللهِ، وَتُعتَبُونَ مِن كلِّ ما سَخِطتُم عَلَيهِ....

قالوا: أتضمن ذلك؟...

فقال عليه السلام: «**نعم ...**».

وأقبل وجوه الوفد وأشرافهم مع الإمام فدخلوا على عثمان وعاتبوه على سياسته، وطلبوا منه أن يغيّر سلوكه ويسير بين المسلمين بسياسة قوامها العدل الخالص والحقّ المحض، فأجابهم إلى ذلك.

كتاب عثمان :

وكتب عثمان إلى الوفود التي أحاطت به هذا الكتاب والتزم بتنفيذ ما فيه، وهذا نصّه:

هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين، إنّ لكم أن أعمل فـيكم بكـتاب الله وسـنّة نـبيه، يُـعْطى المحروم، ويُؤَمَّن الخائف، ويُـرَدُّ المـنفيّ، ولا يُـجَمَّرُ فـي البـعوث،

ويوفَّر الفيء، وعلي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين، وعلى عثمان الوفاء بما في هذا الكتاب.

وشهد فيه كلّ من الزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب خالد بن زيد، وكان توقيعه والشهادة عليه سنة (٣٥هـ)[١].

واستلم الثُّوّار الكتاب، وانصرفوا إلى جماعتهم، وطلب الإمام من عثمان أن يخرج إلى الناس ويعلن لهم تنفيذ ما أرادوا، ففعل عثمان ذلك، وقد أعطاهم عهد الله وميثاقه أن يسير فيهم بكتاب الله وسنّة نبيّه، ويوفّر لهم الفيء ولا يؤثر به أحداً من بني أُميّة، وقفل المصريون راجعين إلى بلادهم[٢].

نقضه للعهد:

لكنَّ عثمان نقض ما قطعه على نفسه ولم يَفِ للمسلمين بما عاهدهم عليه، أمّا سبب ذلك فتعزوه مصادر التاريخ إلى مروان الذي كان وزيراً ومستشاراً له، فقد لامه على ما أعطاه للمصريين من العهد وطلب منه نقض ذلك، فامتنع من إجابته إلّا أنّه أصر عليه، فاستجاب له، فخرج إلى الناس واعتلى المنبر وقال:

أمّا بعد، إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر، فلمّا تيقّنوا أنّه باطل ما بلغهم رجعوا إلى بلادهم....

---

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري ٥ : ٦٥.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي، لباقر القرشي ١ : ٣٨٢ ـ ٣٨٤.

وقطع عليه ابن العاص كلامه وقال له :

اتّق الله يا عثمان ! فإنّك قد ركبت نهابِيرَ[١] وركبناها مَعَكَ فتب إلى الله نَتُبْ معك .

فصاح به عثمان :

وإنّك هاهنا يابن النابغة ! قَمِلَتْ والله ! جُبَّتُكَ منذ تركتُكَ من العمل .

وارتفعت أصوات الإنكار من جميع جنبات المسجد وهي ذات لهجة واحدة :

اتّق الله يا عثمان !

اتّق الله يا عثمان[٢] !

وانهار عثمان أمام هذا الحشد الهائل من الإنكار ولم يدرِ ما يقول ، ولم يجد بدّاً من إعلان التوبة مرّة ثانية ، فتاب وندم على ما فرّط في أمر نفسه .

استنجاده بمعاوية :

وأحاط الثوّار بعثمان لأنّه لم يُقْلِعْ عن سياسته ، ولا يغيِّر ولا يبدّل أيَّ شيء منها وطالبوه بالاستقالة من منصبه فأبى ، ورأى أنّ خير وسيلة له أن يستنجد بابن عمّه معاوية ليبعث له قوّة عسكرية من أهل الشام تحميه من الثوّار ، فكتب إليه :

---

(١) النهابير : المهالك .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٣٩٥ ، أنساب الأشراف ، للبلاذري ٥ : ٧٤ .

أمّا بعد، فإنّ أهل المدينة قد كفروا، وخلعوا الطاعة ونكثوا البيعة، فابعث إليَّ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ مقاتلة أهل الشام كُلٍّ على صعب وذلول[١].

وحمل الكتاب مسوّر بن مخرمة، وأخذ يجدّ في السير حتى انتهى إلى معاوية، فناوله الكتاب وقال له:

يا معاوية إنّ عثمان مقتول، فانظر فيما كتب به إليك.

وسخر منه معاوية و أجابه:

يا مسوّر، إنّي مصرِّحٌ أنّ عثمان بدأ فعمل بما يحبّ الله ورسوله ويرضاه، ثمّ غيَّر فغيَّر الله عليه، أفيتهيأ لي أن أردّ ما غَيَّر الله عزّوجلّ...؟[٢].

ولم يُبْدِ معاوية أيَّ اهتمام بشأن عثمان، وكان يترقّب قتله ليتّخذ من دمه ورقةً رابحة يطلب بها المطالبة بدمه.

وقد تنكّر معاوية لعثمان، ولم يستجب له في وقت محنته.

يقول الدكتور محمد طاهر درويش:

وإذا كان هناك وزر في قتل عثمان فوزره على معاوية، ودمه في عنقه، ومسؤوليته عن ذلك لا تدفع، فهو أولى الناس به، وأعظم الرجال شأناً في دولته، وقد دعاه فيمن دعا، يستشيره في هذا الأمر، وهو داهية الدهاة، فما نهض إليه برأيه، ولا دافع عنه بجنده، وكأنّه قد استطال ـ كما استطال غيره ـ حياته، فترك الأيّام ترسم بيدها مصيره، وتحدّد نهايته،

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٠٢.

(٢) الفتوح، لابن أعثم ٢: ٤١٧.

فإذا جاز لأحد أن يظن بعليٍّ أو بطلحة والزبير تقصيراً في حقّ عثمان فمعاوية هو المقصّر، وإذا جاز أن يلام أحد غير عثمان فيما جرى فمعاوية هو الملوم[١].

وكتب عثمان رسائل أُخرى إلى أهل الأمصار يستنجد بهم ويطلب منهم المعونة لرفع الحصار عنه، إلّا أنّه لم يستجب لهُ أيُّ أحد منهم لعلمهم بالأحداث الجسام التي اقترفها.

الحصار على عثمان:

وفرض الثُّوّار الحصار على عثمان، وأحاطوا بداره وهم يهتفون بسقوطه، ويطالبونه بالاستقالة من منصبه، وفي أثناء تلك المحنة الحازبة التي أحاطت بعثمان انبرى مروان إلى الثوّار، فأشعل نار الثورة في نفوسهم، ودفعهم إلى الإطاحة بحكم عثمان، قائلاً لهم:

ما شأنكم قَد اجتمعتم؟ كأنّكم قد جئتم لنهب، شاهت الوجوه، أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟! اعزبوا عنّا.

كانت هذه الكلمات الطائشة قد أشعلت فتيل الحرب على عثمان، ونُقِلَتْ إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فخفّ مسرعاً إلى عثمان وقال له:

«أما رَضِيتَ مِن مَروانَ، وَلا رَضِي مِنك إلَّا بِتَحَرُّفِك عَن دِينِك وَعَن عَقلِكَ، مِثلَ جَمَلِ الظَّعِينَةِ يقادُ حَيثُ يُسارُ بِهِ، وَاللهِ! ما مَروانُ بِذِي رأي

---

(١) الخطابة في صدر الإسلام ٢ : ٢٣.

فِي دِينِه وَلا فِي نَفسِهِ، وَأَيمُ اللهِ إنِّـي لَأَراهُ سـيُورِدُك وَلا يُـصْدِرُكَ، وَما أَنا بعائدٌ بَعدَ مَقامِي هذا لِمعُاتَبَتِكَ، أَذهَبتَ شَرَفَكَ، وَغُلِبْتَ عَـلى أَمرِكَ ...».

وتركه الإمام وانصرف عنه، والثُّوّار قد أحاطوا به، والتـفتت نـائلةُ زوجُ عثمان إلى مروان وبني أُميّة، فقالت لهم:

أنتم واللهِ! قاتلوه ومُيتّموا أطفاله.

والتفتت إلى زوجها تحذّره من مروان قائلة له:

إنّك مَتَى أطعتَ مروان قتلك[1].

لقد كان مروان من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى قـتل عـثمان، فـقد أطاعه عثمان إطاعةً عمياء، وهو يدفع بـه إلى المـهالك مـن دون أن يحسّ عثمان بذلك.

يوم الدار:

واندلعت نيران الثورة، فقد نفد صبر الثوّار، فلم يَسْتَقِلْ عـثمان مـن منصبه، وقد أحاطوا بداره، وقد شهروا سيوفهم، فخرج إليـهم مـروان شاهراً سيفه، فبرز إليه عروة بن شُيَيْم الليثي فضربه على قفاه بالسيف، فخرَّ لوجهه صريعاً، وقام إليه عبيد بن رفاعة الزُّرقي، فأراد أن يـقطع رأسه، فعذلته فاطمة الثقفيّة وقالت له:

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ١٤٦، تاريخ الطبري ٣: ٣٩٧، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ١٦٥.

إن كنت تريد قتله فقد قتلته، فما تصنع بلحمه أَن تُبَضِّعه ؟! فاستحيى منها وتركه[١].

وتسلّق الثُّوّار عليه الدار، ولم يكن عنده أحد يدافع عنه، فقد ورمت منه القلوب، ومجّته النفوس، ورماه الناس بالحجارة ونادوه:

لسنا نرميك، بل الله يرميك[٢].

واحتفّ به بعض الأمويين يدافعون عنه.. وقد نشب بينهم وبين الثوّار قتالٌ عنيف، وقد فرّ وانهزم خالد بن عقبة بن أبي معيط من ساحة القتال، وإليه يشير عبد الرحمن بن سيحان بقوله:

يلومُونَني في الدار أَنْ غِبْتُ عنهُمُ وقد فَرَّ عنهُمْ خالدٌ وَهْوَ دارِعُ[٣]

وقتل من أصحاب عثمان زياد بن نعيم الفهري، والمغيرة بن الأخنس، ونيار بن عبد الله الأسلمي، وجماعة[٤].

مصرع عثمان:

وانهزم بنو أُميّة وآل أبي معيط وتركوا عثمان وحده، فأجهز عليه جماعة من المسلمين في مقدّمتهم محمّد بن أبي بكر، فقد قبض على لحيته

---

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٥ : ٣٧.

(٢) الفتوح، لابن أعثم ٢ : ٤٢٧.

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢١ : ٢٢٨. ونسب الشعر إلى أزهر بن سيحان في الاستيعاب، لابن عبد البر ٢ : ٤٢٢ / الترجمة ٦٠٩ «خالد بن عقبة»، وكذلك في أسد الغابة، لابن الأثير ٢ : ٨٩، والإصابة، لابن حجر ١ : ٣٣٧ / الترجمة ٤٤٢ «أزهر بن سيحان»، والوافي بالوفيات، للصفدي ١٣ : ١٥٧ «خالد بن عقبة».

(٤) البداية والنهاية، لابن كثير ٧ : ٢١٠.

وقال له: أخزاك الله يا نعثل[١].

فردّ عليه عثمان: لستُ بنعثل، ولكنّي عبدُ الله وأميرُ المؤمنين.

فقال له محمّد بعنف: ما أغنى عنك معاويةُ وفلان وفلان؟! وأخذ يعدّد بني أُمية...

وتضرّع عثمان إلى محمّد قائلاً له: يابن أخي، دَعْ عنك لحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضتَ عليه.

فأجابه محمّد بعنف: ما أُريد بك أشدّ من قبضي على لحيتك.

وطعنَ محمَّدٌ جبينه بمشقص كان في يده، ورفع كنانة بن بِشْر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أُذُنه حتى دخلت في حلقه، ثمّ علاه بالسيف، ووثب عليه عمرو بن الحمق الخزاعي، فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات، وكسر عمير بن ضابئ البرجمي ضلعين من أضلاعه، وحاولوا حزّ رأسه، فألقت زوجتاه نائلة وابنة شيبة بن ربيعة بأنفسهما عليه، فأمر ابن عُدَيْس البلَويّ بتركه لهما...[٢].

وأُلقيت جثّة عثمان ملطّخة بدمه على الأرض، لم يفزع إليه أحد من الأمويين وآل أبي معيط لمواراته في مقرّه الأخير، وقد بالغ الثوّار في

---

(١) نعثل: هو الطويل اللحية، وقيل: هو رجل يهوديّ كان طويل اللحية، وكان يشبه عثمان، ولذلك سمّي به.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣: ٧٣، تاريخ دمشق، لابن عساكر ٣٩: ٤٠٣ ـ ٤٠٩.

إهانته، فقد ألقوا جثمانه على المزبلة ثلاثة أيام[١] مبالغةً في توهينه وتحقيره، وكلّم بعضُ خواصّه الإمامَ عليه السلام أن يتوسّط إلى الثوّار فيواروه، فكلّمهم الإمام فأذنوا له في دفنه. ووصف جولد تسهير كيفية دفنه بقوله:

وبُسِطَ جثمانه دون أن يغسّل على باب، فكان رأسه يقرع قرعاً، يُقابَلُ بخطوات سريعة من حامليه، وهم يسرعون في ظلام اللّيل، والأحجار ترشقه، واللّعنات تتبعه، ودفنوه في حُشٍّ كوكب[٢]، ولم يسمح الأنصار بمواراته في مقابر المسلمين[٣]، وأمّا غُلاماه اللّذان قُتِلا معه فقد سحبوهما وألقوهما على التلّة فأكلتهما الكلاب[٤][٥].

وبذلك انتهت حياة عثمان بهذه الصورة المروّعة، وقد امتحن بها المسلمون كأشّد وأقسى ما يكون الامتحان، وخلّدت لهم الفتن والمصاعب، وألقتهم في شرّ عظيم، فقد ربح الأمويون بقتله، فقد طالبوا بدمه، كما تذرّعت بالمطالبة بدمه القوى النفعيّة أمثال: طلحة والزبير وعائشة، فقد رفعوه شعاراً لهم وهم الذين أجهزوا عليه.

---

(١) تمام المتون، للصفدي: ٧٩، الاستيعاب، لابن عبد البر ٣: ١٠٤٧ / الترجمة ١٧٧٨، الوافي بالوفيات، للصفدي ٢٠: ٣١، السيرة الحلبية، لبرهان الدين الحلبي ٢: ٢٦٩.

(٢) حش كوكب: اسم بستان لليهود كانوا يدفنون موتاهم فيه.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام: ٤٥.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٤٤١، البداية والنهاية، لابن كثير ٧: ٢١٤.

(٥) حياة الإمام الحسن بن علي، لباقر القرشي ١: ٣٨٤ ـ ٣٩١.

الفصل الثالث
حكومة وخلافة
أمير المؤمنين عليه السلام الحقة

وفيه أُمور :

الأمر الأول
خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

قبل الدخول في صلب الموضوع لابدّ أن نعلم أنّ أحد أسباب قبول الإمام عليه السلام الخلافةَ هو إقامة الحق، وطلب وإصرار الناس منه ذلك، حتى قال عليه السلام:

«لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر ... لألقيتُ حبلها على غاربها»[1].

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك في موارد متعددة، وأنَّ أهم شيء عنده عليه السلام هو إجراء القوانين الإسلامية والوقوف أمام الباطل، وقد قال لابن عباس:

«والله لهي [اشارة إلى نعله] أحبُّ إليَّ من إِمْرَتِكُمْ إلّا أن أُقيم حقاً أو أدفع باطلاً»[2].

ومن المشكلات التي واجهها الإمام عليه السلام في ظلّ حكومته هي البدع والسنن الخاطئة، وابتعاد الأُمة عن سنن رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان الإمام عليه السلام يسعى لإجراء قوانين الإسلام الّتي غُيِّرت، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) نهج البلاغة ١: ٣١ / خ ٣.

(٢) نهج البلاغة ١: ٨٠ / خ ٣٣.

ولكنَّ المشكلات التي واجهها الإمام عليه السلام بسبب الحروب التي تصدى إليها حال دون ذلك، مضافاً إلى عدم تحمّل الأُمّة لعدالة الإمام عليه السلام، وقد أشار إلى ذلك في بعض خطبه عليه السلام حيث قال:

«إنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لَبِستكُم فتنةٌ يربو فيها الصغير، ويَهرمُ فيها الكبير، ويجري الناسُ عليها ويتخذونها سنّةً، فإذا غُيِّر منها شيءٌ قيل: قد غُيِّرتِ السُّنّة، وقد أتى النَّاس منكراً».

وقد أشار عليه السلام إلى ذلك لبعض خواصه وأهل بيته وشيعته حيث قال عليه السلام:

«قد عَمِلت الولاةُ قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله ولو حملتُ النَّاس على تركها وحوَّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لَتَفَرَّق عنّي جُندي، حتَّى أبقى وحدي وقليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وإمامتي في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله».

ثم يشير الإمام إلى واحد وثلاثين مورداً خالفوا فيها أوامر رسول الله، منها مسألة فدك والقطائع إلى أعطاها النبي لبعض الأصحاب وأخذت منهم، وإضافة منزل جعفر للمسجد غصباً، وتحريم طواف النساء والمتعة، وعدم الجهر بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة، والبدع التي أُحدثت في الوضوء والغسل، وصلاة التراويح، حتى قال عن عصيانهم له عليه السلام:

«ما لقيتُ من هذه الأُمّة من الفُرْقَةِ وطاعَةِ أئمَّة الضَّلالة والدُّعاة إلى النار»[1].

---

(١) انظر الخطبة كاملة في الكافي، للكليني ٨: ٥٨ ـ ٦٣/ ح ٢١.

وقال عليه السلام في موضع آخر: «أَما والله لو ثبتت قدماي لغيَّرت أُموراً كثيرةً»[١]، وحتَّى قال عليه السلام: «لا رأي لمن لايُطاعُ»[٢].

استقبال الناس لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام

واستقبل جمهورُ المسلمين خلافَة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بمزيد من السرور والابتهاج، واتّساع الأَمل والرجاء، فقد أيقنوا أنّ الإمام سيُرْجِعُ لهم الحرّيّات المنهوبة، ويحطّم عنهم أركان العبودية التي أقامها الحكم الأموي المهدوم، ويعيد لهم عهد النّبوّة الزاهر الذي انبسطت فيه الرحمة، وعَمَّ فيه العدل والرخاء، وأنّهم سينعمون ـ من دون شك ـ في ظلّ حكمه العادل الذي لا يعرف الأثرة والاستغلال، ولا يميِّز قوماً على آخرين.

لقد وثق الجمهور أنّ الإمام سيحقّق لهم الأهداف النبيلة التي يصبون إليها من تحقيق العدل الاجتماعي والعدل السياسي في البلاد، وتطبيق المبادئ والنظم التي جاء بها الإسلام، والقضاء على جميع الفوارق والامتيازات التي خلّفها عثمان، وقد هبّوا بجميع طبقاتهم إلى الإمام وهم يهتفون باسمه، ويعلنون رغبتهم الملحّة في أن يلي أُمورهم ليحملهم على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء، ونضع بين يدي القرّاء صورة مجملة عن البيعة وعن الأحداث التي رافقتها وهي:

---

(١) التعجب، للكراجكي: ٨٠.

(٢) نهج البلاغة ١: ٧١ / خ ٢٧.

البيعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام

واجتمع المهاجرون والأنصار ومعهم الثوّار وبقية الجماهير، ومن بينهم طلحة والزبير، فهُرِعُوا إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو معتزل بداره، فأحاطوا به من كلّ جانب وقالوا له: يا أبا الحسن، إنّ هذا الرجل قد قُتل، ولابدّ للنّاس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله.

فامتنع الإمام من إجابتهم، وقال لهم: «لا حاجَةَ لِي فِي أَمرِكم، فَمَن اختَرتُم رَضِيتُ بِهِ».

فهتفوا بلسان واحد: ما نختار غيرك.

وكثر إصرار الجماهير على الإمام، ولكنّه لم يستجب لهم، فخرجوا منه ولم يظفروا بشيء، وعقدت القوّات المسلّحة اجتماعاً خاصاً عرضت فيه الأحداث الخطيرة التي تواجه الأُمّة إن بقيت بلا إمام يدير شؤونها، وقد قرّرت إحضارَ المدنيِّين وإرغامهم على انتخاب إمام للمسلمين، فقالوا لهم: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وحكمكم جائز على الأُمّة، فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبع، وقد أجّلناكم يومكم، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلنّ غَداً علياً وطلحة والزبير وأُناساً كثيراً[1].

وفزع المدنيون بعد هذا الإنذار والتهديد إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهم يهتفون بلسان واحد: البيعة... البيعة.

أما ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به من أبناء القرى؟

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ١٩٣.

وأجابهم الإمام بهدوء قائلاً: «**دَعُوني وَالتَمِسُوا غَيرِي**».

ثمَّ أعرب لهم عن السرّ في توقّفه من قبول الخلافة قائلاً: «**أَيها النّاس، إنّا مُستَقبِلُونَ أَمراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلوَانٌ؛ لا تَقُومُ لَهُ القُلُوبُ، وَلا تَثبُتُ عَلَيهِ العُقُولُ**»[1].

لقد عَلِمَ عليه السلام ما دبّ في نفوس الأُمّة من الشّرّ، وما ساد في نفوس زعمائها من الأهواء، لا سيما ولاة عثمان وأُسرته، ومن يمتّ إليهم، فإنّهم جميعاً سيقفون أمامه، ويحولون بينه وبين تحقيق أهدافه العريضة، ولابدّ أن يخلقوا المشاكل والمصاعب في وجه حكومته، لذلك أصرّ على الامتناع من قبول الأمر.

وبيَّن الإمام عليه السلام وجه الأمر، ووضح آفاق حكومته وشروط قبوله، فقال لهم: «**وَاعلَمُوا أَنّي إن أَجَبتُكم رَكبتُ بِكم ما أَعلَمُ، وَلَم أُصغِ إِلَى قَولِ القائِلِ، وَعَتبِ العاتِبِ، وَإِن تَرَكتُمُوني فَأَنَا كَأَحَدِكم؛ وَلَعَلّي أَسمَعُكم وَأَطوَعُكم لِمَن وَلَّيتُمُوهُ أمرَكم**»[2].

وصاحوا به هاتفين: ما نحن بمفارقيك حتّى نبايعك.

وقد وصف عليه السلام مدى انثيالهم عليه، وشدّة إصرارهم وإقبالهم عليه، بقوله: «**فَمَا رَاعَنِي إِلّا وَالنّاسُ كَعُرفِ الضَّبُعِ[3] إِلَيَّ، يَنثَالُونَ عَلَيَّ مِن**

---

(١) و(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٥٦، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ١٩٣، نهج البلاغة ١: ١٨١ / خ ٩٢.

(٣) عرف الضبع: الشعر الكثير الذي يكون على عنق الضبع، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام.

كلِّ جانِبٍ، حَتَّى لَقَد وُطِئَ الحَسَنانِ، وَشُقَّ عِطفايَ[١]، مُجتَمِعِينَ حَولِي كَرَبِيضَةِ الغَنَم[٢]»[٣].

وأجّلهم الإمام إلى صباح اليوم الآخر لينظر في الأمر، فافترقوا على ذلك، وقد خَيَّم الليل على سماء المدينة، وبرك بحمله على بيوتها، فبات المدنيّون ولكنْ في غير هدوء واطمئنان، ولمّا أصبح الصبح اجتمع الناس في الجامع الأعظم، فأقبل الإمام واعتلى أعواد المنبر فخطب فيهم قائلاً:

«أَيها النّاسُ! إنَّ هذا أَمرُكم، لَيسَ لأَحَدٍ فِيهِ حَقٌّ ألا مَن أَمَّرتُم، وَقَدِ افترقنا بِالأمسِ على أَمْرٍ وَكنتُ كارِهاً لأَمرِكم، فَأَبَيتُم إلّا أَن أَكونَ عَلَيكم، أَلا وَإِنَّهُ لَيسَ لِي دُونكم إلَّا مفاتيحُ مالِكُمْ معي، وليس لِي أَن آخُذَ دِرهَماً دُونَكم، فَإِن شِئتُم قَعَدتُ لَكم، وَإِلّا فَلا آخُذُ عَلى أَحَدٍ».

وتعالى هتاف الجماهير بلهجة واحدة: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس.

فقال عليه السلام: «اللّهُمَّ اشهَد عَلَيهِم»[٤].

وتدافع الناس كالموج المتلاطم إلى البيعة، وتقدّم طلحة فبايع بتلك اليد التي سرعان ما نكث بها عهد الله[٥].

---

(١) شقّ عطفاي: أراد أنه خدش جانباه من كثرة زحام الناس عليه من أجل البيعة.

(٢) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف عليه السلام جثومهم بين يديه.

(٣) نهج البلاغة ١: ٣٤ / خ ٣.

(٤) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٥) كانت يد طلحة شلّاء، فتطير منها الإمام، وقال: «ما أخلقه أن ينكث»، فكان كما قال. العقد الفريد، لابن عبد ربّه ٣: ٩٣.

وجاء بعده الزبير فبايع كما بايع رفيقه، وبايعه الوفد المصري، والوفد العراقي، وبايعه الجمهور العامّ، ولم يظفر أحد من الخلفاء بمثل هذه البيعة في شمولها، وعمّت المسرّة جميع المسلمين، وقد وصف الإمام مدى سرور الناس ببيعته بقوله:

«**وَبَلَغَ مِن سُرُورِ النّاسِ بِبَيعَتِهِم إِيَّاي أَنِ ابتَهَجَ بِها الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيها الكَبيرُ، وَتَحامَلَ نَحوَها العَلِيلُ، وَحَسَرَت إِلَيها الكعابُ**»[1].

ووصَفَ حابس بن سعد الطائي البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، فقال: تهافَتَ الناس على عليٍّ بالبيعة تهافُت الفَراش، حتّى ضَلَّت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الشيخ[2].

لقد ابتهج المسلمون ببيعتهم وصيَّ رسول الله وباب مدينة علمه، وعمّت الأفراح جميع أنحاء البلاد، فقد أطلّت على عالم الوجود حكومة العدل والمساواة، وتقلَّد الخلافة إمام الحقّ، وناصر المظلومين، أبو الأيتام الذي واسى الفقراء والمحرومين في سغبهم ومحنهم، القائل في دور حكمه: «**أَأَقنَعُ مِن نَفسي بِأَن يقالَ: هذا أميرالمؤمنين، وَلا أُشكارِكهُم في مَكارِهِ الدَّهرِ، أَو أَكونَ أُسوَةً لَهُم في جُشُوبَةِ العَيشِ!**»[3].

لقد نشرت في ذلك اليوم الخالد ألوية العدالة الكبرى، وتحقّقت الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام في عالم السياسة والحكم،

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ٢٢٢ / خ ٢٢٩.

(٢) صفين، لنصر بن مزاحم : ٦٥.

(٣) نهج البلاغة ٣ : ٧٢ / الكتاب ٤٥.

فلا استغلال ولا مواربة ولا استبداد ولا انقياد للنزعات والعواطف، كلّ ذلك حقّقه ابن أبي طالب في دور خلافته وحكمه.

اضطراب القرشيين :

واستقبلت قريش ـ وسائر القوى المنحرفة عن الحقّ ـ خلافةَ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كثير من الوجوم والقلق والاضطراب، لأنّ الإمام قد وترهم في سبيل الدعوة الإسلامية، وقضى على الكثير من عيونهم ووجوههم، فقد قَتَلَ من أعلام بني أُمية عتبة بن ربيعة جدّ معاوية، والوليد بن عتبة خاله، وحنظلة أخاه، وقتل غير هؤلاء من أقطاب الشرك ودعائم الإلحاد، وذلك ما أوغر به الصدور، وأثار الحفائظ عليه.

مضافاً لذلك أَنَّ سياسة الإمام عليه السلام تتصادم مع مصالحهم ومنافعهم، فإنّها تحارب الأَثَرَة والاستغلال، ولا تقرّ بأَيَّة حال من الأحوال سياسة النَّهب والاستئثار التي سار عليها عثمان، لذلك أظهرت قريش تمرّدها على حكومته، وقد أعرب عن هذه المناحي بأسرها الوليد بن عقبة ومعه الأمويون حين اشترط شروطاً لمبايعة الإمام، فقال للإمام عليه السلام :

إنّك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأمّا سعيد فقتلتَ أباه يوم بدر، وكان أبوه من نور قريش[1]، وأمّا مروان فشتمتَ أباه، وعبتَ على عثمان حين ضَمَّهُ إليه، فنبايع على أن تضع عنّا ما أَصَبْنا، وتعفو لنا عمّا في أيدينا، وتقتل قَتَلَةَ صاحبنا.

---

(١) في الفتوح، لابن أعثم ٢ : ٤٤٣ «وكان سيّد بني أُميّة».

فردّ عليه الإمام عليه السلام مقالته بمنطق الإسلام الذي لا تعيه قريش قائلاً:

«أَمّا ما ذَكَرتَ مِن وَتْرِي إياكم، فالحَقُّ وتَرَكم. وَأَمّا وَضعِي عَنكم ما فِي أَيدِيكم، فَلَيسَ لِي أَن أَضَعَ حَقَّ اللهِ عَنكم وَلا عَن غَيرِكم. وَأَمّا إعفائِي عَمّا فِي أَيدِيكم، فَما كَانَ لِلهِ وَلِلمُسلِمِينَ فَالعَدلُ يسَعُكُمْ. وَأَمّا قَتلِي قَتَلَةَ عُثمانَ، فَلَو لَزِمَنِي قَتْلُهُمُ اليومَ لَزِمَنِي قِتالُهُم غَداً، وَلكنْ لَكم أَن أَحمِلَكم عَلى كتابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبيِّهِ، فَمَن ضاقَ عَلَيهِ الحَقُّ فالباطِلُ عَلَيهِ أَضْيَقُ، وَإِن شَئتُم فَالحَقُّوا بِملاحِقِكُمْ»[1].

إنّ قريشاً تريد المساومة من الإمام على اموال الأُمّة، وتريد منه أن ينحرف عن خطّته القويمة التي تنشد المصلحة العامّة، وحمل الناس على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء، ولكنّ الإمام قد عاهد الله والمسلمين أن يطبّق أحكام القرآن، ويُحْيِي معالم الإسلام، ويسير على ضوء سنّة النبي صلى الله عليه وآله، وأن لا ينصاع للأحداث والظروف مهما كانت قاسية وشديدة، وأن يقف بالمرصاد لكلّ ظالم ومعتدٍ على المسلمين، لذا أظهرت قريش حقدها البالغ على حكومته، وهبّت بأَحلافها وأبنائها على إعلان التمرّد والعصيان.

ويصف ابن أبي الحديد مدى اضطرابهم وقلقهم بقوله: فكانت حاله بعد هذه المدّة الطويلة مع قريش كأنّها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٨ ـ ١٧٩، وانظر الفتوح، لابن أعثم ٢ : ٤٤٣.

وفاة ابن عمّه، من إظهار ما في النفوس، وهيجان ما في القلوب، حتّى إنّ الأخلاف من قريش، والأحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم، فعلوا ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله»[١].

لقد امتُحِنَ الإمام امتحاناً عسيراً بهؤلاء العتاة الذين لم ينفذ الإسلام إلى قلوبهم ومشاعرهم، وقد أُترعت نفوسهم بالحقد عليه، لأنّه وقف إلى جانب النبي ﷺ يحمي دعوته، ويصدّ عنه اعتداء الغادرين والمعتدين، وأطاح برؤوس الكافرين والملحدين منهم، وقد أعرب عن مدى استيائه منهم بقوله:

«مالِي وَلِقُرَيشٍ! وَاللهِ! لَقَد قاتَلتُهُم كَافِرِينَ، وَلأُقاتِلَنَّهُم مَفتُونِينَ... وَاللهِ! لأَبقُرَنَّ الباطِلَ حَتَّى يَظْهَرَ الحَقُّ مِن خاصِرَتِهِ! فقل لِقُريش: فَلتَضِجَّ ضَجِيجَها»[٢].

لقد وجدت قريش على الإمام عليه السلام، وحالت بينه وبين حقّه منذ وفاة النبي ﷺ، فصرفت عنه الخلافة تارة إلى تيم، وأُخرى إلى عدي، وثالثة إلى أُميّة، وهي جادّة على أن تخلق الشغب والتمرّد حتّى تُجْهِزَ على حكومته، وقد ظهر ذلك منها في وقعة الجمل وصفّين.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١١ : ١١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١ : ٢٣٣ عن كتاب الجَمَل لأبي مخنف. وانظر قريباً منه في نهج البلاغة ١ : ٨٠ / خ ٣٣، وعن الإرشاد، للمفيد ١ : ٢٤٨.

تخلّف القُعّاد عن البيعة :

وتخلّف جماعة عن البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، سمّاهم المسعودي بـ(القُعّاد)[١]، وسمّاهم أبو الفداء بـ(المعتزلة)[٢].

وسئل الإمام عنهم، فقال: «**أُولئِك قَومٌ قَعَدُوا عَنِ الحَقِّ، وَلَم يقُومُوا مَعَ الباطِلِ**»[٣].

وهم: سعد بن أبي وقّاص، وعبد الله بن عمر، وحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وعبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وسلامة بن سلامة، وأُسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة[٤].

وهؤلاء قد انحرفوا عن الحقّ، وضلّوا عن الطريق، فإنّ بيعة الإمام قد قام عليها الإجماع، وليس لهم أيّ عذر في التأخّر عن مبايعته، فتخلّفهم كان خرقاً للإجماع، وخروجاً عن إرادة الأُمّة، وقد فتحوا بذلك باب البغي والتمرّد على حكومة الإمام، وأشعلوا نار الفتنة في البلاد.

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٢ : ٣٨٩.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ : ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) الاستيعاب، لابن عبد ربه الأندلسي ٣ : ١١٢١ / الترجمة ١٨٥٥ «أمير المؤمنين علي بن أبي طالب».

(٤) تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٥١، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ١٩١.

على أنّ بعض المذكورين امتنعوا عن بيعة الإمام عليه السلام على مقاتلة الناكثين، ولم يمتنعوا عن بيعته بالخلافة، وذلك كسعد بن أبي وقاص.

لقد اعتذر سعد بن أبي وقّاص بعذر واهٍ أوهن من بيت العنكبوت، واشترط شروطاً تعجيزية لم ينصّ عليها قرآن ولا سنّة ولا يقرّها عقل، فقال: إنّي لا أُقاتل حتّى يأتوني بسيف مبصر، عاقل، ناطق، ينبئني أنّ هذا مسلم وهذا كافر[1]، وهو اعتذار مهلهل لا يدعمه منطق ولا برهان، فإنّ بيعة الإمام كانت شرعية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، فقد قام بها الإمام عليه السلام وبايعه جمهور المسلمين، ولم تكن بيعته فلتة كبيعة أبي بكر، ولا بإدلاء شخص معين كبيعة عمر، ولم تستند إلى جماعة معيّنة بتخطيط وتدبير مُبَيَّت كبيعة عثمان، فالفئة التي خرجت عليه كانت باغية يجب قتالها كما أمر الله بذلك؛ قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾[2].

ولكنَّ سعداً كان يحمل حقداً على الإمام، وهو الذي وهب صوته في

---

(١) ففي الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢: ٤٤٢ قول سعد لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن، والله ما أشكّ فيك أنّك على الحقّ، ولكنّي أعلم أنّكَ تُنازَعُ في هذا الأمر، والذي يُنازعُكَ فيه هم أهل الصلاة، فإن أحببت أن أبايعك فأعطني سيفاً له لسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر حتّى أقاتل معك مَنْ خالَفَكَ بعد هذا اليوم!!
فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا سعد، أترى لو أنّ سيفاً نطق بخلاف ما نزل به جبرئيل عليه السلام هل كان إلّا شيطاناً؟! ليس هكذا يشترط الناس على واليهم.

(٢) الحجرات: ٩.

الشورى إلى عبد الرحمن بن عوف لإضعاف كفّة الإمام، وأخيراً ندم على ما فرّط في أمره، وودّ أَنْ لَوْ كانَ في ركاب الإمام، وذلك بعد أن رأى استهتار معاوية وقد بلغ أَوْجَهُ، وراح يستخفّ علناً وعلى رؤوس الأشهاد بكلّ القِيَم، حتّى إنّه ضَرَط لسعد بن أبي وقاص[١]!! كما ندم عبد الله بن عمر بعد أن عبث به الحجّاج الثقفي.

فقال عند موته: ما آسَى على شيء إلّا أَنّي لم أُقاتل مع علي عليه السلام الفئة الباغية[٢].

وقد انتقم الله منه، فأراه الذُّلَّ والهوان في أواخر أيّامه، فقد عاش إلى زمن عبد الملك، وقام الحجّاج ليأخذ البيعة لعبد الملك، فجاء عبد الله في آخر الناس لئلّا يراه أحد، فعرف الحجّاج ذلك، فاحتقره واستهان به، وقال له: لِمَ لَمْ تبايع أبا تراب؟ وجئت تبايع آخر الناس عبد الملك؟ أنت أحقر من أن أمدَّ لك يدي، دونك رجلي، فبايع.

ومدّ إليه رجله وفيها نعله فبايعها[٣].

---

(١) وذلك أنّ معاوية طلب من سعد أن يشتم أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك بعد أن استتبت له الأُمور، فرفض سعدٌ ذلك لأحاديث سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام: فلما قال هذه المقالة لمعاوية ونَهَضَ ليقوم ضَرَط له معاوية، وقال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت... انظر مروج الذهب، للمسعودي ٢ : ٦١.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر ٣ : ٩٥٣ / الترجمة ١٦١٢ «عبد الله بن عمر بن الخطاب».

(٣) الكنى والألقاب، لعباس القمي ١ : ٣٦٣، نثر الدرّ، للآبي ٢ : ٦٦.

إنّ هؤلاء القُعّاد يعلمون ـ من دون شك ـ أنّ الحقّ مع علي، وأنّه أولى بالأمر من غيره لنَصِّ النّبيّ ﷺ عليه، ولسابقته في الإسلام، ولعلمه وفقهه وتحرّجه في الدين، ولكنّ الأهواء ودواعي الغرور هي التي باعدت بينهم وبين دينهم، فناصبوا عترة نبيهم، وأبعدوهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله فيها، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الأمر الثاني
مصادرة الأموال المنهوبة

وكانت فاتحة الأعمال التي قام بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن أصدر قراره الحاسم بردّ القطائع التي أقطعها عثمان، وباسترجاع الأموال التي استأثر بها، والأموال التي منحها لذوي قرباه؛ لأنّها أُخذت بغير وجه مشروع، لذلك صودرت أموال عثمان حتّى سيفه ودرعه.

وقد أثارت هذه الإجراءات العادلة سخط الذين استباحوا ونهبوا أموال المسلمين، وتمرّغوا بالدنيا، فقد كتب عمرو بن العاص إلى معاوية رسالة جاء فيها:

ما كنتَ صانعاً فاصنع إذا قَشَرك ابن أبي طالب من كلّ مال تملكه، كما تُقْشَرُ عن العصا لحاها[1].

وأوجس خيفة كلّ من طلحة والزبير ومن شابههما ممّن أقطعهم عثمان ووهبهم الأموال الطائلة والثراء العريض، فخافوا على ما في أيديهم من أن يصدر الحكم بمصادرته، فأظهروا بوادر الشقاق والبغي، وأعلنوا التّمرّد على الإمام، وخرجوا لحربه في وقعة الجمل.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١ : ٢٧٠.

عزل الولاة وإعلان المساواة :

ومضى أمير المؤمنين عليه السلام يؤسّس معالم العدل في البلاد، فأصدر أوامره بعزل ولاة عثمان واحداً بعد واحد، لأنّهم أظهروا الجور والفساد في الأرض، وقد أبى الإمام أن يبقيهم في جهاز الحكم لحظةً واحدةً؛ لأنّ في ابقائهم إقراراً للظلم والطغيان، وقد عزل بالفور معاوية بن أبي سفيان، وقد نصحه جماعةٌ من المخلصين له أن يبقيه على عمله حتّى تستقرّ الحال ثمّ يعزله، فأبى وامتنع من المداهنة في دينه، وقد دخل عليه زياد بن حنظلة ليعرف رأيه في معاوية، فقال له الإمام: تَيسَّر يا زِيادُ.

فقال: لأي شيء يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: لِغَزوِ الشّام.

فقال: الرِّفْقُ والأناة أَمْثَلُ.

ثمّ قال:

ومَن لا يصانِعْ في أُمُورٍ كَثيرةٍ يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطا بِهِنْسَمِ

فأجابه الإمام:

مَتَى تَجمَعِ القلبَ الذَّكي وَصارِماً وَأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ[1]

وعبّأ جيوشه لغزو الشام والقضاء على الحكم الأموي الجاثم عليها، إلّا أنّه فوجئ بتمرّد طلحة والزبير وعائشة، فانشغل بهم، وانصرف إلى القضاء على تمرّدهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٥، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٠٤.

وانطلق رائد العدالة الاجتماعية الكبرى في الأرض فأعلن المساواة العادلة بين جميع المسلمين، سواء في العطاء أو في غيره.

وقد عوتب على خطّته فأجاب: «**أَتَأمُرُونِّي أَن أَطلُبَ النَّصرَ بِالجَورِ فِيمَن وُلِّيتُ عَلَيهِ! واللهِ لا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّماءِ نَجْماً! لَو كَانَ المالُ لي لَسَوَّيتُ بَينَهُم، فَكَيفَ وَإِنَّما المالُ مالُ اللهِ! أَلا وَإِنَّ إِعطاءَ المالِ في غَيرِ حَقِّهِ تَبذِيرٌ وَإِسرَافٌ، وَهُوَ يَرفَعُ صاحِبَهُ في الدُّنيا وَيضَعُهُ في الآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ في النّاسِ وَيُهِينُهُ عِندَ اللهِ**»[1].

إنَّ المساواة التي أعلنها الإمام كانت تهدف إلى إيجاد مجتمع لا تطغى فيه العنصريّات والقوميّات، ولا يوجد فيه بائس ومحروم وعاطل، وينعدم فيه الظلم والطغيان والاستبداد والاستغلال.

إنّ المساواة التي طبّقها الإمام في أيّام خلافته ودور حكمه كانت ترتكز على المفاهيم الإسلاميّة البنّاءة التي تهدف إلى تطبيق العدل السياسي والاجتماعي في الأرض، وإلى القضاء على جميع أفانين الظلم وضروب الجور والاستبداد، وقد هبّت القوى النفعية إلى معارضتها، كما ناجزت الرسول صلى الله عليه وآله في بدء دعوته، وناهضت مَبادِئَهُ وأهدافه.

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٧ / خ ١٢٦.

أسماء ولاته وعماله ﷺ في حكومته المباركة

قبل الدخول إلى تفصيل ولاة أمير المؤمنين ﷺ في الدولة الإسلامية وحكومته المباركة، رأينا من المناسب ذكر أسمائهم أوّلاً بشكل إجماليّ حسب استقرائي الناقص:

ولاته على مكة والمدينة والطائف

١ ـ أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري، على مكة.
٢ ـ قثم بن العباس، على مكة والطائف.
٣ ـ تميم بن عمرو الأنصاري، على المدينة.
٤ ـ سهل بن حنيف الأنصاري، على المدينة.
٥ ـ تمّام بن العباس، على المدينة.
٦ ـ أبو أيوب الأنصاري، على المدينة.
٧ ـ الحارث بن ربيع الأنصاري، على المدينة.

ولاته على اليمن والبحرين وعمان

٨ ـ حبيب بن المنتجب، على اليمن.
٩ ـ عبيد الله بن العباس، على اليمن.
١٠ ـ عمر بن أبي سلمة، على البحرين.
١١ ـ النعمان بن عجلان، على البحرين وعمان.
١٢ ـ حلو بن عوف الأزدي، على عمان.

ولاته على الكوفة

١٣ ـ عمار بن شهاب الثوري.

١٤ ـ أبو موسى الأشعري.

١٥ ـ قرظة بن كعب الأنصاري.

١٦ ـ عقبة بن عمرو الأنصاري.

١٧ ـ هاني بن هوذة.

١٨ ـ عمار بن حسان.

ولاته عليه السلام على البصرة

١٩ ـ عثمان بن حنيف الأنصاري.

٢٠ ـ عبد الله بن العباس.

٢١ ـ أبو الأسود الدئلي.

ولاته على المدائن والنهروان

٢٢ ـ حذيفة اليماني.

٢٣ ـ يزيد بن قيس الأرحبي.

٢٤ ـ لأُم بن زياد.

٢٥ ـ ثابت بن قيس الأنصاري.

٢٦ ـ سعد بن مسعود الثقفي.

٢٧ ـ هبيرة بن النعمان الجعفي.

٢٨ ـ زحر بن قيس الجعفي.
٢٩ ـ عبد الله بن خبّاب بن الأَرَتّ.

ولاته على الموصل والانبار وكسكر والجزيرة وهيت

٣٠ ـ معقل بن قيس الرياحي، على الموصل.
٣١ ـ عبد الرحمان الخثعمي، على الموصل.
٣٢ ـ أشرس بن حسان البكري، على الأنبار.
٣٣ ـ قُدامة بن عجلان الأزدي، على كَسْكَر.
٣٤ ـ القعقاع بن ثور السدوسي الذهلي، على ميسان من كَسْكَر.
٣٥ ـ مالك الأشتر النخعي، على الجزيرة.
٣٦ ـ كميل بن زياد النخعي، على هيت.

ولاته وعماله على مصر

٣٧ ـ محمد بن أبي حذيفة.
٣٨ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري.
٣٩ ـ محمد بن أبي بكر.
٤٠ ـ مالك الأشتر.

ولاته على الأهواز وفارس

٤١ ـ الخرِّيت بن راشد، على الأهواز.

٤٢ ـ عمر بن المفرّغ، على الأهواز.
٤٣ ـ المنذر بن الجارود العبدي، على فارس.
٤٤ ـ أبو ساسان حضين بن المنذر، على فارس.
٤٥ ـ مصقلة بن هبيرة، على فارس.
٤٦ ـ زياد بن أبيه، على فارس.

ولاته وعماله على إصفهان والري وهَمَدان وقزوين

٤٧ ـ مخنف بن سليم الأزدي.
٤٨ ـ يزيد بن قيس الأرحبي.
٤٩ ـ عمرو بن سلمة الأرحبي.
٥٠ ـ ربيع بن خُثيم الثوري الكوفي، على قزوين.
٥١ ـ يزيد بن حجية التيمي، على الري ودَسْتَبَي.

ولاته على خراسان وسجستان (سيستان) وكرمان وأذربيجان

٥٢ ـ جعدة بن هبيرة المخزومي.
٥٣ ـ حريث بن جابر الحنفي ـ أو الجعفي ـ البكري.
٥٤ ـ عبد الرحمان بن أَبْزَىٰ الخزاعي.
٥٥ ـ عبد الرحمن بن جرو الطائي، على سجستان.
٥٦ ـ ربعي بن كأس العنبري التميمي.
٥٧ ـ عبد الله بن أهتم، على كرمان.

٥٨ ـ الأشعث بن قيس، على أذربيجان.

٥٩ ـ قيس بن سعد بن عبادة، على أذربيجان.

٦٠ ـ سعد بن الحارث الخزاعي، على أذربيجان.

وفي الختام نشير إلى بعض رجاله الخلص الذين كانوا حوله ولم يتسلّموا ولاية، بل كانوا من حاشيته ومن المقرّبين إليه من أهل الرأي والتّدبير، وهم:

٦١ ـ عمار بن ياسر.

٦٢ ـ أبو ذر الغفاري.

٦٣ ـ أُويس بن عامر القرني.

٦٤ ـ صعصعة بن صوحان.

٦٥ ـ رشيد الهجري.

٦٦ ـ حجر بن عدي.

الباب الثاني
دور ولاة أمير المؤمنين عليه السلام وعُمّاله سياسياً واجتماعياً في مكة والمدينة

والبحث فيه يقع في فصول :

الفصل الأول : ولاته عليه السلام على مكة والطائف

الفصل الثاني : ولاته عليه السلام على المدينة المنورة

الفصل الثالث : ولاته عليه السلام على اليمن والبحرين وعمان

فأما ولاته وعُمَّاله على مكة والطائف ، فقد وقفنا منهم على اثنين ، هما :

١ ـ أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري

٢ ـ قُثَم بن العباس

الفصل الأول «من الباب الثاني»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على مكة والطائف

عرضنا في مقدمة الكتاب وفي البحوث السابقة أهمّيَة الولاة وواجباتهم، وما يرتبط بهم من الأعمال في ميادين الإصلاح الاجتماعي والسياسي... وبعد هذا نعرض ولاةَ الإمام وعمّاله على الأقطار والأقاليم الإسلامية.

وذكرنا سابقاً أنّ الإمام عليه السلام حينما تسلّم السلطة بعد مقتل عثمان بن عفّان بادر إلى عزل جميع ولاته وعمّاله؛ لأنّهم كانوا مصدر فتنة واضطراب في البلاد الإسلامية، وبعضهم قد استأثر بفيء المسلمين، واستحلّ الخراج، ومن المؤكَّد أنّ منحهم الوظائف المهمّة في الدولة لم يكن عن كفاءة واختيار، وإنّما كان محاباةً وأَثَرَة.

وهنا نعرض ابتداءً ولاته عليه السلام على مكّة والمدينة التي هي عاصمة الدولة الإسلامية، ومركز الثقل فيها، وقد ولّى الإمام عليه السلام عليها خيرة الرجال كفاءة ووعياً وإحاطةً بما تحتاج إليه الأُمة في شؤونها الإدارية والاجتماعية والسياسية، وقد عهد إليهم بتقوى الله وطاعته والسهر على خدمة المواطنين مسلمين وغير مسلمين، وأن يشيعوا بينهم روح المودّة والأُلفة والأمن والرخاء، ليكونوا أُمْثِلَةً مشرقة للحكم الصالح الذي يسعد المجتمع في ظلاله. وكان أوّل من تقلّد منصب الإمارة على مكة المكرمة والطائف هو أبو قتادة الأنصاري ومن بعده قُثَم بن العباس بن عبد المطّلب.

أوّل ولاته وعمّاله على مكّة والطائف أبو قتادة الأنصاري :

أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري الخزرجي، واليه عليه السلام على مكّة المكرّمة:

هو أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المخلصين، شهد معه معركة أُحد وكان أحد فرسانها، وقد لُقِّب فيما بعد بفارس رسول الله صلى الله عليه وآله.

لازم رسول الله صلى الله عليه وآله طيلة حياته، وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وذهابه إلى الرفيق الأعلى صحب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وعُدَّ من خُلّص أصحابه؛ حيث كان من الرجال الذين يعتمد عليهم الإمام عليه السلام، ومن الملتّفين حوله والمدافعين عن حقه أمام خصومه وخاصّة بني أُمية، وقد شارك مع أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل وصفين والنهروان، وكانت شجاعته في هذه المعارك قد أذهلت خصوم الإمام عليه السلام[1].

وقد ولّاه الإمام عليه السلام في أيّام خلافته على أهل مكة وأرسله إليهم، ومن المعروف أنّ أهل مكة لم يكن لهم والٍ ذو شأن من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبما أنّ مكّة المكرّمة كانت تُعدُّ حرماً آمناً فقد اتّخذها جمعٌ من أهل الشَّرف موطناً لهم، وقد اجتمع فيها المخالف والمؤالف، وإذا راجعنا التاريخ

---

(١) الاصابة، لابن حجر العسقلاني ٧: ٢٧٢ / الترجمة ١١٠٤١١، تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ١٢: ٢٠٤، ربيع الأبرار، للزمخشري ٢: ٤٦.

وجدنا بعد توافد عدد من أهل المدينة المنورة والمهاجرين والأنصار وثوّار مصر والكوفة وتقديمهم البيعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ الإمام عليه السلام أرسل الكتب لبعض الولاة الذين تمّ تنصيبهم من قبل عثمان وطلب إليهم أخذ البيعة من المسلمين. وبطبيعة الحال فقد أقدم جملةٌ منهم ـ من العمّال السابقين ـ على الفرار خوفاً من عدالة أمير المؤمنين عليه السلام وأخذه الحقّ منهم.

وحسب رواية البلاذري فإنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعث كتاباً إلى والي مكة «خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي»، والذي كان قد تمّ تنصيبه من قِبَلِ عثمان، وأبقاه الإمام عليه السلام في موقعه وطلب إليه أن يأخذ البيعة من أهلها. بيد أنّ أهل مكّة رفضوا البيعة، لاسيّما لو أخذنا بنظر الاعتبار وجود جمع من المعارضين للإمام عليه السلام فيها، وبما أنّ البيعة كانت قد تمّت للإمام عليه السلام في شهر ذي الحجة، كان جمعٌ من المعارضين قد توجّهوا إلى مكّة لمناسك الحجّ ولم يعودوا إلى أوطانهم بعد، وكان هناك عدّةٌ من ولاة عثمان الذين كانوا قد تيقنوا أنّ الإمام عليه السلام سيقدم على عزلهم إثر الأداء السَّيِّءِ لهم ـ طيلة ولايتهم ـ هؤلاء أيضاً كانوا قد فرّوا إلى مكة.

وبعد أن امتنع أهل مكّة عن البيعة، عمد عبد الله بن الوليد بن زيد[1] وهو شابٌّ من قريش، عمد إلى الكتاب الذي بعثه الإمام عليه السلام إلى خالد بن العاص، ومضغه بفمه وألقاه في بئر زمزم. ويقول الشيخ المحمودي

---

(١) وكان من أنصار عائشة وقُتل في معركة الجمل.

الذي أقدم على تحقيق كتاب أنساب الأشراف للبلاذري : إنّي سعيت مدة ١٦ سنة لأجد أثراً لذلك الكتاب فما عثرت عليه في كتب التاريخ[١]. ثمّ بعد ذلك بايع أهلُ مكّة الإمامَ عليه السلام بعدما عَزَلَ خالدَ بن العاص ونَصَبَ أبا قتادة الأنصاري بعده، وهنا كان أهل جميع المدن قد بايعوا الإمام عليه السلام، سوى معاوية وأهل الشام وبعض المتغطرسين[٢].

أبو قتادة الأنصاري

عمد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى عزل خالد بن العاص بن هشام ـ والذي كان والياً من قبل عثمان على مكة المكرمة ـ ونصب محلّه أبا قتادة الأنصاري.

ووفقاً للرأي الصائب أنّ اسم أبي قتادة الأنصاري هو الحارث بن ربعي، وقد ذُكِرَ أيضاً باسم النعمان بن ربعي[٣]. وقد اعتبره الشيخ الطوسي رحمه الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

وقد ذكر الشيخ الطوسي ؛ ـ في كتاب الرجال ـ النعمانَ بن قتادة بن ربعي من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن ولاته على مكّة المكّرمة[٥].

---

(١) انظر الهامش رقم (١) من أنساب الأشرف بتحقيق الشيخ المحمودي : ٢١١.

(٢) أنساب الأشراف، للبلاذري ٧ : ٧١١، وفيه : فبايَعَ عليّاً أهل الأمصار إلّا ما كان من معاوية وأهل الشام وخواصٍّ من الناس.

(٣) سفينة البحار، للقمي ٢ : ٤٠٦، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢ : ٣٢١.

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢ : ٣٢٢، أعيان الشيعة، للأمين ٢ : ٤١٨.

(٥) رجال الطوسي : ٦٠.

كان أبو قتادة الأنصاري من جملة فرسان رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد دعا له النّبيّ صلى الله عليه وآله، وقد شارك أبو قتادة في الحروب الثلاثة (الجمل والنهروان وصفين) التي شنها الأعداء ضد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[١]. وكان أبو قتادة مصاحباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وذابّاً عنه باعتباره فدائياً ومتعهداً بالحفاظ على حياته عليه السلام، وحين هتف المنادي معلناً بهجوم المشركين على المدينة، ركب رسول الله صلى الله عليه وآله فرسه متعقِّباً العدو، وكان أبو قتادة ممن أسرع في اللحاق به عليه السلام[٢].

وحين ملَك أبو بكر الخلافة، وارتكب خالد بن الوليد المجزرة بحق الشهيد مالك بن نويرة وقومه، وارتكب جريمة السِّفاح مع زوجته، كان أبو قتادة أوّل من أخبر أبابكر بذلك، وأقسم أنّه لا يخرج إلى أيّة معركة بقيادة خالد، لأنّه قَتَلَ مالكاً والمسلمينَ من قومه[٣].

خطبة أبي قتادة قبل يوم الجمل

إن ما يستفاد من التاريخ أنّ أبا قتادة كان له شرف المشاركة يوم الجمل، وقد تَمَّ نصبه والياً على مكّة لفترة وجيزة من قِبَلِ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثم شارك في يوم الجمل، وقد خاطب أميرَ المؤمنين عليه السلام بقوله: يا أمير المؤمنين، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قلّدني هذا السيف، وقد شِمْتُهُ[٤] فطال

---

(١) سفينة البحار، للقمي ٢ : ٤٠٦، مجمع البحرين، للطريحي ١ : ٢١٢.

(٢) الكافي، للكليني ٥ : ٥٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٢، الغدير، للعلامة الأميني ٧ : ١٥٩.

(٤) شِمْتُهُ : أغمدته.

شَيْمُهُ، وقد أَنَى[١] تجريدُهُ على هؤلاء القوم الظالمين، الَّذين لم يألُـوا الأُمَّةَ غشّاً، فإن أحببتَ أن تقدِّمني فقدِّمني[٢].

وهذا الخطاب لأبي قتادة يدلّل على روح الإيمان والعقيدة الصلبة له تجاه الإمام عليه السلام، كما ويدلِّل على أمر آخر أيضاً؛ وهو أنّه لم يشارك في حربٍ تحت إمرة الثلاثة الذين غصبوا الخلافة قبل الإمام عليه السلام، وقد قال «انني أغمدتُ سيفي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والآن شهرته دفاعاً عن الحق». وبناء على طلبه جعله الإمام عليه السلام على الرجَّالة في حرب الجمل.

وفاة أبي قتادة:

كانت لأبي قتادة مشاركة فاعلة في الحروب التي شُنَّت ضد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد وافته المنيّة سنة أربعين إبّان خلافة الإمـام عليه السلام وهو في سِنِّ السبعين[٣]، وقد صَلَّى الإمام عليه السلام على جثمانه وكَـبَّرَ سـبع تكبيرات، وهذا ما يشير إلى عظمة الرجل وقربه من الله تعالى[٤]. وقد ذهب الواقدي إلى أنَّ وفاته كانت سنة ٥٤ في المدينة المنورة[٥]، إلّا أنَّ القول السابق هو الصحيح.

---

(١) أَنَى: حانَ.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٠، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٢١.

(٣) انظر الإصابة، لابن حجر ٧: ٢٧٣ / الترجمة ١١٠٤١١.

(٤) تنقيح المقال، للمامقاني ١: ٢٤٤، الاستيعاب، لابن عبد البر ٤: ١٧٣٢ / الترجمة ٣١٣٠.

(٥) الإصابة، لابن حجر ٧: ٢٧٤ / الترجمة ١١٠٤١١.

ثاني ولاته على مكة والطائف : قُثَم بن العباس

استعمل الإمام عليه السلام على مكّة المكرّمة ابن عمّه قُثَم بن العباس [بعد أبي قتادة]، وأُمُّه لُبَابة بنت الحارث الهلالية، رُوي أنّها أوّل امرأة أسلمت بعد أُمّ المؤمنين خديجة، وكان أثيراً عند الإمام عليه السلام وذلك لورعه وتقواه، وقد سأله عبد الرحمن بن خالد فقال له:

ما شأن عليٍّ، هل كانت له منزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن للعباس؟ فأجابه: إنّه كان أوّلنا لُحُوقاً، وأشدّنا لُزُوقاً[1]، وقد استعمله على مكّة وبقي فيها حتى استشهد الإمام عليه السلام.

وروى ابن عبد البرّ في كتاب «الاستيعاب» عن عبد الله بن جعفر، قال:

كنت أنا وعبيد الله وقُثَم بن العباس نلعب، فمرَّ بنا رسول الله صلى الله عليه وآله راكباً، فقال: «**ارفعوا إليَّ هذا الفتى**» ـ يعني قُثَم ـ فرُفِعَ اليه، فأردفه خلفه، ثمّ جعلني بين يديه، ودعا لنا. وكان قُثَم آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله، أي آخر من خرج من قبره ممَّن نزل فيه. وكان المغيرة بن شعبة يدَّعي ذلك لنفسه، فأنكر على ابن أبي طالب عليه السلام ذلك وقال: «بل آخر مَنْ خرج من القبر قُثَم بن العباس».

وقال ابن عبد البر: وكان قُثَم والياً لعليٍّ عليه السلام على مكّة بعدما عزل عليٌّ عليه السلام خالدَ بن العاص بن هشام بن المغيره المخزومي ـ وكان واليها

---

(١) أُسد الغابة، لابن الأثير الجزري ٤ : ١٩٧.

لعثمان ـ وولاها أبا قتادة الأنصاري، ثم عزله عنها وولّى مكانه قُثَم بن العباس، فلم يزل واليه عليها حتى قتل الإمام علي عليه السلام.

قال: هذا قول خليفة [بن خياط الشيباني]. قال: ثم استشهد قُثَم بسَمَرقند، كان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية، فقتل هناك سنه ٥٧ للهجرة، وكان قُثَم يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

وذكر الباعوني والطبري أنّه كان والياً على الطائف أيضاً[٢].

رسالة الإمام عليه السلام إلى قُثم بن العباس

كتب الإمام عليه السلام إلى قُثم هذه الرسالة حينما علم أنَّ معاوية دسّ إلى مكّة بعض عملائه يخذّلون الناس عن نصرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويشيعون بينهم أنّ الإمام عليه السلام إمّا قاتل لعثمان، أو خاذل له، وهو لا يصلح للإمامة، وأنّ الصالح للإمامة معاوية بن أبي سفيان[٣]، فكتب إليه الإمام عليه السلام يحذّره من معاوية وأذنابه:

«أمّا بَعد، فَإنَّ عَينِي ـ بِالمَغرِب[٤] ـ كَتَبَ إِلَيَّ يُعلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ عَلَى المَوسِمِ أُناسٌ مِن أَهلِ الشَّامِ العُمي القُلُوبِ، الصُّمِّ الأَسمَاعِ، الكُمْهِ

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البرّ ٣: ٥٥٣. وانظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٤٠.

(٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، للباعوني الدمشقي ٢: ١٢٥، وتاريخ الطبري ٤: ٦٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٣٨.

(٤) أراد بـ«المغرب»: الشام، وسمّي مغرباً لأنّه من الأقاليم الغربية.

الأَبصَارِ[١]، الَّذينَ يلبسون الحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَيـطِيعُونَ المَـخلُوقَ فـي مَعصِيةِ الخَالِقِ، وَيحتَلِبُونَ الدُّنيا دَرَّهَا بِالدِّينِ، وَيشتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبرَارِ وَالمُتَّقِينَ؛ وَلَن يفُوزَ بِالخَيرِ إِلّا عَامِلُهُ، وَلا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلّا فاعِلُهُ. فَأَقِم عَلَى مِا فِي يدَيك قِـيامَ الحَـازِمِ الصَّـلِيبِ[٢]، وَالنّـاصِحِ اللَّبِيبِ، وَالتَّابِعِ لِسُلطَانِهِ، المُطِيعِ لإِمَامِهِ.

وَإِيَّاكَ وَمَا يُعتَذَرُ مِنهُ، وَلا تَكُنْ عِندَ النَّعمَاءِ بَطِراً[٣]، وَلا عِندَ البَأسَاءِ فَشِلاً، وَالسَّلامُ»[٤].

وحكت هذه الرسالة الصفات البارزة لأذناب معاوية وعملائه، وهي:

أنّهم عُمْي القلوب.

صُمُّ الأسماع.

كُمْهُ الأبصار.

يلبسون الباطل بالحقّ.

يطيعون المخلوق بمعصية الخالق.

هذه بعض الصفات السيئة القابعة فيهم، وهي ـ من دون شك ـ تخرجهم عن اطار المؤمنين[٥].

---

(١) الكُمْه: جمع الأَكْمَه، وهو من وُلِدَ أعمى.

(٢) الصليب: الشديد.

(٣) البطر: شدّة الفرح.

(٤) نهج البلاغة، بتعليق محمد عبده ٣: ٥٨ / الكتاب ٣٣.

(٥) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، للشيخ باقر القرشي ١٠: ٨٢.

رسالة أُخرى إلى قُثَم :

وكَتَب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً آخر إلى قُثَم يعلِّمه فيه مكارم الأخلاق، وحُسْن السياسة، ويأمره بإقامة الحجّ، كما يرشده إلى كيفية صرف الأموال، وغير ذلك ممّا سنبيّنه، فكتب عليه السلام إليه :

«أمّا بَعدُ، فَأَقِم لِلنَّاسِ الحَجَّ، وَذَكِّرهُم بِأَيَّامِ اللهِ، وَاجلِسْ لَهُمُ العَصْرَينِ، فَأَفْتِ المُستَفتِي، وَعَلِّمِ الجَاهِلَ، وَذَاكِرِ العَالِمَ. وَلا يكن لَك إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ، ولا حَاجِبٌ إِلّا وَجهُكَ. وَلا تَحجُبَنَّ ذا حَاجَةٍ عَن لِقَائِك بِهَا، فَإِنَّهَا إِن ذِيدَت[1] عَن أَبوَابِك في أَوَّلِ وِردِهَا لَم تُحمَد فِيما بَعدُ عَلَى قَضَائِهَا.

وَانظُر إِلَى مَا اجتَمَعَ عِندَك مِن مَالِ اللهِ فَاصرِفْهُ إِلَى مَن قِبَلَك مِن ذَوِي العِيالِ وَالمَجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الفَاقَةِ وَالخَلَّاتِ وَمَا فَضُلَ عَن ذلِك فَاحمِلهُ إِلَينَا لِنَقسِمَهُ فِيمَن قِبَلَنَا.

وَمُرْ أَهلَ مَكَّةَ أَن لا يأْخُذُوا مِن سَاكِنٍ أَجراً، فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ يقُولُ: ﴿سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ﴾[2].

فَالعَاكِفُ: المُقِيمُ بِهِ، وَالبَادِي: الَّذِي يحُجُّ إِلَيهِ مِن غَيرِ أَهلِهِ.

وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكم لِمَحَابِّهِ، وَالسَّلامُ»[3].

وحفلت هذه الرسالة بجميع مقوّمات الإنسانية، فقد حفلت بما يلي :

---

(١) ذيدت : أي مُنِعَتْ.

(٢) الحج : ٢٥.

(٣) نهج البلاغة ٣ : ١٢٧ ـ ١٢٨ / الكتاب ٦٧.

١ ـ أن يجلس للناس مجلساً عامّاً يعظهم، ويرشدهم للتي هي أقوم، ويجلس لهم صباحاً ومساءً، ويقوم في مجلسه بإفتاء المستفتي، وتعليم الجاهل، ومذاكرة العالم.

٢ ـ أن لا يكون بينه وبين الناس سفير ولا حاجب ولا شرطي ولا بوّاب، وأن يقوم بدوره بقضاء حوائج المحتاجين.

٣ ـ أن ينفق ما عنده من أموال على مكافحة الفقر، وإزالة البؤس، وما فضل من ذلك فيحمله إلى الإمام عليه السلام ليتولّى صرفه في مواضعه.

٤ ـ أن يشيع بين أهل مكّة أن لا يأخذوا أجراً على ساكنٍ؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَ البَادِ﴾[1].

مسير يزيد بن شجرة إلى مكّة :

عن عمرو بن قعين[2]، قال: دعا معاوية يزيد بن شجرة الرَّهاوي فقال: إنّي مُسِرٌّ إليك سرّاً فلا تُطْلِعَنَّ على سرّي أحداً حتّى تخرج من أهل الشام كلِّها، إنّي باعثك إلى أهل الله وإلى حرم الله وأهلي وعشيرتي وبيضتي التي انفلقَتْ عنّي، وفيها جُلُّ من قتل عثمان وسفك دمه، فسر على بركة الله حتى تنزل مكّة، فإنّك الآن تلاقي الناس هناك بالموسم، فادعُ الناس إلى طاعتنا واتّباعنا، فإن أجابوك فاكفف عنهم واقبل منهم، وإن أدبروا عنك فنابذهم وناجزهم وقاتلهم حتى تبلغهم أنّي قد

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، للشيخ باقر القرشي ١٠ : ٨٤.

(٢) في الغارات : عن جابر بن عمرو بن قعين.

أمرتك أن تبلّغ عني، فإنّهم الأصل والعشيرة، وإنّي لاستبقائهم مُحِبٌّ، ولاستئصالهم كاره، ثمَّ صَلِّ بالنّاس وتولَّ أمرَ الموسم.

فقال له يزيد: إنَّك وجَّهتني إلى قومِ اللهِ ومجمعِ الصالحين، فإن رضيتَ أن أسير إليهم وأعمل فيهم برأيي وبما أرجو أن يجمعك الله وإيّاهم به سرتُ إليهم، وإن كان لا يرضيك عنّي إلّا الغَشْم وتجريد السيف وإخافة البريء وردِّ العُذْر فلستُ بصاحبِ ما هناك، فاطلُبْ لهذا الأمر غيري.

فقال له: سِرْ راشِداً فقد رضيتُ برأيك وبسيرتك، وكان رجلاً ناسكاً يتألَّهُ، وكان عثمانيّاً، وكان ممن شهد مع معاوية صفين. فخرج [ابن شجرة] من دمشق مسرعاً وقال: اللهم إن كنتَ قضيتَ أن يكون بين هذا الجيش الذي وجَّهت، وبين أهل حرمك الذي وجهت إليه قتالٌ فاكفنيه، فإنّي لست أُعَظِّمُ قتالَ من شَرِكَ في قتل عثمان خليفتك المظلوم، ولا قتال من خذله، ولكنّي أُعَظِّم القتال في حرمك الذي حَرَّمْت.

فخرج يسير وَقدَّمَ أمامه الحارث بن نمير، فأقبلوا حتّى مَرُّوا بوادي القرى، ثمّ أخذوا على الجحفة، ثمّ مضوا حتّى قدموا مكة في عشر ذي الحجة[1].

وعن عباس بن [سهل بن] سعد الأنصاري، قال: لمَّا سمع قثم بن العباس بدنوّهم منه قبل أن يفصلوا من الجحفة ـ وكان عاملاً لعليٍّ عليه السلام

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي ٣٢: ٥٩ ـ ٦٠، عن الغارات، للثقفي ٢: ٥٠٤ ـ ٥٠٧.

على مكة ـ قام في أهل مكّة وذلك في سنة تسع وثلاثين، فحمد الله وأثنى عليه ودعاهم إلى الجهاد، وقال: بيِّنُوا لي ما في أنفسكم ولا تَغُرُّوني.

فسكت القوم مليّاً فقال: قد بيَّنتم لي ما في أنفسكم. فذهب لينزل، فقام شيبة بن عثمان فقال: رحمك الله أيُّها الأمير لا يقبح فينا أمرك، ونحنُ على طاعتنا وبيعتنا، وأنت أميرنا وابن عمٍّ خليفتنا، فإن تَدْعُنا نجبك فيما أطقنا ونقدر عليه.

فقرّب [قثم] دوابَّهُ وحمل متاعه وأراد التنحّي من مكة، فأتاه أبو سعيد الخدري وقال: ما أردت؟

قال: قد حدث هذا الأمر الذي بلغك، وليس معي جند أمتنع به، فرأيت أن أعتزل عن مكة، فإن يأتني جندٌ أُقاتلْ بهم، وإلّا كنتُ قد تنحَّيت بدمي.

قال له: إنِّي لم أخرج من المدينة حتَّى قدم علينا حاجُّ أهل العراق وتُجَّارهم يخبرون أنَّ الناس بالكوفة قد نُدِبُوا إليك مع معقل بن قيس الرياحي.

قال: هيهات هيهات يا أبا سعيد إلى ذلك ما يعيش أولادنا.

فقال له أبو سعيد: رحمك الله فما عذرك عند ابن عمك، وما عذرك عند العرب؛ انهزمت قبل أن تطعن وتضرب؟!

فقال: يا أبا سعيد، إنَّك لا تهزم عدوك ولا تمنع حريمك بالمواعيد والأماني، إقرأ كتاب صاحبي، فقرأه أبو سعيد فإذا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عليٍّ أميرالمؤمنين إلى قثم بن العباس: سلام عليك.**

أما بعد، فإن عيني بالمغرب كتب إليّ يخبرني أنه قد وُجِّه إلى الموسم ناس من العَرَب، من العُمْي القُلُوب، الصُّمِّ الأسماع، الكُمْهِ الأبصار، الَّذين يلبسون الحق بالباطل، ويطيعون المخلوقين في معصية الخالق، ويَجْلِبُونَ الدُّنيا بالدين، ويتمنَّون على الله جوار الأبرار، وإنّه لا يفوز بالخير إلّا عاملُهُ، ولا يُجْزَى بالسَّيِّء إلّا فاعله. وقد وجهت إليكم جمعاً من المسلمين ذوي بسالة ونجدة مع الحسيب الصليب، الورع التقيّ، معقل بن قيس الرياحي، وقد أمرته باتّباعهم وقَصِّ آثارهم حتَّى ينفيهم من أرض الحجاز.

فقم علي مافي يديك مما إليك مقامَ الصَّليب الحازم، المانع سلطانه، الناصح للأُمَّة، ولا يبلغني عنك وَهنٌ ولا خَوَرٌ وما تعتذر منه، ووطِّنْ نفسك على الصبر في البأساء والضَّرَّاء، ولا تكوننَّ فَشِلاً ولا طائِشاً ولا رِعْديداً، والسلام».

فلمَّا قرأ أبو سعيد الكتاب قال قُثم: ما ينفعني من هذا الكتاب وقد سمعتُ بأنْ قد سَبَقَتْ خيلُهُمْ خيلَهُ؟ وهل يأتي جيشُهُ حتَّى ينقضي أمر الموسم كلِّه؟

فقال له أبو سعيد: إنّك إن أَجهدتَ نفسك في مناصحة إمامك خرجتَ من اللَّائِمة، وقضيتَ الذي عليك من الحقِّ، فإنَّ القوم قد قدموا وأنت في الحرم، والحرمُ حرمُ الله.

فأقام قُثم وجاء يزيد بن شجرة حتَّى دخل مكة، ثم أمر منادياً فنادى في الناس: ألا إنَّ الناس كلّهم آمنون، إلّا من عرض لنا في عملنا وسلطاننا، وذلك قبل التروية بيوم.

فلما كان ذلك مشت قريش والأنصار ومن شهد الموسم من الصحابة وصلحاء الناس فيما بينهما وسألتهما أن يصطلحا، فكلاهما سره ذلك الصلح، فأمّا قثم فإنّه لم يثق بأهل مكة ولا رَأَى أنَّهم يناصحونه، وأمّا يزيد فكان رجلاً متنسِّكاً وكان يكره أن يكون منه في الحرم شرٌّ[1].

وعن عمرو بن محصن، قال: قام يزيد بن شجرة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد يا أهل الحرم ومن حضره، فإنِّي وُجِّهْتُ إليكم لأُصلِّي بكم وأُجَمِّعَ، وآمُرَ بالمعروف وأنهى عن المنكر، فقد رأيتُ والي هذه البلدة كره الصلاة معنا ونحن للصلاة معه كارهون، فإن شاء اعتزلنا الصلاة بالناس واعتزلها وتركنا أهل مكة يختارون لأنفسهم من أحبوا حتّى يصلّي بهم، فإن أَبى فأنا أَأْبَى وأَأْبَى، والّذي لا إله غيره لو شئت لصلّيت بالناس وأخذته حتَّى أردَّه إلى الشام، وما معه من يمنعه، ولكن والله ما أحبُّ أن أستحلَّ حرمة هذا البلد الحرام.

قال: ثم إنّ يزيد بن شجرة أتى أبا سعيد الخدري فقال: رحمك الله القَ هذا الرجل فقل له: لا أب لغيرك، اعتزِلِ الصلاة بالناس وأَعْتَزِلها، ودع أهل مكَّة يختاروا لأنفسهم، فوالله لو أشاء لَبِعْتُكَ وإياهم، ولكنْ والله ما يحملني على ما تَسْمَعُ إلّا رضوان الله واحترام الحرم؛ فإنَّ ذلك أقرب للتقوى وخيرٌ في العاقبة. قال له أبو سعيد: ما رأيت من أهل المغرب أَصْوَبَ مقالاً ولا أحسنَ رأياً منك.

---

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي ٣٢: ٦٠ ـ ٦٢، عن الغارات، للثقفي ٢: ٥٠٧ ـ ٥١٠.

فانطلق أبو سعيد إلى قُثَم فقال: أَلاَ ترى؟ ما أَحْسَنَ ما صنع الله لك! وذكر له ذلك. فاعتزلا الصلاةَ، واختار الناس شيبة بن عثمان فصلَّى بهم. فلمَّا قضى الناس حجَّهم رجع يزيد إلى الشام، وأقبلت خيل عليٍّ عليه السلام فأُخْبِرُوا بعَوْدِ أهل الشام، فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى، فظفروا بنفر منهم وأخذوهم أُسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية[1].

وقال إبراهيم[2]: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الكوفة: «**ما أرى هؤلاء القوم ـ يعني أهل الشام ـ إلّا ظاهرين عليكم**». قالوا: تعلم بماذا يا أميرالمؤمنين؟

قال: «**أرى أُمورهم قد عَلَتْ، وأرى نِيرانَكُمْ قد خَبَتْ، وأراهم جادِّين وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين وأراكم متفرِّقين، وأراهم لصاحبهم طائعين وأراكم لي عاصين. وأيم الله لئن ظهروا عليكم لتَجِدُنَّهُمْ أربابَ سوء لَكُمْ بعدي، كأنّي أنظر إليهم قد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلى بلادهم فيئكم، وكأنّي أنظر إليكم يَكِشُّ بعضُكُم على بعض كشيشَ الضِّباب، لا تمنعون حقّاً ولا تمنعون لله حرمة، وكأنّي أنظر إليهم يقتلون قُرَّاءكم**.

---

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي ٣٢: ٦٢، عن الغارات، للثقفي ٢: ٥١٠ ـ ٥١١.

(٢) هو إبراهيم بن محمد الثقفي، صاحب كتاب الغارات.

وكأنّي بهم يحرمونكم ويحجبونكم، ويُدْنُون أهل الشام دونكم، فإذا رأيتم الحرمان والأَثَرة ووقع السيف، تندَّمتم وتحزَّنتم على تفريطكم في جهادكم، وتذكّرتم ما فيه من الحفظ حين لا ينفعكم التّذْكار»[1].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «**ما لقي أحد من الناس ما لقيت**، ثمَّ بكى عليه السلام[2].

(١) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٣٢: ٦٣، عن الغارات، للثقفي ٢: ٥١١ ـ ٥١٢.

(٢) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٣٢: ٦٣، عن الغارات، للثقفي ٢: ٥٨٣.

الفصل الثاني «من الباب الثاني»
ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة

وهم:

١ ـ تميم بن عمرو الأنصاري
٢ ـ سهل بن حنيف الأنصاري
٣ ـ تمّام بن العباس
٤ ـ أبو أيّوب الأنصاري
٥ ـ الحارث بن ربيع

أوّل ولاته عليه السلام على المدينة المنوّرة : أبو الحسن تميم بن عمرو الأنصاري النَّجَّاري

لقد نصب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تميم بن عمرو ـ وكنيته أبو حبيش أو أبو حَنَش ـ على المدينة المنورة قبل سهل بن حنيف الأنصاري، لأنّ الإمام عليه السلام أرسل سهل بن حنيف إلى الشام والياً عليها، ولكنَّ معاوية أرجعه في وسط الطريق كما سنذكر ذلك في ترجمته.

وقال الشيخ الطوسي في رجاله : إنّ تميم بن عمر من رجال علي عليه السلام ومن عُمَّاله على المدينة المنورة، إلى أن رجع سهل إلى المدينة وصار والياً عليها من قِبَلِ الإمام عليه السلام[1].

وقال الطبراني : تميم بن عبد عمرو أبو الحسن المازني، كان عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام على المدينة حين خرج إليه سهل بن حنيف[2].

وترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب قائلاً : أبو الحسن المازني بن عبد بن عمرو، وقيل : اسمه كنيته لا اسم له غير ذلك، وقيل : اسمه تميم بن عبد عمرو، وقيل : تهيم بن عمرو، مدنيّ له صحبة، يقال : إنّه ممن شهد العقبةَ وبَدْراً.

---

(١) رجال الطوسي : ٥٨ / الترجمة ٤٩٢.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني ٢ : ٦٠.

وأبو الحسن هذا هو القائل لزيد بن ثابت ـ حين قال يوم الدار : يا معاشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين ـ فقال له أبو الحسن : لا والله لا نطيعك فنكون كما قال الله تعالى : ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾[١]، ويقال : بل قال له ذلك النعمان الزرقي[٢].

ثاني ولاته عليه السلام على المدينة المنورة : سهل بن حنيف الأنصاري

لمّا توجه الإمام عليه السلام إلى حرب الجمل سنة ٣٨ للهجرة أقامَ سَهْلاً والياً على يثرب، وهو سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي، وكان من أعلام الصحابة وخيارهم، ومن السابقين لاعتناق الإسلام، شهد بدراً، وثبت يوم أُحد حين انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وبايع النَّبيَّ على الموت، وكان يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالنَّبل فيقول صلى الله عليه وآله : «نَبِّلُوا سهلاً فإنّه سَهْل».

كما شهد الخندق والمشاهد كلّها، وقد ولّاه الإمام بعد ذلك على البصرة.

وحينما كان والياً على المدينة بلغ الإمام عليه السلام أنّ عصابة من أهل المدينة التحقوا بمعاوية، فكتب إليه الإمام عليه السلام هذه الرسالة :

«أَمَّا بَعدُ، فَقَد بَلَغَنِي أَنَّ رِجالاً مِمَّن قِبَلَك يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعاوِيَةَ، فَلا تَأْسَف عَلَى مَا يفُوتُك مِن عَدَدِهِم، وَيذهَبُ عَنك مِن مَدَدِهِم،

---

(١) الأحزاب : ٦٧.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر ٤ : ١٦٣٢ / الترجمة ٢٩١٥.

فَكَفَى لَهُم غَيّاً، وَلَك مِنهُم شافياً، فِرارُهُم مِنَ الهُدَى وَالحَقِّ، وَإيضَاعُهُم[١] إلَى العَمَى وَالجَهلِ؛ وَإنَّما هُمْ أَهلُ دُنياً مُقبِلُونَ عَلَيهَا، وَمُهطِعُونَ[٢] إلَيهَا، قَد عَرَفُوا العَدلَ وَرَأَوهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوهُ، وَعَلِمُوا أنَّ النَّاسَ عِندَنَا فِي الحَقِّ أُسوَةٌ، فَهَرَبُوا إلَى الأَثَرَةِ، فَبُعداً لَهُم وَسُحْقاً! وإنّهم والله لم يَنْفِرُوا من جَوْرٍ، ولم يَلْحَقُوا بَعَدْلٍ، وإنّا لنطمع في هذا الأمر أن يذلِّل اللهُ لنا صَعْبَهُ ويُسَهِّلَ لنا حَزْنَهُ إن شاء الله، والسَّلام»[٣].

وحفلت هذه الرسالة بعدم الحزن والتأثّر على من هرب إلى معاوية، فإنّهم إنّما فرّوا من العدل إلى الجور والظلم، وقد آثروا العمى على الهدى، والباطل على الحقّ، فبعداً لهم وسحقاً.

لقد كان سهل بن حنيف من خيرة الأنصار، ومن طلائع المجاهدين في نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان أثيراً عند الإمام عليه السلام، توفّي سنة (٣٨هـ)، وذلك بعد رجوع الإمام من صفّين، فَوَجَدَ[٤] عليه وقال: «لَو أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ»[٥].

وعدّه البرقي مع أخيه عثمان من شرطة الخميس، وروى ما يدلّ على أنّهما من أهل الجنة، وهو أحد الاثني عشر الذين أنكروا على

---

(١) أي إسراعهم.

(٢) أي مُطَأْطِئُون.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٣١ ـ ١٣٢ / الكتاب ٧٠.

(٤) أي حَزِنَ.

(٥) نهج البلاغة ٤: ٢٦ / الحكمة ١١١.

الخليفة الأول. وعن كتاب محمد بن المثنى بن القاسم، عن ذريح المحاربي، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ سهل بن حنيف كانَ من النُّقباءِ، نقباءِ[1] نبيِّ الله صلى الله عليه وآله الاثني عشر، وما سبقه أحدٌ من قريش ولا من النّاس بمنقبة، وأثنى عليه، وقال: لمّا مات جزع أمير المؤمنين عليه السلام عليه جزعاً شديداً، وصلّى عليه خمس صلوات**»[2].

وروي أنّه كان في بدء الإسلام أوّل سَنَةِ الهجرةِ يكسر أصنام قومه ليلاً ويحملها إلى امرأة فقيرة من الأنصار لا زوجَ لها ويقول لها: احتطبي بهذه، وكان الإمام علي عليه السلام يذكر ذلك عن سهل بعد موته متعجّباً به[3].

وفي الاستيعاب: شهد بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وثبت يوم أُحد وكان قد بايعه يومئذ على الموت، فثبت معه حين انكشف الناس عنه، وجعل ينضح عنه بالنبل، فقال عليه السلام: نَبِّلُوا سهلاً فإنّه سَهْلٌ، ثم صحب علياً من حين بويع له، وإيّاه استخلف الإمام علي عليه السلام على

---

(١) في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد جعل ليلة العقبة كل واحد من الجماعة الذين بايعوه نقيباً على قومه وجماعته؛ ليأخذوا عليهم عهد الإسلام ويعرفونهم شرائطه، وكانوا اثني عشر نقيباً كلهم من الأنصار، وكان سهل من النقباء الّذين اختارهم رسول الله صلى الله عليه وآله. ونقيب القوم كالكفيل والضمين ينقّب عن الأسرار ومكنون الأخبار، وإنما قيل له نقيباً لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف الطريق إلى معرفة أُمورهم. مجمع البحرين ٤: ٣٥٨ باب النون «نقب».

(٢) أي كَبَّر على جنازته خمس تكبيرات في صلاة الميِّت، وكان يصلّي ـ كالنبيّ ـ على من لم يكن موالياً مؤمناً بأربع تكبيرات.

(٣) أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين ٧: ٣٢١.

المدينة حين خرج أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة إلى البصرة، ثم شهد مع عليٍّ صفّين. وولّاه الإمام عليه السلام على فارس فأخرجه أهل فارس، ووجَّه الإمام عليٌّ عليه السلام زيادَ بنَ أبيه فرضوه وصالحوه وأدَّوا الخراج[١].

ولما غدر أصحاب الجمل بأخيه عثمان بن حنيف عاملِ عليٍّ على البصرة ـ وقالت أُمّ المؤمنين : اقتلوه ـ قال : والله لئن هممتم بذلك لأبعثن إلى أخي بالمدينة فلا يُبقي منكم أحداً، فتوقّفوا عن ذلك ونتفوا شعره[٢].

وفي الإصابة : كان من السابقين، واستخلفه عليٌّ على البصرة بعد الجمل، ثم شهد معه صفين، ويقال : آخى النبيُّ عليه السلام بينه وبين عليّ بن أبي طالب[٣].

أقول : لم يؤاخ النّبيّ صلى الله عليه وآله بين علي عليه السلام وبين أحد غير نفسه، ولما آخى النّبيّ صلى الله عليه وآله بين أصحابه إلّا علياً، حاول المنافقون استغلال ذلك، فراحوا يبثّون الدعايات، وحين سمع أمير المؤمنين عليه السلام بافتراءاتهم أراد إبطالها وإدحاض حجّتهم، فذهب للنبيّ صلى الله عليه وآله وقال له : آخيتَ بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال صلى الله عليه وآله : إنّما تركتك لنفسي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى !! فأنتَ أخي في الدُّنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الصفي الحلّيّ :

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢ : ٦٦٢ ـ ٦٦٣ / الترجمة ١٠٨٤. ومثله في أسد الغابة ٢ : ٣٦٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٤٨٥ ـ ٤٩٠، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٢١٦ ـ ٢١٩.

(٣) الإصابة، لابن حجر ٣ : ١٦٥ ـ ١٦٦ / الترجمة ٣٥٤٠.

لو رَأَى مِـثْلَكَ النَّـبيُّ لآخـا ـهُ وإلَّا فأَخْـــطَأَ الإنـــتقادُ

وقال ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٣٧: كان على المدينة سهل بن حنيف، وقيل: تمام بن العباس... وهو [أي سهل بن حنيف] بدريٌّ، وشهد مع عليّ حروبه[١].

فتحصّل أنّه لمّا سار عليٌّ عليه السلام إلى البصرة استخلفه على المدينة، وبعد وقعة الجمل حضر معه صفين، ثمّ ولّاه على فارس، ثمّ ولّاه على المدينة، ثمّ عاد إلى الكوفة وتوفّي بها.

وفي نهج البلاغة: وقد توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين، وكان من أحبّ الناس إليه.

فقال عليه السلام: «**لو أحبّني جبل لتهافت**»، قال الرضيّ رحمه الله: ومعنى ذلك أنّ المحبّة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يُفْعَلُ ذلك إلّا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار، وهذا مثل قوله عليه السلام: «**مَنْ أَحَبَّنا فليستَعِدَّ للفَقْرِ جلبابا**»[٢].

خطابُ سهلٍ استجابةً لعليٍّ عليه السلام

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين أنّه لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى صفّين دعا إلى المسير من كان معه من المهاجرين والأنصار، فاستشارهم، فقال الأنصار بعضهم لبعض: ليَقُمْ رجل منكم فليُجِبْ أميرَ المؤمنين عليه السلام عن جماعتكم، فقالوا: قم يا سهل بن حنيف،

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٢٦ / الرقمان ١١١ و ١١٢.

فقام سهل «فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : يا أمير المؤمنين، نحنُ سِلْمٌ لمن سالمتَ، وحربٌ لمن حاربتَ، ورَأْيُنا رأيُك، ونحن كَفٌّ يـمينك، وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكـوفة فـتأمرهم بـالشّخوص، وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل، فإنّهم هم أهل البلد وهم الناس، فان استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتـطلب، وأمّـا نـحن فليسَ عليك منّا خلاف، متى دَعَوْتَنا أَجْبناك ومَتَى أَمَرْتَنا أَطَعْناك[1].

وقال نصر في كتاب صفين أيضاً : إنّ عليّاً عليه السلام بعث سهل بن حـنيف يوم صفين على خيل البصرة[2]. وقال ابن الأثير : على جُنْدِ البصرةِ[3].

ومن أخباره بصفّين أنّه لمّا حَمَلَ أهلُ الشام عـلى مـيمنة عـليٍّ عليه السلام فهزموها أَمَرَ عليٌّ عليه السلام سهلَ بن حنيف فاستقدم فيمن كان مع عليٍّ مـن أهل المدينة[4].

سهل يشهد على خلافة وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام

وهو أحد الشهود الاثـني عشـر الذيـن شـهدوا عـلى إمـامة أمـير المؤمنين عليه السلام وخلافته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله أمام أبي بكر وعمر. قال الطبرسي : وقام إليه ـ إلى أبي بكر ـ سهل بن حنيف، فحمد الله وأثـنى عليه، وذكر النبي فصلّى عليه، ثم قال : يا معشر قريش اشهدوا عَلَيَّ أنّي

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٩٣ ـ ٩٤.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٢٠٨.

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٢٩٤.

(٤) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٢٤٨.

أشهد على رسول الله ﷺ وقد رأيته في هذا المكان ـ يعني مسجده ـ وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: «**أيّها الناس، هذا عَلِيٌّ إمامكم بعدي، وهو وصيّي في حياتي وبعد وفاتي، وقاضي ديني، ومنجز وعدي، وأوّل من يصافحني على حوضي، طوبى لمن اتّبعه ونصره، والويل لمن تخلّف عنه وخذله**» ثم جلس[١].

وفاة سهل بن حنيف الأنصاري:

قال السيّد بحر العلوم: قال اليافعي في تاريخه: وكان سهل رضي الله عنه ذا علم وعقل، ورئاسة وفضل، شهد مع النبي ﷺ بدراً فما بعدها من المشاهد، وثبت معه يوم أُحد وبايعه يومئذٍ على الموت[٢]. وهو من الأصفياء السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ولزموا منهاجه، ومن الاثني عشر الّذين أنكروا على أبي بكر.

استخلفه علي عليه السلام على المدينة حين خرج إلى العراق، واستعمله على فارس، وولاه البصرة، وشهد صفّين مع علي عليه السلام، وكان من شرطة الخميس، وهم الذين اشترطوا على أنفسهم القتال وضمن لهم أمير المؤمنين عليه السلام الجنة، توفّي بالكوفه بعد الانصراف من قتال أهل الشام سنة (٣٨هـ) وكفّنه [أمير المؤمنين عليه السلام] في بُرْدٍ أحمر وحِبَرَة، وكبّر عليه خمساً وعشرين تكبيرة، وقال عليه السلام: «**لو كَبَّرْتُ عليه سبعينَ لكان أهلاً**»[٣].

---

(١) نهج الإيمان: ٥٨٤.

(٢) مرآة الجنان، لليافعي ١: ٣٠٠.

(٣) الفوائد الرجالية، للسيّد بحر العلوم ٣: ٣٤.

وعن الحلبي، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**كَبَّر أميرُ المؤمنين عليه السلام على سهل بن حنيف وكان بدرياً خمس تكبيرات، ثم مشى به ساعة، ثم وضعه ثم كبر عليه خمس تكبيرات أُخر، فصنع به ذلك حتى كبر عليه خمساً وعشرين تكبيرة**»[١].

وفي خبر عقبة: أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**أما بلغكم أنّ رجلاً صلّى عليه عليٌّ عليه السلام فكبر عليه خمساً حتّى صلى خمس صلوات يكبّر في كلّ صلاة خمس تكبيرات. ثمّ قال: إنّه بدريٌّ عقبيٌّ أُحُديٌّ، وكان من النقباء الذين اختارهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الاثني عشر، وكانت له خمس مناقب، فصلّى عليه لكلّ منقبةٍ صلاةً**»[٢].

وفي خبر أبي بصير، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: «**كبَّر رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة سبعين تكبيرة، وكبَّر عليٌّ عندكم على سهل بن حنيف خمساً وعشرين تكبيرة، كلّما أدركه النّاس قالوا: يا أمير المؤمنين لم ندرك الصلاة على سهل، فيضعه ويكبّر عليه حتّى انتهى إلى قبره خمس مرات**»[٣].

فرحمة الله عليه يوم ولد، ويوم عاش، ويوم مات، ويوم يبعث حيّاً.

---

(١) الكافي، للكليني ٣: ١٨٦ / ح ٢، اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١: ١٦٤ ـ ١٦٥ / ح ٧٥.

(٢) تهذيب الأحكام، للطوسي ٣: ٣١٨ / ح ٩٥٨.

(٣) الكافي ٣: ١٨٦ / ح ٣.

ثالث ولاته عليه السلام على المدينة المنوّره: تمام بن العباس بن عبدالمطّلب

ولد تمام بن العباس في المدينة المنوره من أُمٍّ رومية أُمّ ولد، وكانت سيّدة من سادات الروم اسمها سباء أم كثير، تزوّجها العباس وقد ناهز السّتّين عاماً، ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان ولّاهُ أميرُ المؤمنين عليه السلام على المدينة وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة (٣٦هـ)، وكان عليه السلام قد استخلف قبله سهل بن حنيف، ولمَّا توجَّه الإمام عليه السلام إلى العراق لحرب طلحة والزبير خرج عليه السلام وراجزُهُ يقول:

سِيرُوا أَبابِيلَ وحُثُّوا السَّيْرا ... كي تَلْحَقُوا طلحةَ والزُّبَيْرا

إِذْ جَلَبا شرّاً وعافا خَيْرا ... يا رَبِّ أَدْخِلْهُمْ غَداً سَعِيرا[1]

وكان عليه السلام يوم خرج لقتالهما استجلب سَهْلاً لنفسه وولّى مكانه تمام بن العباس، ثمّ عزله وولّى أبا أيوب الأنصاري، وكان تمّام أشدّ الناس بطشاً، صاحب قدرة بدنية كبيرة، وكان للعباس عشرة بنين، ستّة منهم من أُم الفضل أُمامة بنت الحارث الهلالية، وهم: الفضل، وعبدالله، وعبيد الله، وقُثَم، ومعبد، وعبد الرحمان وسابعتهم أم حبيب شقيقتهم، وقد قال عنها النبي صلى الله عليه وآله: «**لو بلغَتْ أُمّ حبيبة بنت العباس وأنا حيٌّ لتزوجتها**»[2]، وعونُ بن العبّاس من غير أُمِّهم، قال أبو عمر: لم أقف

---

(١) الجمل، للمفيد: ١٣٠. والرجز في أنساب الأشراف، للبلاذري: ٢٣٣ منسوب للحجّاج بن غزية الأنصاري.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر ٤: ١٩٢٨ / الترجمة ٤١٣٤ «أم حبيبة ويقال أمّ حبيب أيضاً»، الإصابة، لابن حجر ٨: ٣٧٢ / الترجمة ١١٩٦٠.

على اسم أُمّه، وتمّام وكثير أُمّهما أُم ولد، والحارث أُمُّه من هذيل، فهؤلاء عشرةُ أولادُ العباس، وكان تمّام أصغرهم، وكان العبّاس يحمله ويقول:

تَمُّوا بتَمَّامٍ فَصارُوا عَشَرَةْ يا رَبِّ فاجعَلْهُمْ كِراماً بَرَرَةً
واجْعَلْ لَهُمْ ذِكْراً وأَنْمِ الشَّجَرَةً[1]

ويوم تولّى تمّام إمارة المدينة كان فتىً ممتلئَ القُوَّة ذا حماس ونشاط، قد ناهز الثالثة والثلاثين عاماً.

وقد قال تمّام في أمير المؤمنين عليه السلام: كان عليٌّ أشدَّنا برسول الله صلى الله عليه وآله لُزُوقاً، وأوَّلَنا به لحوقاً[2].

وقد روى تمّام الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تَدْخُلُوا عَلَيَّ قُلْحاً**»، القُلْحُ: صُفْرةُ الأسنان «**استاكُو، فلولا أن أَشُقَّ على أُمَّتي لأمرتهم بالسواك عند كلّ الصلاة**». أخرجه البَغَوي في معجمه[3].

وكان لتمّام ولد اسمه جعفر، وكان آخر نَسْلٍ لتمّام هو يحيى بن جعفر بن تمّام، وقد انقرض نسله في زمن المنصور الدوانيقي[4].

---

(١) انظر مجمل ترجمة تمام بن العباس في الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني: ١٥٣.

(٢) العلل، لأحمد بن حنبل ١: ٤٤٤/ ح ٩٩٨. ورواه الضحّاك في الآحاد والمثاني ١: ٢٩٤/ ح ٣٩٩ عن قُثم بن العباس.

(٣) ذخائر العقبى، لأحمد بن عبد الله الطبري: ٢٣٩.

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣: ٤٤٣/ الترجمة ٨٥.

وقال المامقاني: كونه والياً من قبل أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة يدلّ على وثاقته وعدالته[١]، ولم يذكر التاريخ شيئاً عن وفاته وكيفيتها ومكان دفنه.

رابع ولاته عليه السلام على المدينة المنورة: أبو أيّوب الأنصاري

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي النّجّاري، وقد غلبت كنيته اسمه، من كبار الصحابة، حضر بدراً وسائر الغزوات، وهو الذي نزل عنده رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قدم المدينة عند الهجرة الكبرى من مكة المكرمة، وقد خدم النبي صلى الله عليه وآله هو وأُمّه، وكان عنده النّبيّ إلى أن بنى مسجده ومساكنه ثم انتقل إليها[٢]، وهو الذي لبس السلاح وأخذ يحرس خيمة النبي صلى الله عليه وآله ليلةَ بنائه بصفيّة، فلمّا رآه النبي صلى الله عليه وآله صباحاً دعا له وقال: «**اللّهمّ احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني**»[٣].

ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة بعد معركة النهروان، وخرج من المدينة بعد هجوم بسر ابن أرطأة على المدينة وهَدَمَ داره[٤].

---

(١) تنقيح المقال، للمامقاني ١: ١٨٦.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢: ٤٢٤ / الترجمة ٦٠٠، الفوائد الرجالية، للسيّد بحر العلوم ٢: ٣١٨ ـ ٣٢٤.

(٣) السيرة الحلبية، لبرهان الدين الحلبي ٢: ٧٤٩، عيون الأثر، لابن سيد الناس ٢: ٤٠٢.

(٤) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٣٨٣، الفتوح، لابن أعثم ٤: ٢٣١.

وكان من ألمع أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد شهد معه مشاهده كلّها، وكان في ركاب أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل وصفين والخوارج.

قال ابن عبد البر: وكان أبو أيّوب الأنصاري مع علي بن أبي طالب في حروبه كلها[1].

وجاء في الفتوح لابن أعثم الكوفي: إنّه خرج أبو أيوب الأنصاري (في وقعة صفين) حتّى وقف بين الجمعين يسأل البراز فلم يبرز إليه أحد، قال: ونظر إلى معاوية حتّى إذا دنا منه دخل معاوية إلى خيمته وخرج من جانب الخيمة، قال: وقامت أهل الشام في وجه أبي أيّوب فقاتلهم ساعة ورجع إلى موضعه سالماً، ورجع معاويةُ إلى موضعه متغيِّر اللّون.

ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: ويَحْكُم، إنَّ السيوف لم يُؤْذَنْ لها في قتل هؤلاء ولولا ذلك لما وَصَلَ إليّ هذا، ولكن إذا رأيتم مثل هذا فعليكم بالحجارة، فقال رجل من أهل الشام يقال له المبرقع بن منصور: والله يا معاوية لأفعلنّ كما فعل، ولأقتلنّ عليّاً إنْ قدرتُ عليه.

قال: ثم حمل يريد عليّاً، فنظر إليه أبو أيوب فاستقبله بالسيف فنَفَحُه نفحةً أبانَ بها عنقه، فثبتَ رأسُ الشَّاميِّ على الجسد، فظنَّ النّاس أنَّهُ قد اخطأه، قال: وتحرّك الفَرَسُ فسقط الرأس ناحيةً وسقط الرجل ميّتاً، فعجب الناس من ضربة أبي أيوب[2]. وعليه فقد كان أبو أيوب من الموالين والمحامين عن أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢ : ٤٢٥ / الترجمة ٦٠٠.

(٢) الفتوح، لابن أعثم الكوفي ٣ : ٣٤ ـ ٣٥.

وقد آمن أبو أيوب بحقّ أمير المؤنين عليه السلام وأنّه أولى من غيره، وقد انبرى للإنكار على أبي بكر فقال له:

اتّقُوا الله عباد الله في أهل بيت نبيّكم، ورُدُّوا إليهم حقَّهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبيّنا صلى الله عليه وآله، ومجلس بعد مجلس يقول: «أَهلُ بَيتِيَ أَئِمَّتُكُم بَعدي»، ويومئُ إلى عليّ عليه السلام ويقول: «هذا أميرُ البرَرَة، وقاتلُ الكَفَرة، مخذولٌ من خذله، منصورٌ من نصره»، فتوبوا إلى الله من ظلمكم إيّاه، إنّ الله توّابٌ رَحِيمٌ، ولا تتولّوا عنه معرضين[1].

وفي هذا الخطاب دعوة إلى الحق، وجمع كلمتهم، ووحدة صفّهم، إلّا أنّ القوم أعاروا خطابه أُذُناً صمّاء.

النبيُّ ضيفٌ في بيت أبي أيُّوب

هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنوّرة، فلمَّا وصل إليها وأرخى زمام ناقته اجتمعت إليه بنو عمرو بن عوف، فقالوا: يا رسول الله! أقم عندنا... فقال صلى الله عليه وآله:

خَلُّوا عنها فإنّها مأمورة ـ أي الناقة ـ وعدا الأوس والخزرج حول ناقته، ووثبوا مسرعين وأخذوا بزمام ناقته، وطلبوا إليه أن ينزل عليهم، فقال صلى الله عليه وآله:

خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة، حتّى بركت الناقة على باب أبي أيوب الأنصاري ـ رضوان الله عليه ـ فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، فتشرّف أبو

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي ١: ١٠٣.

أيوب بهذه الاستضافه الكريمة، ووثبت أُمُّ أبي أيوب إلى الرَّحْل فحملته فأدخلته منزلها.

وكان أبو أيّوب الأنصاري له منزل أسفل، وفوق المنزل غرفة، فكره أنْ يَعْلُوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! بأبي أنت وأُمّي العُلُوُّ أحبُّ إليك أم السُّفْل؟ فإنّي أكره أن أَعْلُو فوقك، فقال صلى الله عليه وآله:

«**السُّفْلُ أرفقُ بنا لمن يأتينا**»، فلم يزل ساكناً عند أبي أيوب إلى أن بنى مسجده وحُجَرَهُ في المَرْبِد[1].

وعن مناقب ابن شهر آشوب مرفوعاً عن سلمان الفارسي، قال: لمّا قدم النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة تعلّق الناس بزمام الناقة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة، فعلى باب من بَرَكَتْ فأنا عنده**»، فأطلقوا زمامها وهي تهفُّ في المسير، حتّى دخلت المدينة فبركت على باب أبي أَيُّوب الأنصاري، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فانقطعت قلوب الناس حسرةً على مفارقة النبيِّ صلى الله عليه وآله..[2] الخبر.

وظهر من هذه الرواية حكمة نزوله صلى الله عليه وآله عند أبي أيُّوب دون غيره، وهو كونه أَفقر رجل في المدينة، وفي ذلك حِكَمٌ كثيرة، أَولاً: قطع طمع الأغنياء في الميل إليهم دون الفقراء، ثانياً: بيان أنَّ المال لا قيمة له

---

(١) إعلام الورى، للطبرسي ١ : ١٥٣ ـ ١٥٦، الكافي، للكليني ٨ : ٣٣٩ ـ ٣٤٠ / ح ٥٣٦، مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ١ : ١٦٠، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١، أسد الغابة، لابن الأثير ٢ : ٨٠ ـ ٨١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ١ : ١١٥.

عند الله، ثالثاً: جلب قلوب الفقراء، رابعاً: الحثّ على الزهد في الدنيا، خامساً: تعليم الناس التّواضع وعدم احتقار الفقير لفقره وعدم احترام الغنيّ لغناه، سادساً: كسر النفس وحملها على التواضع، إلى غير ذلك[١].

ونزل أبو أيّوب الأنصاري في بعض دور الهاشميين، فدخل عليه ثلاثون نفساً من شيوخ البصرة، فسألوه أن يحدّثهم، فكان ممّا حدث أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما عُرِجَ بي إلى السماء نظرتُ إلى ساق العرش، فإذا مكتوب بالنور: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، أيّدته بعلي ونصرته به، ورأيت أحد عشر اسماً مكتوباً بالنور على ساق العرش بعد علي: الحسن والحسين علياً علياً علياً ومحمد محمد محمد وجعفر وموسى والحسن والحجة، فقلت: إلهي وسيّدي مَنْ هؤلاء الذين أكرمتهم وقرنت أساميهم باسمك؟ فنُوديتُ: يا محمد هم الأوصياء بعدك والأئمة، فطوبى لمحبِّهم والويلُ لمبغضهم**»[٢].

وقال أبو أيّوب:

اعرضوا حبَّ عليٍّ على أولادكم، فمن أحبّه فهو منكم، ومن لم يحبّه فاسْأَلوا أُمَّهُ من أين جاءت به[٣].

---

(١) أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين ٦: ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢) فضائل أمير المؤمنين، لابن عقدة الكوفي: ١٩، كفاية الأثر، للخزاز القمّي: ١١٦ ـ ١١٨.

(٣) علل الشرائع، للصدوق ١: ١٤٥ / الباب ١٢٠، ح ١٢.

وعن سعيد بن المسيب : أنّ أبا أيّوب أبصر من لحية رسول الله أذىً، فنزعه، فأراه إيّاه، فقال صلى الله عليه وآله : «نَزَعَ اللهُ عن أبي أيّوب ما يكره»[١].

روى داود بن أبي صالح، قال: أقبل مروان بن الحكم يوماً فوجد رجلاً واضع وجهه على قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال : أتدري ما تصنع ؟! وأقبل عليه وإذا هو أبو أيّوب الأنصاري، فقال: نعم، جئتُ رسول الله صلى الله عليه وآله ولم آتِ الحَجَر، سمعت رسول الله يقول: «**لا تَبْكُوا على الدِّين إذا وَلِيَهُ أهلُهُ، ولكن ابكوا عليه إذا وَلِيَهُ غيرُ أهله**»[٢].

ولاؤُهُ لأمير المؤمنين عليه السلام ودفاعه عنه

وفي الدرجات الرفيعة أيضاً : روى الخطيب في تاريخه أنَّ علقمة والأسود أتيا أبا أيّوب الأنصاري عند منصرفه من صفّين، فقالا له : يا أبا أيّوب، إنّ الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله تعالى وإكراماً لك حتّى أناخت ببابك دون الناس جميعاً، ثم جئتَ بسيفك على عاتقك تضرب أهل لا إله إلّا الله !

فقال أبو أيّوب : يا هذانِ إنّ الرّائد لا يَكْذِبُ أهله، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي عليه السلام : بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأمّا الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأمّا

---

(١) كنز العمال، للمتقي الهندي ١٣ : ٦١٤ / ح ٣٧٥٦٩، عن تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٦ : ٤٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ٤ : ٥١٥، مسند أحمد ٥ : ٤٢٢، مجمع الزوائد، للهيثمي ٥ : ٢٤٥.

القاسطون فهذا مُنْصَرَفُنا عنهم يعني معاوية وعمرو بن العاص، وأمّا المارقون فهم أهل الطُّرُقات وأَهل السُّعَيْفات وأهل النُّخيلات وأَهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لابدّ لنا من قتالهم إن شاء الله تعالى.

ثم قال: سمعت رسول الله يقول لعمار بن ياسر: «**تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاكَ مع الحقِّ والحقُّ معك، يا عمَّار إن رأيتَ علياً سلَكَ وادياً وسلكَ النّاسُ كُلُّهم وادياً فاسلك مع عليٍّ فإنّه لن يدلِّيك في رَدَى، ولن يُخْرِجَكَ من هُدَى**»[1].

وفي الدرجات الرفيعة: ثم شهد أبو أيّوب وقعة النهروان مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو على مقدّمته يقاتل المارقين أيضاً كما أمره النبي صلى الله عليه وآله بذلك[2].

وروى أبوبكر محمّد بن الحسن الآجُرّي ـ تلميذ أبي بكر والد أبي داود السجستاني ـ في الجزء الثاني من كتاب الشريعة، بإسناده عن علقمة بن قيس والأسود بن يزيد، قالا: أتينا أبا أيّوب الأنصاري فقلنا: يا أبا أيُّوب، إنّ الله تعالى أكرمك بمحمد صلى الله عليه وآله إذ أوحى إلى راحلته فبركت على بابك وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ضيفك، فضيلةٌ فضَّلك الله بها، ثمّ خرجتَ تقاتل مع علي بن أبي طالب!!؟

---

(١) الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني: ٣١٧، عن تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ١٣: ١٨٨.

(٢) الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني: ٣١٩.

فقال : مرحباً بكما وأهلاً وسهلاً، إنّني أُقسم لكما بالله، لقد كان رسول صلى الله عليه وآله في هذا البيت الذي أنتما فيه، وما في البيت غير رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ جالس عن يمينه، وأنا قائم بين يديه وأَنَس؛ إذ حُرِّكَ الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أنس انظُرْ مَن بالباب؟ فخرج أنس ونظر ورجع فقال : هذا عمّار بن ياسر، قال أبو أيّوب : فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**يا أنس افتح لعمّارٍ الطّيّب المطيَّب**»، ففتح أَنس البابَ، فدخل عمّارٌ فسلّم على رسول الله فرد عليه ورحب به، وقال صلى الله عليه وآله : «**يا عمار، سيكون في أُمّتي بعدي هناة واختلاف، حتَّى يختلف السيف فيما بينهم، وحتَّى يقتل بعضهم بعضاً ويتبرّأ بعضهم من بعض، فإن رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني ـ يعني علياً ـ فإن سلك النّاس كلّهم وادياً وسلك عليٌّ وادياً فاسلُكْ وادي عليٍّ وَخَلِّ النّاسَ طرّاً، يا عمّار إنّ علياً لا يزال على هدى، يا عمار طاعة عليٍّ طاعتي، وطاعتي طاعة الله تعالى**»[1].

وفاة أبي أيوب وعاقبته

لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن مدفن أبي أيّوب قائلاً : إنّه يدفن عند سور القسطنطينية رجلٌ صالح من أصحابي.

وذهب أبو أيّوب في زمن معاوية إلى حرب الروم، فلمّا وصل إلى ديارهم مرض فوصّى أن يدفن في ملتقى العسكرين عندما تقوم

---

(١) الطرائف، للسيّد ابن طاووس : ١٠١ ـ ١٠٢ / ح ١٤٨، العمدة، لابن بطريق : ٤٥٠ ـ ٤٥١ / ح ٩٣٩.

الحرب، فدُفِنَ هناك بقرب سور اسطنبول، وصار مرقده الشريف مأوىً وملجأً لمرضى المسلمين والنّصارى[١].

وفي الدرجات الرفيعة: كان من كبار الصحابة، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وكان سيّداً معظّماً من سادات الأنصار...[٢] إلى أن قال: وكان أبو أيّوب من السّابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وأنكر على أبي بكر تقدّمه على علي عليه السلام..[٣] إلى أن قال: ولما أخرج معاويةُ جيشاً على الصائفة وهي غزوة الروم ـ وإنّما سميت: الصائفة؛ لأنهم يغزون صيفاً لمكان البرد والثلج ـ خرج معه أبو أيوب الأنصاري رغبةً في جهاد المشركين، فمرض في أثناء الطريق، ولمّا صاروا على الخليج ثقل أبو أيّوب، فأتاه يزيد عائداً، وقال له: ما حاجتك يا أبا أيوب؟ فقال: أمّا دنياكم فلا حاجة لي فيها، ولكنْ إذا متّ فقدّموني ما استطعتم في بلاد العدوّ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**يُدفَنُ عند سور القسطنطينية رجلٌ صالح من أصحابي**»، وقد رجوتُ أن أكونه. ثمّ مات فجهّزوه، وحملوه على سرير، فكانوا يجاهدون والسرير يُحْمَلُ ويُقَدَّم، فجعل قيصر يرى السرير يُحْمَلُ والنَّاسُ يقتتلون، فأرسل إليهم: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: صاحب نبيّنا وقد سَأَلَنَا أن ندفنه في بلادك،

---

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ١: ١٢٢، الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني: ٣١٨ ـ ٣١٩.

(٢) الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني: ٣١٤.

(٣) الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني: ٣١٥.

ونحن منفّذون وصيته. فأرسل إليهم : العجب كُلّ العجب من عقولكم! تعمدون إلى صاحب نبيّكم فتدفنونه في بلادنا، فإذا وَلَّيْتُمْ أخرجناه إلى الكلاب! فقالوا: إنّا والله ما أردنا أن نودعه بلادكم حتّى نودع كلامنا آذانكم، لَئنْ بلغنا أنّه نُبِشَ من قبره، أو عُبِثَ به، إنْ تركنا بأرض العرب نصرانيّاً إلّا قتلناه، ولا كنيسةً إلّا هدمناها. فكتب إليهم قيصر: أنتم كنتم أعلم منّا، فوحقّ المسيح لأحفظنّهُ بيدي سنة. ثمّ دفنوه عند سور القسطنطينية، فبنى عليه قبّة يُسرَجُ فيها إلى اليوم.

واختلف المؤرّخون في السنة التي كانت بها هذه الغزاة. ومات فيها أبو أيوب فقيل : كانت سنة ٤٥، وقيل : كانت سنة ٥٠، وقيل: ٥١، وقيل: سنة ٥٢، والله أعلم[١].

وسئل الفضل بن شاذان عن أبي أيوب وقتاله مع معاوية المشركينَ، فقال: كان ذلك منه قلّة فقه وغفلة، ظنّ أنّه إنّما يعمل عملاً لنفسه يقوّي به الإسلام ويوهن به الشِّرْك، وليس عليه من معاوية مَتَى كان معه أو لم يكن، والله أعلم[٢].

إنّ القتال مع غير إمام الحقّ عليه السلام غير مشروع حتّى لتقوية الإسلام، اللّهمّ إلّا أن يكون بإذن الإمام.

وقد نقل المامقاني كلام العلّامة الطباطبائي رحمه الله في الفوائد الرجالية

---

(١) الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني : ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٢) الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني : ٣٢٠.

المعروفة برجال بحر العلوم في آخر ترجمة الرجل ما لفظه: ونقم بعضُ أصحابنا عليه قتاله مع معاوية ودخوله تحت رايته.

وأُجيب: بأنّه إنّما عمل عملاً لنفسه قاصداً تقوية الإسلام، وليس عليه من معاوية شيء كان أو لم يكن.

أقول: وفي هذا الجواب تأمل.

وهو كما ترى، والأَوْلى أن يقال: إنّ الخطأ في الاجتهاد لا ينافي سلامة الأُصول. انتهى[1].

الخامس من ولاته عليه السلام على المدينة المنورة: أبو زياد الحارث بن الربيع الأنصاري

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: الحارث بن الربيع، كنيته أبو زياد، كان والياً على المدينة المنورة من قبل علي عليه السلام، وهو أحد أفراد قبيلة بني مازن النجار[2]. فهو من الأنصار.

قال ابن الأثير في أسد الغابة: الحارث بن الربيع بن زياد بن سفيان بن عبد الله بن ناشب بن هدم بن عود بن غالب بن قطيعة بن عبس الغطفاني العبسي. روى هشام الكلبي، عن أبي الشغب العبسي، قال: وفد على

---

(١) رجال بحر العلوم ٢: ٣١٨. تنقيح المقال، للمامقاني ٢٥: ١١٧.

(٢) رجال الطوسي: ٦١/الترجمة ٥٢٨.

النبي صلى الله عليه وآله تسعة رهط من بني عبس، وكانوا من المهاجرين الأولين، منهم الحارث بن الربيع بن زياد، فأسلموا، فدعا لهم النبي صلى الله عليه وآله[١].

وكانت لأبيه منزلة خاصه في الجاهلية واحترام من قبل قومه، وكان من الأشراف والشخصيّات المرموقة والمعروفة في العرب[٢].

وهو أحد أعضاء الفرق التسعة من بني عَبسْ الذين هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلموا على يد النبي صلى الله عليه وآله، وقد دعا لهم النبي صلى الله عليه وآله.

قال المامقاني: الحارث بن الربيع بن زياد بن سفيان، كنيته أبو زياد الغطفاني العبسي، ويكفي على وثاقته أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ولّاه واستعمله على الرقاب والأعراض والأموال[٣].

هذا كلّه بناء على اتحاد الحارث بن الربيع الأنصاري النجّاري، مع الحارث بن الربيع الغطفاني العبسي، بأن يكون أحدهما تصحيفاً عن الآخر، وأمّا على القول باقتراقهما فيكون والي أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة هو الأنصاري لا غير[٤].

---

(١) أسد الغابة، لابن الأثير ١ : ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(٢) الإصابة، لابن حجر ١ : ٦٦٧ / الترجمة ١٤٠٧.

(٣) تنقيح المقال، للمامقاني ١ : ٢٤٤.

(٤) انظر قاموس الرجال، للتستري ٣ : ٢٩ / الترجمة ١٦٦٦ و ١١ : ٣٣٦ / الترجمة ٣٦٩ في الكُنى «أبو زياد الغطفاني العبسي».

الفصل الثالث «من الباب الثاني»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على اليمن والبحرين وعمان

فأمَّا اللَّذانِ على اليمن، فهما:

١ ـ حبيب بن المنتجب

٢ ـ عبيد الله بن العباس

وأ مَّا اللَّذان على البحرين، فهما:

١ ـ عمر بن أبي سلمة

٢ ـ النعمان بن عجلان

وأ مّا الذي على عمان، فهو:

حلو بن عوف الأزدي

أوّل والييه على اليمن : حبيب بن المنتجب

كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أقرّه على ولاية اليمن بعدما كان والياً عليها من قبل عثمان بن عفان على أطراف اليمن كما في البحار.

وقال الشيخ عليّ النمازي : كان والياً على بعض أطراف اليمن مِنْ قِبَلِ عثمان، فلمّا مات أقرّه أمير المؤمنين عليه السلام على عمله، وكتب إليه كتاباً يفيد حُسْنَهُ وكمالَهُ وصحّةُ عقيدته[1].

وقد كتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً يقول فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، إلى حبيب بن المنتجب، سلام عليك، أمّا بعد، فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلّا هو، وأُصلّي على محمّد عبده ورسوله، وبعد، فإنّي ولّيتك ما كنتَ عليه لمن كان من قبل، فأَمْسِكْ[2] على عملك، وإنّي أُوصيك بالعدل في رعيّتك، والإحسان إلى أهل مملكتك، واعلم أنّ من وُلِّي على رقابِ عشرةٍ من المسلمين ولم يعدل بينهم حشره الله يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه، لا يفكّها إلّا عدله في دار الدنيا، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على مَنْ قِبَلِكَ من أهل اليمن، وخُذْ لي

---

(١) مستدركات علم الرجال، للشيخ علي النمازي ٢ : ٣٠٤ / الترجمة ٣١٦٦.

(٢) فامكث ـ خ ل.

البيعة على من حَضَرَكَ من المسلمين، فإذا بايع القوم مثلَ بيعة الرضوان فامكث في عملك، وأَنْفِذْ إليّ منهم عشرة يكونون من عقلائهم وفصحائهم وثقاتهم، ممّن يكون أشدّهم عوناً من أهل الفهم والشجاعة، عارفين بالله، عالمين بأديانهم، وما لَهُمْ وما عليهم، وأجودهم رأياً، وعليك وعليهم السلام»[1].

وطوى الكتاب وختمه وأرسله مع أعرابيّ، فلمّا وصل إليه قبّله ووضعه على عينيه ورأسه، فلمّا قرأه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمد وآله، ثمّ قال:

أيُّها النّاس، اعلموا أنّ عثمان قد قضى نحبه، وقد بايع الناس من بعده العبدَ الصالح والإمام الناصح أخا رسول الله ﷺ وخليفته، وهو أحقّ بالخلافة، وهو أخو رسول الله ﷺ وابن عمّه، وكاشف الكرب عن وجهه، وزوج ابنته ووصيّه، وأبو سبطيه، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فما تقولون في بيعته والدخول في طاعته؟

قال: فضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وقالوا: سمعاً وطاعة وحبّاً وكرامة لله ولرسوله ولأخي رسوله. فأخذ له البيعة عليهم عامّة، فلمّا بايعوا قال لهم: أُريد منكم عشرةً من رؤسائكم وشجعانكم أُنفذهم إليه كما أمرني به، فقالوا: سمعاً وطاعة، فاختار منهم مائة، ثمّ من المائة سبعين، ثمّ من السبعين ثلاثين، ثمّ من الثلاثين عشرة فيهم عبد الرحمن

---

(١) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٤٢: ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

بن ملجم المرادي لعنه الله، وخرجوا من ساعتهم، فلمّا أتوه عليه السلام سلّموا عليه وهَنَّؤُوه بالخلافة، فردّ عليهم السلام ورحّب بهم، فتقدّم ابن ملجم وقام بين يديه وقال: السلام عليك أيّها الإمام العادل، والبدر التمام، واللَّيث الهمام، والبطل الضرغام، والفارس القمقام، ومن فضّله الله على سائر الأنام، صلّى الله عليك وعلى آلك الكرام، أشهد أنّك أمير المؤمنين صدقاً وحقّاً، وأنّك وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، والخليفة من بعده، ووارث علمه، لعن الله من جَحَدَ حقّك ومقامك، أصبحتَ أميرها وعميدَها، لقد اشتهر بين البرية عدلك، وهطلت شآبيب[1] فضلك وسحائب رحمتك ورأفتك عليهم، ولقد أَنْهَضَنا الأميرُ إليك، فسُررنا بالقدوم عليك، فبوركت بهذه الطلعة المرضية، وهُنِّئت بالخلافة في الرعيّة.

ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه في وجهه، ونظر إلى الوفد فقرّبهم وأدناهم، فلمّا جلسوا دفعوا إليه الكتاب، ففضّه وقرأه وسُرَّ بما فيه، فأمر لكلّ واحد منهم بحلّة يمانية ورداء عدنيّ وفرس عربيّة، وأمر أن يُفْتَقَدُوا ويُكْرَمُوا، فلمّا نهضوا قام ابن ملجم ووقف بين يديه وأنشد:

أَنْتَ المُيهمنُ والمهذَّبُ ذُو النَّدى ... وابنُ الضَّراغِمِ في الطِّراز الأَوَّلِ

اللهُ خَصَّكَ يا وصيَّ مُحَمَّدٍ ... وَحَباكَ فَضْلاً في الكِتابِ المُنْزَلِ

وَحَباكَ بالزَّهراء بنتِ مُحَمَّدٍ ... حُورِيَّةٍ بنتِ النّبيِّ المُرْسَلِ

---

(١) هطل أي نزل متتابعاً. والشآبيب: جمع الشؤبوب، وهو الدفعة من المطر.

ثمّ قال : يا أمير المؤمنين، ارْمِ بنا حيث شئت لترى منّا ما يسرّك، فوالله ما فينا إلّا كل بطل أَهْيسَ، وحازم أَكْيَس، وشُجاع أَشْوَس[1]، ورثنا ذلك عن الآباء والأجداد، وكذلك نورِّثه صالح الأولاد، قال : فاستحسن أمير المؤمنين عليه السلام كلامه من بين الوفد، فقال له : ما اسمك يا غلام؟

قال : اسمي عبد الرحمن.

قال : ابن من؟

قال : ابن ملجم المرادي.

قال له : أمراديٌّ أنت؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام : إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، قال : وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكرّر النظر إليه ويضرب إحدى يديه على الأُخرى ويسترجع، ثمّ قال له : ويحك أمراديٌّ أنت؟ قال : نعم، فعندها تمثّل عليه السلام يقول :

أنا أُصْفِيكَ منّي بالوِدادِ ... مُكاشَفةً وَأَنْتَ من الأَعادي

أُريدُ حَياتَهُ ويُريدُ قَتْلي ... عَذِيْرُكَ من خَلِيلكَ من مُرادِ[2]

قال الأصبغ بن نباتة : لمّا دخل الوفد إلى أمير المؤمنين عليه السلام بايعوه وبايعه ابن ملجم، فلمّا أدبر عنه دعاه أمير المؤمنين عليه السلام ثانياً، فتوثّق منه

---

(١) الاهيس : الشجاع. الأشوس : الشديد الجريء في القتال.

(٢) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٤٢ : ٢٦٠ ـ ٢٦١.

بالعهود والمواثيق أن لا يغدر ولا ينكث ففعل، ثمّ سار عنه، ثمّ استدعاه ثالثاً ثم توثّق منه، فقال ابن ملجم: يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري.

فقال: امضِ لشأنك، فما أراك تفي بما بايعت عليه.

فقال له ابن ملجم: كأنّك تكره وفودي عليك لِما سمعتَهُ من اسمي؟ وإنّي والله لأُحِبُّ الإقامة معك والجهاد بين يديك، وإنّ قلبي محبٌّ لك، وإنّي والله أُوالي وليّك وأُعادي عدوّك.

قال: فتبسّم عليه السلام وقال له: بالله يا أخا مراد إن سألتك عن شيء تَصْدُقُني فيه؟ قال: إي وعيشك يا أمير المؤمنين، فقال له: هل كان لك داية يهودية فكانت إذا بكيتَ تضربك وتلطمُ جبينك وتقول لك: اسكت فإنّك أشقى من عاقر ناقة صالح، وإنّك ستجني في كبرك جناية عظيمة يغضب الله بها عليك ويكون مصيرك إلى النار؟

فقال: قد كان ذلك، ولكنّك والله يا أمير المؤمنين أحبُّ إليَّ من كلّ أحد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ، ولقد نطقتُ حقّاً وقلتُ صدقاً، وأنت والله قاتلي لا محالة، وستخضبُ هذه من هذه ـ وأشار إلى لحيته ورأسه ـ ولقد قرب وقتك وحان زَمانك.

فقال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين إنّك أَحَبُّ إليّ من كلّ ما طلعت عليه الشمس، ولكن إذا عرفت ذلك منّي فسيّرني إلى مكان تكون ديارك من دياري بعيدة.

فقال عليه السلام : كُنْ مع أصحابك حتّى آذن لكم بالرجوع إلى بلادكم، ثمّ أمرهم بالنزول في بني تميم، فأقاموا ثلاثة أيّام، ثمّ أمرهم بالرجوع إلى اليمن، فلمّا عزموا على الخروج مرض ابن ملجم مرضاً شديداً، فذهبوا وتركوه، فلمّا برئَ أتى أميرَ المؤمنين عليه السلام وكان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، ويسارع في قضاء حوائجه، وكان عليه السلام يكرمه ويدعوه إلى منزله ويقرّبه، وكان مع ذلك يقول له : أنت قاتلي، ويكرّر عليه الشعر :

أُريدُ حياتَهُ ويريدُ قتلي عَذِيرُكَ من خَلِيلِكَ مِنْ مُرادِ

فيقول له : يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك منّي فاقتلني، فيقول : إنّه لا يحلّ ذلك أن أقتل رجلاً قبل أن يفعل بي شيئاً ـ وفي خبر آخر قال : إذا قتلتك فمن يقتلني ؟ ـ قال : فسمعت الشيعة ذلك، فوثب مالك الأشتر والحارث الهَمْدانيّ الأعور وغيرهما من الشيعة، فجرّدوا سيوفهم وقالوا : يا أمير المؤمنين مَنْ هذا الكلب الذي تخاطبه بمثل هذا الخطاب مراراً؟ وأنت إمامنا ووليّنا وابن عمّ نبينا، فمُرْنا بقتله، فقال لهم : اغمدوا سيوفكم بارك الله فيكم ولا تشقّوا عصا هذه الأُمّةَ، أترون أنّي أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً؟

فلمّا انصرف عليه السلام إلى منزله اجتمعت الشيعة وأخبر بعضهم بعضاً بما سمعوا وقالوا : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يُغَلِّس إلى الجامع[1] وقد سمعتم خطابه لهذا المراديّ وهو ما يقول إلّا حقاً، وقد علمتم عدله وإشفاقه

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل. أي يذهب إلى الجامع آخر اللّيل للعبادة والتهجد.

علينا، ونخاف أن يغتاله هذا المرادي، فتعالوا نقترع على أن تحوطه كلَّ ليلة منّا قبيلةٌ، فوقعت القرعة في اللّيلة الأُولى والثانية والثالثة على أهل الكُناس، فتقلّدوا سيوفهم وأقبلوا في ليلتهم إلى الجامع.

فلما خرج عليه السلام رآهم على تلك الحالة، فقال: ما شأنكم؟ فأخبروه، فدعا لهم وتبسّم ضاحكاً وقال: جئتم تحفظوني من أهل السماء أم من أهل الأرض؟ قالوا: من أهل الأرض، قال: ما يكون شيء في السماء إلّا هو في الأرض، وما يكون من شيء في الأرض إلّا هو في السماء، ثمّ تلا: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلّا ما كَتَبَ اللهُ لَنا﴾[1]، ثمّ أمرهم أن يأتوا منازلهم ولايعودوا لمثلها، ثمّ إنّه صعد المأذنة وكان إذا تنحنح يقول السامع: ما أشبهه بصوت رسول الله صلى الله عليه وآله! فتأهّب الناس لصلاة الفجر، وكان إذا أذّن يَصِلُ صوتُهُ إلى نواحي الكوفة كلِّها، ثمّ نزل فصلّى، وكانت هذه عادته[2].

قال: وأقام ابن ملجم بالكوفة إلى أن خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى غزاة النهروان، فخرج ابن ملجم معه وقاتل بين يديه قتالاً شديداً، فلمّا رجع إلى الكوفة وقد فتح الله على يديه قال ابن ملجم لعنه الله: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أتقدّمك إلى المصر لأُبشِّر أهله بما فتح الله عليك من النصر؟

فقال له: ما ترجو بذلك؟

قال: الثواب من الله والشكر من الناس، وأُفرِح الأولياء وأُكْمِد الأعداء.

---

(١) التوبة: ٥١.

(٢) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٤٢: ٢٦١ ـ ٢٦٣.

فقال له : شأنَكَ، ثمّ أمر له بخلعة سنيّة وعمامتين وفرسين وسيفين ورمحين، فسار ابن ملجم ودخل الكوفة، وجعل يخترق أزقّتها وشوارعها وهو يبشّر الناس بما فتح الله على أمير المؤمنين عليه السلام وقد دَخَلَه[1] العُجْب في نفسه، فانتهى به الطريق إلى محلّة بني تميم، فمرّ على دارٍ تُعرف بالقبيلة وهي أعلى دار بها وكانت لقطام بنت سخينة بن عوف بن تيم اللّات، وكانت موصوفة بالحسن والجمال والبهاء والكمال، فلمّا سمعت كلامه بعثت إليه وسألته النُّزُول عندها ساعةً لتسأله عن أهلها.

فلمَّا قرب من منزلها وأراد النزول عن فرسه خرجت إليه، ثمّ كشفت له عن وجهها وأظهرت له محاسنها، فلمّا رآها أعجبته وهواها من وقته، فنزل عن فرسه ودخل إليها، وجلس في دهليز الدار وقد أخذت بمجامع قلبه، فبسطت له بساطاً ووضعت له مُتّكَئاً وأمرت خادمها أن تنزع أخفافه، وأمرت له بماء فغسل وجهه ويديه، وقدّمت إليه طعاماً، فأكل وشرب، وأقبلت عليه تروّحه من الحرّ، فجعل لا يَمَلُّ من النظر إليها، وهي مع ذلك متبسّمة في وجهه، سافرة له عن نقابها، بارزة له عن جميع محاسنها ما ظهر منه وما بطن!

فقال لها : أَيَّتها الكريمة لقد فعلت اليوم بي ما وجب به ـ بل ببعضه ـ عليَّ مدحك وشكرك دهري كلّه، فهل من حاجة أتشرّف بها وأسعى في قضائها؟ قال : فسألته عن الحرب ومن قتل فيه، فجعل يخبرها ويقول :

---

(١) وقد دخل ـ خ ل.

فلان قتله الحسن، وفلان قتله الحسين، إلى أن بلغ قومها وعشيرتها، وكانت قطام لعنها الله على رأي الخوارج وقد قَتَلَ أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الحرب من قومها جماعةً كثيرة، منهم أبوها وأخوها وعَمُّها، فلمّا سمعت منه ذلك صرخت باكية، ثمّ لطمت خدّها وقامت من عنده، ودخلت البيت وهي تندبهم طويلاً، قال: فندم ابن ملجم.

فلمّا خرجت إليه قالت: يَعُزُّ عليَّ فراقهم، من لي بعدهم؟ أفلا ناصر ينصرني ويأخذ لي بثاري ويكشف عن عاري؟ فكُنْتُ أَهَبُ له نفسي وأُمكّنه منها ومن مالي وجمالي، فرقّ لها ابن ملجم وقال لها: غُضّي صوتك وارفقي بنفسك فإنّك تُعْطَيْنَ مرادَكِ.

قال: فسكتت من بكائها وطمعت في قوله، ثمّ أقبلت عليه بكلامها وهي كاشفة عن صدرها ومسبلة شعرها، فلمّا تمكّن هواها من قلبه مال إليها بكليّته، ثمّ جذبها إليه وقال لها: كان أبوك صديقاً لي، وقد خطبتك منه فأنعم لي بذلك، فسبق إليه الموت فزوّجيني نفسك لآخذ لك بثارك، قال: ففرحت بكلامه وقالت: قد خطبني الأشراف من قومي وسادات عشيرتي فما أنعمت إلّا لمن يأخذ لي بثاري، ولمّا سمعت عنك أنّك تقاوم الأقران وتقتل الشجعان أحببتُ أن تكون لي بعلاً وأكون لك أهلاً، فقال لها: فأنا والله كُفْؤٌ كريم، فاقترحي عليَّ ما شئت من مال وفعال، فقالت له: إن قَدِمْتَ على العطيَّةِ والشَّرْط فها أنا بين يديك فتحكّم كيف شئت، فقال لها: وما العطيّة والشرط؟

فقالت له : أمّا العطيّة فثلاثة آلاف دينار وعبدٌ وقَيْنَة[١]، فقال : هذا أنا مليٌّ به، فما الشرط المذكور؟ قالت : نَمْ على فراشك حتّى أعود إليك.

ثمّ إنّها دخلت خدرها فلبست أفخر ثيابها، ولبست قميصاً رقيقاً يرى صدرها وحليتها، وزادت في الحليّ والطِّيب، وخرجت في معصفرها، فجعلت تباشره بمحاسنها ليرى حسنها وجمالها، وأَرْخَتْ عَشْرَ ذوائب من شعرها منظومة بالدّرّ والجوهر، فلمّا وصلت إليه أرخت لثامها عن وجهها، ورفعت معصفرها وكشفت عن صدرها وأَعْكانها[٢] وقالت : إن قدمت على الشَّرْط المشروط ظفرت بها جميعها[٣] وأنت مسرور مغبوط، قال : فمدّ ابن ملجم عينيه إليها فحار عقله وهوى لحينه مغشيّاً عليه ساعة، فلمّا أفاق قال : يا مُنْيَةَ النفس ما شرطك فاذكريه لي؟ فإنّي سأفعله ولو كان دونه قطع القفار وخوض البحار وقطع الرؤوس واختلاس النفوس. قالت له المعلونة : شرطي عليك أن تقتل علي بن أبي طالب عليه السلام بضربة واحدة بهذا السيف في مفرق رأسه، يأخذ منه ما يأخذ ويبقى ما يبقى، فلمّا سمع ابن ملجم كلامها استرجع ورجع إلى عقله وأغاظه وأقلقه، ثمّ صاح بأعلى صوته : ويحك ما هذا الذي واجَهْتِنِي به؟ بئس ما حدّثتك به نفسك من المحال، ثمّ طأطأ رأسه يسيل عرقاً وهو متفكّر في أمره، ثمّ رفع رأسه إليها وقال لها :

---

(١) القينةُ : الأَمَةُ.

(٢) الأعكان : جمع العُكْنة، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن.

(٣) بهذا جميعه ـ خ ل.

ويلك من يقدر على قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟ المُجاب الدعاء، المنصور من السماء، والأرضُ ترجف من هيبته، والملائكة تسرع إلى خدمته، يا ويلك ومن يقدر على قتل عليّ بن أبي طالب وهو مؤيّد من السماء؟ والملائكةُ تحوطه بُكْرةً وعشيّة، ولقد كان في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قاتل يكون جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت بين يديه، فمن هو هكذا لا طاقة لأحد بقتله، ولا سبيل لمخلوق على اغتياله، ومع ذلك أنّه قد أعزّني وأكرمني وأحبّني ورفعني وآثرني على غيري، فلا يكون ذلك جزاؤه منّي أبداً، فإن كان غيره قتلته لك شرَّ قتلة ولو كان أَفْرَسَ أهل زمانه، وأمّا أمير المؤمنين فلا سبيل لي عليه[1].

قال: فصبرت عنه حتى سكن غيظه، ودخلت معه في المداعبة والملاطفة، وعلمت أنّه قد نسي ذلك القول، ثمّ قالت: يا هذا ما يمنعك من قتل علي بن أبي طالب وترغب في هذا المال وتتنعّم بهذا الجمال؟ وما أنت بأعفّ وأزهد من الذين قاتلوه وقتلهم، وكانوا من الصّوّامين والقوّامين، فلمّا نظروا إليه وقد قتل المسلمين ظلماً وعدواناً اعتزلوه وحاربوه، ومع ذلك فإنّه قد قتل المسلمين وحكم بغير حكم الله وخلع نفسه من الخلافة وإمرة المؤمنين، فلمّا رأوه قومي على ذلك اعتزلوه فقتلهم بغير حجّة له عليهم.

---

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي ٤٢: ٢٦٣ ـ ٢٦٦.

فقال لها ابن ملجم : يا هذه كفّي عنّي ، فقد أفسدتِ عليَّ ديني ، وأدخلتِ الشّكّ في قلبي ، وما أدري ما أقول لك ، وقد عزمت على رأيي ، ثمّ أنشد :

ثلاثةُ آلافٍ وعبْدٌ وقَيْنَةٌ ... وضَرْبُ عليٍّ بالحُسامِ المُصَمَّمِ
فلا مَهْرَ أغلا من عليٍّ وإن غَلا ... ولا فَتْكَ إلَّا دُونَ فَتْكِ ابنِ مُلْجَمِ
فأَقسمتُ بالبيتِ الحرامِ ومن أتى ... إليهِ جِهاراً من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ
لَقَدْ أَفْسَدَتْ عقلي قَطام وإنَّني ... لَمِنْها على شكٍّ عَظِيمٍ مُذَمَّمِ
لِقَتْلِ عليٍّ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... أَخي العَلَمِ الهادي النَّبيِّ المُكَرَّمِ

ثمّ أمسك ساعة وقال :

فَلَمْ أَرَ مَهْراً ساقَهُ ذُو سَماحَةٍ ... كَمهْرِ قطَامٍ من فَصِيحٍ وأَعْجَمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعَبْدٌ وقَيْنَةٌ ... وضَرْبُ عليٍّ بالحُسامِ المُصَمَّمِ
فلا مَهْرَ أَغْلا من عَليٍّ وإن غَلا ... ولا فَتْكَ إلَّا دُونَ فَتْكِ ابنِ مُلْجَمِ
فأُقْسِمُ بالبيتِ الحرام ومَنْ أَتَى ... إِلَيْهِ جِهاراً من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ
لَقَدْ خَابَ مَنْ يَسْعَى بِقَتْلِ إمامِهِ ... وَوَيْلٌ له مِنْ حَرِّ نارِ جَهَنَّمِ

إلى آخر ما أنشد من الأبيات ، ثم قال لها : أجِّليني ليلتي هذه حتى أنظر في أمري وآتيك غداً بما يقوى عليه عزمي ، فلمّا همّ بالخروج أقبلت إليه وضمّته إلى صدرها ، وقبّلت ما بين عينيه وأمرته بالاستعجال في أمرها ، وسايرته إلى باب الدار وهي تشجّعه ، وأنشدت له أبياتاً ، فخرج الملعون من عندها وقد سلبت فؤاده وأذهبت رقاده ورشاده ، فبات ليلته قلقاً متفكّراً ، فمرّةً يعاتب نفسه ومرّة يفكّر في دنياه وآخرته .

فلمّا كان وقتُ السَّحَر أتاه طارِقٌ فطرق الباب، فلمّا فتحه إذا برجل من بني عمّه على نجيب، وإذا هو رسول من إخوته إليه يعزّونه في أبيه وعمّه، ويعرّفونه أنّه خلّف مالاً جزيلاً، وأنّهم دعوه سريعاً ليحوز ذلك المال، فلمّا سمع ذلك بقي متحيّراً في أمره، إذ جاءه ما يشغله عمّا عظم عليه من أمر قطام.

فلم يزل مفكّراً في أمره حتّى عَزَمَ على الخروج، وكان له أخوان لأبيه وأُمّه، وأُمُّهُ كانت من زَبِيْد يقال لها عَدَنِيّة، وهي ابنة أبي عليٍّ بنِ ماشوج، وكان أبوه مراديّاً وكانوا يسكنون نجران صنعاء.

فلمّا وصل إلى النجف ذكر قطام ومنزلتها في قلبه فرجع إليها، فلمّا طرق الباب اطّلعت عليه وقالت: من الطارق؟ فعرفته على حالة السفر، فنزلت إليه وسلّمت عليه وسألته عن حاله، فأخبرها بخبره ووعدها بقضاء حاجتها إذا رجع من سفره، وتمليكها جميع ما يجيء به من المال. فعدلَتْ عنه مغضبة، فدنا منها وقبّلها وودّعها، وحلف لها أنه يبلّغها مأمولها في جميع ما سألته، فخرج وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأخبره بما جاؤوا إليه لأجله، وسأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتاباً ليعينه على استخلاص حقّه، فأمر كاتبَهُ فكتب له ما أراد، ثمّ أعطاه فرساً من جياد خيله، ولكنْ ما نفعه كلُّ ذلك الكرم من الإمام، وفَعَلَ تلك الجريمة النكراء بقتله سيد الوصيين أمير المؤمنين عليه السلام أخي رسول الله صلى الله عليه وآله بتلك الضربة التي تهدَّمت منها أركان الهدى وانفصمت العروة الوثقى[1].

---

(١) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٤٢: ٢٦٦ ـ ٢٦٨.

ثاني والِيَيْهِ عليه السلام على اليمن : عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب

وأُمُّهُ وأُمُّ إخوته ـ عبد الله، وقُثم، ومعبد، وعبد الرحمن ـ هي لبابة بنت الحارث بن حزن، من بني عامر بن صعصعة، ومات بالمدينة، وكان جواداً، وأعقب من أولاده : قُثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس، ولّاه أبو جعفر المنصور المدينة المنوّرة، وقبر عبيد الله بن العباس بالمدينة، كما أنّ قبر أخيه عبد الله بالطائف، وقبر قثم بسمرقند، وقبر عبد الرحمن بالشام، وقبر معبد بأفريقية[1]. وقد توفّي عبيد الله بن العباس سنة (٨٥) أو (٨٧) للهجرة في زمن الوليد بن عبد الملك.

وقد استعمله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على اليمن وبقي والياً على اليمن، فجهّز معاوية جيشاً بقيادة المجرم الأثيم بسر بن أبي أرطاة لاحتلال اليمن، وحينما علم عبيد الله بذلك هرب من اليمن إلى الكوفة، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المَدان الحارثي، فألقى عليه القبض بُسْرٌ، وقتله وقَتَلَ ابنَهُ، وعمد إلى طفلين لعبيد الله وهما عبد الرحمن وقُثَم فقتلهما، وقد انبرى إليه رجل من كنانة فقال له :

لِمَ تقتل هذين ولا ذنب لهما ؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما، فقتله ثمّ قتلهما.

وقيل : إنّ الكناني أخذ سيفه وقاتل عن الغُلامين وهو يقول :

الليثُ مَن يَمْنَعُ حافاتِ الدارْ ولا يزالُ مُصْلِتاً دونَ الجارْ

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١ : ٣٤١.

وقاتَلَل حتّى قُتِلَ.

وبادرت إليه نسوة من بني كنانة فقالت له إحداهن :

يا هذا، قتلتَ الرجال فعلامَ تقتل هذين ؟! والله ! ما كانوا يقتلون في الجاهلية والإسلام، والله ! يابن أبي أرطاة إنّ سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الصّبيّ الصغير والشيخ الكبير، ونزع الرحمة وعقوق الأرحام، لَسُلْطانُ سوء[1].

إنّ سلطان معاوية «كسرى العرب»[2] قام على قتل الأطفال والشيوخ، وإشاعة الرعب والخوف بين الناس، وهو سلطان شرّ.

وكانت أُمّ الطفلين وهي جويرية بنت خالد بن قارظ ـ وقيل : عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان ـ قد هامت على وجهها لا تعقل، وكانت تنشد في المواسم هذه الأبيات التي مَثَّلَتْ أساها، وهي :

يا مَن أَحسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هُما ... كالدُّرَّتينِ تَشَظَّى عَنْهُما الصَّدَفُ

يا مَن أَحسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هُما ... مُخُّ العِظامِ فمُخِّي اليومَ مُزْدَهَفُ

يا مَن أَحسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هُما ... قَلْبي وسَمْعي،فَقلْبي اليومَ مُخْتَطَفُ

مَنْ دَلَّ والهةً حَيْرَى مُدلَّهةً ... على صَبِيَّيْنِ ضَلَّا إذ غدا السَّلَفُ ؟

نُبِّئتُ بُسْراً وما صَدَّقْتُ ما زَعَمُوا ... مِنْ إفْكِهِمْ ومِنَ القَوْلِ الَّذي اقْتَرَفُوا

أَحْنَى على وَدَجَيْ اِبْنَيَّ مُرهَفَةً ... من الشِّفارِ كَذاكَ الإثْمُ يُقْتَرَفُ

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

(٢) نعته بهذا النعت اللئيم عمر بن الخطّاب.

ولمّا سمع الإمام عليه السلام بقتل الصبيّين جزع جزعاً شديداً ودعا على بُسر، فقال: «**اللَّهُمَّ اسلُبهُ دينَهُ وعَقله**»، واستجاب الله دعاء الإمام فَقَدْ فَقَدَ عقله، فكان يهذي ويطلب السيف فيؤتى بسيف من خشب، ويُجعل بين يديه زقٌّ منفوخ، فلا يزال يضربه حتى مات[1].

لقد واجه المسلمون في عهد معاوية ألواناً من الجور والإرهاب لم يَرَ المسلمون له نظيراً، فقد أمعن في الظُّلمِ وإرغام الناس على ما يكرهون.

خيانةُ عبيد الله بن العباس للإمام الحسن عليه السلام:

لمَّا خرج الإمام الحسن عليه السلام إلى قتال معاويةَ استخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث، وأمره باستحثاث الناس على اللّحوق به، وسار الإمام الحسن عليه السلام في عسكر عظيم حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس.

ثمّ دعا عبيد الله بن العباس، فقال له: «**يا ابن عمّ، إنّي باعثٌ معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرّاء المصر، الرَّجُلُ منهم يَزِنُ الكتيبة، فسر بهم، وأَلِنْ لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأَدْنِهِمْ من مجلسك، فإنّهم بقيّة ثقات أمير المؤمنين عليه السلام، وسرْ بهم على شطِّ الفرات حتّى تقطع بهم الفرات ثمّ تَصيرُ إلى مَسْكَن، ثمّ امضِ حتّى تستقبل بهم معاوية، فإن أنتَ لقيته فاحبسه حتى آتيك**

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

فإنّي على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، وشاور هذين ـ يعني قيس بن سعد، وسعيد بن قيس ـ وإذا لقيتَ معاوية فلا تقاتله حتّى يقاتلك فإن فعل فقاتله، فإن أُصبتَ فقيسُ بن سعد على الناس، فإن أُصيبَ قَيْسٌ فسعيدُ بن قيس على الناس »[1].

فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور، حتّى خرج إلى شاهي، ثمّ لزم الفرات والفلّوجة حتى أتى مَسْكَن، وأخذ الإمامُ الحسن عليه السلام على حمّام عمر، حتّى أتى دَيْر كعب، ثمّ بكّر فنزل ساباط دون القنطرة.

فأما معاوية فإنّه وافى حتى نزل في قرية يقال له : الحيوضيّة بمسكن، وأقبل عبيد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلمّا كان من غد وجّه معاوية إلى عبيد الله : أنّ الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلّم الأمر إليّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً وإلّا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أن أُعطيك ألف ألف درهم، أُعجّل لك في هذا الوقت نصفها وإذا دخلتُ الكوفة النصف الآخر.

فانسلَّ عبيدُ الله ليلاً فدخل عسكر معاوية، فَوَفَى له بما وعده، وأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلّي بهم، فلم يخرج حتّى أصبحوا، فطلبوه فلم يجدوه، فصلّى بهم قيس بن سعد بن عبادة، ثمّ خطبهم فثبّتهم، وذكر عبيد الله فنال منه، ثمّ أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدوّ، فأجابوه بالطاعة، وقالوا له : انهض بنا إلى عدوّنا على اسم الله، فنهض بهم[2].

---

(١) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني : ٤٠.

(٢) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني : ٤٠ ـ ٤٢.

وخرج إليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفاً، فصاحوا بأهل العراق: ويحكم هذا أميركم قد بايع، وإمامكم الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم؟ فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين: إمّا القتال مع غير إمام، وإمّا أن تبايعوا بيعةَ ضلال، قالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتّى ردّوهم إلى مصافّهم.

وكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنّيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلّا بيني وبينك الرُّمح.

فكتب إليه معاوية لمّا يئس منه: أمّا بعد، فانّك يهوديّ ابن يهوديّ، تُشْقِي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحبُّ الفريقين إليك نبذك وعزلك، وإن ظهر أبغضهما إليك نَكَّلَ بك وقتلك، وقد كان أبوك أَوْتَرَ غيرَ قوسه، ورمى غير غرضه، فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحُورانَ طريداً غريباً، والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد: أمّا بعد، فإنّما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وأقمت فيه فَرَقاً، وخرجَت منه طَوْعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يَقْدُمْ إسلامك، ولم يَحْدُثْ نفاقك، ولم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، وعدوّاً لله ونبيّه والمؤمنين من عباده. وذكرتَ أبي، فلعمري ما أوتر إلّا قوسه، ولا رمى إلّا غرضه، فشغب عليه من لا يَشُقُّ غباره، ولا يبلغ كعبه، وكان أمراً مرغوباً عنه مزهوداً فيه. وزعمت أنّي يهوديّ ابن يهودي، وقد علمتَ وعلمَ الناس أنّي وأبي من أنصار الدِّين الذي خرجتَ منه، وأعداء الدِّين الذي

دخلتَ فيه وصرتُ إليه، والسلام.

فلمّا قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته، فقال له عمرو: مهلاً فإنّك إن كاتبته أجابك بأشدّ من هذا، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس، فأمسك عنه. وبعث معاويةُ عبدَ الله بن عامر وعبدَ الرحمن بن سمرة إلى الإمام الحسن عليه السلام للصلح[١].

وقال أبو الفرج: وقد رُوي أنَّ الإمام الحسن عليه السلام لمَّا صالح معاوية اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف وأبى أن يبايع، فلمَّا بايع الإمام الحسن عليه السلام أُدخل قيس ليبايع، قال: حلفت أن لا ألقاه إلّا وبيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح وبسيف فوُضِعا بينه وبينه ليبرَّ يمينه، ثمّ مسح معاوية يَدَهُ على قيس وما رفَعَ قيسٌ إليه يَدَهُ[٢].

عبد الله بن عبد المَدان الحارثي :

لمّا بلغ عُبيد الله بن العباس أنّ بسر بن أرطأة قَصَدَ اليَمَنَ بجيشه، استخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ـ وهَرَبَ هو إلى الكوفة ـ فأتاه بُسْرٌ فقتله وقَتَلَ ابنه مالكَ بن عبد الله[٣].

---

(١) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني: ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني: ٤٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٨، تاريخ الطبري ٤: ١٠٧، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٣٨٣.

وأما والياهُ على البحرين[١]، فهما :

١ ـ عمر بن أبي سلمة .

٢ ـ النعمان بن عجلان الزرقي .

أوّل والييه على البحرين : عمر بن أبي سلمة المخزومي

ربيب رسول الله ﷺ، أُمّه أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سَلَمَة، يكنّى أبا جعفر، ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة، وقد استعمله الإمام عليه السلام على البحرين، وكان على جانب كبير من الإخلاص والولاء للإمام عليه السلام، وقد أرسلته أُمّه لمساعدة الإمام عليه السلام في حرب الجمل، وقد بعثت معه رسالة إلى الإمام عليه السلام جاء فيها :

أمّا بعد، فإنّ طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة، يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة، ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز، ويذكرون أنّ عثمان قُتِلَ مظلوماً، وأنّهم يطلبون بدمه، واللهُ كافيهم بحوله وقوّته، ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأَمَرَنا به من لزوم البيت، لَمْ أَدَعِ الخُروجَ إليك، والنّصرةَ لك، ولكنّي باعثة نحوك ابني عِدْل نفسي عمر بن أبي سلمة، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً.

فلما قدم عمر بن أبي سلمة على عليٍّ عليه السلام أكرمه، ولم يَزَل مقيماً معه

---

(١) كان على البحرين أبو هريرة، وقد عزله عمر بن الخطاب وصادر أمواله لتصرّفه في بيت مال المسلمين، ولمّا تسلّم الإمام عليه السلام الخلافة عيّن عليها عمر بن أبي سلمة.

حتى شهد مشاهده كلّها، ووجّهه أميراً على البحرين[١].

وفي تاريخ الطبري : وقالت أُمُّ سلمة : يا أمير المؤمنين، لولا أنّي أعصي الله عزّ وجل وأنّك لا تقبله منّي لخرجت معك، وهذا ابني عمر ـ والله لَهُوَ أعزّ عليَّ من نفسي ـ يخرج معك فيشهد مشاهِدَك، فخرج فلم يزل معه، واستعمله على البحرين[٢].

وهو من رواة حديث الكساء، قال : نزلت آية التطهير في بيت أُم سلمة، فدعاالنّبيُّ فاطمةَ وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعليٌّ خلف ظهره، وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأَذْهِبْ عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً. قالت أُم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على مكانَكِ، أنت على خير[٣].

ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام على البحرين، وقد غرس فيها التّشيّع، فأَهلُ البحرين قديمو التّشيّع، متصلّبون في الدين، وهو من الموالين لعلي عليه السلام.

وقد عزله الإمام عليه السلام عن ولاية البحرين، وكتب إليه هذه الرسالة :

«أَمَّا بعدُ، فإنّي قد ولّيْتُ النّعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعتُ يدك بلا ذمّ لك، ولا تثريب عليك[٤]؛ فلقد أحسنتَ الولايـة، وأدَّيْتَ الأمانةَ، فأَقْبِلْ غيرَ ظنينٍ[٥] ولا مَلُومٍ، ولا متَّهمٍ ولا مَأْثُوم، فقد

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ٢١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

(٣) ذخائر العقبى، لأحمد بن عبد الله الطبري : ٢١.

(٤) التثريب : الاستقصاء في اللوم.

(٥) ظنين : أي غير متّهم.

أردتُ المسير إلى ظَلَمَة أهل الشام، وأحببتُ أن تشهد معي، فإنّك ممّن أَسْتَظْهِرُ به على جهاد العدوّ، وإقامة عمود الدين، إن شاء الله »[١].

وحكت هذه الرسالة توثيق الإمام لعمر، وقيامه بإدارة البلاد بأحسن ما يرام، وأنّه إنّما عزله ليكون قريباً منه ليستعين به في محاربة معاوية.

وقال السيّد الخوئي: هو من أصحاب رسول الله ﷺ، وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من جملة من استشهد به عبد الله بن جعفر عند معاوية أنّه سمع النبي ﷺ أنّه نصّ على الأئمة الاثني عشر وسمّاهم واحداً بعد واحد، وهو من الشهود على صلح الإمام الحسن عليه السلام.

مات سنة (٨٣هـ)[٢].

ثاني والييه على البحرين وعمان: النعمان بن عجلان الأنصاري

هو النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الأنصاري، وهو الذي خلف على خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب بعد شهادته، وكان صحابيّاً كريماً حسنت صحبته، وكان مقرَّباً من الإمام عليٍّ والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

قال أبو الحسن المدائني: قال معاوية وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف: مَنْ أكرم الناس أباً وأُمّاً وجدّاً وجدّة وخالاً

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٦٧ ـ ٦٨ / الكتاب ٤٢.

(٢) معجم رجال الحديث، للسيّد الخوئي ١٤: ١٦ ـ ١٧ / الترجمة ٨٧٠٤.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٧٤.

وخالةً وعمّاً وعمّةً؟ فقام النعمان بن عجلان الزُّرَقي فأخذ بيد الحسن عليه السلام وقال : هذا، أبوه عليٌّ، وأُمّه فاطمة، وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّته خديجة، وعمّه جعفر، وعمّته أُم هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب. فقال عمرو بن العاص : أَحُبُّ بني هاشم دعاك إلى ما عملتَ ؟ فقال ابن عجلان : يا ابن العاص، أما علمت أنّ من التمس رضا مخلوق بِسَخَط الخالق حرمه الله أُمنيّته، وختم له بالشقاء في آخر عمره ؟ بنو هاشم أَنْضَرُ قريشٍ عوداً، وأَقْعَدُها سلفاً، وأَفضلها أحلاماً[1].

كان النعمان لسان الأنصار وشاعرهم، وكان بليغاً في شعره، حتّى عدَّ من كبار شعراء الجزيرة العربية في تلك الفترة.

وأثناء صحبته للإمام علي عليه السلام أسند إليه الإمام عليه السلام عدّة مناصب في دولته، منها أنه جعله والياً على البحرين وعمان.

قال الشيخ الطوسي : النعمان بن عجلان، من بني زُرَيْق، وكان عامله على البحرين وعمان[2].

وقال الشيخ علي النمازي : كان عامل أمير المؤمنين عليه السلام على البحرين وعمان، وأشعاره دالّة على حُسْنه وكماله، وهو من شهود عليّ عليه السلام يوم صفّين عند التحكيم، وكان لسان الأنصار وشاعرهم، وله أشعار يوم صفين، وهو من رواة حديث الغدير وشهد له بذلك يوم المناشدة[3].

---

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٣ : ٢٤٠، الجليس الصالح الكافي، لابن المعافي النهراوني ٣ : ١٥.

(٢) رجال الطوسي : ٨٣ / الترجمة ٨٣٨.

(٣) مستدركات علم الرجال، للشيخ علي النمازي ٨ : ٨١ / الترجمة ١٥٦٠٩.

وكذلك كان أحد الفرسان البارزين، حيث كلَّفه الإمام عليه السلام بقيادة الجيش العلوي الذي اقتحم قوّات معاوية بن أبي سفيان عندما سيطرت تلك القوات على نهر الفرات في حرب صفّين، وما هي إلّا ساعات حتى كشف هذا الفارس مع رفاقه قوّات معاوية عن النهر وفروا من أمامه بعد أن كبَّدهم خسائر فادحة.

وبعد اشتداد المعارك بين الطرفين في تلك المعركة كان النعمان من أوائل الفرسان المتسابقين للقتال ضد الأعداء.

وقد افتخر بقتاله في الجمل وصفين، فقال في شعر له:

سائل بصفّين عَنَّا عند وَقْعَتِنا ... وكيف كُنَّا غداةَ المَحْكِ نبتَدِرُ
واسألْ غداة لقينا الأزدَ قاطبةً ... يومَ البُصَيْرَةِ[1] لمّا استَجْمَعَتْ مُضَرُ

وهو القائل يوم السقيفة في تمجيد الأنصار وذكر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله:

فَقُل لقُريشٍ نحنُ أَصحابُ مكَّةٍ ... ويومِ حُنين والفوارسُ في بَدْرِ
وأصحابُ أُحْدٍ والنَّضِيرِ وخَيْبَرٍ ... ونحنُ رجعنا مِن قُرَيْظَةَ بالذِّكْرِ
ويومٌ بأرض الشّامِ إذ قَتْلُ جعفرٍ ... وزَيْدٍ وعَبْدِ الله في عَلَقٍ نَجْرِي
وفي كُلِّ يوم يُنْكِرُ الكَلْبُ أَهْلَهُ[2] ... نُطاعِنُ فِيهِ بالمثقَّفَةِ السُّمْرِ
نَصَرْنا وآوَيْنا النَّبيَّ ولم نَخَفْ ... صُرُوفَ اللَّيالي والعَظِيمَ مِنَ الأَمْرِ
وقُلْنا لِقَومٍ هاجَرُوا قَبْلُ: مَرْحباً ... وأَهلاً وسَهْلاً قد أَمِنْتُمْ مِنَ الفَقْرِ

---

(١) أي يوم حرب الجمل بالبصرة.

(٢) أي يوم أسود مُظْلم من شدّته، حتّى إنَّ الكلب لا يعرفُ أهله فيه لشدّة ظلمته.

نُـقاسِمُكُمْ أَمـوالَـنا وبُـيُوتَنا ... كقِسْمَةِ أَيْسارِ الجَزُورِ عَلَى الشَّطْرِ
ونَكْفِيكُمُ الأَمْـرَ الَّـذي تَكْـرَهُونَهُ ... وكُنَّا أُناساً نُذْهِبُ العُسْـرَ بـاليُسْرِ
وقُلْتُمْ : حرامٌ نَصْبُ سَعْدٍ، ونَصْبُكُمْ ... عتيقَ بنَ عثمانٍ حَلالٌ أَبـا بَكْـرِ!
وَكـانَ هَـوانـا فـي عَـلـيٍّ وإنَّـهُ ... لَأَهْلٌ لَها يا عَمْرُو[1] مِنْ حَيْثُ لا تَدْرِي
وَصِيُّ النَّبيِّ المُصْطفى وابنُ عَـمِّهِ ... وقاتِلُ فُرْسانِ الضَّـلالَةِ والكُـفْرِ[2]

وحكت هذه اللوحة كثيراً من الأحداث التاريخية، والتي منها جهاد الأنصار ومساهمتهم في بناء الإسلام، وقيامهم بإعانة الفقراء من المهاجرين، فقد شاطروهم بأموالهم ومنازلهم، وهذا من عظيم المواساة، كما حكت هذه الأبيات ما قاله المهاجرون في سعد بن عبادة زعيم الأنصار أنّه لا يصلح للخلافة، وأنّها حرام عليه، واستعملوا أبا بكر، وصرفوا الأمر عن وصيّ النبي وابن عمّه والمجاهد الأول في الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد استعمل الإمامُ على البحرين النّعمانَ، وفاءً منه للأنصار، فجعل النّعمان يهب الأموال الكثيرة لأُسرته، وفيه يقول أبو الأسود الدؤلي :

أرىٰ فتنةً قد أَلهتِ النَّـاسَ عَـنكُمُ ... فَنَدْلاً زُرَيْقُ المالَ نَدْلَ الثَّـعالِبِ[3]
فإنّ ابنَ عجلانَ الّذي قـد عـلمتُمُ ... يُـبَدِّدُ مـالَ اللهِ فِـعْلَ المُـناهِبِ[4]

---

(١) يخاطب عمرو بن العاص.
(٢) مصادر نهج البلاغة ـ قسم الرسائل ٣ : ٣٤٥ ـ ٣٤٦، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ١٧٤.
(٣) زريق : قبيلة. الندل : أن تجذبه جذباً.
(٤) الإصابة ٣ : ٥٣٢ / الترجمة ٨٧٦٧.

تبذيره لبيت مال المسلمين :

وقد رفع بعض العيون الذين أقامهم الإمام عليه السلام على واليه النعمان بن عجلان أنّه ذهب بمال البحرين، فكتب إليه الإمام عليه السلام هذه الرسالة :

«أمّا بعد، فإنّه من استهان بالأمانة، ورغب في الخيانة، ولم ينزّه نفسه ودينه، أَخَلَّ بنفسه في الدُّنْيا، وما يُشْفِي عليه بعد أَمَرُّ وأَبْقى وأَشْقى وأطول. فخَفِ الله، إنَّكَ من عشيرةٍ ذات صلاح، فكن عند صالح الظَّنِّ بك، وراجع إن كان حقاً ما بلغني عنك، ولا تُفِيلَنَّ رأيي فيك، واستنظف خراجك، ثمّ اكتب إليّ ليأتيك رأيي وأمري إن شاء الله»[1].

لقد ساق الإمام عليه السلام اللَّوم والتقريع على تهمة الخيانة لبيت المال، وهي تهمة لم يتأكد الإمام منها، وإنّما وشي بها إليه، ولو كان على بيّنة منها لبادر إلى عزله[2]، وقيل : إنّ الإمام عزله فَوَلّى منهزماً إلى معاوية[3].

وأنا لا أُبْعِدُ أن يكون الإمامُ عليه السلام قد عَزَلَهُ؛ لأنّ عيونَهُ من الثِّقات ولو لم يكن الأمر صحيحاً؛ فإنّ سياسة أمير المؤمنين عليه السلام تقتضي عزله، لأنّ حكومته تأبى أن يكون فيها حتّى مَنْ عليه شُبْهة الخيانة للمسلمين واختلاس أموالهم، وذلك مبالغة منه في إقامة العدل وتنظيف الدولة.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٠١. وانظر نهج البلاغة ٣ : ٢٦ / الكتاب ٢٦.

(٢) موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام ١٠ : ١٦٦ لباقر شريف القرشي.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٠١.

وأما عامله عليه السلام على عمّان فهو : حلو بن عوف الأزدي

أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمان، فوثبت بنو ناجيةَ بزعامة الخِرِّيت بن راشد النّاجيّ مع جماعة من أصحابه فقتلوه وارتدّوا عن الإسلام.

وهم الذين جردوا السيوف بالكوفة وقتلوا جماعة، وطلبهم الناس فخرج الخرّيت وأصحابه من الكوفة، فجعلوا لا يمرّون ببلد إلّا انتهبوا بيت ماله حتى صاروا إلى سِيْفِ[1] عُمان، وقتلوا عامل عليٍّ عليه السلام حُلْوَ بن عوف، فوجّه أمير المؤمنين عليه السلام مَعْقِلَ بن قيس الرِّياحي إلى البلد، فقتل الخِرِّيت بن راشد وأصحابه، وسبى بني ناجية، فاشتراهم مصقلة بن هبيرة الشيباني وأَنْقَدَ بعضَ الثمن، ثمَّ هرب إلى معاوية لمّا عجز عن أداء باقي ثمنهم، فأمر عليٌّ عليه السلام بهدم داره[2].

---

(١) السِّيف : ساحل البحر.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٩٥.

الباب الثالث

دور ولاة أمير المؤمنين عليه السلام وعُمّاله سياسياً واجتماعياً في العراق ومصر

والبحث فيه يقع في فصول :

الفصل الأول «من الباب الثالث»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على الكوفة

وهم :

١ ـ عمارة بن شهاب الثوري

٢ ـ أبو موسى الأشعري

٣ ـ قرظة بن كعب الأنصاري

٤ ـ عقبة بن عمرو الأنصاري

٥ ـ هاني بن هوذة

٦ ـ عمّار بن حسّان

أوّل ولاته عليه السلام على الكوفه : عُمَارة بن شهاب الثوري

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام اختار للأمصار أحسن الولاة سيرة وعدلا، فقد أرسل ـ في سنة (٣٦هـ) ـ إلى البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، ورحبت البصرة بواليها الجديد وأوفد إلى الكوفة عمارة بن شهاب الثوري، وكان من المهاجرين ومن أجلّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فرحبت البصرة بواليها الجديد.

فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لَمَّا أرسل إليهم عمّارة بن شهاب الثوري رَفَضَهُ بعض أهل الكوفة وأعادوه إلى المدينة لأنّهم لا يرضون بغير أبي موسى الاشعري بديلا.

فقد روي أنّ عمارة بن شهاب لمّا بلغ منطقة «زُبالَةَ» لقيه طليحه بن خويلد ـ وكان خرج يطلب بثار عثمان ـ فقال له: ارجع فإنّ القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً، فإن أبيتَ ضربتُ عنقك، فرجع عمارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالخبر.

فكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري بالطاعة وأخذ البيعة له من أهل الكوفة، وسنفصّل ذلك في ذكر ترجمته.

فكتب إليه أبو موسى الأشعري بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبَيَّنَ الكاره منهم للذي كان والراضي به حتى كان عليّ كأنّه يشاهدهم.

وقد طلب مالك الاشتر من أمير المؤمنين عليه السلام أن يبقي أبا موسى

الأشعري على الكوفة فعلاً، ولم يكن أمير المؤمنين ﷺ راغباً بذلك، لكن أهل الكوفة اصرّوا عليه، وقد أخذ أبو موسى البيعة من أهل الكوفة للإمام علي ﷺ فأبقاه الإمام على الكوفة.

وأمّا عمارة بن شهاب فبعد رجوعه من الكوفه بقي فترة من الزمان حتى فارق الحياة ﷺ[1].

وقد ذكر ابن حبّان في كتابه «الثقات» هذا الرجل باسم عمارة بن حسّان بن شهاب[2].

على أنّنا نتحفّظ على هذاالمنقول هنا، لأنّ مصدره سيف بن عمر التميمي الكذاب الوضّاع، ولم ينقله غيرُهُ، وكُلّ من نقله فمصدره الطبري عن سيف.

أضف إلى ذلك أنّ طليحة بن خويلد الأسدي مات سنة (٢١هـ)، أي قبل بيعة أمير المؤمنين ﷺ بنحو خمس عشرة سنة. اللّهمّ إلّا أن يكون طليحة بن خويلد آخر، وهذا لا يثبت بمثل نقل سيف الكذاب وحده.

ثاني ولاته ﷺ على الكوفة: أبو موسى الأشعري

وهو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر ابن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر، وهو نَبْت بن أُدَد بن زيد بن يشجُب بن عريب بن كهلان بن سَبَأبن يشجُب

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٣، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٥٦، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٠٢، الإصابة، لابن حجر ٤: ٤٧٩ / الترجمة ٥٧٣٥.

(٢) انظر الثقات، لابن حبان ٢: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

بن عريب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وأُمُّه امرأةٌ، يقال لها : ظبية بنت وهب بن عك، أسلمت وماتت بالمدينة[١].

قال ابن قتيبة في المعارف: وكان أبو موسى خفيف الجسم، قصيراً، ثطّاً ـ أي لا لحية له ـ وله أولاد، منهم أبو بُرْدَة عامر بن أبي موسى وكان قاضياً، وابنه بلال بن أبي بردة وكان قاضياً أيضاً، ومن أولاده أبوبكر بن أبي موسى وكان أسنّ من أبي بردة[٢].

قال ابن أبي الحديد نقلاً عن ابن عبد البر : واختُلف في أنّه هل هو من مهاجِرة الحبشة أم لا؟ والصحيح أنه ليس منهم، ولكنّه أسلم ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريّين على رسول الله صلى الله عليه وآله، فوافق قدومُهم قدوم أهل السفينتين جعفر بن أبي طالب وأصحابه من أرض الحبشة، فوافَوا رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر، فظنّ قومٌ أن أبا موسى قدِم من الحبشة مع جعفر.

وقيل : إنّه لم يهاجر إلى الحبشة، وإنّما أقبل في سفينة مع قومٍ من الأشعريّين، فرمت الريح سفينَتهم إلى أرض الحبشة، وخرجوا منها مع جعفر وأصحابه، فكان قدومهم معاً، فظنّ قومٌ أنّه كان من مهاجرة الحبشة.

قال: وولّاه رسول الله صلى الله عليه وآله من مَخاليف اليمن زَبِيد، وولّاه عمر البصرة سنه (١٧هـ) لمّا عزل المغيرة عنها، فلم يزل عليها إلى صدرٍ من خلافة

---

(١) الإصابة، لابن حجر ٤ : ١٨١ / الترجمة ٤٩١٦، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٣ : ٣١٤.

(٢) المعارف، لابن قتيبة : ٢٦٦.

عثمان، فعزله عثمان عنها وولاها عبدَ الله بن عامر بن كُرَيْز، فنزل أبو موسى الكوفة حينئذ وسكنها، فلمّا كره أهلُ الكوفة سعيد بن العاص ودفعوه عنها، ولّوا أبا موسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يولّيه، فأقرّه على الكوفة، فلمّا قتل عثمان عزله عليّ عليه السلام عنها، فلم يزل واجداً لذلك على عليٍّ عليه السلام، حتّى جاء منه ما قال حذيفة فيه، فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهتُ ذكرَه، والله يغفر له[1].

قال ابن أبي الحديد: الكلامُ الذي أشار إليه أبو عمر بن عبد البرّ ولم يذكره قولُهُ فيه ـ وقد ذُكِرَ عنده بالدّين ـ: أمّا أنتم فتقولون ذلك، وأمّا أنا فأشهد أنّه عدوّ لله ولرسوله، وحربٌ لهما في الحياة الدُّنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللّعنة ولهم سوء الدار. وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين، أسرّ إليه رسول الله صلى الله عليه وآله أمرهم، وأعلمه أسماءهم.

وروي أنَّ عمّاراً سئل عن أبي موسى، فقال: لقد سمعتُ فيه من حُذَيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البُرْنُس الأسود، ثم كلح كُلُوحاً علمت منه أنّه كان ليلةَ العقبةِ بينَ ذلك الرهط[2].

وفي مجمع الزوائد للهيثمي: عن أبي مريم، قال سمعت عمّار بن ياسر يقول: يا أبا موسى ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**من كذب عليّ**

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٣: ٣١٤ عن الاستيعاب، لابن عبد البر ٤: ١٧٦٣ / الترجمة ٣١٩٣..

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٣: ٣١٤ ـ ٣١٥.

متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار»، فأنا سائلك عن حديث؛ فإن صدقتَ لا يَعْتِبُ عليك مِن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مَن يُقَرِّرك، ثم أُنشدك الله أليس إنّما عناك رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسك فقال صلى الله عليه وآله : «**ستكون فتنة في أُمّتي أنت يا أبا موسى فيها نائم خير منك قاعد، وقاعد خير منك قائم، وقائم خير منك ماشٍ**»، فخصك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعمَّ الناس.

فخرج أبو موسى ولم يردَّ عليه شيئاً[1]. وكأنّه إشارة من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما سوف يُحْدِثُه أبو موسى الأشعري من مسألة التحكيم، والتي خرج منها مخذولاً، وقد خدعه ومكر به عمرو ابن العاص وضحك عليه، ونشير هنا إلى هذه الحادثة إجمالاً:

أبو موسى وحادثة التحكيم :

روى أبو جناب الكلبي: أنّ عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري لمّا التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدّم أبا موسى في الكلام ويقول: إنّك صحبتَ رسول الله قبلي، وأنت أكبر منّي سنّاً، فتكلّم أنت ثم أتكلّم أنا، فجعل ذلك سُنَّةً وعادةً بينهما، وإنّما كان مكراً وخديعة واغتراراً له بأن يقدّمه فيبدأ بخلع عليّ عليه السلام ثُمَّ يرى رأيه.

قال ابن ديزيل في كتاب صفين: وأعطاه عمرو صدر المجلس وكان لا يتكلم قبله، وأعطاه التّقدّم في الصلاة، وفي الطعام لا يأكل حتى يأكل، فإذا خاطبه فإنّما يخاطبه بأجلّ الأسماء، فيقول: يا صاحب

---

(١) مجمع الزوائد، للهيثمي ٧ : ٢٤٦.

رسول الله، حتّى اطمأنّ إليه وظنّ أنّه لا يغشّه، ولمّا اجتمعوا للحكومة، قال له عمرو: أخبرني ما رأيك يا أبا موسى؟ قال: أرى أن نخلع هاذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون من شاءوا، فقال عمرو: الرأيُ والله ما رأيتَ. فأقبلا على الناس وهم مجتمعون، فتكلّم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتّفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأُمّة، فقال عمرو: صدق. ثم قال له: تقدّم يا أبا موسى فتكلّم، فقام ليتكلّم فدعاه ابن عباس فقال: ويحك، إنّي لأظنّه خدعك، إن كنتما قد اتّفقتما على أمر فقدِّمه قبلك ليتكلّم به، ثم تكلّم أنت بعده، فإنه رجل غدّار ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا في ما بينك وبينه فإذا قُمْتَ به في الناس خالفك ـ قال: وكان أبو موسى رجلاً مغفّلاً ـ فقال: إيهاً عنكَ، إنّا قد اتّفقنا.

فتقدّم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيُّها النّاس، إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمّة فلم نَرَ شيئاً هو أصلح لأمرها ولا ألَمَّ لشَعَثِها من أن لا تبين أُمورها، وقد اجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع عليّ ومعاوية وأن يُسْتَقْبَلَ هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولّون أُمورهم من أحبّوا، وإنّي قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أُموركم وولّوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثمّ تَنَحّىٰ.

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا اخلع صاحبه كما خلعه وأُثْبِتُ صاحبي معاوية في الخلافة؛ فإنّه وليّ عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه.

فقال له أبو موسى : ما بالك لا وفّقك الله قد غدرت وفجرت ، إنّما مَثَلُكَ كمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال له عمرو : وإنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الظالمين .

وقد قيل لأبي موسى : ما أضعفك عن عمرو ومكائده ! فقال : ما أصنع ، وافقني على أمرٍ ثمّ غدر ، فقال ابن عباس : لا ذنبَ لك يا أبا موسى وإنّما الذنب لمن قدّمك وأقامك هذا المقام[١] .

قال : وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنّعه بالسّوط ، وحمل ابنٌ لعمرو على شريح فقنعه بالسوط ، وقام الناس فحجزوا بينهما . قال : وكان شريح يقول بعد ذلك : ما ندمت على شيء ندامتي أن لا أكون ضربت عَمْراً بالسيف بدل السوط ، لكن أتى الدهر بما أتى به .

والتمسوا أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكّة هارباً ، وكان ابن عباس يقول : قَبَّحَ الله أبا موسى لقد حَذَّرْتُهُ وهَدَيْتُهُ إلى الرأي فما عقل . وكان أبو موسى يقول : حذّرني ابن عباس غدرة الفاسق عمرو ولكنّي أطمأننت إليه ، وظننتُ أنّ هذا الفاسق لا يُؤْثِرُ شيئاً على نصيحة الأُمّة[٢] . وكان أبو موسى منحرفاً عن علي عليه السلام لأنّه عَزَلَهُ ولم يستعمله ، وغَلَبَهُ أهل اليمن في إرساله في التحكيم[٣] .

---

(١) أي ضعاف العقيدة من أهل الكوفة ، فإنّهم هم الذين اختاروا أبا موسى وأجبروا أمير المؤمنين عليه السلام على تنصيبه للحكومة ، لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام اختار للحكومة عبد الله بن عباس أو مالك الأشتر ، فرفضوهما .

(٢) بحار الأنوار ٣٣ : ٣٠٠ ـ ٣٠٢ ، عن نصر في وقعة صفين : ٥٤٤ ـ ٥٤٦ .

(٣) الاستيعاب ، لابن عبد البر ٤ : ١٧٦٤ / الترجمة ٣١٩٣ .

وروي عن سويد بن غفلة، قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروى لي خبراً عن رسول الله ﷺ، قال: سمعته يقول: «**إنّ بني إسرائيل اختلفوا؛ فلم يزل الاختلاف بينهم حتّى بعثوا حكمين ضالّين ضَلَّا وأَضَلَّا مَن اتّبعهما، ولا ينفكّ أمر أُمّتي حتّى يبعثوا حكمين يَضِلّان ويُضِلّان من اتّبعهما**»، فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدَهما! قال: فخلع قميصه، وقال: أبرأ إلى الله من ذلك، كما أبرأ من قميصي هذا[1].

ولمّا كانت وقعة الجمل أرسل أمير المؤمنين عليه السلام يدعو أهل الكوفة لينصروه، فأمر أبو موسى أهل الكوفة بالقعود عن الفتنة، فعزله أمير المؤمنين عليه السلام. حيث أرسل إليه أوّلاً هاشم المرقال فلم يستجب أبو موسى لحَشْد الناس مع أمير المؤمنين عليه السلام لحرب الجمل، بل أخذ يثبّطهم وهدَّد هاشم المرقال بالسجن، ثم بعث أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر فوصَلَ مالك إلى الكوفة وأبو موسى على المنبر يخذّل الناس عن اللّحاق بأمير المؤمنين عليه السلام، فدخل الأشتر وأصحابه وأخرجوه من المسجد، وأجَّلَهُ ليلةً واحدة ليخرج من القصر ويعتزل[2]. ثمّ وَلّى الإمام عليه السلام قرظة بن كعب الأنصاري على الكوفة كما سيأتي تفصيل ذلك.

قال ابن أبي الحديد: فأمّا ما تعتقده المعتزلة فيه، فأنا أذكر ما قاله أبو محمد بن مَتّوَيْه في كتاب «الكفاية»، قال رحمه الله:

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٣: ٣١٥، مجمع الزوائد، للهيثمي ٧: ٢٤٥.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب الجَمَل، للشيخ المفيد: ١٣٠ ـ ١٣٧.

أمّا أبو موسى فإنّه عَظُمَ جُرمُهُ بما فَعَلَهُ، وأدّى ذلك إلى الضّرر الذي لم يَخْفَ حالُه، وكان عليٌّ عليه السلام يقنتُ عليه وعلى غيره، فيقول: «**اللهم العن معاوية أولاً، وعَمراً ثانياً، وأبا الأعور السُّلميّ ثالثاً، وأبا موسى الأشعريّ رابعاً**».

وروي عنه عليه السلام: أنّه كان يقول في أبي موسى: «**صُبِغَ بالعلم صَبْغاً، وسُلِخَ منه سَلْخاً**».

قال: وأبو موسى هو الذي روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وآله أنّه قال: «**كان في بني إسرائيل حكمان ضالّان، وسيكون في أمّتي حكمان ضالان، ضالّ من اتبعهما**».

وأنه قيل له: ألا يجوز أن تكون أحدهما؟ فقال: لا ـ أو كلاماً ما هذا معناه ـ فلما بُلِيَ به، قيل فيه: البلاءُ مُوَكَّلٌ بالمنطق، ولم يثبت في توبته ما ثبت في توبة غيره، وإن كان الشيخ أبو عليّ قد ذكر في آخر كتاب الحكمين أنّه جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام في مرض الحسن بن علي، فقال له: أجئتنا عائداً أم شامتاً؟ فقال بل عائداً، وحدّث بحديث في فضل العيادة.

قال ابن متوية: وهذه أمارة ضعيفة في توبته.

انتهى كلام ابن متوية، وذكرته لك لتعلم أنّه عند المعتزلة من أرباب الكبائر، وحكمه حكم أمثاله ممّن واقع كبيرة ومات عليها[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٣ : ٣١٥ ـ ٣١٦.

وفاة أبي موسى الأشعري :

قال أبو عمر بن عبد البرّ : واختلف في تاريخ موته ، فقيل : سنة اثنتين وأربعين ، وقيل : سنة أربع وأربعين ، وقيل سنة خمسين ، وقيل : سنة اثنتين وخمسين .

واختلف في قبره ، فقيل : مات بمكة ودفن بها ، وقيل مات بالكوفة ودفن بها[١] .

ثالثُ من ولاته عليه السلام على الكوفة : قَرَظَةُ بن كعب الأنصاري الخزرجي

قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن الإطنابة الأنصاري الخزرجي . وقال أبو نعيم : قرظة بن كعب بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري ، كنيته أبو عمرو[٢] .

كان مع النبي صلى الله عليه وآله في معركة أُحد وبقية حروبه صلى الله عليه وآله ، وكان عالماً جليل القدر عند الخلفاء الذين سبقوا أميرالمؤمنين عليه السلام ، اختاره عمر بن الخطاب أحد العشرة من الفقهاء الذين أرسلهم مع عمار بن ياسر لمّا ولّاه الكوفة لتعليم الناس[٣] .

---

(١) الاستيعاب ، لابن عبد البر ٤ : ١٧٦٤ / الترجمة ٣١٩٣ .

(٢) أسد الغابة ، لابن الأثير ٤ : ٢٠٢ .

(٣) أسد الغابة ، لابن الأثير ٤ : ٢٠٢ ، الاستيعاب ، لابن عبدالبر ٣ : ١٣٠٦ / الترجمة ١٢٦٨ .

وكان من خُلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأنصاره وقد شهد مشاهده كلّها[١]، وحين خرج الإمام عليه السلام من الكوفة لقتال أهل الشام في صفين، دفع راية الأنصار إلى قرظة بن كعب[٢]. وقد ولّاه الإمام عليه السلام مناطق مختلفة منها: الكوفة[٣] ثم بهقباذات[٤]، وعلى جباية أموال عين التمر[٥]، وعلى فارس مدة من الزمن[٦]. وله عقب، ومن أولاده عمرو بن قرظة وعليّ بن قرظة، فأمّا عمرو فكان من أنصار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وقد استشهد دون الإمام الحسين عليه السلام، وأمّا علي بن قرظة فكان مع عمر بن سعد[٧].

فأما توليته على الكوفة، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا سار إلى الجمل ولّاه على الكوفة بعدما عزل أبا موسى الأشعري؛ وذلك لتثبيطه الناس ومنعهم عن نصرة الإمام في البصرة؛ لأنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أرسل

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ٣ : ١٣٠٦ / الترجمة ١٢٦٨. لكنّ قرظة كان في حرب الجمل والياً على الكوفة، فلعلّه استناب أحداً عليها والتحق بحرب الجمل.

(٢) رجال الطوسي : ٨٨ / الترجمة ٩٠٦ «أبو الجوشاء».

(٣) أسد الغابة، لابن الأثير ٤ : ٢٠٢، الاستيعاب، لابن عبد البر ٣ : ١٣٠٦ / الترجمة ١٢٦٨.

(٤) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ١١، وبهقُباذات : ثلاث كور ببغداد. منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد أنوشروان.

(٥) الغارات، للثقفي ٢ : ٤٤٧.

(٦) الغارات، للثقفي ٢ : ٧٧٥ / تعليقة جلال الدين الأرموي.

(٧) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٠.

محمّد بن أبي بكر ليستنفر له أهل الكوفة لنصرته، فامتنع أبو موسى وقام خطيباً متناسياً بيعته للإمام فقال: أيها الناس قد سمعتم من الفتنه إلى يومكم هذا فتخلّفوا عنها وأقيموا إلى أن يكون الناس جماعةً فتدخلوا فيها، وجعل يثبّط الناس عن نصرة الإمام عليه السلام[١].

حتّى جاء هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالربذة فأخبره بامتناع أبي موسى، فأعاده الإمام إلى أبي موسى وكتب معه كتاباً فيه: «**من عبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى عبدالله بن قيس (أبي موسى): أَمَّا بعدُ، فإنّي قد بعثتُ إليكَ هاشِمَ بنَ عُتبةَ لتُشْخِصَ إليَّ مَنْ قِبَلَكَ مِنَ المُسْلِمِينَ ليتوجَّهُوا إلى قَوْمٍ نَكَثُوا بَيْعَتي، وقَتَلُوا شِيعَتي، وأَحدَثُوا في الإسْلامِ هٰذا الحَدَثَ العَظِيمَ، فاشْخَصْ بالنَّاسِ إلَيَّ مَعَهُ حِينَ يَقْدِمُ عَلَيْكَ، فإنِّي لَمْ أُولِّكَ المِصْرَ الَّذي أَنْتَ فِيهِ، ولَمْ أُقِرَّكَ عَلَيْهِ إلَّا لِتَكُونَ مِنْ أَعْوانِي عَلَى الحقِّ، وأَنْصارِي عَلَىٰ هٰذا الأَمْرِ، والسَّلامُ**»[٢].

ولا يخفى أنَّ أبا موسى كان عاملاً على الكوفة من قبل عثمان، فأراد الإمام خلعه، ولكنْ كان هناك تيّارٌ يريد بقاءَهُ، فأقرَّه الإمام مدَّةً من الزَّمن حتّى ينتهي من وقعة الجمل.

ولمّا امتنع أبو موسى عن نصرة الإمام عليه السلام بعث إليه ابنه الإمام الحسن وعمار بن ياسر يستنفران الناس إليه، ونصب قرظة بن كعب أميراً على

---

(١) أنساب الأشراف: ٢٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٤: ٨، الجمل، للمفيد: ١٣٠.

الكوفة، وكتب الإمام عليه السلام إلى أبي موسى: «إنّي قد بعثتُ الحسن وعماراً يستنفران الناس، وبعثتُ قَرَظَةَ بنَ كَعْبٍ والياً على الكوفة، فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً، وإن لم تفعل فقد أمرته أن ينابذك، فإن نابذته فظفر بك أن يقطِّعك إرْباً إرْباً»[1].

وروى أبو مخنف، قال: وبعث عليٌّ عليه السلام من الربذة عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر إلى أبي موسى، وأرسل اليه معهما رسالة شديدة اللّهجة قائلاً: «مِن عَبدِ اللهِ عَليّ أَميرِ المُؤْمِنينَ إلى عبدِ اللهِ بنُ قَيسٍ (أبي موسى الأشعري)، أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ الحَائِكِ، يَا عَاضَّ أَيْرِ أَبيهِ، فَوَ اللهِ إنّي كُنْتُ لأَرَى أَنَّ بُعْدَكَ مِنْ هَذا الأَمْرِ ـ الَّذي لَمْ يَجْعَلك اللهُ لَه أَهْلاً، وَلا جَعَلَ لَك فيهِ نَصيباً ـ سَيَمْنَعُك مِن رَدِّ أَمْري وَالانْتِزاءِ[2] عَلَيَّ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْك ابْنَ عَباس وَابْنَ أَبي بَكْرٍ فَخَلِّهِمَا وَالمِصْرَ وَأَهْلَهُ، واعتَزِل عَمَلَنا مَذْؤُوماً مَدحُوراً، فَإن فَعَلْتَ وَإلّا فَإنّي قَدْ أَمَرْتُهُما أنْ يُنابِذاك عَلى سَواءٍ، إنَّ اللهَ لا يَهْدي كَيْدَ الخائِنينَ، فَإذا ظَهَرَا عَلَيْكَ قَطَّعاك إرْباً إرْباً، وَالسَّلامُ عَلى مَن شَكرَ النِّعمَةَ، وَوَفى بِالبَيْعَةِ، وَعَمِلَ بِرَجَاءِ العاقِبَةِ»[3].

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ١٣ : ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) الانتزاء : الوثوب.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٤ : ١٠. وانظر هذا الكتاب في كتاب الجمل، للمفيد : ١٣١، وفيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعث الإمام الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة.

قال أبو مخنف: فلمّا ابطأ ابنُ عباس وابن أبي بكر عن علي عليه السلام ولم يَدْرِ ما صنعا، رحل عن الرَّبذة إلى ذي قار فنزلها، ثمّ بعث إلى الكوفة الحسن عليه السلام ابنه وعمار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد بن عبادة ومعهم كتاب إلى أهل الكوفة، فأقبلوا حتى كانوا بالقادسية، فتلقّاهم الناس، فلمّا دخلوا الكوفة قرؤوا كتاب علي عليه السلام[1].

وخطب بهم الإمام الحسن عليه السلام، فحمد الله وصلّى على رسوله، ثم قال: «أيُّها الناس، إنّا جئنا ندعوكُمْ إلى الله وإلى كتابه وسنَّةِ رسوله، وإلى أَفْقَهِ مَنْ تَفَقَّه من المُسْلِمِينَ، وأَعْدَلِ مَنْ تُعَدِّلُونَ، وأَفْضَلِ مَنْ تُفَضِّلُونَ، وأَوْفَى مَنْ تُبايِعُون، مَن لم يَعِبْه القُرآن، ولم تُجَهِّلْهُ السُّنّة، ولم تَقْعُدْ به السَّابقة، إلى من قَرَّبَهُ الله تعالى إلى[2] رسوله قرابَتَيْنِ: قَرابَة الدِّين وقرابَة الرَّحِم، إلى مَنْ سبق النَّاس إلى كلّ مَأْثُرة، إلى مَنْ كَفَى اللهُ بِهِ رسولَهُ والنَّاسُ مُتَخاذِلُونَ؛ فَقَرُبَ منهُ وهُمْ مُتَباعِدُونَ، وصَلَّى مَعَهُ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وقاتَلَ مَعَهُ وَهُمْ مُنْهَزِمُونَ، وبارَزَ مَعَهُ وَهُمْ مُحْجِمُونَ، وصَدَّقَهُ وَهُمْ يُكَذِّبُونَ. إلى مَنْ لَمْ تُرَدَّ لَهُ رايةٌ، ولا تُكافأ له سابِقَةٌ. وهو يَسْأَلُكُمُ النَّصْرَ، ويَدْعُوكُمْ إلى الحَقِّ، ويَأْمُرُكُمْ بالمَسِير إِلَيْهِ، لتُوازِرُوهُ وتَنْصُرُوه على قَوْمٍ نَكَثُوا بَيْعَتَهُ، وقَتَلُوا أَهْلَ الصَّلاح مِنْ أَصْحابِهِ، وَمثَّلُوا بعُمَّالِهِ، وانْتَهَبُوا بَيْتَ مالِهِ. فاشْخَصُوا إِلَيْه رَحِمَكُمُ

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٤: ١٠.

(٢) «ورسوله» ـ خ ل.

اللهُ، فَمُرُوا بالمَعْرُوفِ وانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، واحْضَرُوا بِما يَحْضُرُ بِهِ الصَّالِحُونَ»[1].

قال أبو مخنف: حدثني جابر بن يزيد، قال: حدثني تميم بن حذيم الناجيّ، قال: قدم علينا الحسنُ بن عليٍّ عليه السلام وعمّار بن ياسر، يستنفران الناس إلى عليّ عليه السلام، ومعهما كتابه، فلمّا فرغا من قراءة كتابه، قام الحسن ـ وهو فتىً حَدَث، والله إنِّي لأَرْثي له من حداثة سنِّه وصعوبة مقامه ـ فرماه النَّاسُ بأبصارهم وهم يقولون: اللّهمّ سدّد منطق ابن بنت نبيّنا! فوضع يده على عمودٍ يتساند إليه، وكان عليلاً من شكوىٰ به، فقال:

«الحمدُ للهِ العَزيزِ الجَبَّار، الواحِدِ القَهَّار، الكَبيرِ المُتعال ﴿سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ ومَنْ جَهَرَ بهِ ومَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وسَارِبٌ بالنَّهارِ﴾[2]**، أحمَدُه على حُسْنِ البلاءِ، وتَظاهُرِ النَّعْماءِ، وعَلَى ما أَحْبَبْنا وكَرِهْنا مِنْ شِدَّةٍ ورَخاءٍ. وأَشْهدُ أَنْ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، امتَنَّ عَلَيْنا بنُبُوَّتِهِ، واخْتَصَّهُ بِرِسالَتِهِ، وأَنْزَلَ عَلَيْهِ وَحْيَهُ، واصْطَفاهُ على جَمِيعِ خَلْقِهِ، وأَرْسَلَهُ إلى الإِنْسِ والجِنِّ، حِينَ عُبِدَتِ الأَوْثانُ وأُطِيعَ الشَّيْطانُ، وجُحِدَ الرَّحْمانُ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ، وجَزاهُ أَفْضَلَ ما جَزَى المُسْلِمِينَ.**

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٤ : ١١.

(٢) الرعد : ١٠.

أَمَّا بَعْدُ، فإنّي لا أقولُ لكُمْ إلّا مَا تَعْرِفُونَ، إنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ ـ أَرْشَدَ اللهُ أَمْرَهُ، وأَعَزَّ نَصْرَهُ ـ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ يَدْعُوكُمْ إِلى الصَّوابِ، وإِلى العَمَلِ بالكِتابِ، وَالجِهادِ في سَبِيلِ اللهِ، وَإِن كانَ في عاجِلِ ذلكَ ما تَكْرَهُونَ، فإنَّ في آجِلِهِ ما تُحِبُّونَ إِنْ شاءَ اللهُ.

ولَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ عَلِيّاً صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحْدَه، وأَنَّهُ يَوْمَ صَدَّقَ بِهِ لَفِي عاشِرَةٍ مِنْ سِنِّهِ، ثُمَّ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَمِيعَ مَشاهِدِهِ. وكانَ مِن اِجْتِهادِهِ في مَرْضاةِ اللهِ وطاعَةِ رَسُولِهِ وآثارِهِ الحَسَنَةِ في الإِسْلامِ ما قَدْ بَلَغَكُمْ، وَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ راضِياً عَنْهُ، حَتَّى غَمَّضَهُ بيدِهِ وغَسَّلَهُ وَحْدَهُ، وَالمَلائِكَةُ أَعْوانُهُ، والفَضْلُ ابنُ عَمِّهِ يَنْقُلُ إِلَيْهِ الماءَ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ حُفْرَتَهُ، وَأَوْصاهُ بِقَضاءِ دَيْنِهِ وعِدَاتِهِ، وَغَيْرَ ذلكَ من أُمُورِهِ، كُلُّ ذلكَ مِنْ مَنِّ اللهِ عَلَيْهِ.

ثُمَّ واللهِ ما دَعا إِلَى نَفْسِهِ، ولَقَدْ تَداكَّ النَّاسُ عَلَيْهِ تَداكَّ الإِبلِ الهِيم عِنْدَ وُرُودها، فَبايَعُوهُ طائِعِينَ، ثُمَّ نَكَثَ مِنْهُمْ ناكِثُونَ بلا حَدَثٍ أَحْدَثَهُ، ولا خِلافٍ أَتاهُ، حَسَداً لَهُ وبَغْياً عَلَيْهِ. فَعَلَيْكُمْ عِباد الله بِتَقْوَى اللهِ وطاعَتِهِ، والجِدِّ وَالصَّبْرِ والاسْتِعانَةِ باللهِ، والخُفُوفِ إِلَى ما دَعاكُمْ إِلَيْهِ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ. عَصَمنا اللهُ وإِيَّاكُمْ بما عَصَمَ بِهِ أَوْلِياءَهُ وأَهْلَ طاعَتِهِ، وأَلْهَمَنا وإِيَّاكُمْ تَقْواهُ، وأَعانَنا وإِيَّاكُمْ عَلى جِهادِ أَعْدائِهِ. وأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لي وَلَكُمْ».

ثم مضى إلى الرَّحبَةَ، فهيَّأَ منزلاً لأبيه أمير المؤمنين.

قال جابر: فقلت لتميم: كيفَ أطاق هذا الغلام ماقد قصصته من كلامه؟ فقال: وَلَما سَقَطَ عَنِّي من قوله أكثر، ولقد حفظت بعض ما سمعت[١].

وعند ذلك انتدب من أهل الكوفة عشرة آلاف أو نحوهم مع الإمام الحسن عليه السلام، فخرج بهم إلى أبيه بالبصرة لقتال طلحه والزبير، ولمَّا انتصر الإمام عليه السلام عليهما في البصرة أرسل الإمام رسالة إلى قرظة بن كعب.

رسالة الإمام إلى قَرَظَةَ بن كعب بعد انتصاره في الجمل:

قال محمد بن البشير الهمداني: كتب الإمام رساله إلى أهل الكوفة بيد عمرو بن سلمة الأرحبي، وقد غلب وانتصر عليه السلام على أهل الجمل، فكبَّر الناس في المسجد، وأُمِرُوا بالصلاة جامعةً، فاجتمع الناس في مسجد الكوفه، وقرئت رسالة الإمام، وهي كما يلي:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

«مِن عَبدِ اللهِ أَميرِ المُؤمِنينَ عَليِّ بنِ أبي طالِبٍ إلى قَرَظَةَ بنِ كعبٍ وَمَن قِبَلَهُ مِنَ المُسلِمينَ: سَلامٌ عَلَيكُمْ، فَإِنّي أَحمَدُ اللهَ الَّذِي لا إلهَ إلَّا هُوَ.

أَمَّا بَعدُ، فَإِنّا لَقِينَا القَوْمَ النَّاكِثينَ لِبَيعَتِنا، المُفارِقِينَ لِجَماعَتِنَا، الباغِينَ عَلَينا مَن أُمَّتِنا، فَحاجَجْناهُم إلى اللهِ، فَنَصَرَنا اللهُ عَلَيهِم وَقُتِلَ طَلحَةُ وَالزُّبَيرُ، وَقَد تَقَدَّمْتُ إلَيْهِما بِالنُذُرِ، وَأَقبَلتُ إلَيهِما بِالنَّصيحَةِ، وَاستَشهَدتُ عَلَيْهِما صُلَحاءَ الأُمَّةِ، فَما أَطاعَا المُرْشِدِينَ، وَلا أَجابَا

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٤: ١٢ ـ ١٣.

النَّاصِحِينَ، وَلاذَ أَهلُ البَغْيِ بِعائِشَةَ، فَـقُتِلَ حَـولَها جَـمعٌ لا يُـحْصِي عَدَدَهُم إلَّا اللهُ، ثُمَّ ضَرَبَ اللهُ وَجْهَ بَقِيَّتِهِم فَأَدبَرُوا، فَما كانَت ناقَةُ الحَجَرِ بِأَشأَمَ عَلَيهِم مِنها عَلى ذٰلِكَ المِصْرِ، مَعَ ما جاءَت بِه مِنَ الحُوْبِ الكَبِيرِ في مَعْصِيَتِها لِرَبِّها وَنَبيِّها مِنَ الحَربِ، وَاغْتِرارِ مَنِ اغتَرَّ بِها، وَما صَنَعَتهُ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَينَ المُؤْمِنينَ، وَسَفْكِ دِماءِ المُسْلِمِينَ، بِلا بَيِّنَةٍ وَلا مَعْذِرَةٍ وَلا حُجَّةٍ لَها.

فَلَمّا هَزَمَهُمُ اللهُ أَمَرْتُ أَن لا يُتْبَعَ مُدْبِرٌ، وَلا يُجهَزَ عَلى جَـرِيحٍ، وَلا يُهْتَكَ سِترٌ، وَلا يُدخَلَ دارٌ إلَّا بِإذْنِ أَهْلِها، وَقَد أَمَّـنْتُ النَّـاسَ، وَقَـدِ استُشْهِدَ مِنَّا رِجالٌ صـالِحُونَ، ضـاعَفَ اللهُ لَـهُمُ الحَسَـناتِ، وَرَفَـعَ دَرَجاتِهِمْ، وَأَثابَهُمْ ثَوابَ الصَّابِرِينَ، وَجَزاهُم اللهُ مِنْ أَهْلِ مِـصْرٍ عَـنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِمْ أَحْسَنَ ما يَجْزِي العامِلِينَ بِطاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَد سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبتُمْ، فَنِعْمَ الإِخْـوانُ وَالأَعـوانُ عَـلَى الحَقِّ أَنْتُمْ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ»[1].

وقد أرسل الإمام عليه السلام هذه الرساله في شهر رجب سنة (٣٦هـ)، وبهذه الرسالة عَمَّ الفرح والسُّرورُ عند أهل الكوفة بانتصار الإمـام عليه السلام عـلى أعدائه طلحة والزبير وعائشة في الجمل، ثمّ إنّ الإمام عليه السلام ترك البصره متوجّهاً إلى الكوفة.

---

(١) الجمل، للشيخ المفيد: ٢١٥ ـ ٢١٦، الشافي في الإمامة، للسيّد المرتضى ٤: ٣٣٠ ـ ٣٣١.

قال الإمام الباقر عليه السلام : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا دنا إلى الكوفة مُقبلاً من البصرة ، خرج الناسُ مع قرظة بن كعب يتلقّونه ، فدنوا منه يُهنِّئونه بالفتح ، وإنّه عليه السلام لَيَمْسَحُ العَرَقَ عن جبهته . فقال قرظة بن كعب : الحمدُ لله ـ يا أمير المؤمنين ـ الذي أعزَّ وليَّك ، وأَذَلَّ عدوَّك ، ونَصَرَكَ على القوم الباغين الطاغين الظالمين[1] .

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام دخل المسجد الأعظم وصلّى ركعتين ، ثمّ خطب في أهل الكوفة ـ وهي أوّل خطبة له في الكوفة ـ قائلاً :

أَمَّا بَعْدُ ، يا أَهلَ الكُوفَةِ ، فَإِنَّ لَكُمْ فِي الإسْلامِ فَضْلاً ما لَم تُبَدِّلُوا وَتُغَيِّرُوا ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى الحَقِّ فَأَجَبْتُمْ ، وَبَدَأْتُمْ بِالمُنْكَرِ فَغَيَّرتُمْ . أَلا إِنَّ فَضْلَكُمْ فيما بَيْنَكُمْ وبَينَ اللهِ ، فَأَمّا فِي الأَحكامِ والقَسْمِ فَأَنتُم أُسوَةُ غَيرِكُمْ مِمَّنْ أَجابَكُمْ وَدَخَلَ فِيما دَخَلْتُمْ فِيهِ . أَلا إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ علَيكُمُ اتِّباعُ الهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ ؛ أَمّا اتِّباعُ الهَوى فَيَصُدُّ عَنِ الحَقِّ ، وَأَمّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ . أَلا إِنَّ الدُّنْيا قَد تَرَحَّلَتْ مُدبِرَةً ، وَإِنَّ الآخِرَةَ تَرَحَّلَتْ مُقبِلَةً ، وَلِكلٍّ واحِدَةٍ مِنْهُما بَنُونَ ، فَكُونُوا مِن أَبْناءِ الآخِرَةِ . اليَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسابَ وَغَداً حِسابٌ وَلا عَمَلَ . الحَمدُ للّهِ الَّذي نَصَرَ وَلِيَّهُ ، وَخَذَلَ عَدُوَّه ، وَأَعَزَّ الصَّادِقَ المُحِقَّ ، وَأَذَلَّ النَّاكِثَ المُبْطِلَ .

عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَطاعَةِ مَنْ أَطاعَ اللهَ مِن أَهلْ بَيْتِ نَبيِّكُمُ الَّذينَ هُم أَوْلى ـ بِطاعَتِكُمْ فِيما أَطاعُوا اللهَ فيهِ ـ مِنَ المُنْتَحِلينَ المُدَّعِينَ المُقابِلينَ

---

(١) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ، للمفيد : ٣١ .

إِلَينا، يَتَفَضَّلُونَ بِفَضْلِنا، وَيُجاحِدُونَنا أَمْرَنا، وَيُنازِعُونَنا حَقَّنا، وَيُباعِدُونَنا عَنهُ؛ فَقَد ذاقُوا وَبالَ ما اجتَرَحُوا فَسَوفَ يَلْقَونَ غيّاً.

أَلا إِنَّهُ قَد قَعَدَ عَن نُصْرَتي رِجالٌ مِنْكُمْ وَأَنا عَلَيْهِم عاتِبٌ زارٍ، فَاهجُرُوهُمْ وَأَسمِعُوهُم ما يَكْرَهُونَ حَتَّى يُعْتِبُوا لِيُعرَفَ بِذلِك حِزبُ اللهِ عِندَ الفُرقَةِ[1].

ثمّ أقبل الأشراف من أهل الكُوفة لملاقاة الإمام عليه السلام، وقد عاتب الإمامُ وأَنَّبَ بعضَهم لعدم مشاركتهم في معركة الجمل، وقد طلب مالكُ بنُ حبيب اليربوعي ـ وكان صاحب الشرطة في الكوفة ـ من الإمام معاقَبة المتخلّفين، فرفض الإمام ذلك وعَفَى عنهم، ثمّ أقام الإمام صلاة الجمعة في الكوفة[2].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام نصب قرظة بن كعب على بهقبا ذات والياً عليها وهي ثلاث مناطق في بغداد على طريق شطّ الفرات، واسمها بِهْقُباذ نسبة إلى قباذ بن فيروز والد انوشيروان[3].

وهناك بعض الأخبار المهمّة التي أوردها قرظة بن كعب لا بأس بالإشاره إليها، وهي أنّه في سنة ٢٣ للهجره النبويّة أرسله عمر بن الخطاب إلى الكوفة.

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٣ ـ ٤، وعنه في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٤، وعنه في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣: ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) معجم البلدان، لياقوت الحموي ١: ٥١٦.

عمرُ يَمْنَعُ قَرَظَةَ من التحديث عن النّبيّ صلى الله عليه وآله

في سنه (٢٣هـ) أرسله عمر بن الخطاب وهو أحد العشرة من الأنصار إلى الكوفة لتعليم الناس الفقه، ولكن أَمَرَهُمْ بمنع الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال قرظه بن كعب : لمَّا سيَّرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر وقال: أتدرون لِمَ شيَّعتكم؟ قالوا: نعم، مكرمة لنا، قال: ومع ذلك إنّكم تأتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل، فلا تَصُدُّوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جرِّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا شريككم. فلمّا قدم قرظة بن كعب العراق قالوا له: حدِّثنا، فقال : نهانا عمر[١].

وفي لفظ الطبري: كان عمر يقول : جرِّدوا القرآن ولا تفسِّروه، وأقلِّوا الرِّواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا شريككم[٢].

وقال ابن كثير في تاريخه: هذا معروف عن عمر[٣].

وعن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، قال : بعث عمر بن الخطاب إلى ابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري وأبي الدرداء، فقال : ما هذا الحديث الذي تُكْثِرون عن رسول الله !! فحبسهم بالمدينة حتّى قُتِلَ[٤].

---

(١) سنن الدارمي ١ : ٨٥، سنن ابن ماجة ١ : ١٦، تذكرة الحفاظ، للذهبي ١ : ٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٢٧٣، وعنه في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢ : ٩٣.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٨ : ١١٥.

(٤) تذكرة الحفاظ، للذهبي ١ : ٧.

وفي لفظ الحاكم في المستدرك: أنّ عمر بن الخطاب قال لابن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذرّ: ما هذا الحديث عن رسول الله ؟! قال: وأحسبه حبسهم بالمدينة حتّى أُصيب[١].

وقال لأبي هريرة: لتترُكَنَّ الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دَوْس، وقال لكعب الأحبار: لتتركن الحديث أو لأُلحِقَنَّك بأرض القِرَدَةِ[٢].

قال الأمين في غديره: هل خفي على الخليفة أنّ ظاهر الكتاب لا يغني الأُمّة عن السُّنَّة، وهي لا تفارقه حتى يردا على النبي الحوض، وحاجةُ الأُمّة إلى السّنّة لا تقصر عن حاجتها إلى ظاهر الكتاب، والكتاب أحوجُ إلى السّنّة من السّنّة إلى الكتاب... فما ذنب مثل أبي ذرّ الغفاري المُنوَّه بصدقه بقول النبي ﷺ: «**ما أَظَلَّت الخضراء، ولا أقلَّت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر**»، أو مثل عبد الله بن مسعود صاحب سِرّ رسول الله وأفضل مَنْ قَرَأَ القرآن وأحلّ حلاله وحرّم حرامه... أو مثل أبي الدرداء كبير الصحابة صاحب رسول الله ﷺ، فلماذا حبسهم حتى أُصيب؟! ولماذا هتك أُولئك العظماء في الملأ الدّينيّ وصغّرهم في أعين الناس؟!

نعم هذه الآراء كلّها وأحداث السياسة الوقتية سدَّت على الأُمّة أبواب العلم وأوقعتها في هُوَّة الجهل ومعترك الأهواء....

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ١: ١١٠.

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٥٠: ١٧٢ و ٦٧: ٣٤٣، وعنه في كنز العمال، للمتقي الهندي ١٠: ٢٩١ / ح ٢٩٤٧٢.

لقد ابتُلِيَتِ الأُمّة المسكينة بهكذا قاعدة، فبأيّ كتاب وبأيّة سنّة تتأتّى لها سيادة العالم، التي أسّسها لها صاحب الرسالة الخاتمة ؟! فسيرةُ الخليفة هذه هي ضربة قاضية على الإسلام وعلى أُمته وتعاليمها وشرفها[١].

ومن ويلات تلك السيرة الممقوتة حديثِ منع كتابة السنن، فعن عروة: أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثمّ أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إنّي كُنْتُ أُريد أن أكتب السنن، وإنّي ذكرتُ قوماً كانوا قبلكم كتبوا كُتُباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أَشُوبُ كتابَ الله بشيءٍ أبداً[٢].

إنّ الخليفة منع من ذلك لأنّه أراد أن لا تُذكَرَ أحاديثُ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته بلا فصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وفضائلُ أهل البيت عليهم السلام، والرواياتُ التي ذكرها النبيُّ في مثالب بني أُميَّة وغير ذلك، وعمر هو الذي منع الرسول في حياته صلى الله عليه وآله أن يكتب الكتاب، هذا كُلُّهُ مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد رخَّص لهم الكتابة.

قال عبدالله بن عمرو بن العاص: كنتُ أكتب كُلَّ شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله أُريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أَتكتبُ كلَّ شيء تسمعه من رسول الله، ورسولُ الله بَشَرٌ يتكلّم في الغضب والرضا ؟! فأَمْسَكْتُ عن الكتابة، فذكرتُ ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وآله، فأومأ بأصبعه إلى

---

(١) الغدير، للعلّامة الأميني ٦ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) الغدير، للعلّامة الأميني ٦ : ٢٩٧.

فيه وقال: «**اكتُبْ فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حَقٌ**»[١].

والسؤال هنا: مَنْ مِنْ قريش يجرُؤُ على نهي الصّحابي عن أن يكتب قول النبي ﷺ الذي هو رسول ورئيس دولة بنفس الوقت؟ مَن يجرُؤُ على ذلك سوى عمر وأبي بكر؛ لأنّهما خشيا أن تروى عن رسول الله أحاديث قالها النبيّ في حقّ أُناس ذمّهم النّبيّ وذكَرَ مساوِيهم، ولذلك منعا النّبيّ أن يكتب حين قال: «**ائتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبدا**»، فقالوا بكل وقاحة: حسبنا كتاب الله، ومنعا النّبيّ أن يكتب الوصية في أهل بيته عليهم السلام.

وفاة قرظة بن كعب

لم يزل قرضة عاملاً على الكوفة حتى قدم الإمام عليه السلام من البصرة بعد أشهر، ولمّا سار إلى صفّين أخذه معه واستخلف على الكوفة عقبة بن عمرو الأنصاري المعروف بأبي مسعود.

وأمّا بالنسبة لسنة وفاته، فقد روي أنّه توفي في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام في داره بالكوفة، وصلّى عليه الإمام، وقيل: انّه توفّي سنة (٥١ هـ) في إمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة أوّل أيّام معاوية، والأوّل أصحّ[٢].

---

(١) مسند أحمد ٢: ١٦٢، سنن الدارمي ١: ١٢٥، سنن أبي داود ٢: ١٧٦ / ح ٣٦٤٦، المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ١: ١٠٥.

(٢) أُسد الغابة، لابن اثير ٤: ٢٠٢، الإصابة، لابن حجر ٥: ٣٢٨ ـ ٣٣٠ / الترجمة ٧١١٣، الاستيعاب، لابن عبد البر ٣: ١٣٠٦ / الترجمة ١٢٦٨.

رابع ولاته عليه السلام على الكوفة: أبو مسعود الأنصاري عقبةُ بن عمرو

عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود الأنصاري، من بني الحارث بن الخزرج، وهو مشهور بكنيته، ويعرف بأبي مسعود البدري لأنّه كان يسكن بدراً، وهو أَحْدَثُ مَنْ شهد العقبة سنّاً، ولم يشهد بدراً، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد[1].

وجاء في الفتوح: أنّ الإمام عليه السلام لمّا أراد أن يخرج إلى حرب معاوية (معركة صفين) أمر الحارث الأعور أن ينادي في الناس أنِ اخْرُجُوا إلى معسكركم بالنُّخَيْلَة... ثمّ دعا أميرُ المؤمنين عليه السلام أبا مسعود عقبة بن عمرو فاستخلفه على الكوفة، ونادى في الناس بالرحيل، فرحلت الناس وهم تسعون ألفاً، وثمانمائة رجل ممن بايع النبي صلى الله عليه وآله تحت الشجرة.

وقال سعيد بن جبير: كان مع عليٍّ عليه السلام يومئذ عند توجهه إلى صفين ثمانمائة رجل من الأنصار، وتسعمائة ممّن بايع تحت الشجرة.

وقال الحكم بن عقبة: شهد مع علي عليه السلام يومئذ في صفّين ثمانون بدرياً، وخمسون ومائتان ممّن بايع تحت الشجرة.

وقال سليمان بن مهران الأعمش: كان مع عليٍّ يومئذٍ ثمانون بدريّاً، وثمانمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان معه سيّد التابعين أُويس القرني، واستشهد في صفين بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام[2].

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ٣: ١٠٧٤ ـ ١٠٧٥ / الترجمة ١٨٢٧.

(٢) الفتوح، لابن أعثم ٢: ٥٤٤.

عاقبة أبي مسعود الأنصاري :

قال ابن أبي الحديد : كان أبو مسعود الأنصاري منحرفاً عن علي عليه السلام[١]. ويشهد لذلك عدة روايات منها، قال أبو وائل: دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمّار حيث بعثه عليّ عليه السلام إلى أهل الكوفة يستنفرهم لحرب الجمل، فقالا : ما رَأَيناكَ أتيتَ أَمْراً أَكْرَهَ عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمتَ، فقال عمار: ما رأيتُ منكما منذُ أسلمتما أمراً أَكرَهَ عندي من إبطائكما عن هذا الأمر، وكَساهُما حُلَّةً حُلَّةً، ثمّ راحوا إلى المسجد[٢] فإنّ أبا مسعود اقتفى أثر أبي موسىٰ الأشعري في التّخلّف عن هَدْيِ عمّارٍ، وأنكرا الاستنفار لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام.

وكذلك يستفاد من بعض الكتب أن أبا مسعود عقبة بن عمرو كان يرجِّح الصلح مع معاوية، فقد نقل صاحب سير أعلام النبلاء: أنّ أبا مسعود كان يقول : ما أودّ أن تظهر إحدى الطائفتين على الأُخرى، حتّى يكون بينهما صلحٌ.

ولذلك لمّا رجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة عزله عن منصبه، وقال له : اعتزِل عَمَلَنا، فقال : لماذا؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّا وجدناكَ لا تعقلُ عقلةً. فقال : أمّا أنا فقد بقي من عقلي أنّ الآخرَ شرٌّ[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤ : ٧٦.

(٢) صحيح البخاري ٨ : ٩٨.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢ : ٤٩٥.

ولا يستبعد منه هذا الأمر وخذلانه لأمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ عقبة بن عمرو كان يحرّض الناس على نصرة عثمان، وإعانة أهل المدينة، وكان يمنع من شَتْمِ معاوية.

قال ابن أبي الحديد : وقام بالكوفة نفر يحرّضون الناس على نصر عثمان وإعانة أهل المدينة، منهم عقبة بن عمرو[١].

وقال صاحب الاستيعاب : استخلفه عليٌّ في خروجه إلى صفّين على الكوفة فَلَمْ يَفِ له[٢].

وأمّا بالنسبة لتوليته على الكوفة من قِبَل الإمام عليه السلام، فذلك لسابقته في الإسلام، وأنّه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولاحترام أمير المؤمنين عليه السلام للأنصار، وإلّا فهو من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام.

مات أبو مسعود سنة إحدى وأربعين أو اثنتين وأربعين. وقيل : مات أيّام علي عليه السلام. وقيل : بل كانت وفاته بالمدينة في خلافة معاوية[٣].

خامس ولاته عليه السلام على الكوفة : هاني بن هوذة النخعي

وهو هاني بن هوذه بن عبد يغوث بن عمرو بن عدي النخعي وقد ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام على الكوفة وذلك لمّا خرج لحرب الخوارج في النهروان[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢ : ١٤١، قال : وقام.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر ٣ : ١٠٧٤ / الترجمة ١٨٢٧.

(٣) الاستيعاب، لابن عبدالبر ٣: ١٠٧٥ / الترجمة ١٨٢٧. وانظر أعيان الشيعة ٨: ١٤٧.

(٤) أنساب الأشراف، للبلاذري : ٣٧٥.

وقد ذكر صاحب الغارات عن سعيد الأشعري، قال: استخلف علي عليه السلام حين سار إلى النهروان رجلاً من النخع يقال له: هاني بن هوذة، فكتب هاني إلى علي عليه السلام: بأنّ قبيلة غَنِيّ وباهِلَةَ قد اشعلوا الفِتَن، واقاموا مجلساً يدعون الله تعالى بأن ينصر عدوَّك عليك، فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «أَجْلِهِمْ من الكوفة ولا تدع منهم أحداً»[1].

لقد كانت قبيلتا غنيّ وباهِلة من غطفان وعيلان، وكانوا على خلاف مع أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد ذكر نصر بن مزاحم في كتابه صفين أنّهم لم يحضروا مع علي عليه السلام في صفين، وكانوا يخالفون أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد كتب اليهم أميرالمؤمنين عليه السلام: «**يا معشر باهِلَة، أُشهدُ الله أنّكم تُبغضوني وأُبغضُكم، فخُذُوا عطاءكم واخرُجُوا إلى الدَّيْلَم**»[2].

وكانوا معروفين بضعف الدين، وارتكابهم الجرائم، وعدم تقيّدهم بالشرع، وكانوا منحطّين أخلاقياً ومذمومين، وقد عقدوا مجلس فرح لعدم انتصار أميرالمؤمنين عليه السلام على معاوية في صفين لإظهار حقدهم وعداوتهم لأميرالمؤمنين عليه السلام، ولكنَّ الإمام عليه السلام مع ذلك كلّه لم يمنع عطاءَهم من بيت المال، وكان يحسن إليهم، حيث قال لهم: «خذوا عطاءكم»، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عظمة أمير المؤمنين عليه السلام وسعة صدره، وكما قال عليه السلام: أَحْسِنْ إلى مَن أساء إليك[3].

---

(١) الغارات، للثقفي ١: ١٨.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٦، الفتوح، لابن اعثم ٢: ٥٤٤.

(٣) نهج السعادة، للمحمودي ٥: ٣٢ و ٣٧.

سادس ولاته عليه السلام على الكوفة : عمار بن حسان بن شُرَيح الطائي

قال الشيخ السماوي : هو عمار بن حسان بن شريح بن سعد بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثُمامة بن ذُهْل بن جدعان بن سعد بن طيّ، الطائي.

كان عمّار من الشيعة المخلصين في الولاء، ومن الشجعان المعروفين. وكان أبوه حسّان ممن صحب أمير المؤمنين عليه السلام وقاتل بين يديه في حرب الجمل وحرب صفين فقتل بها.

وكان عمار صحب الحسين عليه السلام من مكة ولازمه حتّى قتل بين يديه.

قال السَّروي[1] : قتل في الحملة الأُولى.

ومن أحفاد عمّار عبدُ الله بن أحمد بن عامر بن سليمان بن صالح بن وهب بن عمار هذا، أحدُ علمائنا ورواتنا، صاحبُ كتاب «قضايا أمير المؤمنين عليه السلام» يرويها عن أبيه، عن الإمام الرضا عليه السلام[2].

وذكر الشيخ الطوسي أنّه من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام[3]، وقد نصبه أمير المؤمنين عليه السلام والياً من قِبَلِهِ على الكوفة[4].

وذكره ابن شهر آشوب من شهداء كربلاء، حيث استشهد في الحملة

---

(١) أي ابن شهر آشوب.

(٢) إبصار العين في أنصار الحسين، للسماوي : ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٣) رجال الشيخ الطوسي : ١٠٣ / الترجمة ١٠١٣.

(٤) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، للقلقشندي ١ : ٤٨.

الأُولى في يوم عاشوراء[١]، لمّا حمل جيش بني أُميّة على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

وقد وقع التسليم عليه في زيارتي الناحية والرجبية، ففي الزيارة التي خرجت من الناحية المقدّسة: السلام على عمار بن حسان بن شريح الطائي[٢]. وفي الزيارة الرجبية: السلام على عمّار بن حسّان[٣].

وقد ذكره النجاشي في ترجمة أحمد بن عامر بن سليمان، وفي ترجمة عبد الله بن أحمد بن عامر بن سليمان، باسم عامر بن حسّان[٤].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٣: ٢٦٠.

(٢) إقبال الأعمال، لابن طاووس ٣: ٧٩.

(٣) إقبال الأعمال، لابن طاووس ٣: ٣٤٦.

(٤) معجم رجال الحديث، للخوئي ١٠: ٢٠٧ / الترجمة ٦٠٨٦ و ١٣: ٢٦٧ / الترجمة ٨٦٤١. وانظر رجال النجاشي: ١٠٠ / الترجمة ٢٥٠ و ٢٢٩ / الترجمة ٦٠٦.

الفصل الثاني «من الباب الثالث»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة

وهم:

١ ـ عثمان بن حنيف الأنصاري

٢ ـ عبدالله بن العباس

٣ ـ زياد بن أبيه[١]

٤ ـ أبو الأسود الدئلي

---

(١) كان ابن عباس يجعله على البصرة إذا سافر عنها فهو كسائر من تُناط بهم بعض المهمّات وليس والياً من قِبَل الإمام عليه السلام فهو أحد مَنْ أناط بهم ابن عباس بعض المسؤوليات فمن هذا الباب نذكره هاهنا.

أول ولاته عليه السلام على البصرة : عثمان بن حنيف الأنصاري

هو عثمان بن حنيف بن وهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحارث بن مجدعة الأنصاري، من بني عمرو بن مالك بن عوف بن الأوس الأنصاري، أحد الصحابة الأجلّاء، شهد مع المسلمين معركة أحد وأبلى فيها بلاءً حسناً، وشارك في معارك أُخرى ضد قريش.

بعد تولّي عمر بن الخطاب الحُكْم ولّاه السواد، وبقي في الولاية إلى أن قُتِلَ عمر فعزل عنها. وعندما تولّى الخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام ولّاه على البصرة بعد ما عزل والي عثمان عبد الله بن عامر، وبقي فيها إلى أن حدثت معركة الجمل بين الإمام عليه السلام وأصحابه وعائشة وأتباعها[1].

الناكثون على أبواب البصرة

روى أبو مخنف : أنّه لمّا أقبلت عائشة وطلحة والزبير ومن معهم إلى البصرة، وكان عليها عثمان بن حنيف، وهم النّاكثون الذين نكثوا بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فلمّا وصلوا إلى ضواحي البصرة عسكروا في

---

(١) الاختصاص، للمفيد : ٤، تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ٧ : ١٠، ٢٥٤، أسد الغابة، لابن الأثير ٣ : ٣٣٨، رجال بحر العلوم : ٢٠٨ ـ ٢١٠، رجال النجاشي : ٤ ـ ٥، مجالس المؤمنين، للقاضي نور الله التستري ١ : ٢٤٨، جامع الرواة، للأردبيلي ١ : ٩٥، أعيان الشيعة ٨ : ١٣٩ ـ ١٤٢، الوافي بالوفيات ١٩ : ٣١٦.

الموضع المسمى بِحَفْرِ أبي موسى الأشعري، وكتب طلحة والزبير إلى عثمان بن حنيف: أنْ أَخْلِ لنا دار الإمارة، فلمّا وصل الكتاب إلى ابن حنيف بعث إلى الأحنف بن قيس يستشيره، فقال الأحنف: إنّهم جاءوُك بعائشة للطلب بدم عثمان، وهم الذين ألبّوا على عثمان الناس وسفكوا دمه، وأراهم والله لا يزايلوننا حتّى يُلْقُوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا، وأظنّهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قِبَلَ لك به إن لم تتأهَّب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة، فإنّك اليوم الوالي عليهم وأنت فيهم مطاع، فَسِرْ إليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة فتكون الناس لهم أطوع منهم لك.

فقال عثمان بن حنيف: الرأيُ ما رأيت، لكنّي أكره الشّرّ وأن أبدأهم به، وأرجو العافية والسلامة، إلّا أَنْ يأتيني كتابُ أميرالمؤمنين عليه السلام ورأيه فاعمل به.

ثمّ أتاه بعد الأحنفِ حكيمُ بنُ جبلة العبدي فأَقْرَأَهُ كتاب طلحه والزبير، فقال له مثل قول الأحنف، وأجابه عثمان بن حنيف بمثل جوابه للأحنف، فقال له حكيم: فَأْذَنْ لي حتّى أسيرَ إليهم بالناس، فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين وإلّا نابذتهم على سواء. فقال له عثمان بن حنيف: لو كان ذلك رأيُ لسرتُ إليهم بنفسي، فقال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لَيُنْغِلُنَّ قلوبَ كثير من الناس عليك، ولَيُزيلُنَّك عن مجلسك هذا، وأنت أعلم. فأبى عليه عثمان[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩: ٣١١ ـ ٣١٢.

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابن حنيف

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف لمّا بلغه مشارفة القوم البصرة:

«مِنْ عَبْدِ الله عليٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إلى عُثْمانَ بنِ حُنَيْفٍ: أمَّا بعدُ، فإنَّ البُغاةَ عاهَدُوا الله ثُمَّ نَكَثُوا وتَوَجَّهُوا إلى مِصْرِكَ، وساقَهُمُ الشَّيْطانُ لِطَلَبِ ما لا يَرْضَى اللهُ بِهِ، واللهُ أَشَدُّ بَأْساً وأَشَدُّ تَنْكِيلا، فإذا قَدِمُوا عَلَيْكَ فادْعُهُمْ إلى الطَّاعَةِ والرُّجُوعِ إلى الوَفاءِ بالعَهْدِ والمِيثاقِ الَّذي فارَقُونا عَلَيْهِ، فإنْ أَجابُوا فَأَحْسِنْ جِوارَهُمْ مادامُوا عِنْدَكَ، وَإِنْ أَبَوا إلَّا التَّمَسُّك بِحَبْلِ النَّكْثِ وَالخِلافِ فَناجِزْهُمُ القِتالَ حتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكَ وَبيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ، وَكَتَبْتُ كِتابِي هٰذا إلَيْكَ مِنَ الرَّبَذَةِ، وأَنا مُعْجِلٌ المَسِيرَ إلَيْكَ إنْ شاءَ اللهُ»[1].

فلمّا وَصلَ كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف أرسل إلى أبي الأسود الدُّئَلي وعمران بن الحصين الخزاعي، فأمرهما أن يسيرا حتّى يأتياه بِعِلْمِ القوم، وما الذي أقدمهم؟ فانطلقا حتَّى أتيا حفير أبي موسى وبه معسكر القوم، فدخلا على عائشة فوعظاها وذكَّراها وناشداها الله.

فقالت لهما: القَيَا طلحةَ والزُّبير، فلقيا الزبير، فكلَّماه فقال لهما: إنّا جئنا للطَّلب بدم عثمان، ونَدْعُو الناس إلى أن يَرُدُّوا أَمر الخلافة شورى ليختارَ النَّاسُ لأنفسهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩: ٣١٢ ـ ٣١٣.

فقالا له: إنَّ عثمان لم يُقْتَلْ بالبصرة ليُطْلَبَ دمه فيها، وأنت تعلم قَتَلَةَ عثمان مَن هم وأين هم، وإنّك وصاحبك وعائشة كنتم أشدّ الناس عليه، وأعظمهم إغراء بدمه، فأَقِيدُوا من أنفسكم. وأمّا إعادة أمر الخلافة شورى فكيفَ وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين؟! وأنت يا أبا عبدالله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ﷺ وأنتَ آخِذٌ قائمَ سيفك تقول: ما أحدٌ أحقّ بالخلافة منه ولا أَوْلَى بها منه، وامتنعت من بيعة أبي بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟!

فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة، فقاما إلى طلحة فوجداه خَشِنَ الملمس، شديد العريكة، قويّ العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب. فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه، وقال له أبو الأسود:

يابنَ حُنَيْفٍ قد أُتِيتَ فَانْفِرِ وطاعِنِ القومَ وجالِدْ واصْبِرِ
وَابْرُزْ لَها مُسْتَلْئِماً وشَمِّرِ

فقال ابن حنيف: إيْ والحرمين لأفعلنَّ، وأمر مناديه فنادى في الناس: السِّلاح، السِّلاح، فاجتمعوا إليه[1].

وحدّث الأشعث بن سوار، عن محمد بن سيرين، عن أبي الخليل، قال: لمّا نزل طلحة والزبير المِرْبَد أتيتُهما فوجدتهما مجتَمِعَيْن، فقلت لهما: ناشدتكما الله وصحبة رسول الله ﷺ ما الذي أقدمكما أرضنا هذه؟ فلم يتكلّما فأعدتُ عليهما، فقالا: بلَغَنا أنّ بأرضكم هذه دنيا

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩: ٣١٣ ـ ٣١٤.

فجئنا نطلبها[١].

وأتى عبدالله بن حكيم التميمي إلى طلحة والزبير لما نزلا السبخه بِكُتُبٍ كانا كتباها إليه، فقال لطلحة يا أبا محمد أما هذه كتبك الينا ؟! قال: بلى، قال: فكتبتَ أمسِ تدعونا إلى خلع عثمان وقتله، حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه !! فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلّا هذه الدنيا، مهلاً، إذا كان هذا رأيك فلِمَ قبلتَ من عليٍّ ما عرض عليك من البيعة، إذ بايعته طائعاً راضياً، ثمّ نكثتَ بيعتك، ثمّ جئت لتدخلنا في فتنتك. فقال: إنّ عليّاً دعاني إلى بيعته بعد ما بايع الناس، فعلمتُ أنّني لو لم أقبل ما عرضه عليَّ لم يَتُمَّ لي، ثم يُغْرِي بي مَنْ معه[٢].

وقد كذب طلحة في ادعائه هذا، لأنّه كان أوّل من بايَعَ أمير المؤمنين عليه السلام، لكنّه كان يظنّ أن يحصل على الأموال أو على ولاية مصر من الأمصار، فلمّا رأى عَدْل أمير المؤمنين عليه السلام، نكث البيعة وخرج لقتاله.

وقد زَعم الزبير مثل هذه المزعمة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بايَعَ بِيَدِهِ ولَمْ يُبايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بالبيعَةِ وادَّعَى الوَلِيجَة[٣]، فَلْيَأْتِ عَلَيْها بأَمْرٍ يُعْرَفُ، وإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيما خَرَج مِنْهُ[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩ : ٣١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩ : ٣١٨ ـ ٣١٩.

(٣) الوَلِيجة : الدخيلة وما يُضْمَرُ في القلب.

(٤) نهج البلاغة ١ : ٤٣ / خ ٨.

ابنُ حنيف يَعِظُهُم

وفي الصباح من غدٍ صَفَّا للحرب، وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه فناشدهما الله والإسلام، وذكّرهما بيعتهما لعليّ، فقالا: نطلُبُ بدم عثمان، فقال لهما: وما أنتما وذاك؟! أَينَ بَنُوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم؟ كلّا والله ولكنّكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له، وهل كان أحدٌ أشدَّ على عثمان قولاً منكما؟! فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمَّهُ. فقال للزبير: أَمّا والله لولا صفيّة ومكانها من رسول الله ـ فإنّها أَدْنَتْكَ إلى الظّلّ ـ وأنّ الأمر بيني وبينك يابن الصَّعْبة ـ يعني طلحة ـ أعظم من القول، لأعلمتكما من أَمْرِكُما ما يسوؤُكما، اللّهمّ إنّي قد أعذرتُ إلى هذين الرَّجلينَ في الهدنة.

واقتتل الناس قتالاً شديداً، ثمّ تحاجزوا واصطلحوا على أن يُكْتَبَ بينهم كتاب صلح، فكتب: هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب، وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما: أنّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرَّحَبة والمسجد وبيت المال والمنبر، وأنّ لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاءُوا من البصرة، ولا يضارَّ بعضهم بعضاً في طريق ولا فُرْضَة ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق حتّى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام، فإن أحبُّوا دخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة، وإن أحبُّوا لَحِقَ كُلُّ قومٍ بهواهم وما أحبُّوا من قتال أو سلم أو خروج أو اقامة. وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه، وأشدّ ما أخذه على نبيٍّ من أنبيائه من عهدٍ وذمّةٍ. وخُتِمَ الكِتابُ.

ورجع عثمان بن حنيف حتّى دخل دار الإمارة، وقال لأصحابه: الحَقُوا رحمكم الله بأهلكم، وضعوا سلاحكم، وداووا جرحاكُم، فمكثوا كذلك أيّاماً[١].

عذر طلحة والزبير بعثمان

ثمّ إنّ طلحة والزبير قالا: إن قدم عليٌّ ونحن على هذه الحال من القلّة والضّعف كيَأْخُذَنَّ بأَعناقنا، فأجمعا على مراسله القبائل واستماله العرب، فأرسلا إلى وجوه الناس وأهل الرئاسة والشَّرَف يدعوانهم إلى الطلب بدم عثمان وخلع عليٍّ وإخراج ابن حنيف من البصرة، فبايعهم على ذلك الأزد وضبّة وقيس بن عيلان كلّها إلّا الرجل والرجلين من القبيلة....

فلمّا استوسق لطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلةٍ مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب، فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه وأُقيمت الصلاة، فتقدّم عثمان ليصلّي بهم، فأَخَّرَهُ أصحابُ طلحة والزبير وَقَدَّموا الزبير، فجاءت السبابجة ـ وهم الشرط حَرَسُ بيت المال ـ فأخرجوا الزُّبير وقدَّموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير فقدَّموا الزبير وأَخّروا عثمان، فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس أن تطلع. وصاح أهل المسجد: ألا تَتَّقون الله يا أصحاب محمد وقد طلعت الشمس.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩: ٣١٩ ـ ٣٢٠.

وغلب الزُّبير فصلّى بالنّاس، فلمّا انصرف من صلاته صاح بأصحابه المستسلمين: أَنْ خُذُوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما. فلمّا أُسِرَ ضَرَبُوُه ضَرْبَ الموت ونتفوا حاجبيه وأشفار عينيه وكلّ شعرةٍ في رأسه ووجهه، وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة.

فقالت عائشة لأَبان بن عثمان: اخرج إليه واضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله. فنادى عثمان بن حنيف: يا عائشة ويا طلحة ويا زبير: إنّ أَخي سهل بن حنيف خليفة علي ابن أبي طالب على المدينة، وأُقسم بالله إن قتلتموني لَيَضَعَنَّ السيف في بني أبيكم وأَهليكم ورهطكم فلا يُبْقي أحداً منكم، فكَفُّوا عنه وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهليهم بالمدينة فتركوه[1].

مذبحة عائشة في البصرة

وأرسلت عائشة إلى الزبير أن اقتُل السَّبابجة، فإنّه قد بلغني الذي صنعوه بك، قال: فذبحهم والله الزبير كما يُذبَحُ الغنم، ولي ذلك منهم ابنه عبدالله، وهم سبعون رجلاً، وبقيت طائفة منهم مستمسكين ببيت المال قالوا: لاندفعه إليكم حتّى يقدم أميرالمؤمنين عليه السلام، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبراً، فكانت السبابجة (شرطة حرس بيت المال) القتلى منهم أربعمائة رجل،

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩: ٣٢٠ ـ ٣٢١.

فكانَ غَدْرُ طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أَوَّلَ غدرٍ كان في الإسلام....

ولمّا وصل عثمان بن حنيف إلى عليٍّ عليه السلام ورآه بكى، وقال لهُ: فارقتُكَ شيخاً وجئتنا أَمْرَد، فقال علي عليه السلام: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون»، قالها ثلاثاً[1].

ولمّا وصل أميرالمؤمنين عليه السلام إلى البصره التحق عثمان بن حنيف بالإمام، وبدأت الحرب مع الناكثين ـ طلحة والزبير وعائشة ـ وكان الانتصار للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان عثمان بن حنيف من أبرز فرسانها، وجاهد مع الإمام جهاد الأبطال بالرغم من كبر سِنّه، وانتهت المعركة بانتصارٍ كبيرٍ للإمام عليه السلام وقتل طلحة والزبير.

ثمّ إنّ عثمان بن حنيف عاد مع الإمام إلى الكوفة واستقرّ بها وعاش إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، ثمّ أَمَرَ معاويةُ زيادَ بن أبيه على الكوفة فاعتقل ابنُ زياد عثمانَ بن حنيف وأودعه السجن، ثمّ أطلق سراحه لتدهور حالته الصّحّية وكبر سنّه، ولم يَمْضِ وقت طويل على خروجه من السجن حتى وافاه الأجل رحمه الله[2]. وقال ابن الجوزي أنّه توفي سنة (٥٧ هـ)، لكن ابن كثير قال: ولَمْ أَرَ أحداً أَرَّخ وفاته بهذه السنة سوى ابن الجوزي[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩ : ٣٢١.

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٤ : ٤٣ قال : وفي أيّامه [أي معاوية بن] مات عثمان بن حنيف الأنصاري.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٨ : ٨٨.

ثاني ولاة أميرالمؤمنين عليه السلام على البصرة : عبد الله بن العباس

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، أخذ العلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أصبح من فقهاء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وبعده. ويوم وفاة رسول الله كان عمره ثلاث عشرة سنة.

نال ابن عباس منزلةً كبيرة عند الرسول صلى الله عليه وآله، وروى عن الرسول صلى الله عليه وآله آلاف الأحاديث الشريفة، وقد عُدَّ أحد الرواة الثقات ومن الذين لا غبار عليهم، حيث إنّ هناك عدداً من الرواة يُشَكُّ في صدق رواياتهم.

قال الرسول صلى الله عليه وآله العديد من الأحاديث الشريفة التي يشيد بها صلى الله عليه وآله بعلمه ومعرفته. ومن الأحاديث التي قالها الرسول صلى الله عليه وآله فيه:

«**اللهم زده علماً وفِقْهاً**».

وقال صلى الله عليه وآله فيه أيضاً: «**اللّهمّ علِّمْهُ الحكمةَ وتأويل القرآن**».

وقال صلى الله عليه وآله: «**اللّهمّ بارك فيه، وانشر منه، واجعله من عبادك الصالحين**»[1].

أمّا هو فيقول عن منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله:

دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح على ناصيتي، وقال: «اللّهمّ علّمه الحكمةَ وتأويل الكتاب»[2].

وقال أيضا: ضَمَّني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال صلى الله عليه وآله: «**اللّهمّ علّمه الحكمة**

---

(١) انظر هذه الأحاديث الثلاثة في الاستيعاب ٣ : ٩٣٥ / الترجمة ١٥٨٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٦٥.

وتأويل الكتاب »[١].

وروي أنّ العباس بعث ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وآله فنام وراءه وعند النبي صلى الله عليه وآله رَجُلٌ، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله فقال له: «**متى جئت يا حبيبي ؟**» قال: منذ ساعة، قال: «**هل رأيت عندي أحداً ؟**» قال: نعم رأيت رجلاً، قال صلى الله عليه وآله: «**ذلكَ جبرئيلُ عليه السلام ولم يَرَهُ خلقٌ إلّا عَمِيَ إلّا أن يكون نبيّاً: ولكنْ عَسَى أن يجعل ذلك في آخر عمرك**» ثم قال: «**اللّهمّ علّمه التأويل، وفقّهه في الدين، واجعله من أهل الايمان**»[٢] ولذلك عَمِيَ في آخر عمره.

هذا هو عبد الله بن العباس، كان يحمل كلّ معاني العلم والأدب والفقه، حتّى أُطلق عليه لقب (حبر الأُمّة)، وذلك لأنّه كان مستودعاً للعلم والحكمة.

لازم ابنُ عباسٍ عليه السلام الرسولَ الكريم صلى الله عليه وآله إلى أن توفّي صلى الله عليه وآله، وكان من المفسرين للآيات القرآنية، حتّى أجمع المفسّرون على أنّه كان من العالمين بتفسير الآيات القرآنية الكريمة وأسباب نزولها كما أبلغه بذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لازم ابنُ عبّاسٍ الإمامَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان ساعده الأيمن، وأصبح أحد تلامذته وخرّيجي

---

(١) سنن ابن ماجة ١ : ٥٨ / ح ١٦٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ٣ : ٥٣٦، إمتاع الأسماع، للمقريزي ١٢ : ٢٤٧ و ١٤ : ١٥٥.

مدرسته العلمية الكبيرة، التي تأتي بعد مدرسة الرسول الكريم، والتي كانت تعتبر امتداداً لمدرسة الرسول ﷺ.

وهنا قال ابن عبّاس: عليٌّ عَلِمَ علماً علمه رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ علَّمه الله عز وجل، فَعِلْمُ النبيِّ من عِلْمِ الله، وعِلْمُ عليٍّ من علم النبي، وعلمي من عِلْمِ عليٍّ، وما علمي وعلمُ أصحاب محمَّدٍ في علم عليٍّ إلّا كقطرةٍ في سبعة أبحُر[1].

بعد مقتل عثمان بن عفان وتولّي الإمام علي عليه السلام الخلافة كان ابن عباس رضي الله عنه أحد أصحاب الإمام عليه السلام المحدقين به، فكان الإمام عليه السلام يَثِقُ به في الأُمور التي تخصّ الدولة الإسلامية الكبيرة.

وعندما شقّت عائشه وصاحباها عصا الطاعة على الإمام عليه السلام، ورُفِعَتْ راية العصيان، بذل الإمام عليه السلام محاولات عديدة لردعها ورفيقيها طلحة والزبير عن غيِّهم ونكثهم، وللعودة إلى جادّة الصواب وعدم إثارة المشاكل، وكان من جملة مَنْ أرسلهم عليه السلام هو عبد الله بن عباس.

فاجتمع ابن عباس بعائشة مرات عديدة، وتباحث مع طلحة والزبير قادة الحملة ضد الإمام عليه السلام، لكنّه لم يفلح، وذلك لإصرار هؤلاء على إعلان العصيان على الإمام عليه السلام.

وبعدما يئس الإمام عليه السلام من جدوى الحوار مع هؤلاء قرّر التوجّه إليهم على رأس جيش كبير ضمَّ العديد من صحابة الرسول ﷺ، وكان في

---

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ١: ٣١٠ ـ ٣١١.

مقدّمتهم الصحابيّ ابن عباس، ودارت الحرب بين جيش الإمام عليه السلام وعائشة وأصحابها، وكانت النهاية اندحار جيش عائشة وأسرها، فأحسن إليها الإمام عليه السلام وأرسل إليها ابن عباس، لإبلاغها قرار الإمام عليه السلام بترحيلها إلى المدينة، وقد رفضت استقباله إلّا أنّه دخل عليها وأبلغها قرار الإمام عليه السلام[1]، وبعد ذلك أرسل الإمام عليه السلام أخاها محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ـ الذي كان أحد اصحاب الإمام المخلصين ـ فذهب معها إلى المدينة المنورة[2].

كان لعبدالله بن العباس دورٌ كبيرٌ في سرعة إنهاء هذه الحرب بعد أن قام مع الإمام عليه السلام وبقيّة الصحابة الأجلاء بإدارتها إدارة ناجحة.

كما لعب ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه مع الإمام عليه السلام دوراً مهمّاً من أجل إقناع المتمرّدين الذين ثاروا على عثمان بن عفان وردّهم عنه في بادئ الأمر، وبذلوا جهوداً لمنع حدوث الاضطرابات التي أدّت إلى مقتل عثمان، إلّا أنّ هذه المساعي لم تثمر بسبب الدور القذر الذي لعبه مروان بن الحكم مع النفر الضالّين من بني أُميّة وحاشية عثمان.

ووقع الأمر؛ حيث قتل عثمان بن عفان، بعد أَنْ لم يَرْعَوِ، إذ أرادوا منه إبعاد مروان وأمثال مروان فقَبِلَ ثمّ تحايَلَ، ثمّ أرادوا منه الاستقالة وأن يخلع نفسه، فما انصاع لذلك، فما بقي إلّا قتله.

---

(١) انظر الفتوح، لابن أعثم ٢ : ٤٨٦، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٣.

(٢) انظر البداية والنهاية، لابن كثير ٧ : ٢٧٤.

وعند نشوب معركة صفين بين الإمام علي ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان ـ تلك المعركة التي أجّج نارها معاوية ـ وكان دور عبد الله بن العباس في هذه المعركة دوراً رياديّاً، فقد برز إلى ساحة القتال وقاتل قتالاً منقطع النظير، فقَتَلَ وجَرَحَ الكثير من أفراد جيش معاوية.

وكان معاوية يعلم ويعرف مدى أهمّيّة شخص ابن عباس عند المسلمين، فأراد استمالته إلى جانبه، وعليه قرّر إرسال كتابٍ طويل ضَمَّنَهُ المدح له والثناء عليه، والعتب عليه، وعبارات منمقة أُخرى، وأمر عمرو بن العاص بكتابته.

فرد ابن العباس على الكتاب هذا، وكان ردّه على ابن العاص على الشّكل التالي:

أمّا بعد، فإنّي لا أعلم رجلاً من العرب أقلّ حياءً منك، إنّه مال بك معاوية إلى الهوى وبعته دينك بالثَّمَن اليسير، ثمّ خبطت بالنّاس في عشوة طمعاً في الملك، فلمَّا لم تَرَ شيئاً أعظمت الدنيا إعظام أهل الذنوب، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع، فإن كنت تُرْضِي الله بذلك فدع مصر وارجع إلى بيتك، وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعليٍّ، ابتدأها عليٌّ بالحق وانتهى فيها إلى العُذْر، وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السَّرَف، وليس أهل العراق كأهل الشام، بايع أهل العراق علياً وهو خير منهم، وبايع معاويةَ أهلُ الشام وهم خير منه، ولست أنا وإيّاك فيها بسواء، أردتُ الله وأردتَ أنت مصر، وقد عرفت الشيء الذي

باعدك منّي، ولا أرى الشّيء الذي قَرَّبك من معاوية، فإن ترد شَرّاً لانسبقك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه، والسلام[١].

قرأ معاوية وابن العاص كتاب ابن عباس هذا، فدخل اليأس إلى قلبيهما؛ لأنّهما أرادا دسّ السّمّ بالعسل كما يقول المثل، إلّا أنّ مساعيهم باءت بالفشل، كيف لا؟ وابنُ عباس هو تلميذ مدرستي الرسول صلى الله عليه وآله ووصيّه عليّ بن ابي طالب عليه السلام.

طالت مدّة الحرب وبدا الجزع على أفراد الجيشين، وخاصّةً ضعيفي الإيمان من جيش الإمام عليه السلام، وانتهز الفرصة بعض المدسوسين، في الوقت الذي بدت فيه علائم النصر للإمام عليه السلام قريبةً؛ حيث كان الأشترُ أحدَ أبرز قادة الإمام، وابنُ عباس كان في الميسرة، يتقدّمهم الإمام علي عليه السلام، وكادت الحرب تنتهي بهزيمة ساحقة لمعاوية، إلّا أنّ عمرو بن العاص القائد العام للقوّات، وبعضاً من المنافقين المندسّين في جيش الإمام عليه السلام وفي مقدّمتهم الأشعث بن قيس، أيَّدوا رأي عمرو بن العاص برفع المصاحف وتعيين حَكَمين لفضِّ النزاع، وقد حاول الإمام عليه السلام وابن عباس إقناع العناصر التي أيدت هذا المشروع بالانصراف عنه لأنّه خدعة، إلّا أن المساعي باءت بالفشل، وعليه تمّت عملية التحكيم والتي قبل بها الإمام عليه السلام وقادته على مضض[٢].

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٤١٢ ـ ٤١٣.

(٢) انظر وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٤٨١ ـ ٤٨٦.

حاول الإمام إقناع جيشه بإرسال ابن عباس لكي يكون هو الذي يمثّل جانب الإمام، لكنّ الأشعث بن قيس وعدداً من أعوانه أصرّوا على أن يكون أبو موسى الأشعري هو ممثّل الإمام عليه السلام، وقد كان الإمام يعلم بأن أبو موسى رجل ضعيف ولا يمكنه إدارة هذا الأمر بحِكْمَة.

ثمّ أراد الإمام عليه السلام إرسال الأشتر نائباً عنه في التحكيم، فقال الأشعث: وهل سَعَّرَ الأرض غير الأشتر[1]!!

وفعلاً حصل الذي حصل، وحدث انقسام في جيش الإمام عليه السلام أدى إلى ضعف موقف الإمام عليه السلام وخروج قسم كبير من جيشه إلى طريق الاعوجاج، وهم الخوارج الذين لعبوا دوراً قذراً فيما بعد، وأصبحوا عِبْئاً ثقيلاً على الدُّول الإسلامية التي تعاقبت فيما بعد.

بعد خروج هؤلاء من جيش الإمام نَظَّموا صفوفهم وأعلنوا فيما بعد راية العصيان ضد الإمام عليه السلام ولمَّا علم الإمام بأمرهم أرسل إليهم عبدالله بن عباس لإقناعهم بالعودة إلى جادّة الصواب، فذهب إليهم ابنُ عبّاس، وما أن وصل بالقُرْب منهم حتّى ناداه بعضهم قائلاً: ويلك يابن عباس، أكفرتَ بربِّك كما كفر صاحبك عليّ بن أبي طالب!!

فقال ابن عباس: إنّي لا أستطيع أن أكلّمكم كلّكم، ولكن انظروا أيّكم أعلم بما يأتي ويذر فليخرج إليَّ حتّى أكلّمه.

فخرج إليه رجل منهم ـ يقال له عتّاب بن الأعور الثعلبي ـ فأخذ

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٣١٩.

يتكلّم وابنُ عبّاس صاغٍ إليه، وما أن انتهى من كلامه حتّى قال له ابن عباس: خبِّرني عن دار الإسلام هذه هل تعلم لمن هي ومَنْ بناها؟ فقال عتّاب: نعم هي لله عزّوجل وهو الذي بناها بأيدي أنبيائه وأهل طاعته، ثمّ أمر من بعثه إليها من الأنبياء أن يأمروا الأُمم أن لا يعبدوا إلّا إيّاه، فآمن قومٌ وكفر قومٌ، وآخرُ من بعثه إليها من الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال ابن عباس: صدقتَ، ولكن خبّرني عن مُحَمَّدٍ حين بُعث إلى دار الإسلام فبناها كما بناها غيره من الأنبياء، هل أحكم عمارتها، وبيّن حدودها، وأوقف الأُمّة على سُبُلها وعملها وشرائع أحكامها ومعالم دينها؟

فقال عتّاب: نعم، قد فَعَلَ محمّد ذلك.

قال ابن عباس: فخبرني الآن عن محمد صلى الله عليه وآله؛ بقي فيها أو رحل عنها؟

فقال عتّاب: بل رحل عنها.

قال ابن عباس: فخبّرني أَرَحَلَ عنها وهي كاملة العمارة بيّنة الحدود، أم رحل عنها وهي خَرِبةٌ لا عمران لها؟

قال عتّاب: بل رحل عنها وهي كاملة العمارة، بيّنة الحدود، قائمة المنار.

قال ابن عباس: صدقتَ، الآن فخبّرني هل كان لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله أحدٌ يقوم بعمارة هذه الدار من بعده أم لا؟

قال عتّاب: بلى قد كان له صحابةٌ، وأهل بيتٍ، ووصيّ وذرّيّة، يقومون بعمارة هذه الدار من بعده.

قال ابن عباس: فعلوا أم لم يفعلوا؟

قال الأعور: بلى قد فعلوا وعمروا هذه الدار من بعده.

قال ابن عباس: فخبّرني الآن عن هذه الدار من بعده، هل هي اليوم على ما تركها محمّد ﷺ من كمال عمارتها وقوام حدودها أم هي خربة عاطلة الحدود؟

قال عتّاب: بل هي عاطلة الحدود خربة.

قال ابن عباس: أفذرّيّته وَلِيَتْ هذا الخراب أم أُمّته؟

قال عتّاب: بل أُمّته.

قال ابن عباس: أفأنت من الأُمّة أم من الذُّرّيّة؟

قال عتّاب: أنا من الأُمّة.

قال ابن عباس: يا عتاب فخبرني الآن عنك كيف ترجو النجاة من النار وأنت من أُمّةٍ قد خَرَّبت دار الله ودارَ رسوله وعطَّلت حدودها؟!

فقال عتّاب: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ويحكَ يا بن عباس احْتَلْتَ والله حتى أوقعتني في أمر عظيم، وألزمتني الحجة حتّى جعلتني ممَّن خرَّب دار الله، ولكنْ ويحك يابن عباس فكيف الحيلة في التخلّص ممّا أنا فيه؟

قال ابن عباس: الحيلة في ذلك أن تسعى في عمارة ما خرّبته الأُمّة من دار السلام.

قال عتّاب: فدُلَّني على السعي في ذلك.

قال ابن عباس: إنّ أوّل ما يجب عليك في ذلك أن تعلم من سَعَى في خراب هذه الدار فتعاديه، وتعلم من يريد عمارتها فتواليه.

قال عتّاب: صدقتَ يابن عباس، والله ما أعرف أحداً في هذا الوقت يحبُّ عمارة دار السلام غير ابن عمّك علي بن أبي طالب، إلّا أنّه حَكَّمَ عبد الله بن قيس[١] في حقٍّ هو له.

فقال ابن عباس: ويحك يا عتاب، إنا وجدنا الحكومة في كتاب الله عزّوجل، إنّه قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُما﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[٣].

ما إن سمعت الخوارج قول ابن عباس هذا حتى صرخوا قائلين: فكأنَّ عمرو بن العاص عندك من العُدُول؟ وأنت تعلم أنّه كان في الجاهلية رأساً وفي الإسلام ذَنَباً، وهو الأبتر ابن الأبتر، مِمّن قاتل محمداً صلى الله عليه وآله وفتَنَ أُمّته بعده.

فقال ابن عباس: يا هؤلاء، إنّ عمرو بن العاص لم يكن لنا حَكَماً، أفتحتجّون به علينا؟ إنّما كان حَكَماً لمعاوية، وقد أراد أميرالمؤمنين عليّ أن يبعثني أنا فأكون له حكماً، فأبيتم عليه وقلتم: قد رضينا بأبي موسى الأشعري، وقد كان أبو موسى لعمري رضيً في نفسه وصحبته وإسلامه وسابقته غير أنه خُدِعُ، فقال ما قال[٤].

---

(١) وهو أبو موسى الأشعري.

(٢) النساء: ٣٥.

(٣) المائدة: ٩٥.

(٤) الفتوح، لابن أعثم ٤: ٢٥١ ـ ٢٥٣.

واستمرّ عبد الله بن العباس محاورة الخوارج وقد نجح بعض الشيء في إقناع قسم منهم، إلّا أنّ أغلبهم كانوا مصرّين على محاربة الإمام عليه السلام.

يئس عبد الله بن العباس من هؤلاء بعد أن حاجَّهُم وناقشهم إلّا أنّهم كانوا لا يتّعظون، فعاد للإمام عليه السلام وأبلغه بما جرى، فما كان من الإمام إلّا أن تَوَجَّهَ إليهم، وما أن وصل حتّى بدأ بمحاورتهم، وقد اقتنع قسم منهم فانسحبوا، إلّا أنّ عدداً آخر أصرّ على الحرب[1]، فما كان من الإمام إلّا الاستعداد لذلك، فجهّز جيشاً لمحاربتهم، وكان ابن عباس أحد قادة هذا الجيش، وبعد قتال مرير سَحَقَ الإمام عليه السلام هؤلاء ولم يَنْجُ منهم إلّا تسعة.

عاد الإمام عليه السلام إلى الكوفة بعد أن قضى على هؤلاء قضاءً مبرماً، وعاد مع الصحابة وكان منهم عبد الله بن عباس.

ما اتُّهم به ابن عباس من الطعن

وأمّا ما نُسِبَ إليه من مفارقة أمير المؤمنين ٧ وأخذ مال البصرة، فقد روى ذلك الكشي في رجاله بسنده عن الزهري، عن الحارث، قال: استعمل عليٌّ عليه السلام على البصرة عبد الله بن عباس، فحمل كلَّ مال في بيت المال بالبصرة ولحق بمكّة، وكان مبلغه ألفي ألف درهم، فصعد علي عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكى وقال: **هذا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله في علمه وقدره يفعل مثل هذا! فكيف يُؤْمن من كان دونه؟!...**[2] الحديث.

---

(١) انظر الفتوح، لابن أعثم ٤: ٢٥٣ ـ ٢٥٥.

(٢) اختيار معرفة الرجال، للكشي ١: ٢٧٩ / ح ١٠٩.

ولكن أنكر الكثير من المؤرخين ذلك، وقال بعضهم : لم يزل عبد الله بن عباس عاملاً على البصرة لعليٍّ عليه السلام حتى قتل عليّ عليه السلام، وقد أجاب ابن أبي الحديد وغيره من قد ماء المؤرخين ومحدثيهم عن كلّ ذلك بما يشفي الغليل فلا حاجة لذكره، لأنّ الكلام الذي ذكره المؤرّخون عن ابن عباس لا يصدر إلّا من النَّواصب، وابنُ عباس مع فضله وكمال معرفته وموالاته لا يمكن أن يتفوّه بمثل هذا مهما كان السبب الداعي إليه[1]. ويظهر أنّ الناسب ذلك إليه أراد الحطّ من مقام ابن عباس لمرض في نفسه؛ وذلك لإخلاصه في حبّ أميرالمؤمنين عليه السلام وتشيّعه له.

وقال الشهيد الثاني في حاشية الخلاصة: جملة ما ذكره الكثير من الطعن في ابن عباس خمسة أحاديث كلّها ضعيفة السند[2]. ولو ورد في مثله ألف رواية أمكن أن تُعَرَّض للتهمة، فكيف بهذه الأخبار الضعيفة الركيكة ؟! ويكفيك أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان يُكْبِرُ ابن عباس ويبجّله.

ويكيفك في إخلاصه وحبّه لأميرالمؤمنين عليه السلام ما في أمالي الصدوق، بسنده عن سعيد، عن ابن عباس ـ وكان أعمى آنذاك ـ أنّه مرّ بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال لقائِدِه [وفي رواية أنّ القائد هو ابنه علي بن عبدالله][3]: ما يقول هؤلاء؟

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦ : ١٦٩ ـ ١٧٢.

(٢) أعيان الشيعة، للسيد الأمين ١ : ٥٢٧ نقلاً عن حاشية الخلاصة.

(٣) انظر ذلك في المناقب، للخوارزمي : ١٣٧ / ح ١٥٤.

قال: يسبّون عليّاً. قال: قرّبني إليهم، فلما أُوقِفَ عليهم، قال: أيُّكم السابّ الله؟

قالوا: سبحان الله! مَن يسبُّ الله فقد أشرك بالله.

قال ابن عباس: فأيّكم السّابّ رسول الله ﷺ؟

قالوا: مَن يَسُبُّ رسول الله فقد كفر.

قال: فأيُّكم السَّابُّ علي بن أبي طالب؟

قالوا: قد كان ذلك.

قال فأشهد بالله وأُشهِدُ الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَبَّ عليّاً فقد سَبَّني، ومَن سَبَّني فقد سَبَّ الله عزّوجل**» [وفي رواية أُخرى: «**ومن سَبَّ الله أكبّه الله يوم القيامة على وجهه في النار**»][1]. ثم مضى، فقال لقائده: فهل قالوا شيئاً حين قلتُ لهم ما قلت؟ قال: ما قالوا شيئاً. قال كيف رأيت وجوههم. قال:

نَـظَروا إليكَ بأَعْـيُنٍ مُـحْمَرَّةٍ ... نَظَرَ التُّيُوسِ إلى شِفارِ الجازِرِ

قال: زدني فداك أبوك. قال:

خُزْرُ الحواجب ناكسو أذقانهم ... نَظَرَ الذّليلِ إلى العزيزِ القـاهِرِ

قال: زدني فداك أبوك.

قال: لكن عندي:

أحياؤُهُم عارٌ على أمـواتِـهِم ... والمَيِّتُونَ فـضيحةٌ للـغابِرِ[2]

---

(١) انظر ذلك في المناقب، للخوارزمي: ١٣٧ / ح ١٥٤.

(٢) أمالي الصدوق: ١٥٧ ـ ١٥٨ / ح ١٥١.

وبعد مقتل الإمام عليه السلام آل الأمر للإمام الحسن عليه السلام، فكان عبد الله بن عباس أحد أقرب الصحابة إليه، ولمّا تمّ الصلح بين الإمام عليه السلام ومعاوية عاد ابن عباس إلى المدينة المنورة واعتكف هناك، فكان محطّ أنظار الصحابة الأفاضل وموضع احترام جميع المسلمين بما فيهم أركان السلطة الأموية؛ لأنّهم كانوا يعرفون منزلة وعظمة ابن عباس ويخافون لسانه ومكانته، فكانوا يدارونه خوفاً منه. وظلّ هكذا إلى أن توفّي رضوان الله عليه، وقد عانى من مرض الشيخوخة، كما أُصيب بالعمى، لكنّه بقي ينطق بالعلم؛ يوضّح للمسلمين ما كانوا يجهلون من معاني الآيات القرآنية، وكيف نزلت هذه الآيات، وما سبب نزولها، وفيمن نزلت، ويبين فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وتأويل الآيات في أهل البيت، وبيان أسباب النزول.

فقد مرّ معاوية بحلقة من قريش، فلما رأواه قاموا له غير عبد الله بن عباس. فقال له: يابن عباس، ما منعك من القيام كما قام أصحابُك إلّا مَوْجِدَةً عَلَيَّ بقتالي إيّاكم يوم صفين. يابن عباس، إنّ ابن عمّي أمير المؤمنين عثمان قُتِلَ مظلوماً...

قال معاوية: فإنّا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته، فكُفَّ لسانك يابن عباس واربَعْ على نفسك.

فقال له ابن عباس: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟!

قال: لا.

قال: أفتنهانا عن تأويله؟

قال : نعم .

قال : فنقرؤُهُ ولا نسأل عمَّا عَنَى الله به ؟

قال : نعم .

قال : فأيُّما أَوْجَب علينا ، قراءته أو العمل به ؟

قال معاوية : العمل به .

قال : فكيف نعمل به حتّى نعلمَ ما عَنى الله بما أَنْزَلَ علينا ؟

قال : سَلْ عن ذلك من يتأوّله على غير ما تتأوّلُهُ أنت وأهل بيتك .

قال : إنّما أُنزل القرآن على أهل بيتي ، فأسأل عنه آل أبي سفيان أو أسأل عنه آل أبي مُعيط أو اليهود والنصارى والمجوس ؟ ...

قال معاوية : فاقرؤوا القرآن وتأوَّلُوه ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم من تفسيره ، وما قاله رسول الله فيكم ، وارووا ما سوى ذلك .

قال ابن عباس : قال الله تعالى في القرآن : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

قال معاوية : يابن عباس ، اكفني نفسك ، وكُفَّ عنّي لسانك ، وإن كُنتَ لابُدَّ فاعِلاً فليكن ذلك سرّاً ، ولا سمعه أحدٌ منك علانية[2] .

وهكذا كان عبد الله بن عباس ترجمان القرآن كما هو معروف .

---

(١) التوبة : ٣٢ .

(٢) كتاب سليم بن قيس : ٣١٤ ـ ٣١٦ . وانظره في أخبار الدولة العباسية : ٤٧ ، ومناقب آل أبي طالب ، لابن شهر آشوب ٢ : ١٧٤ ، والصراط المستقيم ، للبيضاوي ١ : ١٥١ .

وقد أشاد بعلم هذا الصحابيّ الجليل عدد كبير من الصحابة الأفاضل.

أمّا الصحابي جابر الأنصاري فيقول عنه عندما علم بوفاته: مات أعلم الناس، وأحلم الناس، ولقد أُصيبت به هذه الأُمّة مصيبةً لا تُرْتَقُ[١].

وأمّا الصحابي ابن مسعود فقال عنه: نِعْمَ تَرْجُمان القرآن ابنُ عباس[٢].

وأمّا محمّد بن الحنفيّة فقال عندما علم بموته: اليوم مات ربّاني هذه الأُمّة[٣].

وقد أجاد العلّامة المحقق سماحة السيّد جعفر مرتضى العاملي في كتابه «ابن عباس وأموال البصرة دراسة وتحليل» حيث قال في صفحة ٨٥، ونعتقد أن السر في الوضع عليه يرجع أولاً: لقد كان ابن عباس شوكة جارحة في أعين الأمويين ومخالف لهم والزبيريين وكل من يتعاطف معهم. سيّما وهم يرونه يتمتع بمكانه خاصة عند علي عليه السلام وفي المجتمع الإسلامي وكانت مناظراته القوية، واحتجاجاته الدامغة، على معاوية ومن لف لفه، ممن تقدم ذكرهم وغيرهم وهي احتجاجات قوية يفتضح فيها الأمويين والزبيريين وبين كل نقاط الضعف فيهم. ويؤكد على حق العلويين، وأهل البيت عليهم السلام فأرادوا ضرب هذه الشخصية الفذة

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٧٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ٣ : ٥٣٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ٣ : ٥٣٥.

وزعزعت مكانتها في نفوس الناس، ومن ثم لتفقد كل مواقفه تلك حيويتها، ولا تبقى لها تلك القيمة وذلك الاعتبار... فراجع.

وصحب الإمام عليّاً عليه السلام فكان أحد حواريّيه، ودافع عن الإمام عليه السلام ووقف ضد خصومه، ونصر الإمام بيده ولسانه، وكان أحد قادته المخلصين، وظل يثني على الإمام وسياسته ويبيّن فضائله حتّى بعد استشهاد الإمام عليه السلام. وهكذا ظلّ ابن عباس على طريق الحقّ إلى أن مات سنة ثمان أو سبع وستين للهجرة في أيّام ابن الزبير؛ حيث أَخرجه من مكّة إلى الطائف ومات بها وهو ابن سبعين سنة، وقيل: إحدى وسبعين، وصلّى عليه محمّد بن الحنيفة، ودفن في مسجد جامعها، ولمّا دفن أتى طائر أبيض فدخل معه قبره، فقال بعض الناس: هذا علمه، وقال بعضهم: هذا عمله الصالح[1].

● زياد بن أبيه ودَوْرُهُ في البصرة

قال الذهبي في ميزانه: زياد بن أبيه، الأمير. لا تُعرف له صحبة، مع أنّه ولد عام الهجرة. قال ابن حِبّان في الضعفاء: ظاهر أحواله المعصية، وقد أجمع اهل العلم على ترك الاحتجاج بمن كان كذلك. قال ابن عساكر: لم يَرَ النبي صلى الله عليه وآله، وأسلم في عهد أبي بكر، وولي العراق لمعاوية... إلى أن قال: وهو زياد بن سميّة، ويقال له أيضاً: زياد بن عبيد، فلمّا

(١) الإصابة، لابن حجر ٤: ١٣٠ ـ ١٣١ / الترجمة ٤٧٩٩.

استلحقه معاوية وزعم أنّه أخوه قيل : زياد بن أبيه[١]، وأُمُّه سميّة جارية الحارث بن كلدة.

قال صاحب لسان الميزان : وكان من شيعة علي عليه السلام، وولّاه إمرة القدس، فلمّا استلحقه معاوية صار أشدّ الناس على آل علي عليه السلام وشيعته، وهو الذي سعى في قتل حجر بن عديّ ومن معه[٢].

وكان أشهر سفّاكي الدماء البريئة، ومن أبرز الطغاة الخُبثاء، وأعماله المشينة ـ وتتّبعه لشيعة أميرالمؤمنين عليه السلام تحت كلّ حجر ومدر، وقتلهم وتشريدهم ـ لاتخفى على أحد، وكَوَّنَ بأعماله نقطةً سوداء في تاريخ الإسلام، والعجب عَدُّهُ في زمرة المسلمين والرواة، مع أنّ المجاميع التاريخية طافحة بمخازيه[٣].

ووُلِّي زياد بن عبيد الرومي ولاية البصرة من قبل عبدالله بن عباس[٤].

ويتساءل الكثيرون من القدامى والمُحْدَثين : أنّه كيف أقر الإمام ولايته ولم يبادر إلى عزله مع أنه ليس له أب شرعي يعرف به حتى قيل فيه : زياد بن أبيه ؟ وقد ألحقه من بعد معاوية بن أبي سفيان بنسبه

---

(١) ميزان الاعتدال، للذهبي ٢ : ٨٦ رقم ٢٩٢٣.

(٢) لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني ٢ : ٤٩٣ رقم ١٩٧١.

(٣) تنقيح المقال، للمامقاني ٢٨ : ٢٥٣ و ٦ : ٢٩.

(٤) كان عبد الله بن عباس هو والي أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة، فإذا سافر عنها جعل زياد بن أبيه عليها، فلذلك ذكرناه هنا. قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٦ : ١٩٦ فأول ما ارتفع به زياد فهو استخلاف ابن عباس له على البصرة.

استناداً إلى شهادة أبي مريم الخمّار الذي هو من عهّار الجاهلية، وقد شهد له بشهادةٍ يَندي لها الجبين، وقد بنى عليها معاوية، واعتبره أخاً له!!

والتحقيق الذي يقتضيه النظر حسب القواعد الشرعية أنّ زياداً هو ابن عبيد الرومي، فقد كانت أُمُّه سميّة زوجة لعبيد، وقد زنا بها أبو سفيان حسب شهادة أبي مريم الخمّار، والولد يلحق بأبيه عملاً بالحديث النبوي: «الوَلَدُ لِلْفِراشِ وَلِلْعاهِرِ الحَجَرُ»، وعليه فلا مجال لتلك الشبهة، فهو ابن عُبَيْد، وليس ابناً لأبي سفيان[1].

رسائل الإمام عليه السلام إلى زياد:

وكتب الإمام عليه السلام مجموعة من الرسائل إلى زياد، كان منها ما يلي:

الرسالة الأُولى:

حدثت في البصرة فتنة أحدثها معاوية بعد شهادة البطل الخالد محمد بن أبي بكر، فقد أوعز إلى عبدالله بن عامر الحضرمي أن يسير إلى البصرة، ويطلب من أهلها التّمرّد على حكومة الإمام عليه السلام؛ لأن شريحة منهم يرون أنّ عثمان قد قتل مظلوماً، وقد هلك جمهور غفير منهم في ذلك، وسار عبدالله يطوي البيداء حتّى انتهى إلى البصرة وعرض على أهلها ما طلب منهم معاوية من التمرد على الإمام عليه السلام، فأجابه جمهورٌ منهم، فخاف زياد منهم، وكتب إلى ابن عباس يخبره بذلك، وبادر ابن عباس فأحاط

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، للشيخ باقر القرشي ١٠: ١٣٠.

الإمام علماً بأن جمهور أهل البصرة قد خلعوا يد الطاعة وفارقوا الجماعة، فندب الإمام عليه السلام أهل الكوفة لمناجزة ابنَ الحضرمي فتكاسلوا عن إجابته، فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي، فقال له: أنا أكفيك هذا الخطب، فأمره بالشخوص إلى البصرة، وزوّده بهذه الرسالة إلى زياد:

مِن عَبدِ اللهِ عَليٍّ أَمِيرِ المُؤمِنينَ إِلى زِيادِ بنِ عُبَيدٍ، سَلامٌ عَلَيك.

أَمَّا بَعدُ، فَإِنّي بَعَثتُ أَعْيَنَ بنَ ضَبِيعَةَ لِيُفَرِّقَ قَومَهُ عَنِ ابنِ الحَضرَمِيّ، فَارقَبْ مَا يَكونُ مِنهُ، فَإِن فَعَلَ وَبَلَغَ مِن ذَلِك مَا يُظَنُّ بِهِ وَكانَ فِي ذَلِك تَفرِيقُ تِلك الأَوباشِ، فَهُوَ مَا نُحِبُّ، وَإِن تَرَامَتِ الأُمُورُ بِالقَومِ إِلى الشِّقاقِ والعِصيانِ فَانْهَضْ بِمَنْ أَطَاعَك إِلى مَن عَصاك فَجَاهِدهُم، فَإِن ظَهَرتَ فَهُوَ مَا ظَنَنْتُ، وَإِلَّا فَطَاوِلهُم وَمَاطِلهُم، ثُمَّ تَسَمَّعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ، فَكأَنَّ كتَائِبَ المُسلِمِينَ قَد أَطَلَّت عَلَيك، فَقَتَلَ اللهُ المُفسِدِينَ الظَّالِمِينَ، وَنَصَرَ المُؤمِنِينَ المُحِقِّينَ، وَالسَّلامُ[1].

وانتهى أعين إلى البصرة، وعرض رسالة الإمام عليه السلام على زياد، فلمّا قرأها قال: إنّي لأرجو أن نُكْفَى هذا الأمر، وبادر أعين إلى قومه فحذّرهم وخوّفهم، فاستجابوا له، فنهض بهم إلى ابن الحضرمي، وجرت بينهما مناوشات ومجادلات كلاميّة، ثم إنّ عشرة أشخاص من جماعة ابن الحضرمي بيّتوا أعين بن ضبيعة ليلاً فقتلوه، وأراد زياد مناجزة ابن الحضرمي وأتباعه إلّا أنّه عدل عن ذلك، ورفع إلى الإمام عليه السلام رسالة جاء فيها:

---

(١) الغارات، للثقفي ٢ : ٣٩٧ ـ ٣٩٨، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ٤٦ ـ ٤٧.

أما بعد يا أميرالمؤمنين! فإنّ أعين بن ضبيعة قدم علينا مِـن قِـبَلِكَ بجدّ ومناصحة وصدق يقين، فجمع إليه مَنْ أطاعه مِن عشيرته فحثّهم على الطاعة والجماعة، وحذرهم الفُرقة والخلاف، ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه، فواقفهم عامة النهار، فهالَ أهلَ الخلاف مَقْدَمُهُ، وتصدّع عن ابن الحضرمي كثير ممن كان يريد نصرته، فكـان كـذلك حتّى أمسى فأتى رحله، فبيّته نفر من هذه الخارجة المـارقة فأُصـيب رحمه الله تعالى، فأردتُ أن أُناهض ابن الحضرمي عند ذلك فحدث أمر قد أمرتُ رسولي هذا أن يذكره لأميرالمـؤمنين، وقـد رأيتُ ـ إنْ رأى أمير المؤمنين ما رأيت ـ أن يبعث إليهم جارية بن قدامـة، فـإنّه نـافذ البصيرة، مطاع في العشيرة، شديد على عدو أميرالمؤمنين، فإن يقدم يُفَرِّق بينهم بإذن الله، والسلام على أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته[1].

ولمّا وردت الرسالة إلى الإمام دعا جارية بن قدامة، وعرض عليه الأمر فاستجاب له، ومضى يجدّ السير حتّى انتهى إلى البصرة، فقام بما عهد إليه، فاستجاب له خلق من الأزد، وثابوا إلى الطاعة ونبذ الخلاف.

رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة:

وزوّد الإمام عليه السلام جارية بن قدامة بالرسالة التالية فقرأها عـلى أهـل البصرة، وهي:

---

(١) الغارات، للثقفي ٢: ٤٠٠ ـ ٤٠١، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ٤٨.

مِن عَبدِاللهِ عَلِيّ أَمِيرِالمُؤْمِنِينَ إِلى مَن قُرِئَ عَلَيهِ كِتَابِي هذَا مِن سَاكِنِي البَصرَةِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ ، سَلامٌ عَلَيْكمْ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ حَلِيمُ ذُو أَنَاةٍ لا يَعْجَلُ بِالعُقُوبَةِ قَبْلَ البَيِّنَةِ ، وَلا يَأْخُذُ المُذْنِبَ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَلكنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ ، وَيَسْتَدِيمُ الأَنَاةَ ، وَيَرْضَى بِالإِنابَةِ ، لِيَكونَ أَعْظَمَ لِلْحُجَّةِ ، وَأَبْلَغَ فِي المَعْذِرَةِ .

وَقَدْ كانَ مِنْ شِقَاقِ جُلِّكمُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مَا اسْتَحْقَقْتُمْ أَنْ تُعَاقَبُوا عَلَيْهِ ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكمْ ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكم ، وَأَخَذْتُ بَيْعَتَكمْ ، فَإِن تَفُوا بِبَيْعَتِي وَتَقْبَلُوا نَصِيحَتِي ، وَتَسْتَقِيمُوا عَلى طَاعَتِي ، أَعْمَلْ فِيكمْ بِالْكتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقَصْدِ الحَقِّ ، وَأُقِمْ فِيكمْ سَبِيلَ الهُدى .

فَوَ اللهِ! مَا أَعْلَمُ أَنَّ وَالِياً بَعْدَ مُحَمَدٍ ﷺ أَعْلَمُ بِذلِك مِنِّي ، وَلا أَعْمَلُ بِقَوْلِي .

أَقُولُ قَوْلِي هذَا صَادِقاً غَيْرَ ذَامٍّ لِمَنْ مَضى ، وَلا مُنْتَقِصاً لأَعْمَالِهم .

فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الأَهْوَاءُ المُرْدِيَةُ ، وَسَفَهُ الرَّأْيِ الجَائِرِ إِلى مُنَابِذَتِي تُرِيدُونَ خِلافِي ، فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي ، وَرَحَّلْتُ رِكابِي[1] .

وَايْمُ اللهِ لَئِنِ أَلجَأْتُمُونِي إِلَى المَسِيرِ إِلَيْكمْ لأُوقِعَنَّ بِكمْ وَقْعَةً لا يَكونُ يَوْمُ الجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كلَعْقَةِ لاعِقٍ ، وَإِنِّي لظانٌّ أَلّا تَجْعَلُوا إِنْ شَاءَ اللهُ عَلى أَنْفُسِكمْ سَبِيلاً .

---

(١) الجياد : الأفراس السريعة . الركاب : الإبل التي تحمل جيشه .

وَقَدْ قَدَّمْتُ هذَا الكتَابَ إِلَيْكمْ حُجَّةً عَلَيْكمْ، وَلَنْ أَكتُبُ إِلَيْكمْ مِنْ بَعْدِهِ كتَاباً إِنْ أَنْتُمْ اسْتَغْشَشْتُم نَصِيحَتِي، وَنَابَذْتُمْ رَسُولِي، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الشَّاخِصَ نَحْوَكمْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى، وَالسَّلامُ[1].

وحوت هذه الرسالة دعوة الإمام عليه السلام أهل البصرة إلى السلم والطاعة، ونبذ التّمرّد، وذكّرتهم بما أسداه عليهم من الإحسان بعد واقعة الجمل، فقد غمرهم بلطفه فعفا عن مجرمهم ومسيئهم وأشاع الأمن في ديارهم ولم يقابلهم بالمثل، وأنّهم إن أطاعوه فيعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه، ويحكم فيه بالحق المحض والعدل الخالص، كما هدّدهم أنّهم إذا لم يستجيبوا لنصيحته فسوف يقابلهم بالشدة والصرامة، ولايدع أيّ ظل للخائنين والمجرمين...

هذا بعض ما حوته رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة.

تأنيب الإمام عليه السلام لزياد:

وكتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة إلى زياد ـ وهو خليفة عبد الله بن العباس بالبصرة ـ يستحثُّه بحَمْل مالٍ مع سعدٍ مولاه، فاستحثّه سعدٌ، فأغلظ له زيادٌ وشتمه، فلمّا قدم سعد على عليٍّ عليه السلام شكاه إليه وعابه عنده، وذكر منه تَجَبُّراً وإسرافاً، فكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام إليه:

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ٥٠، الكامل، لابن الأثير ٣: ١٨٢.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ سَعْداً ذَكَرَ أَنَّكَ شَتَمْتَهُ ظُلْماً، وَهَدَّدتُهُ وَجَبَهْتَهُ[١] تَجَبُّراً وَتَكَبُّراً، فَمَا دَعَاكَ إِلَى التَكَبُّرِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «الكِبْرُ رِدَاءُ اللهِ، فَمَن نَازَعَ اللهَ رِدَاءَهُ قَصَمَهُ».

وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّكَ تُكْثِرُ مِنَ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الطَّعَامِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ، وَتَدَّهِنُ كُلَّ يَوْم، فَمَا عَلَيْكَ لَوْ صُمْتَ للهِ أَيَّاماً، وَتَصَدَّقْتَ بِبَعْضِ مَا عِنْدَكَ مُحْتَسِباً، وَأَكَلْتَ طَعَامَكَ قَفَاراً[٢]، فَإِنَّ ذلِكَ شِعَارُ الصَّالِحِينَ.

أَفَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ ـ تَسْتَأْثِرُ بِهِ عَلَى الْجَارِ وَالمِسْكِينِ وَالضَّعِيفِ وَالْفَقِيرِ وَالأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ ـ أَنْ يُحْسَبَ لَكَ أَجْرُ الْمُتَصَدِّقِينَ ؟!

وَأَخْبَرَنِي أَنَّك تَتَكَلَّمُ بِكَلامِ الأَبْرَارِ، وَتَعْمِلَ عَمَلَ الْخَاطِئِينَ، فَإِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ ذلِكَ فَنَفْسَكَ ظَلَمْتَ، وَعَمَلَكَ أَحْبَطْتَ، فَتُبْ إِلى رَبِّكَ يُصْلِحْ لَكَ عَمَلَكَ، وَاقْتَصِدْ فِي أَمْرِكَ، وَقَدِّمْ إِلى رَبِّكَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكِ، وَادَّهِنْ غِبّاً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «اِدَّهِنُوا غِبّاً وَلا تَدَّهِنُوا رِفْهاً»[٣].

حَكَتْ هذه الرسالة التنديد بزياد لتكبره وتجبّره على النّاس، واختياره للألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد، وأنّه بذلك قد استأثر على

---

(١) جَبَهْتَهُ: أي رددته.

(٢) قَفار: أي خال من الإدام.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٩٦ ـ ١٩٧، عن أنساب الأشراف، للبلاذري: ١٦٤ ـ ١٦٥.

الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى، فأخذ ما أعدّه الله لهم في بيت مال المسلمين... هذا بعض ما حوته هذه الرسالة من القيم والآداب.

تحذير الإمام عليه السلام لزياد من أباطيل معاوية:

قام زياد بدور إيجابي في بعض أعمال فارس ـ كما سيأتي في ولاته عليه السلام على فارس ـ، فضبطها ضبطاً صالحاً، وجبى خراجها وحماها، وعرف ذلك معاوية فَورِمَ أنفه، فقام بخداعه وجلبه إليه، وكتب إليه:

أما بعد، فإنه غرّتك قلاعٌ تأوي إليها ليلاً كما تأوي الطير إلى وكرها، وايمُ الله لو لا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لكَ منّي ما قاله العبد الصالح: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُون﴾[1].

وكتب في أسفل الكتاب شعراً كان منه هذا البيت:

تَنْسى أَبـاكَ وَقَـدْ شـالَتْ نَـعامتُهُ إِذْتَخْطُبُ النّاسَ وَالوالِي لَهُمْ عُمَرُ[2]

ولما ورد الكتاب على زياد قام خطيباً، وقال: العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يهدّدني وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وزوج سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب الولاية والمنزلة والإخاء ـ

---

(١) سورة النمل: ٣٧.

(٢) وذلك أنّ زياداً كان يخطب في عهد عمر، فأُعجب النّاس بخطبته، فقال أبو سفيان: أما والله إنّي لأعلم من وضَعَه في رحم أُمّه، يقصد أنّه هو الذي وضعه في رحم سميّة، فنَهَزهُ عمر وهدّده فسَكَت.

في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، أما والله! لو تخطّى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدني أَحْمَرَ مِخَشّاً[١] ضرّاباً بالسّيف.

وكتب إلى الإمام عليه السلام يخبره بما جرى وأرسل معه كتاب معاوية إليه، فبعث الإمام عليه السلام هذه الرسالة:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ ما ولّيتُكَ وَأَنَا أَرَاكَ لِذلِكَ أَهلاً، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فَلْتَةٌ فِي أَيَّامِ عُمَرَ مِنْ أَمَانِيِّ التِّيْهِ وَكَذِبِ النَّفْسِ، لَمْ تَسْتَوْجِبْ بِهَا ميراثاً ولا تستحقّ بها نَسَباً، وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ يَأْتِي المَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَاحْذَرْهُ ثُمَّ احْذَرْهُ ثُمَّ احْذَرْهُ، وَالسَّلامُ[٢].

وحذر الإمامُ عليه السلام في هذه الرسالة زياداً من أضاليل معاوية وخداعه، فقد حاول أن يلحق زياداً بنسبه، وذلك بزنا أبيه بسميّة أُمّ زياد، والقصة ممّا يندى لهُ جبين الإنسانية، ففيها فضيحة لأبي سفيان وسميّة، ولكنَّ معاوية لم يحفل بالعار في سبيل تدعيم أغراضه السياسية، وبناء سلطانه، وأخيراً استجاب زياد لمعاوية، وصار من أقوى أعوانه، وأخذ يتّتبع شيعة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان بهم عالماً، فجعل يسمل أعينهم ويقطع ألسنتهم، ويقتلهم على الظِّنَّة والتُّهمة.

مات زياد سنة (٥٣ هـ) في أيّام حكومة معاوية.

---

(١) المِخَشّ: الجريء.

(٢) الغارات، للثقفي ٢: ٩٢٧، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٨١ ـ ١٨٢، تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٩: ١٧٥ ـ ١٧٦، الفتوح، لابن أعثم ٤: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

قال الذهبي : قال الحسن البصري : بلغ الحسن بن علي عليه السلام أنّ زياداً يتتبّع شيعة عليّ بالبصرة فيقتلهم، فدعا عليهم.

وقيل : إنّه جمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من أبي الحسن عليه السلام فأصابه حينئذٍ طاعون[1].

فعن عبد الله بن السائب، وكثير بن الصلت، قالا : جمع زياد بن أبيه أشراف الكوفة في مسجد الرحبة ليحملهم على سبّ أمير المؤمنين عليه السلام والبراءة منه، فأغفيتُ فإذا أنا بشخص طويل العنق أهدل أهدب قد سدّ ما بين السماء والأرض، فقلت له : من أنت؟ قال : أنا النقّاد ذو الرقبة، طاعونٌ بُعِثتُ إلى زياد، فانتبهتُ فزعاً فسمعنا الواعية، فأنشأتُ :

ما كان منتهياً عما أراد بنا ... حتّى تناولَهُ النَّقّادُ ذو الرَّقَبَةْ

فأسقط الشِّقَّ منه ضربةً عجباً ... لمّاتناوَل ظُلماً صاحبَ الرَّحَبَةْ[2]

ثالث ولاته عليه السلام على البصرة : أبو الأسود الدُئلي

هو ظالم بن عمرو الدُّئَلي، والدُّئَل بضم الدال ـ هو اسم لابن آوى ـ وقيل هي اسم قبيلة.

أحد رجال الأدب وفصحاء العرب، وكان من شعراء الإسلام الكبار ومن الأعيان، صحب أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام وكان من أقرب أصحابه.

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣ : ٤٩٦ / الترجمة ١١٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٢ : ١٦٩.

قال ابن الأثير : وكان من أصحاب علي عليه السلام فاستعمله على البصرة[١].

وقال ابن سعد : وكان شاعراً متشيّعاً، استخلفه ابن عباس على البصرة، فأقرّه علي عليه السلام[٢].

وقال أبو حاتم : ولي قضاء البصرة[٣].

وقال الواقدي : كان ممن أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وآله، وقاتَلَ مع عليٍّ عليه السلام يوم الجمل[٤].

وقال الصفدي : وكان من المتحققين بمحبة عليّ وأولاده... وكان ينزل في بني قشير وكانوا عثمانية وأبو الأسود علويّ الرأي، فكان بنو قشير يسيئون جواره ويرجمونه بالليل، فعاتبهم على ذلك فقالوا : ما رجمناك ولكنّ الله رَجَمكَ[٥]، فقال : كذبتم لأنكم إذا رجمتموني أخطأتموني، ولو رجمني الله ما أخطأني. ثم انتقل عنهم إلى هذيل[٦].

وقال في ذلك :

يقول الأرذلون بنو قشير طوالَ الدهر لا تنسى عَليّا

---

(١) أسد الغابة ٣ : ٧٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٧ : ٩٩.

(٣) تهذيب الكمال، للمزي ٣٣ : ٣٨ / الترجمة ٧٢٠٩.

(٤) تهذيب الكمال، للمزي ٣٣ : ٣٨ / الترجمة ٧٢٠٩، تاريخ الإسلام، للذهبي ٥ : ٢٧٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٧ : ٩٩.

(٦) الوافي بالوفيات ١٦ : ٣٠٥.

فقلت لهم وكيف يكون تركي من الأعمال مفروضاً عَـلَيّا[١]

شهد مع الإمام عليه السلام وقعة صفّين[٢] وكان أحد فرسانها؛ حيث جاهد في هذه المعركة جهاد الأبطال من أجل نصرة الحق.

و بعد قضيّة التحكيم تمرّد قسمٌ من جند الإمام عليه السلام وعرفوا بعد ذلك بالخوارج، فتصدى لهم أبو الأسود الدُّئَلي بعد أن رفعوا راية العصيان ضد الإمام عليه السلام، فأخذ مجموعة من جنوده واشتبك معهم و شتّت شملهم.

عاد أبو الأسود إلى الكوفة مع الإمام عليه السلام، ثمّ غادرها إلى مدينة البصرة مسقط رأسه واستقرّ بها.

عَيَّن أميرُالمؤمنين عليه السلام عبدالله بن العباس والياً على البصرة، وكان أبو الأسود مقرَّباً منه، وكان عبدالله يأخذ رأيَهُ في العديد من القضايا.

وفي إحدى المرّات قام عبد الله بن العباس بصرف مبلغٍ من بيت المال في أمرٍ يخصّه، فما كان من أبي الأسود إلّا أن اعترض على هذا الأمر، وحدثت بينهما مشادّة كلاميّة، فقال ابن عباس لأبي الأسود:

---

(١) أعيان الشيعة ١ : ٦٣.

(٢) الثقات، لابن حبان ٤ : ٤٠٠، وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢ : ٥٣٥ / الترجمة ٣١٣. لكن في كتاب الجَمَل للشيخ المفيد : ٢٢٤ فأقام عبد الله بن عباس بالبصرة، حتّى عمد أمير المؤمنين عليه السلام إلى التوجه إلى الشام، فاستخلف [ابن عباس] عليها زياد بن أبيه وضمّ إليه أبا الأسود الدُّئلي، ولحق بأمير المؤمنين عليه السلام حتى سار إلى صفين، انتهى. وهذا يقتضي أنّ أبا الأسود لم يشارك في صفين، بل كان على البصرة. لكن يمكن الجمع بين الكلامين، بأنّه التحق بعد ذلك بصفين.

لو كُنتَ من البهائم لكنتَ جملاً، ولو كنتَ راعياً ما بلغتَ المرعى ولا أحسنت مهنته في المَشْتَى.

بعد هذا الحوار بعث أبو الأسود كتاباً إلى أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه: **أمّا بعد، فإنّ الله جلّ وعلا جعلك والياً مُؤْتَمَناً وراعياً مسوؤلاً، وقد بلوناك رحمك الله، فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحاً للرَّعيَّة، توفّر لهم فيئهم، وتظلف نفسَكَ عن دنياهم، فلا تأكل أموالهم، ولا ترتشي بشيء في أحكامهم، وإنّ عاملك وابنَ عمّك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك فَلَمْ يَسَعْني كِتمانك، فانظر رحمك الله فيما هنالك، واكتب إليَّ برأيك، فيما أحببتَ أَتَّبِعْهُ إن شاء الله، والسلام.**

بعد وصول الكتاب ردّ عليه الإمام عليه السلام بالكتاب التّالي: إلى أبي الأسود الدُّئَلي: «**أَمَّا بَعْدُ، فَمِثْلُكَ نَصَحَ الإمامَ وَالأُمَّةَ، وَأَدَّى الأَمانَةَ، وَدَلَّ عَلَى الحَقِّ، وَقَد كَتَبْتُ إلى صَاحِبِكَ ـ يعني ابن عباس ـ فِيمَا كَتَبْتَ إِلَيَّ فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ وَلَمْ أُعْلِمْهُ أَنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ، فَلا تَدَعْ إعْلامي بِما يَكُونُ بِحَضْرَتِكَ مِمَّا النَّظَرُ فِيهِ لِلأُمَّةِ صَلاحٌ، فَإِنَّكَ بِذلِكَ جَدِيرٌ، وَهُوَ حَقٌّ واجِبٌ عَلَيْكَ، وَالسَّلام**»[1].

من صيغة الكتاب نرى بوضوح مدى ثقة الإمام بأبي الأسود ومكانته الكبيرة لديه، وإن كُنّا لا نستبعد وضع هذه القضيّة برُمّتها للنيل من ابن عباس والطعن عليه.

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١٠٨، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٣٨٦، أنساب الأشراف، للبلاذري : ١٦٩ ـ ١٧٠، جواهر المطالب، للباغوني ٢ : ٧٩ ـ ٨٠.

ظلّ أبو الأسود على ولائه ولم يُعِرْ أيَّ اهتمام لبطش السلطة الأُموية ومعاملتهم السيّئة لمحبيّ أهل البيت عليهم السلام، ولذلك حاول معاويةُ استمالَة هذا الرجل لجانبه لعلمه بمنزلته عند قومه. فقد جاء في الأخبار أنّ معاوية أرسل إلى أبي الأسود الدُّئَلي هديّةً منها حَلْوى، وفي أثناء وصول الهدية والحلوى دخلت عليه ابنته الصغيرة، فأخذت لقمةً من الحلوى وجعلتها في فمها.

فقال لها أبو الأسود: يا بنتي ألقيه، فإنّ هذه الحلوى أرسلها إلينا معاوية ليخدعنا عن أمير المؤمنين ويَرُدَّنا عن محبّة أهل البيت عليهم السلام.

فقالت الصبية وبالرغم من صغر سنّها: قبحه الله، يخدعنا عن السيد المطهر، بالشهد المزعفر؟! تبّاً لمُرسِلِه وآكله. فعالجت نفسها حتى قاءت ما أكلته، ثم قالت:

أَبالشَّهْدِ المُزَعْفَرِ يابنَ هندٍ ... نَبِيعُ عَلَيْكَ أَحْساباً ودِينا

معاذَ اللهِ كَيفَ يكُونُ هٰذا ... ومَوْلانا أَمِيرُ المُؤْمِنينا[1]

أوّل مَن نَقَطَ المصحف

قال الراغب في «المحاضرات» عند ذكر أبي الأسود: وهو أوّل من نقط المصحف وأسّس أساس النحو بإرشاد علي عليه السلام[2]، وقيل: إنَّ أَوَّل

(١) الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي ١: ١٠، ربيع الأبرار، للزمخشري ١: ٤٨٤.
(٢) أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين ١: ١٦١.

من نَقَطَ المصحف يحيى بن يعمر العدواني تلميذ أبي الأسود[١]. وهو أول مَن وضع النحو؛ حيث إنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام علَّمه قائلاً له عليه السلام: «**الكلامُ ثلاثةُ أَضْرُب: اسم، وفعل، وحرف**».

وقال له: «**تَمِّمْ على هذا**»[٢].

وفاته:

وكان أبو الأسود لا يفوِّت أيَّ فرصة للحديث مع الناس عن منزلة أميرالمؤمنين عليه السلام عند الله عزوجل والرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين، وظلّ يلهج لسانه بحبّ الإمام عليه السلام، إلى أن تُوفِّي سنه ٦٩ هجرية في خلافة عمر بن عبد العزيز عن عمر يناهز ٨٥ عاماً[٣].

---

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي ١: ٧٥ / ترجمة يحيى بن يعمر.

(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢: ٥٣١ / الترجمة ٣١٣.

(٣) الإصابة، لابن حجر ٣: ٤٥٦ / الترجمة ٤٣٤٨.

الفصل الثالث «من الباب الثالث»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على المدائن والنهروان

أما الذين على المدائن، فهم:

١ ـ حذيفة اليماني

٢ ـ يزيد بن قيس الأرحبي

٣ ـ لأم بن زياد

٤ ـ ثابت بن قيس الأنصاري

٥ ـ سعد بن مسعود الثقفي

٦ ـ هبيرة بن النعمان

٧ ـ زحر بن قيس الجعفي

وأما على النهروان، فهو:

عبدالله بن خبّاب بن الأَرَت

أوّل ولاته على المدائن: حذيفة اليماني

إنّ المدائن كانت عاصمة الفرس قبل الإسلام، وقد فتحت في زمن عمر بن الخطاب، وقد تولّاها سلمان الفارسي مدَّةً من الزمن إلى أن فارق الحياة فيها، ثمّ إن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام اختار للأمصار أحسن الولاة سيرةً وعدلاً، فقد أرسل إلى المدائن حذيفةَ بن اليمان.

وهو حذيفة بن اليمان ـ حِسْل ويقال: حُسَيل ـ بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث العبسي[1].

واليمان ـ في الأصل مخففاً ـ نسبة إلى اليمن، وألفه عوضٌ عن ياء النسبة، ولا يدل على ما يدلّ عليه الياء، وهو من نادر النسب، والقياس: اليَمَني. وقد جُعِلَ اليمان لَقَباً لوالد حذيفة واسمه حِسْل أو حُسَيل.

وقال الكلبي: إنّ جدّه جروة أصاب دماً في قومه، فهرب إلى المدينة وحالف بني عبد الأشهل، فسمّاه: اليمان، لأنّه حالف الأنصار وهم من اليمن، وظاهر هذا أنّ اليمان مأخوذ من اليَمِين، بمعنى الحَلْف، لا للنسبة، بل لا وجه للنّسبة إلّا كون بني عبد الأشهل وسائر الأنصار من اليَمَن[2].

وكان من أجلّاء الصحابة وخيارهم، ومن علمائهم وفقهائهم، والعارفين بالكتاب والسنة.

---

(١) أسد الغابة ١: ٣٩٠.

(٢) تنقيح المقال، للمامقاني ١٨: ١٣٤.

كان حذيفة من الشُّجعان الذين شهدوا مع النبي ﷺ جميع المعارك ضد مشركي قريش عدا معركة بدر؛ لأنّ المشركين كانوا قد أخذوا عليه عهداً أن لا يقاتلهم، فأمره النبي ﷺ بالوفاء بالعهد. وكان يُسَمَّى صاحب السِّرِّ؛ لأنّه كان يعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ.

سكن الكوفة، ومات بالمدائن بعد بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً.

ولمّا كان حذيفة من علماء الصحابة الأجلّاء فقد كان صاحب حلقة وتجتمع عليه الناس بمسجد الكوفة فيحدثهم ويجيب عن أسئلتهم ويفتيهم.

وكان من الأركان الأربعة من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، قال الشيخ محيي الدين المامقاني في هامش التنقيح:

الظاهر أنّ الأركان خمسة؛ حيث عدّ الشيخ رحمه الله وغيره الأركان أربعة: ١ـ سلمان. ٢ـ أباذر. ٣ـ المقداد. ٤ـ عمار، ثمّ عدّ حذيفة من الأركان الأربعة فيكون خامساً، وليس قوله: أربعة، إلّا تعبيراً عن الاصطلاح لا حصراً لهم، وإلّا فهم خمسة كما لا يخفى.

أمّا الرُّكن فهو في اصطلاح المحدّثين هو الصحابي الذي نافس جميع الصحابة في الفضل، والتّمسّك بأهل البيت عليهم السلام، وواساهم ظاهراً وباطناً، ولم يوالِ أحداً من مخالفيهم، وحينئذٍ لا مانع من تسمية مَنْ جمع الصفات المذكورة: رُكْناً، ومن المعلوم أنّ هؤلاء الأركان تتفاوت مراتبهم، وليسوا في مرتبة واحدة من الفضل، فسلمان وعمّار يختلفان في المرتبة وإن كانا ركنين[1].

---

(١) هامش تنقيح المقال، للمامقاني ١٨: ١٣٦.

أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وبالفتن التي ستحدث؛ ففي تقريب التهذيب: حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، صحّ في مسلم عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة. وأبوه صحابي أيضاً استشهد بأُحد. ومات حذيفة في أوّل خلافة علي عليه السلام سنة ست وثلاثين[1].

قال محيي الدين المامقاني في هامش تنقيح المقال: أقول: يصرّح ابن حجر العسقلاني بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم حذيفة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهذه منزلة كبيرة ليس فوقها منزلة، والعسقلاني ارتضى هذه المنزلة لحذيفة، ولكن لمّا تروى هذه المنقبة لوصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّه وزوج حبيبته ونفسه بنص الكتاب العزيز، يتلّوىٰ بعضهم ويحاول تضعيف الرواية أو تأويلها، ولايكاد يرتضيها، لأنّها في أميرالمؤمنين عليه السلام! ومن هنا يتضح جليّاً نصبهم وعداؤهم للحقّ، ولمن يتمثّل الحق به ويدور معه حيثما دار بنص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «**عليٌّ مع الحق والحقّ مع علي يدور معه حيث ما دار**»، وليس حذيفة بن اليمان إلّا من صغار أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ومن جملة مواليه[2].

آخَى الرسول صلى الله عليه وآله بينه وبين الصحابي الكبير عماربن ياسر، وأُخرى آخاه مع سلمان الفارسي، وهذا دليل على علوّ منزلته عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله[3].

---

(١) تقريب التهذيب ١ : ١٩٢ / الترجمة ١١٦٠.

(٢) هامش تنقيح المقال، للمامقاني ١٨ : ١٣٨.

(٣) انظر مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٢ : ٣٢، حيث قال : آخَى رسول ←

كما اختاره الرسول ﷺ صاحباً لسرّه، وجاء عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «**ضاقت الأرض بسبعة بهم يُرْزَقُون وبهم يُنْصَرُون وبهم يُمْطَرُون، منهم سلمان الفارسي، والمقداد، وأبوذر، وعمار، وحذيفة**»، وكان علي عليه السلام يقول: «**وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا على فاطمة الزهراء عليها السلام**»[1].

من قول الإمام عليه السلام هذا يتّضح لنا بأنّ حذيفة كان من المقرّبين إليه جدّاً، فمن المعروف أنّ الزهراء عليها السلام عندما توفّيت لم يشارك في دفنها سوى الخواصّ من أصحاب الإمام عليه السلام.

وعندما تولّى أبوبكر الخلافة وامتنع الإمام عليه السلام من بيعته كان حذيفة يتردّد على الإمام عليه السلام في بيته كثيراً.

ولمّا كان حذيفة رجل كَفُوءاً فقد ولّاه عمر بن الخطاب المدائن بعد وفاة سلمان الفارسي حيث كان هو الوالي عليها ثمّ تولاها حذيفة، وظلّ في منصبه حتى بعد وفاة عمر ومجيء عثمان[2].

قال محيي الدين المامقاني: ولقائل أن يقول: فما المسوّغ له بتصدّيه للولاية عن أُولئك المتقدّمين؟ وكيف يمكن عده عدلاً ثقةً مع أنّه كان متلبساً بالولاية؟!

قلنا: إنّ بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم كانوا مأمورين من

← الله ﷺ بين الأشكال والأمثال. ثمّ ذكر المؤاخاة بين سلمان وحذيفة. وذكر الجاحظ في كتاب العثمانية: ١٦٢ المؤاخاة بين حذيفة وعمار.

(١) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١: ٣٣ ـ ٣٤/ح ١٣.

(٢) الإصابة، لابن حجر ٢: ٣٩/ الترجمة ١٦٥١.

قبل أمير المؤمنين عليه السلام للاشتراك في الشؤون العامة، وتقوية شؤون المسلمين، وتوسيع نطاق الاسلام بالاشتراك في الإمارات، وفي سَوْق الجيوش وفتح البلاد، وما إلى ذلك من الأُمور، فتصدّي سلمان وحذيفة ونظائرهما كان عن أَمر أميرالمؤمنين عليه السلام ...، ومن هنا نستكشف أنّ حذيفة لم تَخْتَلَّ وثاقته وعدالته وجلالته باشتراكه في الأُمور العامة[1].

حذيفة يدعو الناس لبيعة علي عليه السلام

قال المسعودي في مروج الذهب: كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ست وثلاثين، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي عليه السلام، فقال: أَخرجوني وادعوا الصلاة جامعة ... فوُضِعَ على المنبر.

فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي وعلى آله، ثم قال: أيُّها الناس! إنّ الناس قد بايعوا عليّاً، فعليكم بتقوى الله، وانصروا عليّاً ووازروه. فوالله إنّه لعلىٰ الحقِّ آخِراً وأَوّلاً، وإنّه لخَيْرُ من مضى بعد نبيّكم ومن بقي إلى يوم القيامة ... ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال: اللّهمّ اشهد أنّي قد بايعت عليّاً عليه السلام، وقال: الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم، وقال لابنيه صفوان وسعد: احملاني وكُونا معه، فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معه فإنّه والله على الحق ومَنْ خالفه على باطل[2].

---

(١) هامش تنقيح المقال، للمامقاني ١٨ : ١٤٥.

(٢) مروج الذهب، للمسعودي ٢ : ٣٨٣.

عهد الإمام عليه السلام لحذيفة

عَهِدَ الإمام عليه السلام بولاية المدائن إلى حذيفة، وكتب إليه هذه الرسالة، وقد جاء فيها بعد البسملة والحَمْدَلة:

مِنْ عَبْدِاللهِ عَلِيٍّ أميرِ المؤمنين إلى حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ،

سَلامٌ عَلَيْكُمْ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ لِمَنْ كَانَ قَبْلِي مِنَ حِرَفِ[1] المَدَائنِ، وقَدْ جَعَلْتُ إِلَيْكَ أَعْمَالَ الْخَرَاجِ وَالرُّسْتَاقِ وجِبَايَةَ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَاجْمَعْ إِلَيْكَ ثِقَاتِكَ وَمَنْ أَحْبَبْتَ مِمَّنْ تَرْضَى دِيْنَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَاسْتَعِنْ بِهِمْ عَلى أَعْمَالِكَ فَإِنَّ ذلِكَ أَعَزُّ إِلَيْكَ وَلِوَلِيِّكَ، وأَكْبَتُ لِعَدُوِّكَ، وَإِنِّي آمُرُكَ بِتَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، وَأُحَذِّرُكَ عِقَابَهُ فِي الغَيْبِ وَالْمَشْهَدِ، وَأَتَقَدَّمُ إِلَيْكَ بِالإِحْسَانِ إِلَى المُحْسِنِ، وَالْشِّدَّةِ عَلَى المُعَانِدِ، وَآمُرُكَ بِالرِّفْقِ فِي أُمُورِكَ؛ وَالدِّيْنِ والعدل في رعيَّتك، فَإِنَّكَ مُسَاءَلُ عَنْ ذلِكَ، وَإِنْصَافِ المَظْلُومِ، وَالعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ اللهَ يَجْزِي المُحْسِنِينَ.

وَآمُرُكَ أَنْ تَجْبِيَ خَرَاجَ الأَرَضِينَ عَلَى الحَقِّ وَالنَّصَفَةِ، وَلا تُجَاوِزَمَا تَقَدَّمْتُ بِهِ إِلَيْكَ، وَلا تَدَعَ مِنْهُ شَيْئاً، وَلا تُبْدِعَ فِيهِ أَمْراً.

ثُمَّ اقْسِمْ بَيْنَ أَهْلِهِ بِالسَّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ، وَاخْفِضْ لِرَعْيَّتِكَ جَنَاحَكَ،

---

(١) الحِرَف: جمع الحَرْف، وهو من كل شيء طرفه وذروته لأن المدائن في جانب بلاد العراق أو من أعالي البلاد.

وَوَاسِ بَيْنَهُمْ فِي مَجْلِسِكَ، وَلْيَكُنْ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، وَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَاقْسِمْ فِيهِمْ بِالْقِسْطِ ، وَلا تَتَّبِعِ الْـهَوى، وَلا تَخَفْ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ ، فَإِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ .

وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ كِتاباً لِتَقْرَأَهُ عَلى أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ لِيعلموا رَأْيُنَا فِيهِمْ وَفِي جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَحْضِرْهُمْ وَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ، وَخُذِ الْبَيْعَةَ لَـنَا عَـلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى[1].

وحوت هذه الرسالة جميع صنوف العدل وما تـبنّاه الإمـام عليه السلام فـي سياسته المشرقة من إسعاد الشعوب ونشر القيم الكريمة بينهم.

رسالته عليه السلام لأهل المدائن

وأرسل الإمام عليه السلام إلى أهل المدائن هذه الرسالة، وأمر عامله حذيفة بقراءتها عليهم، و هذا نصّها بعد البسملة:

مِنْ عَبْدِ اللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هذَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهَ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ، وَأَسْـأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى اخْتَارَ الإِسْلامَ دِيناً لِنَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، إِحْكَاماً لِصُنْعِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ، وَنَظَراً مِنْهُ لِعِبَادِهِ، وَخَصَّ بِهِ مَنْ أَحَـبَّهُ

---

(١) إرشاد القلوب، للديلمي ٢ : ١٨٠ ـ ١٨١.

مِنْ خَلْقِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّداً ﷺ فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، إِكْرَاماً وَتَفْضِيلاً لِهذِهِ الأُمَّةِ، وَأَدَّبَهُمْ لِكَي يَهْتَدُوا، وَجَمَعَهُمْ لِئَلَّا يَتَفَرَّقُوا، وَوَفَّقَهُمْ لِئَلّا يَجُورُوا، فَلَمَّا قَضَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَضَى إِلى رَحْمَةِ اللهِ حَمِيداً مَحْمُوداً.

ثُمَّ إِنَّ بعضَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا بَعْدَهُ رَجُلَيْنِ رَضُوا بِهَدْيِهِمَا وَسِيرَتِهِمَا، فَأَقَامَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ تَوَفَّاهُمَا اللهُ عَزَوَجَلَّ، ثُمَّ وَلَّوا بَعْدَهُمَا الثَّالِثَ فَأَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وَوَجَدَتِ الأُمَّةُ عَلَيْهِ فِعَالاً فَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ نَقِمُوا مِنْهُ فَغَيَّرُوا، ثُمَّ جَاءُونِي كَتَتَابُعِ الْخَيْلِ فَبَايَعُونِي، وَإِنِّي أَسْتَهْدِي اللهَ بِهُدَاهُ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى التَّقْوَى.

أَلا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَالْقِيَامَ عَلَيْكُمْ بِحَقِّهِ، وَإِحْيَاءَ سُنَّتِهِ، وَالنُّصْحَ لَكُمْ بِالْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ، وَبِاللهِ نَسْتَعِينُ عَلى ذلِكَ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَقَدْ وَلَّيْتُ أُمُورَكُمْ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَهُوَ مِمَّنْ أَرْضَى بِهُدَاهُ وَأَرْجُو صَلاحَهُ، وَقَدْ أَمَرْتُهُ بِالإِحْسَانِ إِلى مُحْسِنِكُمْ، وَالشِّدَّةِ عَلى مُرِيبِكُمْ، وَالرِّفْقِ بِجَمْعِكُمْ.

أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمْ حُسْنَ الْخِيرَةِ وَالإِسْلامِ[1] وَرَحْمَتَهُ الْوَاسِعَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ[2].

---

(١) والإحسان ـ خ ل.

(٢) إرشاد القلوب، للديلمي ٢ : ١٨١ ـ ١٨٢.

وحكت هذه الرسالة نعمة الله على عباده بأنْ أرسل لهم رسوله العظيم، فجاءهم بالإسلام الّذي هو الدِّين القيِّم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وجعله مشعلاً للهداية والسلامة من مآثم الحياة، كما عرضت هذه الرسالة الأحداثَ المؤسفَة التي رافقت وفاة المنقذ الأعظم صلى الله عليه وآله، وما آلت إليه الأُمّة بعده، وقد قطع الإمام عليه السلام على نفسه عهداً أن يسير بين المسلمين بسنّة الرسول صلى الله عليه وآله، ويطبّق على الحياة العامّة منهج القرآن الكريم، هذا بعض ما حوته هذه الرسالة.

وفاة حذيفة :

وعندما تولّى الإمام علي عليه السلام الخلافة أبقاه في منصبه، لكنّه ـ أي حذيفة ـ لم يلبث في ولايته إلّا قليلاً؛ إذ سرعان ما داهمه الموت نتيجة المرض الشديد، وتوفي رحمة الله عليه بعد أربعين يوماً من خلافة أمير المؤمنين[1].

وفِعْلاً استُشهد ولداه في صفين وهما إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام. قال ابن عبد البر : وقُتل صفوان وسعيد ابنا حذيفة بصفين، وكانا قد بايعا عليّاً بوصيّة أبيهما إيّاها بذلك[2].

وقال ابن الأثير في حوادث سنة (٣٦هـ) : في هذه السنة مات حذيفة

---

(١) رجال الطوسي : ٣٥ / الترجمة ١٧٨.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر ١ : ٣٣٥.

بن اليمان بعد قتل عثمان بيسير ولم يدرك الجمل، وقُتل ابناه صفوان وسعيد مع عليٍّ بصفين بوصيّة أبيهما[١].

وهكذا طويت صفحة من صفحات الجهاد والكفاح المتمثلّة بسيرة هذا الصحابي الجليل، وظلّ ذكره خالداً مدى الدهر، لأنّه وقف مع الحق ومع إمام الحق أميرالمؤمنين عليه السلام، وحفظ وصية النبي صلى الله عليه وآله حين أوصاه بالوقوف إلى جنب الإمام علي عليه السلام. فوقف أجلّ وقفةٍ ولم يقتصر على نفسه بل أوصى ولديه بنصرة الإمام عليه السلام، وهو ما سار عليه ولداه سعيد وصفوان؛ حيث نالا الشهادة بين يدي الإمام عليه السلام في واقعة صفين.

ثاني ولاته عليه السلام على المدائن: يزيد بن قيس الأرحبي

هو يزيد بن قيس بن تمام بن حاجب الأرحبي، من بني صعب بن دومان من همدان. كان من الرؤساء الكبار في اليمانين، ومن الذين يشار إليهم بالبلاغة والمنطق وسعة الصدر.

نال منزلة كبيرة عند أبناء قومه؛ بسبب فطنته ودرايته الواسعة بمختلف الأُمور. أدراك النبي صلى الله عليه وآله وكان أحد المقرّبين إليه.

وعندما توفي النبي صلى الله عليه وآله نزح يزيد إلى مدينة الكوفة واستقر بها. وحظي بمنزلة رفيعة عند أهل الكوفة، وبعد فترة من الزمن عُيِّن من قِبَلِ أهلها أميراً على الكوفة بعدما غادر والي الكوفة سعيد بن العاص الذي ولّاه عثمان بن عفان بعد أن ثار عليه أهل الكوفة.

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٨٧.

بعد تولّي الإمام عليه السلام الخلافَة عيّنه آمراً لشرطته، وظلّ في هذا المنصب إلى أن قرر الإمام عليه السلام أن يولّيه على مدينة المدائن وإصفهان والري وهمدان[١]؛ وذلك لعلم الإمام عليه السلام بكفاءته وحسن إدارته.

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أنّه دخل على أميرالمؤمنين عليه السلام حين عزم المسير إلى صفين، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن على جهازٍ وعُدَّة، وأكثرُ الناس أهل قُوَّة، ومن ليس بمضعف وليس به علّة، فَمُرْ مناديك فلينادِ الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنُّخيلة، فإنّ أخا الحرب ليس بالسَّؤُوم ولا النَّؤُوم، ولا مَن إذا أمكَنَتْهُ الفُرَص أَجَّلَها واستشار فيها، ومن لا يؤخّر الحرب في اليوم إلى غدٍ وبعد غدٍ[٢]. فكان يحرّض الناس بصفّين ضد معاوية وحزبه.

وفي معركة صفين أوكل إليه الإمام عليه السلام مهامَّ حربيّة عديدة أدّاها بأحسن وجه، ولعب الأرحبيُّ دوراً مهمّاً في هذه المعركة من جهة القتال والشجاعة، ومن جهة البلاغة، فقد كان من الخطباء الفصحاء الذين رفعوا من معنويّات جيش الإمام عليه السلام حيث كان يحثّ بكلماته الرنّانة أفراد الجيش على الصمود والتصدى للقوات الأموية.

---

(١) انظر الإصابة، لابن حجر ٦: ٥٥١ / الترجمة ٩٤٢٨، والأعلام، للزركلي ٨: ١٨٦. وفي كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٠ إنّ علياً عليه السلام حين قدم من البصرة إلى الكوفة بعث يزيد بن قيس الأرحبي على المدائن وجوخَى كلّها. وكذلك ذكر في الأخبار الطوال، للدينوري: ١٥٣.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٠١.

ومن جملة خطبه الرائعة ـ التي يُحرِّض فيها جند الإمام عليه السلام، والّتي تنمُّ عن إيمانه القويّ والمطلق بقضيّة الإمام عليه السلام العادلة ـ هذه الكلمات: إنّ هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيّعناه، ولا إحياء عدلٍ رأونا أَمَتْناهُ، ولا يقاتلونا إلّا على إقامة الدُّنيا ليكونوا جبابرة فيها وملوكاً[١].

وقد بعثه أميرالمؤمنين عليه السلام إلى معاوية وحاجَّه، فمن جملة ما قال لمعاوية: إنّا لم نأتك إلّا لنبلّغك ما بُعِثْنا به إليك، ولنؤدِّي عنك ما سمعنا منك... إنّ صاحبنا مَنْ قد عرفت وعرف المسلمون فضله، ولا أظنّه يخفى عليك أنّ أهل الدين والدُّنيا والفضل لَنْ يَعْدِلُوكَ بعليٍّ عليه السلام ولن يميلوا بينك وبينه، فاتَّق الله يا معاوية! ولا تخالف عليّاً، فإنّا والله ما رأينا رجلاً قط أَعْمَلَ بالتقوى ولا أزهدَ في الدُّنيا ولا أَجْمَعَ لخصال الخير كلِّها منه[٢].

استمرّ الأرحبي يقاتل ويفاجئ جيش معاوية ويوقع في صفوفهم أفدح الخسائر؛ حيث تمكّن من قتل وجرح العشرات من أفراد جيش الأعداء، وكان مِنْ بينهم عدد مِنْ قادة معاوية.

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٤٧، تاريخ الطبري ٤: ١٢، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٩٨.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٩٨، تاريخ الطبري ٤: ٢ ـ ٣، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٨٩.

وفاة يزيد بن قيس

لم يُفَوِّت الأرحبي أيَّ فرصة للانقضاض على الأعداء ومطاردة فلول الجيش الأموي، وسطّر أروع الملاحم البطولية إلى أن أثخنته الجراح البليغة في صفّين التي أدت إلى استشهاده رضوان الله عليه.

وبعد شهادته حمله أصحاب أمير المؤمنين إلى المعسكر، فمرّ به الأشتر محمولاً إلى المعسكر فقال: من هذا؟ قالوا: يزيد بن قيس، لمَّا صُرِعَ زياد بن النضر رَفَعَ هو رايته لأهل المَيْمَنَة فقاتل حتى صُرع، فقال الأشتر: هذا والله الصّبر الجميل، والفعل الكريم، ألا يستحي الرجل أن ينصرف لم يَقْتُلْ ولم يُقْتَلْ ولم يُشْفَ به على القتل[1]؟!

الثالث من ولاته عليه السلام على المدائن: لَأْم بن زياد، أخو عَدِيّ بن حاتم من جهة الأُمِّ

وهو لأم بن زياد بن غطيف بن سعد بن الحشرج الطائي.

ولّاه أميرالمؤمنين عليه السلام على المدائن، إذ لمّا تحرك أميرالمؤمنين عليه السلام إلى معركة صفين ولّاه على المدائن[2].

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٥٤، تاريخ الطبري ٤: ١٥، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٣٠١.

(٢) أنساب الأشراف، للبلاذري: ٢٩٦، تاريخ دمشق، لابن عساكر ٦٠: ٢٥٩.

الرابع من ولاته عليه السلام على المدائن: ثابت بن قيس الأنصاري

وهو ثابت بن قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر ـ وهو كعب ـ بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد.

هكذا نسبه الخطيب في تاريخ بغداد، وقال: شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله أُحُداً والمشاهد بعدها، ويقال: إنّه جُرح يوم أحد اثنتي عشرة جراحة، وعاش إلى خلافة معاوية، واستعمله أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المدائن. ثم روى بسنده عن عبد الله بن عمارة بن القداح، قال: كان ثابت بن قيس بن الخطيم شديد النَّفْس، وكان له بلاءٌ مع علي بن أبي طالب، واستعمله أميرالمؤمنين على المدائن، فلم يزل عليها حتى قدم المغيرة بن شعبة الكوفة، وكان معاوية يتّقي مكانَهُ.

انصرف ثابت بن قيس إلى منزله فوجد الأنصار مجتمعةً في مسجد بني ظفر يريدون أن يكتبوا إلى معاوية في حقوقهم أول ما استخلف؛ وذاك أنّه حبس حقّهم سنتين أو ثلاثاً لم يعطهم شيئاً، فقال: ما هذا؟

فقالوا: نريد أن نكتب إلى معاوية.

فقال ما تصنعونَ أن يكتب إليه جماعة؟! يكتبُ إليه رجلٌ منّا، فإن كانت كائنة برَجُلٍ منكم فهو خير من أن تقع بكم جميعاً وتقع أسماؤكم عنده.

فقالوا: فمن ذاك الذي يبذل نفسه لنا؟

قال: أنا.

فقالوا : فشأنك، فكتب إليه وبدأ بنفسه فذكر أشياءً منها نصرة النبي صلى الله عليه وآله وغير ذلك، وقال: حبست حقوقنا واعتديت علينا وظلمتنا، وما لنا إليك ذنب إلّا نُصْرَتنا للنّبيّ صلى الله عليه وآله، فكان من نتيجة الكتاب أنْ رَدَّ معاوية حقوقهم[١].

قال ابن عبد البَرّ : شهد ثابت مع عليٍّ عليه السلام صفّين والجمل والنهروان، وله ثلاثة بنين : عمرو ومحمد ويزيد، قتلوا يوم الحَرَّة، ولا أعلم لثابت هذا رواية[٢].

وجُرِح يوم أُحُد اثنتي عشرة جراحة، وسمّاه النبي صلى الله عليه وآله يومئذ بالحاسر، فكان يقول له : يا حاسر أَقْبِلْ، يا حاسر أَدْبِرْ، وهو يضرب بسيفه بين يديه، وشهد المشاهد بعدها[٣].

وكان معاوية يكره ثابت بن قيس لِمَا كان منه في حروبه مع أمير المؤمنين عليه السلام، وقد مات في زمان معاوية[٤].

الخامس من ولاته عليه السلام على المدائن : سعد بن مسعود الثقفي

ذكرهُ البُخاري في الصحابة، وقال الطبراني أيضاً : له صُحبة[٥].

ولمّا دعا الإمام الحسن ٧ وعمار بن ياسر أهل الكوفة إلى إنجاد علي عليه السلام والنهوض إليه لحرب البصرة، سارعوا إلى ذلك، فنفر مع الحسن عليه السلام

---

(١) تاريخ بغداد ١ : ١٨٧ ـ ١٨٨ / الترجمة ١٥.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر ١ : ٢٠٦ / الترجمة ٢٦١.

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر ١١ : ١٣٧ / الترجمة ١٠٣٠.

(٤) اتفق على ذلك مترجموه. انظر المصادر السابقة.

(٥) الإصابة، لابن حجر ٣ : ٧٠ / الترجمة ٣٢١٠.

عشرة آلاف على راياتهم، ويقال: اثنا عشر ألفاً، وكانوا أسباعاً، فكانت قيس عيلان وعبد القيس جميعاً عليهم سعد بن مسعود عم المختار[١].

كان سعد من خيار أصحاب الإمام عليه السلام، وهو عمّ البطل الخالد المختار ـ الذي استأصل شأفة المجرمين مِنْ قتلة سيد الشهداء عليه السلام ـ وأخو أبي عُبَيْد بن مسعود والد المختار. وسعدٌ هو الذي حمل الإمام الحسن عليه السلام إلى داره لمَّا طعنه الجراح بن سنان على فخذه بالرمح، وجاء إليه بطبيب حتى برئ الإمام عليه السلام، وقد أقرّه الإمام الحسن عليه السلام على المدائن[٢].

وقد عهد الإمام عليه السلام بولاية المدائن إلى سعد، وكتب إليه الرسالة التالية: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ قَدْ أَدَّيْتَ خَرَاجَكَ، وَأَطَعْتَ رَبَّكَ، وَأَرْضَيْتَ إِمَامَكَ، فِعْلَ الْبَرِّ التَّقِيِّ النَّجِيبِ، فَغَفَرَ اللهُ ذَنْبَكَ، وَتَقَبَّلَ سَعْيَكَ، وَحَسَّنَ مَآبَكَ**»[٣].

وحوت هذه الرسالة أجمل الثناء وأطيب الذكر على سعد الذي أطاع ربّه ونبيّه وأرضى إمامه.

ولمّا أراد الإمام عليه السلام الشخوص لمحاربة معاوية كتب إلى سعد هذه الرسالة:

---

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري: ٢٣٥.

(٢) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني: ٤١، الإرشاد، للمفيد ٢: ١٢. وفي كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٢، والأخبار الطوال، للدينوري: ١٥٣ وبعث سعد بن مسعود الثقفي على استان الزوابي. والزوابي هي أربعة أَنْهُر بالعراق، نهران فوق بغداد ونهران تحتها، يقال لكل واحد منها زاب.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠١.

«أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ زِيَادْ بِنْ خَصْفَة ، فَأَشْخِصْ مَعَهُ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ مُقَاتِلَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَعَجِّلْ ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَلا قُوَةَ إِلَّا بِاللهِ »[١].

ولولا أنّه ركنٌ وثيق ، وبطلٌ من أبطال الإسلام ، لَما استعان به الإمام لمحاربة خصمه العنيد .

وخرج سعيد بن قُفْل التيمي في رجب من سنة (٣٨) وكان معه مائتا رجل ، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى سعد بن مسعود الثقفي ـ وكان عامله على المدائن ـ في أمره ، فخرج إلى ابنِ قفل وأصحابه فواقعهم فقتلهم[٢].

ولم نجد من يحدّد تاريخ وفاته ، لكنّه توفّي بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام .

السادس من ولاته عليه السلام على المدائن : هبيرة بن النعمان الجعفي

هو : هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية بن سَعْنَة بن بداء بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفي بن سعد العشيرة الجعفي .

له إدراك ، وكان من أُمراء أمير المؤمنين علي ، وشهد معه صفّين ، واستعمله على المدائن ، وكان شريفاً[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٥٩ .

(٢) أنساب الأشراف ، للبلاذري : ٤٨٣ ـ ٤٨٤ .

(٣) الإصابة ، لابن حجر ٦ : ٤٤٦ / الترجمة ٩٠٥٧ .

وقال الخطيب البغدادي : أَنزله عليٌّ عليه السلام المدائن في جماعة جعلهم هنالك رابطة[١].

شهد صفين مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، واستعمله على المدائن[٢].

ويلقَّب بالفَغَّار كشداد أو بالفُغار كغُراب، ولُقِّب بذلك لبيتٍ قاله فيه حجر الجعفي، وهو :

فَغِرْتَ لدى النَّعمان لمَّا رأيته كما فَغَرت للحيضِ شمطاءُ عارِكُ[٣]

السابع من ولاته عليه السلام على المدائن : زحر بن قيس الجعفي

هو : زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سَعْنَة الجعفي.

له إدراك، وكان من الفرسان، وكان مع علي عليه السلام... واستعمله عليٌّ عليه السلام على المدائن.

وكان لزحر أربعة أولاد نجباء أشراف بالكوفة، أحدهم فرات قتله المختار، والثاني جَبَلَة قُتِلَ مع ابن الأشعث... والثالث جهم بن زحر كان مع قتيبة بن مسلم بخراسان وولي جرجان، والرابع جمال بن زحر كان بالرستاق[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ٨ : ٤٨٩ / الترجمة ٤٦٠٥.

(٢) الوافي بالوفيات، للصفدي ٢٧ : ١٩٥.

(٣) تاج العروس، للزبيدي ٧ : ٣٥٣.

(٤) الإصابة، لابن حجر ٢ : ٥٢٠ / الترجمة ٢٩٧٣.

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً إلى أهل الكوفة من البصرة يخبرهم بفتح الله عليه بالبصرة، وأرسله بيد زحر بن قيس، وفي آخر الكتاب: «**وقد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألوه يخبركم عنا وعنهم، وردّهم الحقّ علينا وردّ الله لهم وهم كارهون**»[١].

كما أرسل أمير المؤمنين عليه السلام بعد حرب الجمل كتاباً بيد زحر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجلي، وكان جرير يومئذ بهمذان، فقرأ جرير الكتاب على الناس.

قال ابن أعثم:

ثمّ وثب زحر بن قيس رسول علي بن أبي طالب عليه السلام حتّى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ عليّاً أمير المؤمنين قد كتب إليكم كتاباً لا يقال بعده إلّا رجيعٌ من القول، ولكن لابدّ من ردّ الكلام، وقد بايع الناس عليّاً بالمدينة من غير محاباة ببيعتهم، ولكن لعلمه بكتاب الله عزّ وجل وسنن الحق، وإنّ طلحة والزبير كانا بايعاه طائعَيْن غير مُكْرَهَيْن، ثمّ نقضا عليه بيعته على غير حدثٍ كان منه إليهما، ثمّ إنّهما ألّبا عليه الناس ونَصَبا له الحرب، فأخرجا أمّ المؤمنين، فأظهره الله عزّ وجل على من خالفه ونكث بيعته ...[٢].

وشارك زحر بن قيس في حرب الجمل إلى جانب جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن شعره في يوم الجمل:

---

(١) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٣٢: ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) الفتوح، لابن أعثم ٢: ٥٠١ ـ ٥٠٢.

أضربكم حتى تقروا لعلي خير قريش كلّها بعد النبي
من زانه الله وسمّاه الوصي إنّ الوليّ حافظ ظهر الولي
كما الغويّ تابعٌ أمر الغوي[١]

وشارك في صفين أيضاً إلى جانب جيش الإمام عليه السلام، ومن شعره فيه:

فصلّى الإله على أحمد رسول المليك تمام النِّعَم
رسول المليك ومن بعده خليفتنا القائم المدَّعَم
عليّاً عنيتُ وصي النبي بخالدُ عنه غُواةَ الأُمَم[٢]

وقد ساءت عاقبة هذا الشخص بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فكان من جملة الشهود الذين شهدوا على حجر بن عدي وأصحابه[٣].

ثمّ كانت له أدوار مشينة في كربلاء، وهو الذي حمل رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه إلى يزيد، وخطب خطبة شنعاء يفتخر فيها بقتلهم الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه[٤].

وقد صار من بعد من قُوَّاد عبد الله بن مطيع والي ابن الزبير على الكوفة، وكان من المحاربين للمختار، ثمّ انضمّ إلى جموع الحجّاج الثقفي وصار يقاتل شبيب الخارجي وأصحابه، فأثخنوه حتّى ظنوا أنّه قُتِل من شدة جراحاته، ثمّ جيء به إلى الحجاج ملفوفاً بالقطن،

---

(١) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٣٨: ٢٣.
(٢) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٣٨: ٢٤.
(٣) أعيان الشيعة ٤: ٥٧٨.
(٤) انظر تاريخ الطبري ٤: ٣٥١ ـ ٣٥٢.

فأجلسه الحجاج معه على السرير وقال لمن حوله : مَنْ سَرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين الناس وهو شهيد فلينظر إلى هذا[١].

على أنّنا نتحفظ على كونه والياً لأمير المؤمنين عليه السلام على المدائن، لأنّ أقدم من ذكره هو الخطيب البغدادي، فذكر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام جعله في المدائن مع جماعة للمرابطة، لا للولاية.

وأمّا واليه عليه السلام على النهروان، فهو : عبد الله بن خَبّاب بن الأَرَتّ

النهروان : موضع بين بغداد وحلوان، وقد سُمّيت واقعة النهروان بها والتي حدثت سنة (٣٧) أو (٣٨) للهجرة، وكانت الحرب ضدّ الخوارج، وهم الذين أنكروا التحكيم الذي وقع يوم صفين وقالوا : لا حكم إلّا لله، ويقال لهم : الحَرُورِيّة؛ لأنّهم في أول أمرهم اجتمعوا بمكان يقال له : حَرَوْراء، وقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المنطقة[٢].

وإنّ سبب خروجهم على الإمام عليه السلام وتسميتهم بالخوارج هو أنّه بعد ما أحرز الإمام عليه السلام النصر الحاسم على خصمه الجاهلي معاوية، وبات

---

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٧٣، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٤ : ٤٠٩.

(٢) إن أساس عقيدة الخوارج تولّي الشيخين والبراءة من الصّهرين [علي وعثمان]، فيتولون عثمان إلى حين وقوع الأحداث، ويتولون علياً عليه السلام إلى حين وقوع التحكيم، وهم القرّاء الذين كانوا في صفين وقد اسودت جباههم من طول السجود، وقال لهم أمير المؤمنين يوم التحكيم بأنّ رفع المصاحف حيلة، فلم يقبلوا وأجبروه على التحكيم ثم أنكروه، ولا يزال منهم طائفة إلى اليوم في زنجبار والمغرب وشمال افريقيا وغيرها. أعيان الشيعة ١ : ٥٢١.

الاستيلاء عليه قاب قوسين أو أدنى، مُني الإمام عليه السلام بانقلابٍ عسكريّ من هؤلاء الخوارج، فقد رفع جيش معاوية المصاحف الكريمة على الرماح ودعوا إلى المحاكمة على ضوئها، وهنا انخدعت طائفة من جيش الإمام بذلك وأصرُّوا على الاستجابة لهم، وهؤلاء هم الخوارج، وكان بعض أفراد القيادة العامة في معسكر الإمام عليه السلام على اتّصال بمعاوية واتّفاق معه، وعلى ذلك وقعت الفتنة في جيش الإمام، ورُفِعت الأصوات بضرورة إيقاف القتال وإلّا ناجزوا الإمام وقتلوه، وكان على رأس القائلين بالتحكيم المنافق الأشعث بن قيس ومن يتّصل به من عملاء معاوية، فراحوا يجوبون معسكر الإمام وينادون بضرورة التحكيم.

ولد في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله فسمّاه عبد الله، وكَنّى أباه أبا عبد الله[1].

وفي الاستيعاب: كان خَبّاب فاضلاً من المهاجرين الأوّلين، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد مع النبي صلى الله عليه وآله، وكان قديم الإسلام ممّن عُذِّب في الله وصبر على دينه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد آخَى بينه وبين تميم مولى خراش بن الصمة[2].

وسألَ عُمر بن الخطاب خبّاباً عمّا لقي من المشركين؟ فقال: انظر إلى ظهري، أُوقِدَتْ لي نار وسُحِبْتُ عليها، فما اطفأها إلّا وَدَكُ[3] ظهري[4].

---

(١) الإصابة، لابن حجر ٤: ٦٤ / الترجمة ٤٦٦٦.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢: ٤٣٨ / الترجمة ٦٢٨.

(٣) الوَدَك: الشحم.

(٤) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢: ٤٣٩ / الترجمة ٦٢٨.

وفي الإصابة : أنّه أسلم سادس ستّة ، وهو أوّل مَن أظهر إسلامه وعُذِّب عذاباً شديداً لأجل ذلك ، وشهد المشاهد كلّها[١].

وكان خبّابٌ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما توفّي صلّى عليه أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

نزل الكوفة ومات بها سنة (٣٧) منصَرَف علي عليه السلام من صفين ، وقيل : بل مات سنة (٣٩) بعد أن شهد مع عليٍّ عليه السلام صفّين والنهروان ، وصلّى عليه علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

ويقال : إنّه أوّل من دُفن بظهر الكوفة ، ومرّ أمير المؤمنين عليه السلام بقبر خبّاب فقال : رَحِمَ الله خبّاباً ، أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتُلي في جسمه أحوالاً ، ولن يضيع الله أجره[٤].

وكان ابنه عبد الله على هَدْيِهِ وسَمْته ، حتّى استُشهِد على يد الخوارج بسبب ثنائه على أمير المؤمنين عليه السلام .

لقد كفّ أميرالمؤمنين عليه السلام عن قتال أهل النهروان حتّى أحدثوا فانطلقوا فأتوا عبدَ الله بن خباب ، وكان عامل عليٍّ عليه السلام على النهروان وهو في قرية له قد تَنَحَّى ، فقالوا له : ما تقول في علي بعد التحكيم والحكومه ؟ قال : إنّ عليّاً أعلم بالله منكم ، وأشدّ توقِّياً على دينه ، وأنفذ

---

(١) الإصابة ، لابن حجر ٢ : ٢٢١ / الترجمة ٢٢١٥.

(٢) الكاشف ، للذهبي ١ : ٣٧١ / الترجمة ٣٧١.

(٣) الاستيعاب ، لابن عبد البر ٢ : ٤٣٨ / الترجمة ٦٢٨.

(٤) انظر الإصابة ، لابن حجر ٢ : ٢٢١ ـ ٢٢٢ / الترجمة ٢٢١٥.

بصيرة، قالوا: والله لنقتلك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه فكتفوه، ثمّ أقبلوا به وبامرأته وهي حُبْلى مُتِمٌّ، فأخذوه وذبحوه وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى زوجته فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من قبيلة طيّ، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فبعث إليهم الحارث بن مُرَّة العبدي لينظر فيما بلغه من قتل عبدالله بن خباب وزوجته، فلمّا انتهى إليهم ليسألهم خرجوا إليه فقتلوه.

فقال الناس: يا أمير المؤمنين، تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا؟! سربنا إليهم، فاذا فرغنا منهم نهضنا إلى عدوّنا من أهل الشام، فسار إليهم وقال لأصحابه: «**ابسطوا عليهم، فوالله لايقتل منكم عشرة، ولايفرّ منهم عشرة**»[1].

وعن جندب بن زهير الأزدي، قال في حديث مبسوط: أقبل رجل فقال: يا أميرالمؤمنين أَلك حاجه في القوم؟ قال: قطعوا النهر فذهبوا.

فقال عليه السلام: «**ما قطعوه**».

قال: سبحان الله! ثمّ جاء آخر فقال: قطعوا النهر فذهبوا.

قال عليه السلام: «**ما قطعوه ولا يقطعونه وليُقْتَلُنَّ دونه، عهد من الله ورسوله**»، إلى أن قال: «**يا جندب، لايقتل منّا عشرة، ولاينجو منهم**

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤: ٦٠ ـ ٦٣، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٣٤١ ـ ٣٤٣، أنساب الأشراف، للبلاذري: ٣٦٧ ـ ٣٦٨، الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ١٦٧ ـ ١٦٨، الفصول المهمة، لابن الصباغ ١: ٥٢٤ ـ ٥٢٦، كنز العمال، للمتقي الهندي ١١: ٢٨٧ / الرقم ٣١٥٤١.

عشرة »، فكان كما قال عليه السلام[١].

فلمّا وصل عليه السلام النهروان قال عليه السلام لهم : « ادفعوا إلينا قَتَلَةَ إخْوانِنا مِنْكُمْ نَقْتُلُهُمْ بِهِمْ ثُمَّ أَنا أُفارِقُكُمْ وأَكُفُّ عَنْكُمْ حَتَّى أَلْقَى أَهْلَ الشَّامِ »، فبعثوا إليه : أنّا كلّنا قتلناهم وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم، فجاءهم أميرالمؤمنين عليه السلام فوقف عليهم، فقال : « أَيَّتُها العِصابَةُ إنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا تَلْعَنُكُمُ الأُمَّةُ غَداً وأَنْتُمْ صَرْعَى بِإزاءِ هذا النَّهْرِ بِغَيْرِ بُرْهانٍ ولا سُنَّةٍ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنِ الحُكُومَةِ، وأَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ طَلَبَ القَوْمِ لَها مَكِيدَةٌ، وأَنْبَأْتُكُمْ أَنَّ القَوْمَ لَيْسُوا بأَصْحابِ دِينٍ وَلا قُرْآنٍ، وأَنّي أَعْرَفُ بِهِمْ مِنْكُمْ؛ قَدْ عَرَفْتُهُمْ أَطْفالاً وَعَرَفْتُهُمْ رِجالاً، فَهُمْ شَرُّ رِجالٍ وَشَرُّ أَطْفالٍ، وَهُمْ أَهْلُ المَكْرِ وَالغَدْرِ »... إلى آخر الخطبة، فلم يقبلوا منه النصيحه، ثمّ قال عليه السلام لأصحابه : ابسطوا عليهم، فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يبقى منهم عشرة، فكان كذلك[٢].

---

(١) انظر مجمع الزوائد، للهيثمي ٦ : ٢٤١ ـ ٢٤٢، المعجم الأوسط، للطبراني ٤ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨، كنز العمال، للمتقي الهندي ١١ : ٢٨٩ ـ ٢٩١ / الرقم ٣١٥٤٨، الخرائج والجرائح، للقطب الراوندي ٢ : ٧٥٥ ـ ٧٥٧، المعجزة ٧٤.

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ١٦٨ ـ ١٦٩، تاريخ الطبري ٤ : ٦٢ ـ ٦٣، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٣٤٣ ـ ٣٤٥.

الفصل الرابع «من الباب الثالث»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على الموصل والأنبار وكَسْكَر والجزيرة وهيت

فأمّا الذين على الموصل، فهما:

١ ـ معقل بن قيس الرياحي

٢ ـ عبد الرحمن الخثعمي

وأمّا الّذي على الأنبار، فهو:

أشرس بن حسان البكري

وأمّا الّذي على كَسْكَر، فهو:

عجلان بن قدامة

وأمّا الّذي على الجزيرة، فهو:

مالك الأشتر النخعي

وأمّا الّذي على هيت، فهو:

كميل بن زياد النخعي

أوّل والييه عليه السلام على الموصل : معقل بن قيس الرياحي

هو من أهل الكوفة، من بني رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر[1].

كان هذا الرجل من أبرز رجال الكوفة من حيث الشجاعة، ومن القادة الكبار الذين يعتمد عليهم الإمام علي عليه السلام، وكان يوكل إليه العديد من المهمّات الصعبة، وجعله الإمام عليه السلام لفترة من الزمن على شرطته، وقد جعله والياً على الموصل.

وفي معركة الجمل أصبح أحد قادة جيش الإمام عليه السلام ولعبَ دوراً كبيراً في هذه المعركة، وتمكّن جيش الإمام عليه السلام من السيطرة على زمام الأُمور، ومن ثَمَّ تحقيق النصر والقضاء على تلك الفتنة العمياء.

فقد رَتَّب أمير المؤمنين عليه السلام العساكر وكَتَّبَ الكتائب، فجعل على خيول أهل الكوفة عمير بن عطارد التميمي، وعلى رجَّالتها معقل بن قيس[2].

وذكر البلاذُري أسباع الكوفة، فقال: وكانت قريش وكنانة وأسد وتميم وضبة والرباب ومزينة سُبُعاً، عليهم معقل بن قيس الرياحي، فشهد هؤلاء الجمل وصفين والنهروان وهم هكذا[3].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩ : ٣٦٧ / الترجمة ٧٥٦٠.

(٢) الجمل، للمفيد : ١٧٢.

(٣) أنساب الأشراف، للبلاذري : ٢٣٦.

وعند خروج الإمام وجيشه إلى صفّين صحب معه معقلاً وقد جعله على رأس إحدى السرايا، فكان قائداً فذاً، حيث أنزل بأعوان معاوية أفدح الخسائر وفرَّقَ صفوفهم.

وحين تلكّأ بعض القُوَّاد عندما دعاهم أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسير إلى الشام، قام إليه معقل بن قيس اليربوعي ثمّ الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ هؤلاء والله ما أتوكَ بنُصْح، ولا دخلوا عليك إلّا بغشّ، فحذرهم فإنّهم أدنى العدوّ[1].

بعد انتهاء المعركة عاد مع الإمام عليه السلام إلى الكوفة، وأمر الإمامُ عليه السلام بتجهيز جيشٍ قوامه ثلاثة آلاف رجل، وجعل معقلاً قائداً لهذا الجيش، ثمّ أمرهم بالتوجّه إلى المدائن وأوصاهم بالرفق بأهلها.

حيث قال له: خُذْ على الموصل، ثمّ نصيبين، ثمّ القني بالرّقّة فإني موافيها، وسَكِّنِ الناس وأَمِّنْهُمْ، ولا تقاتل إلّا من قاتلك[2].

ولمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام بأنّ معاوية أخذ يُغير على أطراف العراق ويقتل المسلمين ويسبي الحريم ويأمر الناس بالبراءة من أمير المؤمنين عليه السلام استنفر الإمامُ النَّاس، وكانوا قد تقاعدوا عنه واجتمعوا على خذلانه، ثمّ دخل منزله عليه السلام ودخل عليه وجوه أصحابه، فقال لهم: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ بِرَجُلٍ صَلِيبٍ نَاصِحٍ يَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ السَّوادِ؟**» فقال سعيد بن قيس الهمداني: عليك يا أميرالمؤمنين بالنّاصح الأريب،

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٩٦.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٤٨.

الشجاع الصليب، معقل بن قيس التميمي، قال عليه السلام : «نعم»، ثمّ دعاه فوجّهه، وسار معقل ولم يَعُدْ حتّى أُصيب أميرالمؤمنين عليه السلام[١].

ولمّا دعا الإمام الحسن عليه السلام الناس للنَّفير سكتوا، حتّى قام عدي بن حاتم الطائي فخطب خطبة بليغة في إطاعة الإمام عليه السلام وحثّ الناس على اللحوق به، ثمّ قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن خصفة التميمي فأنّبوا الناس ولاموهم وحرّضوهم، وكلّموا الإمام الحسن عليه السلام بمثل كلام عديّ في الإجابة والقبول، فقال لهم الإمام الحسن عليه السلام : «**صَدَقْتُمْ رحمكم الله، ما زلتُ أعرفكم بصدق النيّة والوفاء والقبول والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً**»[٢].

تفانى معقل في نصرة الحق وحُبّ الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام، وقد نقل عنه أنّه لمّا أراد أميرالمؤمنين عليه السلام الخروج من النُّخَيْلَة ـ وذلك لخمس مضين من شوال سنة ٣٩ ـ خطب الناس، فقام وخاطب الإمامَ عليه السلام في أحد المواقف قائلاً له: يا أميرالمؤمنين، والله لا يتخلّف عنك إلّا ظنين، ولا يتربّص بك إلّا منافق، فَأْمُرْ مالك بن حبيب اليربوعي [صاحب شرطته عليه السلام] أن يضرب أعناق المتخلّفين[٣].

---

(١) الغارات، للثقفي ٢ : ٤٨٢، الأمالي، للطوسي : ١٧٤ ـ ١٧٥ / ح ٢٩٣. وفي الأخبار الطوال، للدينوري : ٢١٣ وأَمَرَ عليّ عليه السلام معقل بن قيس أن يسير في الرساتيق فلا يدع أحداً من جنوده فيها إلّا حشره، فلم ينصرف معقل بن قيس إلّا بعدما قتل عليّ عليه السلام.

(٢) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني : ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ١٣٢.

وفاتُه :

قُتل معقل بن قيس في قتاله للمتبقي من شراذم الخوارج.

قال خليفة بن خياط في حوادث سنة (٣٩) : ثمّ خرج المستورد بن علفة أحد بني عدي، فلقيه معقل بن قيس الرياحي، فقتَتَلَ كُلُّ واحدٍ منهما صاحبه مبارزةً، وذلك سنة تسع وثلاثين[١].

وقال ابن ماكولا : والمستورد بن علفة الخارجي، قَتَلَ معقل بن قيس الرياحي بدجلة، وقَتَلَهُ معقل، قتل كُلُّ واحد منهما صاحبه، وكان معقل مع عليٍّ عليه السلام[٢].

وقال ابن عساكر : كان أوّل من خرج بعد أهل النُّخَيلة المستورد بن علفة اليربوعي الحنظلي، فسار إليه معقل بن قيس الرياحي فلقيه بشط دجلة، فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه ... وذلك في سنة (٣٩هـ).

وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه : أنّ ذلك كان في سنة (٤٣)، قال : وقد زعم بعضهم أنّه قتل في سنة (٤٢هـ)[٣].

فهنيئاً لهؤلاء الرجال الذين نصروا الإمام عليه السلام بأيديهم وألسنتهم وقلوبهم، وبهذا نالوا مكاناً مرموقاً في قلوب المؤمنين، وثبتوا في سجل الخالدين.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط : ١٤٩.

(٢) إكمال الكمال، لابن ماكولا ٦ : ٢٥٩.

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٥٩ : ٣٦٨ / الترجمة ٧٥٦٠.

ثاني واليه عليه السلام على الموصل : عبد الرحمن الخثعمي

ذكر صاحب كتاب تاريخ الموصل : أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أرسل عبد الرحمن الخثعمي والياً من قِبَلِهِ على الموصلِ سنه ٣٩ للهجرة، ولكنّه لمّا وصل إليها خالفه التغلبيّون ومنعوه من دخول الموصل وحاربوه حتّى قتلوه[١].

وقال صاحب أعيان الشّيعة: وبعث عليٌّ عبد الرحمن الخثعمي إلى ناحية الموصل ليسكّن الناس، فلقيه التغلبيّون المعتزلون معاويةَ، فتشاتموا واقتتلوا فقتلوه، فأراد عليٌّ أن يوجّه إليهم جيشاً، فقالت له ربيعة: هم معتزلون لعدوّك داخلون في طاعتك، وإنّما قتلوه خَطأً، فأَمْسَكَ عنهم[٢].

واليه عليه السلام على الأنبار : أشرس بن حسان البكري

قال صاحب معجم البلدان : إنّ الأنبار مدينة على الفرات في غربيّ بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسمّيها «فيروز سابور»، وكان أوّل من عَمَرَها سابور بن هرمز ذوالأكتاف، ثمّ جدّدها أبو العبّاس السّفّاح أوّل خلفاء بني العباس، وبنىٰ بها قصوراً وأقام بها إلى أن مات. وقيل : إنّما سمّيت الأنبار لأنّ بخت نصر لما حارب العرب الّذين لا خلاق لهم حبس الأُسراء فيها.

---

(١) تاريخ الموصل، القس سليمان صائغ، ط. مصر، علق الاجتماعية، سنة (١٩٢٣م) ١ : ٣٠١.

(٢) أعيان الشيعة ١ : ٥٢٩.

وقال أبو القاسم: الأنبار حدُّ بابل، سمّيت به لأنّه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقَتِّ والتِّين، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لها: الأهراء، فلمّا دخلتها العرب عرّبتها فقالت: الأنبار، وفُتحت الأنبار أيّام خلافة أبي بكر سنة ١٢ للهجره على يد خالد بن الوليد، فإنّه لمّا نازلهم سألوه الصلح فصالحهم على أربعمائة ألف درهم وألف عباءة قطوانية في كلّ سنة[١].

وكان الوالي عليها في زمن حكومة أميرالمؤمنين عليه السلام أشرس بن حسّان البكري، وكنيته أبو حسان البكري، وقد قتله سفيان بن عوف الغامدي في غارةٍ شنّها على الأنبار من قِبَلِ معاوية؛ حيث وجَّه إليها ستّة آلاف بقيادة سفيان بن عوف، وأمره أن يقطع هيت ويأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها، فأتى هيتَ فلم يجد بها أحداً، ثمّ أتى الأنبار وفيها مسلحة لعلي عليه السلام تكون خمسمائة رجل وقد تفرّقوا ولم يبق منهم إلّا مائتان، لأنّه كان عليهم كميل بن زياد والي أميرالمؤمنين عليه السلام على هيت ـ حيث إنّ كميلاً بلغه أنّ قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار إليهم بغير أمر علي عليه السلام ومشورته ـ فأتى أصحاب سفيان بن عوف وكُمَيلٌ غائب عن هيت وقد خلّف أَشرس بن حسان البكري عليها، فطمع سفيان في أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام لقلّتهم، فقاتلهم فصبروا له، وقُتِلَ صاحبهم أشرس وثلاثون رجلاً، فاحتمل سفيان ما في الأنبار من

(١) معجم البلدان للحموي ١: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية، وبلغ الخبرُ عليّاً عليه السلام فغضب على كميل وكتب إليه ينكر عليه فعله، وأرسل في طلبهم فلم يُدْرَكُوا[١].

فكتب الإمام عليه السلام إلى كميل وأنكر عليه فعله، قائلاً له:

أمّا بَعْدُ، فإنَّ تَضْييعَ المَرءِ ما وُلِّيَ وتَكَلُّفَهُ ما كُفِيَ، لَعَجزٌ حاضرٌ، ورأيٌ مُتَبَرٌ[٢].

وإنّ تعاطِيَكَ الغارَةَ على أَهْلِ قَرْقِيسياءَ وتَعْطِيلَكَ مَسالِحَكَ الّتي وَلَّيْناكَ ـ لَيْسَ بِها مَنْ يَمْنَعُها وَلا يَرُدُّ الجَيْشَ عَنْها ـ لَرَأْيُ شَعَاعٌ[٣]، فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرادَ الغارَةَ مِنْ أَعْدائِكَ عَلَى أَوْلِيائِكَ، غَيرَ شَدِيدَ المَنْكِبِ، ولا مَهِيبَ الجانِبِ، ولا سادٍّ ثُغْرَةً، ولا كاسِرٍ لعَدُوٍّ شَوْكَةً، ولا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، ولا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ[٤].

غارة سفيان بن عوف الغامديّ على الأنبار

فأمّا أخو غامد الذي وردتْ خيله الأنبار، فهو سفيان بن عوف بن المغفل الغامديّ، وغامد قبيلة من اليمن، وهي من الأزد؛ أزد شنوءة. واسم غامد عمر بن عبدالله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. وسُمِّي غامداً لأنه كان بين قومه شرٌّ فأصلحه

---

(١) أعيان الشيعة ١ : ٥٢٨.

(٢) مُتَبَرٌ : فاسدٌ.

(٣) شعاع : متفرّق غير مُلْتئم.

(٤) نهج البلاغة ٣ : ١١٧ ـ ١١٨ / الكتاب ٦١.

وتغمّدهم بذلك[١].

روى إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفيّ في كتاب «الغارات»، عن عبد الله بن يزيد بن المغفل، عن أبي الكنود، قال: حدّثني سفيان بن عوف الغامديّ، قال: دعاني معاوية، فقال: إنّي باعثُك في جيش كثيف ذي أداةٍ وجَلادة، فالزم لي جانب الفرات، حتّى تَمرَّ بهيت[٢]. فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً فأغِرْ عليهم؛ وإلّا فامضِ حتّى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامضِ حتّى تغير على المدائن؛ ثمّ أَقبل إليَّ، واتَّقِ أن تَقْرُبَ الكوفة. واعلَمْ أنّك إن أغرتَ على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنّك أَغَرْت على الكوفة؛ إنّ هذه الغارات يا سُفيان على أهل العراق تُرْعِبُ قلوبهم، وتُفرِح كلّ مَن له فينا هوىً منهم ويرى فِراقهم، وتدعو إلينا كُلَّ من كان يخاف الدوائر؛ فاقتل مَنْ لقيته ممَّن ليس هو على مثل رأيك، وأَخْرِبْ كُلَّ ما مررتَ به من القرى، واحْرَبِ[٣] الأَمْوال، فإنّ حَرَبَ الأموال شَبِيهٌ بالقتل، وهو أوجعُ للقلب.

قال: فخرجتُ من عنده فعسكرتُ، وقام معاوية في الناس فخطبهم، فقال: أَيُّها النَّاسُ، انتدِبوا[٤] مع سفيان بن عوف، فإنّه وجهٌ عظيم فيه أجرٌ عظيمٌ، سريعةٌ فيه أَوْبتكم إن شاء الله. ثم نزل.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢ : ٨٥.

(٢) هو بلد على الفرات فوق الأنبار.

(٣) أي اسلُبْ الأموال.

(٤) أي امضوا.

قال: فو الّذي لا إله غيره ما مرّتْ ثالثةٌ حتّى خرجتُ في ستَّةِ آلاف، ثمّ لزمت شاطئ الفرات، فأَغْذَذْتُ السَّيرَ حتَّى أَمُرَّ بهيت، فبلغهم أنّي قد غَشِيتُهُم فقَطَعُوا الفرات، فمررتُ بها و ما بها عَرِيبٌ[1]، كأنّها لم تُحْلَلْ قطّ، فوطِئْتُها حتَّى أَمرَّ بصَنْدُوداءَ[2]، ففرّوا فلم ألقَ بها أحداً، فأَمضي حتَّى أفتتح الأنبار، وقد نَذِرُوا بي، فخرج صاحب المَسْلَحة إليَّ، فوقف لي فلم أُقْدِمْ عليه حتَّى أخذت غلماناً من أهل القرية، فقلت لهم: أخبروني، كم بالأنبار من أصحاب علي عليه السلام؟ قالوا: عدّة رجال المَسْلَحة خمسمائة، ولكنّهم قد تبدّدوا ورجعوا إلى الكوفة؛ ولا ندري الذي يكون فيها، قد يكون مائتي رجل؛ فنزلت فكَتَّبتُ أصحابي كتائبَ، ثمّ أخذتُ أبعثهم إليهم كتيبةً بعد كتيبةٍ فيقاتلونهم والله ويصبرون لهم، ويطاردونهم في الأزقَّة، فلمّا رأيتُ ذلك أنزلت إليهم نَحْواً من مائتين، وأَتْبَعتُهُم الخيلَ، فلمّا حملت عليهم الخيلُ وأمامها الرِّجالُ تمشي؛ لم يكن شيء حتّى تفرّقوا، وقُتِلَ صاحبهم في نحوٍ من ثلاثين رجلاً، وحملنا ما كان في الأنبار من الأموال؛ ثمّ انصرفتُ، فوالله ما غزوتُ غزاةً كانت أسلمَ ولا أقرَّ للعيون، ولا أَسَرَّ للنُّفوسُ منها.

وبلغني والله أنَّها أَرْعَبَتِ النَّاس، فلمَّا عُدْتُ إلى معاوية، حدَّثته الحديث على وجهه، فقال: كُنْتَ عند ظنّي بك، ولا تنزل في بلد من

---

(١) أي ما بها أحد.

(٢) قرية غرب الفرات فوق الأنبار.

بُلداني إلّا قضيتَ فيه مثل ما يقضي فيه أميرُه، وإن أحببتَ توليتَه ولّيتُك، وليس لأحدٍ من خلق الله عليك أَمْرٌ دوني.

قال: فوالله ما لبثنا إلّا يسيراً حتّى رأيت رجالَ أهلِ العراق يأتوننا على الإبل هُرَّاباً من عسكر عليّ عليه السلام.

قال إبراهيم: كان اسم عامل عليّ عليه السلام على مسلحة الأنبار أشرس بن حسّان البكري[1].

وروى إبراهيم، عن عبدالله بن قيس، عن حبيب بن عفيف[2]، قال، كنتُ مع أشرس بن حسّان البكري بالأنبار على مسلحتها، إذ صَبَّحَنا سفيانُ بن عَوْف في كتائب تلمع الأبصارُ منها، فهالونا والله، وعلِمْنا إذ رأيناهم أنّه ليس لنا طاقة بهم ولا يد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرّقنا فلم يلقهمْ نصفُنا، وايمُ الله لقد قاتلناهم فأحسنّا قتالهم؛ حتّى كرهونا، ثمّ نزل صاحبنا، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلوا تَبْدِيلا﴾[3]. ثم قال لنا: مَنْ كان لا يريد لقاء الله، ولا يطيب نفساً بالموت، فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم، فإنَّ قتالَنَا إيَّاهُمْ شاغلٌ لهم عن طلب هارب، ومَن أراد ما عندالله فما عندالله خيرٌ للأبرار. ثمّ نزل في ثلاثين رجلاً، فَهَمَمْتُ بالنُّزول معه، ثُمَّ أَبَتْ نفسي،

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢ : ٨٥ ـ ٨٧، عن الغارات، للثقفي ٢ : ٤٦٤ ـ ٤٦٨.

(٢) في الغارات : جندب بن عفيف. وهو الصواب.

(٣) الأحزاب : ٢٣.

واستقدم هو وأصحابه، فقاتلوا حتّى قُتِلُوا رحمهم الله، وانصرفنا نحن منهزمين[١].

قال إبراهيم: وقَدِم عِلْجٌ من أهل الأنبار على علي عليه السلام، فأخبره الخبر، فصعد المنبر فخطب الناس، و قال:

«إنَّ أَخاكُمُ البَكْرِيَّ قَدْ أُصِيبَ بالأَنْبارِ، وَهُوَ معتَزٌّ لا يَخافُ ما كانَ، وَاخْتارَ ما عِنْدَ الله عَلَى الدُّنْيا، فانْتَدِبُوا إِلَيْهِمْ حَتَّى تُلاقُوهُمْ، فَإِنْ أَصَبْتُمْ منهم طَرَفاً أَنْكَلْتُمُوهُمْ عَنِ العِراقِ أَبداً ما بَقُوا».

ثمّ سكت عنهم رَجَاء أن يجيبوه أو يتكلّم منهم متكلّم، فلم يَنْبِسْ أَحَدٌ منهم بكَلِمَةٍ، فلمَّا رأى صَمْتَهم نزل، وخرج يمشي راجلاً حتَّى أتى النُّخَيْلة، والناسُ يمشون خَلْفَه حتَّى أحاط به قوم من أشرافهم، فقالوا: ارجِعْ يا أميرالمؤمنين ونحن نكفيك، فقال: ما تَكْفُونَني ولا تَكْفون أنفسكم! فلم يزالو به حتَّى صرفوه إلى منزله، فرجع وهو واجمٌ كئيبٌ.

ودعا سعيدَ بن قيس الهمدانيّ، فبعثه من النُّخَيلة في ثمانية آلاف، وذلك أنّه خُبِّرَ أن القوم جاءوا في جمع كثيف.

فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف؛ حتّى إذا بلغ عانات[٢]، سَرَّحَ أمامه هانئ بن الخطاب الهمْدانيّ، فاتَّبع آثارهم حتَّى دخل أدانِيَ أرض قُنَّسْرِينَ وقد فاتُوه، فانصرف.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢ : ٨٧ ـ ٨٨، عن الغارات، للثقفي ٢ : ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

(٢) بلد بين الرقة وهيت قريبة من الأنبار.

قال: ولبث عليّ عليه السلام، تُرى فيه الكآبة والحزن، حتَّى قدم عليه سعيد بن قيس، وكان تلك الأيّام عليلاً، فلم يَقْوَ على القيام في الناس بما يريده من القول، فجلس بباب السُّدَّة التي تصل إلى المسجد، ومعه ابناه حسن وحسين عليهما السلام، وعبد الله بن جعفر، ودعا سعداً مولاه، فدفع إليه الكتاب، وأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعد بحيث يستمع عليّ عليه السلام صوتَه، ويسمع ما يردّ الناس عليه، ثم قرأ كتاب علي عليه السلام ...[1].

قال: ثمّ أمر الحارثَ الأعورَ الهمدانيّ، فنادى في الناس: أَين مَنْ يَشْري نفسَه لربّه ويبيع دنياه بآخرته؟ أَصْبِحُوا غداً بالرَّحَبَة إن شاء الله، لا يحضر إلّا صادق النيّة في السَّير معنا، والجهاد لعدوّنا، فأصبح وليس بالرَّحَبة إلّا دون ثلاثمائة، فلمّا عرضهم، قال عليه السلام: «لو كانوا ألفاً كان لي فيهم رأيٌ».

وأتاه قوم يعتذرون، فقال: «﴿وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾[2]، وتخلّف المُكَذِّبُون»، ومكث أيّاماً بادياً حزنُهُ شديدَ الكآبة، ثمّ جمع الناس فخطبهم فقال:

«أَمَّا بَعْدُ أَيُّها النَّاس، فوالله لَأَهْلُ مِصْرِكُمْ في الأَمْصارِ أَكْثَرُ مِنَ الأَنْصارِ في العَرَبِ، وما كانُوا يَوْمَ أَعْطَوا رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله أَنْ يَمْنَعُوهُ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُهاجِرِينَ حتَّى يُبَلِّغُ رِسالاتِ رَبِّه إلّا قَبِيلَتَيْنِ، قَرِيباً مَوْلِدُهُما،

---

(١) وهو خطبة الجهاد التي أوّلها: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه. نهج البلاغة ١: ٦٧ / خ ٢٧.

(٢) التوبة: ٩٠.

ما هُما بِأَقْدَمِ العَرَبِ مِيلاداً، وَلا بِأَكْثَرِهِمْ عَدداً. فَلَمّا آوَوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وأَصْحابَهُ، ونَصَرُوا اللهَ ودِينَهُ، رَمَتْهُمُ العَرَبُ عَنْ قَوْسٍ واحِدَةٍ، فَتَحالَفَتْ عَلَيْهِمُ اليَهُودُ، وغَزَتْهُمُ القَبائِلُ قَبِيلةً بَعْدَ قَبِيلَةٍ، فتجَرَّدُوا لنُصْرَةِ دِينِ اللهِ، وقَطَعُوا ما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ العَرَبْ مِنَ الحَبائِلِ، وَما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ اليَهُودَ مِنَ الحِلْفِ، ونَصَبُوا لأَهْلِ نَجْدٍ وتِهامَةَ وأَهْلِ مَكَّةَ واليَمامَةِ، وأَهْلِ الحَزْنِ والسَّهْلِ، وأَقامُوا قَناةَ الدِّينِ، وصَبَرُوا تَحْتَ حَماسِ الجِلادِ، حَتَّى دانَتِ العَرَبُ لرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، وَرأَى مِنْهُمْ قُرَّةَ العَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ، وَأَنْتُمُ اليَوْمَ في النَّاسِ أَكْثَرُ مِن أُولئِكَ ذلِكَ الزَّمانَ في العَرَب».

فقام إليه رجُل آدمُ طُوال، فقال: ما أَنتَ بمُحَمَّدٍ، ولا نحنُ بأُولئك الّذين ذَكَرْتَ...[1].

واليه عليه السلام على كَسْكَر : قدامة بن عَجْلان الأزدي

كَسْكَر : مدينة تقع بين الكوفة والبصرة، وقصبتها واسط، وفيها يقول عبيد الله بن الحر الجعفي :

أَنَا الَّذي أَجْلَيْتُكُمْ عَن كَسْكَرِ ... ثُمَّ هَزَمْتُ جَمْعَكُمْ بِتُسْتُرِ

ثُمَّ انْقَضَضْتُ بالخُيُولِ الضُّمَّرِ ... حَتَّى حَلَلْتُ بَيْنَ وادِي حِمْيَرِ[2]

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢ : ٨٨ ـ ٨٩، عن الغارات، للثقفي ٢ : ٤٧٠ ـ ٤٨١.

(٢) معجم البلدان، لياقوت الحموي ٤ : ٤٦١.

بعد أن صلّى أمير المؤمنين عليه السلام أوّل جمعة بالكوفة وخطيب الناس، وجَّهَ عمّاله إلى البلدان، فاستعمل على المدائن وجوخى كلّها يزيد بن قيس الأرحبي... وعلى كسكر وحيِّزها قدامة بن عجلان الأزدي[1].

وبعد حرب صفّين ورجوع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة ـ وكان خبّاب بن الأرتّ قد توفّي عند خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين ـ مرّ بقبور سبعة أو ثمانية، فقال عليه السلام: ما هذه القبور؟ فقال له قدامة بن عجلان الأزدي: يا أمير المؤمنين، إنّ خبّاب بن الأرتّ توفّي بعد مخرجك، فأوصى أن يدفن في الظهر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: رحم الله خبّاباً. قد أسلم راغباً...[2].

ثمّ إنّ قُدامة يبدو أنّه أَخَّرَ إيصال أموال الفيء، فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فاحْمِلْ ما قِبَلَكَ مِنْ مالِ اللهِ فَإِنَّهُ فَيْءٌ لِـلْمُسْلِمِينَ، لَسْتَ بِأَوْفَرَ حَظّاً فِيهِ مِنْ رَجُلٍ فِيهِمْ، وَلا تَحْسَبَنَّ يابْنَ أُمِّ قُدامَة أَنَّ مالَ كَسْكَر مُباحٌ لَكَ كَمالٍ وَرِثْتَهُ عَنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَتَعَجَّلْ حَمْلَهُ وَاعْجَلْ في الإِقْبالِ إِلَيْنا إِنْ شاءَ اللهُ»[3].

---

(١) الأخبار الطوال، للدينوري: ١٥٣.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٥٣٠.

(٣) نهج السعادة، للمحمودي ٥: ٣٥٠ / الكتاب ١٧٤، عن أنساب الأشراف، للبلاذري: ١٥٩ / الكتاب ١٧٦.

ولقد احتاط الإمام عليه السلام كأشدّ ما يكون الاحتياط في أموال الدولة، وشدّد على ولاته فيها، فأقام عليهم العيون، وراقب جميع تصرّفاتهم وأُمورهم.

واليه عليه السلام على ميسان من كسكر : القعقاع بن شور السدوسي الذهلي

هو القعقاع بن شور بن نعمان بن عقال ـ أو غفال ـ ابن حارثة بن عباد بن امرئ القيس بن عمرو بن شيبان بن ذهل[١].

من تابعي أهل الكوفة، ولي كسكر بعد قدامة بن عجلان، فخانَ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : **تسألوني المالَ ؟! وقد استعملتُ القعقاع بن شور على كسكر فَأَصْدَقَ امرأةً بمائة ألف درهم. وايم الله لو كان كُفْواً ما أصدقها ذلك**[٢].

وقال ابن أبي الحديد: ومنهم ـ أي من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ القعقاع بن شور، استعمله عليٌّ عليه السلام على كسكر، فنقم منه أُموراً، منها أنّه تزوّج امرأة فأصدقها مائة ألف درهم، فهرب إلى معاوية[٣].

وكسكر كورة واسعة، وقصبتها واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة، ويقال : إنّ حدّ كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان إلى أن تصبّ دجلة في البحر كلّه من كسكر، فتدخل فيه على

---

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٤٩ : ٣٥١ / الترجمة ٥٧٣٨.

(٢) الغارات، للثقفي ٢ : ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤ : ٨٧.

هذا البصرة ونواحيها، فمن مشهور نواحيها: المبارك، وعبدسي، والمذار، ونغيا، وميسان...[١].

والظاهر أنّه كان والياً على خصوص ميسان من كسكر؛ قال ابن أبي الحديد: وحَدَثَ من بعض أُمراء أمير المؤمنين عليه السلام الخيانة، كالقعقاع بن شور، لأنّه ولّاه على ميسان فأخذ مالها ولحق بمعاوية[٢].

وبعد ذلكَ خانَ مسلمَ بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة وسعى في تفريق أصحابه عنه متواطناً مع محمد ابن الأشعث وأضرابه.

قال الشيخ باقر شريف القرشي: وأوعز الطاغية ابن زياد إلى جماعة من وجوه أهل الكوفة أن يُبادروا ببثّ الذعر ونشر الخوف بين الناس، وقد انتدب لهذه المهمة: كثير بن شهاب الحارثي، والقعقاع بن ثور الذهلي، وشبث بن ربعي التميمي، وحجّار بن أبجر، وشمر بن ذي الجوشن الضبابي[٣].

قال ابن حجر العسقلاني: قعقاع بن ثور، قال أبو حاتم: ضعيف الحديث... والقعقاع من كبار الأُمراء في دولة بني أُمية[٤].

لا يعرف تاريخ وفاته، ولكنّه من الّذين كانوا على سوء العاقبة والعياذ بالله.

---

(١) معجم البلدان، لياقوت الحموي ٤: ٤٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣: ١٣.

(٣) حياة الإمام الحسين، لباقر شريف القرشي ٢: ٣٨٢.

(٤) لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني ٤: ٤٧٤ / الترجمة ١٤٩٣.

ومن الملاحظ : أنّ بعض من كانوا على ظاهر الصلاح من ذوي الكفاءات استعملهم أمير المؤمنين عليه السلام لخدمة المسلمين، لكنّهم غرّتهم الدنيا فسرقوا الأموال وهربوا إلى معاوية كهف المنافقين. فَلَم نَرَ واحداً منهم قد أخذ مَأْخذاً دينيّاً أو اجتماعيّاً أو سياسيّاً فارق بسببه أمير المؤمنين عليه السلام، بل كُلُّهُم أعمتهم الدُّنيا وغَرَّتهم الأموال ففارقوا العدل العلويّ الذي هو مضرب المثل في كُلِّ الدُّنيا.

واليه عليه السلام على الجزيرة : مالك الأشتر النخعي

الجزيرة اسم أطلقه الجغرافيون العرب على الأجزاء الشمالية من المنطقة الواقعة ما بين النهرين: دجلة والفرات، وكانت ممرّاً بين العراق وتركيا. كان يتنازعها الفرس والرومان، حتّى فتحها عياض بن غنم سنة (٦٣٩ ـ ٦٤١م) وجرت فيها معارك خطيرة بين الأمويين ومناوئيهم. وكانت مصدراً لعدة تورات قام بها الخوارج، ومنها انطلق الحمدانيّون ليؤسّسوا دولتهم في الموصل وحلب. وهي اليوم منطقة في شمال سورية. وقد تولاها مالك الأشتر بأمر من أميرالمؤمنين عليه السلام.

مَن هو مالك الأشتر

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع ابن مذحج النخعي[1].

---

(١) الإصابة، لابن حجر ٦ : ٢١٢ / الترجمة ٨٣٦٠.

ولد في اليمن ونشأ بها، ثمّ هاجر مع عدد كبير من أفراد قبيلته إلى الحجاز، وأَسلم هو وأفراد عشيرته. بعد إسلامه لعب دوراً كبيراً في العديد من المعارك التي خاضها المسلمون ضد المشركين، ثمّ هاجر إلى العراق.

كان من زعماء العراق الأشدّاء، وكان فارساً صنديداً لا يُشَقُّ له غبار، شديد البأس، رئيس أركان الجيش لعساكر أبي الحسن أميرالمؤمنين عليه السلام في معاركه[1]. وكان من الطبقة الثالثة من الصحابة الّذين عاصروا النبي صلى الله عليه وآله لكن لم يرد في خبر أنّهم التقوا به صلى الله عليه وآله.

وكان على جانب كبير من التقشّف والزهادة، ودليل ذلك إعجابه الشّديد بأبي ذرّ الغفاري، وقد زاره رغم غضب الخليفة عليه، حتّى لقد مات أبوذر بين يديه، وتولّى مالك دفنه وأَبّنَهُ تأبيناً ينمُّ عن الألم والحزن العميق لما لقيه من عَنَتٍ وغَبْن، ثمّ وضع الشيخ أباذر في حفرته الأخيرة، ثمّ جرّد سيفه فمسح به القبر، ثمّ تكلّم عن صاحبه فقال: إنّ أباذر رأى منكراً فغيّره بلسانه وقلبه حتّى جُفِيَ ونُفِيَ وحُرِمَ واحتُقِرَ، ثمَّ مات وَحيداً غريباً، ثمّ دعا على المعتدين عليه قائلاً: اللّهمّ فاقصم من حَرَمَهُ ونَفاهُ[2].

ولما تلاقت الوفود في المدينة مجتمعة على انتقاد أعمال عثمان وعمّاله كان الأشتر على رأس أهل الكوفة مطالباً بما تطالب به الوفود كلّها، ثمّ تطوّرت الأُمور إلى الحالة التي لم يكن أحد يظنّ أنّها ستتطور إليها، وحوصر عثمان وقُتِل.

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد الأمين ٩ : ٣٨.

(٢) أعيان الشيعة، للسيد الأمين ٩ : ٤١.

ولمّا قتل عثمان كان الأشتر هو الذي قاد الجماهير إلى بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ قال الأُستاد أحمد الجندي عن مالك الأشتر: من شخصيّات التاريخ الإسلامي النادرة، ومن أبطال العرب البارزين في أيّام العرب، جَمَعَ البطولةَ إلى النَّجْدة، والشجاعة إلى الدِّين، والفصاحة والبلاغة إلى الكرم والأدب. ورغم ما مرّ بكَ من صفات الرّجل فإنّ التاريخ لم ينصفه ولم يُحْصِ مآثره وأمجاده؛ لأنَّ ما به من صفات يمكن حصرها ولا يتأتّىٰ تعدادها[1].

وقد كان الأشتر من الأوائل المسارعين إلى مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، وقيل: إنّه أوّل من بايع عليّاً عليه السلام.

وأراد إكراه المحجمين عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام أو أن يأتوا بمن يضمنهم أن لا يُحدِثوا حدثاً، ولكنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمره بتركهم ورأيهم وقال له بأنه عليه السلام حميلهم.

وزوّد أمير المؤمنين عليه السلام بالمقاتلين والنَّجَدات من المحاربين في الجمل، واستغلّ رئاسته في مذحج خاصّة، والنخع عامّة، لحشد القوات مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكان على ميمنة جيش أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، وقاتل الصناديد من جند الجمل وقتل الكثير منهم[2].

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد الأمين ٩ : ٤١.

(٢) مقدّمة ديوان مالك الأشتر، صنعة قيس العطار : ٢٠.

وقد قَتَلَ يومَ الجمل عمرو بن اليثربي [أو بن يثرى][١]، كما قتل محمد بن طلحة[٢]، وكاد أن يقتل عبد الله بن الزبير لكنّه أفلت منه حيث استعان بأصحابه وراح يصيح : اقتلوني ومالكاً[٣].

وقد استهزأ بعائشة في أواخر حرب الجمل فقال :

يا ربَّةَ الهودَجِ يا أُمَّنا ... قَتَلْتِ أولادَكِ ما ذنبُنا

هَبْنا جعلناكِ إماماً لنا ... فَمَنْ إذا حِضْتِ يُصلِّي بنا[٤] ؟

وممّا يُروى من شجاعته وفصاحته وبلاغته في صفّين أنّه أقبل الناس وقد رأوا راية معاوية متقدّمة، فقالوا : يومٌ من أيّامك الأُوَل، وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى، فأخذ الأشتر اللّواء وهو يرتجز ويقول :

إنّي أنا الأشترُ مَعْرُوفُ الشَّتَرْ ... إنِّي أَنا الأَفْعىٰ العِراقيُّ الذَّكَرْ

لا مِنْ رَبِيعَةٍ وَلا حَيِّ مُضَرْ ... لٰكِنَّني مِنْ مَذْحِجِ الغُرِّ الغُرَرْ

فضارب القومَ حتّى ردّهم على أعقابهم، فرجعت خيل معاوية بقيادة عمرو بن العاص إلى الوراء، ورُدّت رايته منكسرة مُنَكَّسَة[٥].

وكان رفيقاً ومحبّاً لعمار بن ياسر الصحابي الجليل، وقد تألّم لمقتله كثيراً، وثارت ثورته يومئذاك على جند معاوية فأبلى فيهم وأذاقهم الويل في كرّاته الشّديدة عليهم؛ انتقاماً لرفيقه وثأراً لصديقه.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١ : ٢٦٠.

(٢) ديوان مالك الأشتر، بصنعة قيس العطار : ١٠٨ ـ ١١٠.

(٣) ديوان مالك الأشتر، بصنعة قيس العطار : ٩١ ـ ٩٢.

(٤) العقد النضيد والدر الفريد، لمحمد بن الحسن القمي : ١٦٥.

(٥) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٣٩٦.

وكان في صفاته مطيعاً محضاً لعلي عليه السلام، مع أنّه كان يثور أمام الناس جميعاً إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام، فقد كان يحبّه حبّاً غَيَّرَ من طبيعته الثائرة، فإذا سمع الأمر من عليٍّ عليه السلام تلقّاه كأمر عسكري وأَمْرٍ مَوْلَويّ لا يجوز مناقشته ولا تحقّ مداورته، وهكذا تراجَعَ يوم صفّين نزولاً عند رغبة الإمام، وإن كان قاب قوسين من النّصر أو أدنى.

وهكذا قبل أن يكون والياً في منطقة الجزيرة وهي منطقة صغيرة، إلّا أنّها واقعة على حدود الشام، وهكذا قبل أن يكون والياً على مصر بدلاً من محمد بن أبي بكر، حتّى لقي ربَّه[1].

وكان الأشتر أحد أبرز قادة الإمام علي عليه السلام العسكريين، بل كان القائد العام لقوّات الإمام عليه السلام، لأنّه جمع كلّ الصّفات من شجاعة وعزيمة وحنكة ومقدرة، فكان بحقٍّ بطلاً وقائداً شجاعاً موفّقاً.

إنّ شجاعته الفائقة قد أدهشت العقول وحيّرت الأفكار.

كان الأشترُ السيفَ الصارم للإمام عليه السلام، وكان صاحب المهمّات الصعبة، ولعب دوراً كبيراً في كلّ المعارك التي خاضها.

ففي معركة صفّين تشهد له ساحة الحرب؛ حيث كان يصول ويجول فيها، ويجتثّ رؤوس الأعداء الواحد تلو الآخر.

فهذا رياح بن عتيك ـ أحد فرسان الخصوم في معركة صفين ـ يخرج إلى ساحة الحرب ويرتجز قائلاً:

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد الأمين ٩ : ٤١.

إنِّـي زَعِـيمُ مـالكٍ بِـضَرْبِ بِذِي غِرارَيْنِ جَـمِيعِ القَـلْبِ
عَبْلِ الذِّراعَيْنِ شَدِيدِ الصُّلْبِ

فيخرج إليه الأشتر و هو يقول:

رُويدَ لاتَجْزَعَ مِـنْ جِـلادِي جِلادِ شَخْصٍ جـامِعِ الفُـؤادِ
يُجِيبُ فيالرَّوعِ دُعاالمُنادي يَشُدُّ بالسَّيْفِ عَلَى الأَعادِي

ويشدّ على رياح فيقتله.

ثمّ يبرز فارس آخر من الأعداء ـ هو إبراهيم بن الوضّاح ـ وهو يقول:

هَلْ لَكَ يا أَشْتَرُ فـي بِـرازِي بِرازِ ذِي غَشْمٍ وَذِي اعْـتِزازِ
مُقاوِمٍ لِقرنِهِ لَزازِ

فخرج إليه الأشتر و هو يقول:

نَـعَمْ نَـعَمْ أَطْـلُبُهُ شَـهِيدا مَعي حُسامٌ يَقْصِمُ الحَـدِيدا
يَتْرُكُ هاماتِ العِدَى حَصِيدا

فيقتله الأشتر ويشطره نصفين.

وهكذا حتّى قتل خمسةً من الفرسان الأبطال.

ثمّ يخرج له فارس آخر يدعى زامل بن عتيك الحزامي ـ وكان مـن أصحاب الألوية ـ وهو يقول:

ياصاحِبَ السَّيْفِ الخَضِيبِ المِضْرَبِ وصاحِبَ الجَـوْشَنِ ذاكَ المُـذْهَبِ
هَلْ لكَ فـي طَـعْنِ غُـلامٍ مِـحْرَبِ يَـحْمِلُ رُمْـحاً مُسْـتَقِيمَ الثَّـعْلَبِ
لَيْسَ بَحَيَّادٍ ولا مُغَلَّبِ

فانقضَّ عليه الأشتر وهو يقول:

لابُدَّ من قَتْلِيَ أَو مِنْ قَـتْلِكا لَقَدْ قَتَلْتُ خَمْسةً مِنْ قَـبْلِكا
وكُلُّهُم كانُوا حُماةً مِثْلَكا

وهكذا أدخل الأشترُ الرُّعْبَ في قلوب جيش عائشة، وحصد رؤوس فرسانهم[1].

وبعد اشتداد المعركة بين الطّرفين وقتل عدد كبير من الطرفين، وقتل من جيش الإمام عليه السلام عددٌ من قادته الكبار ـ أمثال الشهيد عمار بن ياسر، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعبدالله بن بديل الخزاعي، وكان هؤلاء من أبرز فرسان العراق ـ شاهد الأشتر استشهاد هؤلاء الصفوة الخيّرة فصمم على إلحاق أقصى الخسائر في صفوف الأعداء، فبرز مُسْتَقْتِلاً إلى المعركة وهو يقول:

أَبَـعْدَ عَـمَّارٍ وَبَـعْدَ هـاشِمْ وابْنِ بُـدَيْلٍ بَـطَلِ المَـلاحِمْ
تَرْجُو البَقاءَ ضَلَّ حُلْمُ الحالِمْ لَقَدْ عَضَضْنا أَمْسِ بـالأَباهِمْ
فاليومَ لا نَقْرعُ سِنَّ نادِمْ

وسل سيفهُ الذي لايلين، وانقضّ على صفوف الأعداء، فدبّ الذُّعْر فيهم وفرّوا من أماكنهم[2].

بعد الملاحم التي سطرها الأشتر نادى وهو في وسط المعركة: فليبرز

---

(١) انظر قتله لأبصال معاوية في كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٧٤ ـ ١٧٧.
(٢) المناقب، للخوارزمي: ٢٤٨.

إليّ معاوية بن أبي سفيان، إلّا أنّ معاوية لم يبرز له لأنه يعلم أنه سيقتل دون شكٍّ، لكنَّ معاوية قَدَّم أحد أعوانه ويدعى جندب بن ربيعة إلى البراز، وفعلاً برز هذا بعدما قال له عمرو بن العاص: يا جندب، إن قتلتَ الأشتر زوَّجَكَ معاويةُ ابنته رملة.

برز جندب، فقال له الأشتر: من أنت ويحك؟ وكم ضمن لك معاوية على مبارزتي؟

قال: يزوّجني ابنته رملة، فأنا الآن آتيه برأسك.

فضحك الأشتر، وحمل عليه جندب برمحه فأخذه الأشتر تحت إبطه، فجعل جندب يجتهد في جذبه فلم يتمكّن، حتّى ضرب الأشتر رمحه فقدَّه نصفين، و هرب جندب فطعنه الأشتر برمحه فصرعه.

بعدما قتل جندب شاهدَ الأشترُ معاوية عن بُعْدٍ، فتوجَّهَ نحوه فهرب منه بعد أن هبَّ عدد من أعوانه لإنقاذه من هذا البطل المقدام[1].

وعند اشتداد المعركة واستمرارها وسقوط مئات القتلى من الطرفين، تخلخلت الصفوف من الجانبين وحدثت فجوة في جيش الإمام عليه السلام.

بعدها تمكّن قسم من جيش معاوية من السيطرة على ماء الفرات، وعندها منع هؤلاء الأوباش جيشَ الإمام من ورود الماء.

وصل خبر سيطرة معاوية على الماء إلى الإمام عليه السلام بعد أن نادى رجل من أصحابه قائلاً:

---

(١) المناقب، للخوارزمي: ٢٣٢.

أَيَمْنَعُنا القَـوْمُ مـاءَ الفُـراتِ وَفِينا الرِّماحُ وفِينا الحَجَفْ
وَفِينا الشَّوازِبُ مثلُ الوَشِيج وَفِينا السُّيُوفُ وفِينا الزَّغَفْ
وَفِـينا عـلـيٌّ لَـهُ سَـوْرَةٌ إذا خَوَّفُوه الرَّدَى لَـمْ يَـخَفْ
وَنَحْنُ الَّـذينَ غـداةَ الزُّبَـيْرِ وَطَلْحَةَ خُضْنا غِمارَ التَّـلَفْ

إلى آخر القصيدة.

في خضمّ هذه الأحداث استدعى الإمامُ عليه السلام الأشتر، وطلب منه كشف عسكر الأعداء عن الماء، فتوجّه الأشتر نحو هؤلاء بعد أن اختار مجموعةً من جيش الإمام عليه السلام الأشداء[1].

اقتحم الأشتر ورفاقه صفوفَ الأعداء فتمكّنوا من تشتيت شملهم، فبرز أحد قادة جيش معاوية ـ ويدعى صالح بن فيروز ـ فتوجه نحو الأشتر وارتجز قائلاً:

يا صاحِبَ الطِّرْفِ الحِصانِ الأَدْهَمِ أَقْـدِمْ إذا شِـئْتَ عَـلَيْنا أَقْـدِمِ
أَنـا ابـنُ ذي العِـزَّةِ والتَّكَـرُّمِ سَـيِّد عَكٍّ كُـلِّ عَكٍّ فَـاعْلَمِ

فتصدَّى له الأشتر و هو يقول:

آلَـيْتُ لا أَرْجِـعُ حَـتَّى أَضْـرِبا بِسَيْفي المَصْقُولِ ضَـرْباً مُـعْجِبا
أَنـا ابـنُ خَـيْرِ مَـذْحِجٍ مُـرَكَّـبا مِـنْ خَـيْرِها نَـفْساً وأُمَّـاً وأَبـا

فشد عليه بالرمح ففلق ظهره فقتله شر قتلة.

ثمّ برز مالك بن أدهم السلماني ـ وكان من فرسان أهل الشام ـ فشدّ عليه الأشتر وضربه ضربة مميتةً فقضى نحبه.

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٦٤ ـ ١٦٧.

ثمّ برز له فارس آخر من قواد معاوية، فشد عليه وقتله أيضاً.

وهكذا جَدَّلَ الأشترُ العشراتِ من قادة جيش معاوية، ثمّ أقبل ينقضّ على بقيّة جند معاوية إلى أن كشف أهل الشام عن الماء وهو يقول:

لا تَذْكُرُوا ما قَدْ مَضَى وَفاتا ... واللهِ رَبِّي باعِثِ الأَمْواتا

لأُورِدَنَّ خَيْلِيَ الفُراتا ... شُعْثَ النَّواصي أَو يُقالَ ماتا

وانتهى الأمر وتمكّن الأشتر وأصحابه من السيطرة على الشريعة بعد أن دحروا قوات معاوية الّذين تكبدوا خسائر فادحة[1].

واستمر الأشتر يحصد الرؤوس العفنة، إلى أن حدثت قضية التحكيم، وتمّ إيقاف الحرب وعودة الطرفين إلى أماكنهم.

عند عودة جيش الإمام عليه السلام إلى العراق كان الأشتر قريباً من الإمام عليه السلام، وظلّ هكذا إلى أن قرّر الإمام تعيينه والياً على مصر.

موقف مالك من صفين

وكان لمالك موقف مشرِّف قبل المسير إلى صفّين، إذ لما أراد أميرالمؤمنين عليه السلام المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، قال المسعودي: وكان معه من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممّن بايع تحت الشجرة ـ وهي بيعة الرضوان من

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٧٥ ـ ١٨٠، الفتوح، لابن أعثم ٣: ١٥ ـ ١٩.

المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة[1].

فخطبهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أَمَّا بعدُ، فإنَّكُمْ مَيامِينُ الرَّأْيِ، مَراجِيحُ الحِلْمِ، مَقاوِيلُ بالحَقِّ، مُبارَكُو الفِعْلِ والأَمْرِ، وَقَد أَرَدْنا المَسِيرَ إلى عَدُوِّنا وَعَدُوِّكُمْ، فأَشِيرُوا عَلَيْنا بِرَأْيِكُمْ».

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فحمد الله وأثنى عليه فيما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد، يا أميرالمؤمنين، فأَنا بالقومِ جِدُّ خبيرٍ، هم لك ولأشياعك أعداء، وهم لمن يطلب حرث الدُّنيا أولياء، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لايبقون جهداً مشاحّةً على الدنيا، وضنًّا بما في أيديهم منها، وليس لهم إِرْبَة غيرها إلّا ما يخدعون به الجهّال من الطلب بدم عثمان، كذبوا ليس بدمه يثأرون ولكنَّ الدُّنيا يطلبون، فسر بنا إليهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلّا الضلال، وإن أبوا إلّا الشقاق فذلك الظّنّ بهم، والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحدٌ ممّن يطاع إذا نهى، أو يُسْمَع إذا أمر.

وقام عمار بن ياسر فذكر الله بما هو أهله وحمده، وقال: يا أميرالمؤمنين، إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل، واشخَصْ بنا قَبْلَ استعارِ نار الفَجَرة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادْعُهُم

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٢ : ٣٦١.

إلى رشدهم وحظّهم، فإن قبلوا سعدوا وإن أبوا إلّا حربنا فوالله إن سفك دمائهم والجِدّ في جهادهم لَقُرْبَةٌ عند الله، وهو كرامة منه.

ثمّ قام قيس بن سعد بن عبادة، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أميرالمؤمنين، انكَمِشْ بنا إلى عدوِّنا ولا تعرِّج، فوالله لَجِهادهم أحبّ إليَّ من جهاد الترك والروم، لإِدْهانهم في دين الله، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيِّروه، وفيئُنا لهم في أنفسهم حلالٌ، ونحن لهم فيما يزعمون قَطِينٌ[1]. فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وغيرهما: لِمَ تقدَّمت أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام، فقال: أما إنّي عارف بفضلكم، معظّم لشأنكم، ولكنّي وجدت في نفسي الضغن الذي جاش في صدوركم حين ذكرت الأحزاب، فقال بعضهم لبعض: ليقُمْ رجل منكم فليُجِبْ أميرالمؤمنين عن جماعتكم، فقالوا: قُمْ يا سهل بن حنيف.

فقام سهل فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أميرالمؤمنين، نحن سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك، ونحن كفّ يمينك، وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك، فإنّهم هم أهل البلد وهم الناس،

---

(١) قطين: عبيدٌ وخَدَم.

فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب، وأمّا نحنُ فليس عليك منّا خلاف، مَتَى دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك.

فجمع أميرُ المؤمنين عليه السلام أهل الكوفة وحرّضهم وأمرهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**سِيرُوا إِلى أَعْداءِ الله، سِيرُوا إلى أَعْداءِ السُّنَنِ والقُرآنِ، سِيرُوا إِلى بَقِيَّةِ الأَحْزابِ، وقَتَلَةِ المُهاجِرِينَ والأَنْصار**».

فقام رجل من بني فزارة اسمه أَرْبَد، فقال: أتريد أن تسيِّرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سِرْتَ بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم؟! كلّا لاها الله إذاً لانفعل ذلك.

فقام الأشتر وقال: من لهذا أيُّها الناس؟ وهرب الفزاري واشتدّ الناس على أثره، فلُحِقَ في مكان من السوق تُباع فيه البراذين، فوطئوه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتَّى قُتِلَ، فقيل: يا أميرالمؤمنين قتل الرجل، قال: ومن قتله؟ قالوا: قَتَلَتْهُ همدان وفيهم شَوْبَةٌ من الناس، فقال: قتيل عَمِيَّة لا يُدْرَى من قتله، دِيَتُهُ من بيت مال المسلمين، فقال عُلاقة التَّيمي:

أَعُوذُ بربِّي أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتي ... كَماماتَ في سُوقِ البَراذِينِ أَرْبَدُ

تَعاوَرُهُ هَمْدانُ خَفْقَ نِعالِهِمْ ... إذا رُفِعَتْ عَنْهُ يَدٌ وُضِعَتْ يَدُ

وقام الأشتر فقال: يا أميرالمؤمنين، لا يَهُدَّنَّكَ ما رأيتَ، ولا يُؤسنَّك من نَصْرِنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن، إن جميع من ترى من

الناس شيعتك، وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك، ولا يحبّون بقاء بعدك، فإن شئت فسر بنا إلى عدوِّك، والله ما ينجو من الموت من خافه، ولا يُعْطَى البقاء من أحبّه، وما يعيش بالآمال إلّا شقيٌّ، وإنَّا لَعَلَى بيّنة من ربّنا، إنَّ نفساً لن تموت حتّى يأتي أجلها، فكيف لانقاتل قوماً هم كما وصفَ أميرُ المؤمنين؟! وقد وثَبَتْ عصابةٌ منهم على طائفة من المسلمين بالأَمْسِ فأسخطوا الله، وأَظْلَمَتْ بأعمالهم الأرض، وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير.

فقال علي عليه السلام: الطريقُ مشترك، والناس في الحقّ سواء، ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامة فله ما نوى وقد قضى ما عليه[1].

إرسال الأشتر والياً على مصر وشهادته

عن الشعبي، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين، قال: كما جاء عليَّ بن أبي طالب عليه السلام مُصابُ محمد بن أبي بكر ـ حيث قتله معاوية بن خُدَيْج السكوني بمصر ـ جزع عليه جزعاً شديداً وقال: «ما أَخْلَقَ مِصْرَ أَنْ تذهب آخر الدهر، فَلَودِدْتُ أنّي وجدتُ رجلاً يصلح لها فوجّهته إليها»، فقلت: تجد، فقال: «مَن؟» فقلتُ الأشتر: قال: «ادْعُهُ لي،» فدعوته فكتب له عهده وكتب معه:

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٩٢ ـ ٩٥، وعنه في شرح النهج، لابن أبي الحديد ٣: ١٧١ ـ ١٧٥. وانظر المعيار والموازنة، لأبي جعفر الإسكافي: ١٢٥ ـ ١٢٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

« من عليٍّ بن أبي طالب إلى المَلأ من المسلمين الَّذين غضبوا لله حين عُصِيَ في الأرض ، وضَرَبَ الجَوْر بأَرْواقِهِ على البرّ والبحر ، فلا حَقٌّ يستراح إليه ، ولا مُنْكَرٌ يُتَناهى عنه ، سلامٌ عليكم .

أمّا بعد ، فإنّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدَاً مِنْ عِبادِ الله لا يَنامُ أَيَّامَ الخَوْفِ ، ولا يَنْكَلُ عَنِ الأَعْداءِ حِذارَ الدَّوائِرِ ، أَشَدَّ على الفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ ، وَهُوَ مالكُ بنُ الحارثِ الأَشْتَرُ أَخُو مَذْحِج ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، فإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله ، لانابي الضَّرِيبَةِ ولا كَلِيلُ الحَدِّ ، فإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُوا ، وإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا ، وإِنْ أَمَرَكُمْ أَن تُحْجِموا فَأَحْجِمُوا فإنّه لايُقَدِّمُ إِلَّا بِأَمْرِي ، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، عَصَمَكُمْ رَبُّكُمْ بِالهُدَى ، وثَبَّتَكُمْ بِاليَقِينِ » .

ثمّ قال له : لاتأخذ على السَّماوة فإنّي أخاف عليك من معاوية وأصحابه ، ولكنْ خُذِ الطَّريقَ الأعلى في البادية حتَّى تخرج الى أَيْلَة ، ثمّ ساحِلِ البَحْرَ حَتَّى تَأْتِيهَا » .

ففعل ، فلما انتهى إلى « أيلَةَ »[1] وخرج منها صحبه نافع مولى عثمان بن عفان فخدمه ولاطفه حتّى أعجبه شأنه ، فقال له ممن أنت ؟ قال : من

---

(١) أَيْلَةُ : مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام . معجم البلدان ، لياقوت الحموي ١ : ٢٩٢ .

أهل المدينة، قال: من أيِّهم؟ قال: مولى عمر بن الخطاب، قال: وأين تريد؟ قال: مصر، قال: وما حاجتك بها؟ قال: أريد أن أشبع من الخبز فإنّا لانشبع بالمدينة، فَرَقَّ له الأشتر وقال له: الزَمْنِي فإنّي سأُصيبك بخير، فلزمه حتّى بلغ القُلْزُم[1] ـ وهو من مصر على ليلةٍ ـ فنزل على امرأة من جُهَيْنَةَ فقالت: أيّ الطعام أعجب بالعراق فأُعالجه لكم؟ قال: الحيتان الطّريّة فعالَجَتْها له، فأَكَلَ وقد ظَلَّ صائماً في يومٍ حارٍّ فأكثرَ من شرب الماء فجعل لايَرْوَى، فأكثر منه حتى نغر ـ يعني انتفخ بطنه ـ من كثرة شرب الماء، فقال له نافع: إنّ هذا الطعام الذي أكلتَ لايقتل سمَّهُ إلّا العسل، فدعا بالعسل من ثقله، فلم يُوجَد، فقال له نافع: هو عندي آتيك به؟ قال: نعم فأْتِني به، فأتى رحله فأحضر شربةً من عسل بسمٍّ قد كان معه أعدّهُ له، فأتاه بها فشربها، فأخذ به الموت من ساعته، وانسلَّ نافعٌ في ظُلمة اللَّيل فأمر به الأشتر أن يُطْلَبَ فطُلِبَ فلم يُصَبْ.

وكان لمعاوية عينٌ بمصر ـ يقال له: مسعود بن جرجة ـ فكتب لمعاوية بهلاك الأشتر، فقام معاوية خطيباً في أصحابه فقال: إنّ عليّاً كانت له يمينان، قُطِعت إحداهما بصفّين يعني عمار بن ياسر، وأُخرى اليوم، إنَّ الأشتر مرّ بأيْلَةَ متوجِّهاً إلى مصر، فصحبه نافع مولى عثمان فخدمه وألطف له حتّى أعجبه واطمأن إليه، فلمّا نزل القلزم أَحضر له

---

(١) القُلْزُم: مدينة تقع على شفير البحر ليس بها زرع ولا ماء، يَحمل إليها الماء من آبار بعيدة، وبين مدينة القلزم ومصر ثلاثة أيّام. معجم البلدان، لياقوت الحموي ٤: ٣٨٨.

شربةً من عسل بسمٍّ فسقاها فمات، ألا وإنَّ لله جُنُوداً من عَسَلٍ[١].

قال المنهال بن جُبير الحميري: حدثنا عوانة، قال: لمَّا جاء موت الأشتر إلى أميرالمؤمنين عليه السلام صعد المنبر فخطب الناس، ثمّ قال: «**ألا إنَّ مالكَ بنَ الحارِثِ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ، وأَوْفَى بعَهْدِهِ، وَلَقِيَ رَبَّهُ، فرَحِمَ اللهُ مالِكاً، لَوْ كانَ جَبَلاً لَكانَ فِنْداً، وَلَوْ كانَ حَجَراً لَكانَ صَلْداً. للهِ مالِكٌ؟ وَهَلْ قامَتِ النِّساءُ عَنْ مِثْلِ مالِكٍ؟ وهَلْ مَوْجُودٌ كَمالِكٍ؟!**» قال: فلمّا نزل ودخل القصر أقبل عليه رجال من قريش فقالوا: لَشَدَّ ما جَزِعْتَ عليه ولقد هلك! قال: «**أَمَا والله لقد أعزّ هَلاكُهُ أهل المغرب، وأذلّ أهل المشرق**»، قال: وبكىٰ عليه أيّاماً وحزن عليه حزناً شديداً، فقال: «**لا أرى مثلَهُ بعده أبداً**»[٢]. وكانت شهادته سنة (٣٨هـ).

وأما موضع قبره عليه السلام فقد اختلف المؤرّخون في ذلك، إلّا أنّ عدداً من المؤرّخين يؤكّدون بأنّه قد دفن في مصر، وله مزار مشهور في منطقة العريش بمصر يزوره الناس ويتبرّكون به. ومهما يكن من أمر فإنّ ذِكرى مالك هي في قلوب المسلمين أينما كانوا، فرحم الله مالِكاً يوم ولد، ويوم استُشهد، ويوم يبعث حيّا.

وقد عهد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بعهدٍ للأشتر لمّا ولاة على مصر وسوف نشير إليه في ولاته عليه السلام على مصر.

---

(١) الاختصاص، للمفيد: ٧٩ ـ ٨١.

(٢) الاختصاص، للمفيد: ٨١.

واليه عليه السلام على هيت: كميل بن زياد النخعي

هو كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع بن مذحج النخعي الصهباني الكوفي[١]. والنخع هي قبيلة كبيرة من مذحج.

كان كميل عليه السلام من خلّص أصحاب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب سرّه، وأحد تلامذته، وكان عالماً فاضلاً وشجاعاً بارعاً، أخذ من الإمام عليه السلام الكثير من علمه وفقهه حتى عُدَّ أحد أبرز فقهاء عصره.

وأشاد بعلمه العديد من أرباب التاريخ والرجال، منهم الذهبي وابن كثير الدمشقي وابن الأثير وابن حجر وابن سعد وابن أبي الحديد والأميني والزّركلي والعسقلاني والطريحي والمامقاني وغيرهم، وقد ذكرنا شيئاً من ترجمته في ترجمه أشرس بن حسان البكري فراجع ثَمَّةَ.

كان كميل بن زياد مع ثلّة من المؤمنين المخلصين ـ مثل مالك الأشتر ـ من المعترضين على أفاعيل عثمان والمنتقدين لسياسته الجوفاء[٢]، فأرسلهم والي الكوفة إلى عثمان، فسيّرهم عثمان إلى معاوية بالشام، ثمّ ردّهم إلى عثمان، فردّهم إلى الكوفة[٣].

قال الشيخ عباس القمي: هو صاحب الدعاء المشهور، كان من أعاظم خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام وأصحاب سرّه.

---

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٥٠: ٢٤٧ / الترجمة ٥٨٢٩.

(٢) و(٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٧: ١٨٦. في أحداث سنة (٣٣هـ).

قال ابن حِبّان : كان من المفرطين في علي عليه السلام ، ممن يروي عنه المعضلات وفيه المعجزات .

وعن تقريب التهذيب لابن حجر : أنّه ثقة رُمي بالتشيّع[١] .

وقال ابن أبي الحديد : كان من أصحاب علي عليه السلام وشيعته وخاصّته ، وقتله الحجّاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة ، وكان كميل بن زياد عامل علي عليه السلام على هيت[٢] .

وقال الذهبي : هو من كبار شيعة علي عليه السلام[٣] .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد امتعض مما حصل الأشرس بن حسان البكري ، لكنّ كُميلاً أبدى بطولة رائعة بعدها فرضي عنه أمير المؤمنين عليه السلام .

قال ابن الأثير : سيَّرَ معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم إلى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر ... فكتب إلى كميل بن زياد وهو بهيت يُعلمُهُ خبرهم ، فسار كميل إليه نجدةً له في ستمائة فارس ، فأدركوا عبد الرحمن ومعه معن بن يزيد السلمي ، فقاتلهما كميل وهزمهما وغَلَبَ على عسكرهما وأكثر القتل في أهل الشام ، وقُتِل من أصحاب كميل رجلان فقط ، وكَتَبَ إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالفتح فجازاه خيراً وأجابه جواباً حسناً ورضي عنه[٤] .

---

(١) الكنى والألقاب ، للشيخ عباس القمي ٣ : ٢٤٥ ، المجروحين ، لابن حبان ٢ : ٢٢١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ١٧ : ١٤٩ .

(٣) تاريخ الإسلام ، للذهبي ٥ : ٥١٦ .

(٤) الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٣ : ٣٧٩ .

شارك كميل ﷺ مع الإمام ﷺ في معركة صفين وفي جميع حوادث خلافة أمير المؤمنين ﷺ، فكان له دورٌ كبيرٌ في تلك الأحداث، وكان أحد القادة البارزين الذين لقّنوا الأعداء دروساً قاسية أفقدتهم صوابهم.

عيّنه الإمام ﷺ والياً على هيت، وقد أحسن إدارتها؛ حيث تعامل مع أهلها بلطف وتَسامُحٍ؛ الأمر الذي جعله محبوباً عند أهلها، وحزنوا كثيراً عندما آل الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان؛ إذ كان ولاته يستعملون القسوة مع الرعية، ويسيئون إليهم كثيراً.

أحبَّ الإمامُ ﷺ كُمَيلاً ﷺ كثيراً؛ حيث كان يصحبه دائماً، وكان الإمام يعظه وينصحه دائماً.

يذكر الشريف الرضي ﷺ أنّ الإمام عليّاً ﷺ أخذ بيد كميل ﷺ وخرجا إلى منطقة الجبّانة ـ وهي منطقة صحراوية خارج الكوفة ـ وقال له وهو يعظه:

« يا كُمَيْلَ بنَ زيادٍ، إنّ هذِهِ القُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُها أَوْعاها، فاحْفَظْ عَنِّي ما أَقُولُ لَكَ: النّاسُ ثَلاثَةٌ: فعالِمٌ رَبَّانيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجاةٍ، وهَمَجٌ رعَاعٌ أَتْباعُ كُلِّ ناعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ العِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إلى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يا كُمَيْل، العِلْمُ خَيْرٌ مِنَ المَالِ، العِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ المالَ، والمالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ والعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإِنْفاقِ، وصنيع المال يَزُولُ بزَوالِهِ.

يا كُمَيْلُ ، العِلْمُ دِينٌ يُدانُ بِهِ ، بِهِ يَكْسِبُ الإِنْسانُ الطَّاعَةَ في حَياتِهِ ، وَجَميلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفاتِهِ ، والعِلْمُ حاكِمٌ وَالمالُ محْكُومٌ عَلَيْهِ .

يا كُمَيْلُ ، هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوالِ وَهُمْ أَحْياءٌ ، وَالعُلَماءُ باقُونَ ما بَقِيَ الدَّهْرُ ، أَعْيانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَأَمْثالُهُمْ في القُلُوبِ مَوْجُودَةٌ ، إِنَّ هاهُنا لَعِلْماً جمّاً ـ وأشار بيده إلى صدره ، وقال ـ : لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً ، بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غيرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ ، مُسْتَعْمِلاً آلةَ الدِّينِ للدُّنْيا ، مُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللهِ عَلَى عِبادِهِ ، وَبِحُجَجِهِ على أَوْلِيائِهِ ، أَو مُنْقاداً لِحَمَلَةِ الحَقِّ لا بَصِيرةَ لَهُ في أَحْنائِهِ ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ في قَلْبِهِ لأَوَّلِ عارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ ، أَلا لا ذا ولا ذاك ، أَوْ مَنْهُوماً باللَّذَّةِ سَلِسَ القِيادِ للشَّهْوَةِ ، أَو مُغْرَماً بالجَمْعِ والادِّخارِ لَيْسا من رُعاةِ الدِّينِ في شَيْءٍ ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِما الأَنْعامُ السَّائِمَةُ ، كذلكَ يَمُوتُ العِلْمُ بِمَوْتِ حامِلِيهِ .

اللّهمَّ بَلَى لا تَخْلو الأَرْضُ مِنْ قائِمٍ للهِ بحُجَّةٍ ، إِمَّا ظاهِراً مَشْهُوراً ، أَوْ خائِفاً مَغْمُوراً ، لِئلّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبيِّناتُهُ ، وكَمْ ذا وأَيْنَ أُولئكَ ؟ أُولئكَ واللهِ الأَقَلُّونَ عَدداً ، والأَعْظَمُونَ قَدْراً ، يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وبيِّناتِهِ حتَّى يُودِعُوها نُظراءَهُمْ ويَزْرَعُوها في قُلُوبِ أَشْباهِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ العِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ البَصيرَةِ ، وباشَرُوا رُوحَ اليَقينِ ، واسْتَلانُوا ما اسْتَوْعَرَهُ المُتْرَفُونَ ، وأَنِسُوا بِما اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجاهِلُونَ ، وصَحِبُوا الدُّنْيا بِأَبْدانٍ أَرْواحُها مُعلَّقَةٌ بالمَحَلِّ الأَعْلَى ، أُولئِكَ خُلفاءُ اللهِ في أَرْضِهِ ، والدُّعاةُ إلى دِينِهِ ، آهٍ آهٍ شَوْقاً إِلى رُؤْيَتِهِمْ ، انْصَرِفْ يا كُمَيْلُ

إذا شِئْتَ »[1].

هذه الكلمات الرائعة التي تفوّه بها الإمام علي عليه السلام هي درر مضيئة تضيء الدرب للإنسان، وتعلّمه الاستقامة في حياته ونَيْلَ رضى الله سبحانه وتعالى.

هذا، وقد عَلَّمَ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كُمَيْلاً الدُّعاء الّذي حَمَل اسمه «دعاء كميل»، وما زال يُتلى ويقرأ في ليالي الجمعات وفي كلّ المساجد والحسينيات والمحافل والمنتديات، وهو الدعاء الذي لا يمكن أن يفوه به إلّا الفم الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام، ولا يمكن أن يتحمّله ويهتدي بنوره إلّا من كان مِثْلَ كميل.

بعد استشهاد الإمام اختفى كميل عليه السلام عن الناس، لأنّه يعلم أنّ جلاوزة بني أُميّة سيبحثون عنه، وظلّ كذلك فترة طويلة، إلى أن تولّى الحجاج الثقفيّ ولاية العراق، وما أَنِ استقرّ له الأمر حتّى أَمر بإحضار كميل عليه السلام، وقد قال له بعضهم: إنّه شيخ كبير يجلس في البيت، فأصرّ الحجاج على إحضاره.

فلما وصل الخبر إلى كميل لاذ بقومه وعشيرته، ولمّا علم الحجاج بذلك منع عنهم العطاء، وعندما رأى كميل ما فعله الحجّاج بعشيرته قرّر مقابلة الحجاج ويفعل الله ما يشاء.

فحضر أمامه، ولمَّا رآه الحجاج قال له: لقد أحببتُ أن أَجِدَ عليك سبيلاً.

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٣٥ـ٣٨ / ١٤٧.

فقال له كميل : إنّه ما بقي من عمري إلّا القليل فاقض ما أنت قاضٍ، فإنّ الموعد الله، وقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّك قاتلي.

قال الحجاج : قد كُنْتَ فيمن قَتَلَ عثمان، اضربُوا عنقه، فضربت عنقه.

وقال ابن كثير : وذكَرَ الحجّاج عليّاً عليه السلام في غضون ذلك فنال منه، وصَلَّى عليه كُميل، فقال له الحجّاج : والله لأبعثنّ إليك من يُبغِضُ عليّاً أكثر ممّا تحبه أنت، فأرسل إليه ابن أدهم وكان من أهل حمص ـ ويقال : أبا الجهم بن كنانة ـ فضرب عنقه. وكان ذلك في سنة (٨٢) أو (٨٤هـ)، وهو ابن سبعين أو تسعين سنة[1].

وبعد سقوط الأُمويين شُيِّد له قبر متواضع، وتوالت الأيدي الخيّرة في توسعته وإعماره، وإلى يومنا هذا يقف ضريحه شامخاً ويتوافد عليه الزائرون من كلّ مكان على مدار السنة. ويقع بين مدينتي النجف الأشرف والكوفة.

---

(١) انظر كيفية استشهاد كميل بن زياد في الإرشاد، للمفيد ١ : ٣٢٧، تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٢ : ١٢٧ و ٥٠ : ٢٥٥ ـ ٢٥٧ / الترجمة ٥٨٢٩، والإصابة، لابن حجر ٥ : ٤٨٥ ـ ٤٨٦ / الترجمة ٧٥١٦، وتاريخ الإسلام، للذهبي ٥ : ٣٢٠ و ٦ : ١٧٧، والبداية والنهاية، لابن كثير ٩ : ٥٧.

الفصل الخامس «من الباب الثالث»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام

على مصر، وهم:

١ ـ محمد بن أبي حذيفة.
٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري
٣ ـ محمد بن أبي بكر.
٤ ـ مالك الأشتر.

أوّل ولاته على مصر : محمد بن أبي حذيفة

مرّ سابقاً أنّ الإمام عليه السلام حينما تسلّم السلطة بعد مقتل عثمان بن عفّان بادر إلى عزل أغلب ولاته وعمّاله؛ لأنّهم كانوا مصدر فتنة واضطراب في البلاد الإسلامية، وبعضهم قد استأثر بفيء المسلمين، واستحلّ الخراج، ومن المؤكّد أنّ مَنْحَهُم الوظائف المهمّة في الدولة لم يكن عن كفاءة واختيار، وإنّما كان عن محاباةٍ وأَثَرَة.

وهنا نعرض إلى ولاة مصر التي هي أُمّ البلاد الإسلامية آنذاك، ومركز الثقل فيها، وقد ولّى الإمام عليه السلام عليها خيرة الرجال كفاءةً ووعياً وإحاطةً بما تحتاج إليه الأُمّة في شؤونها الإدارية والاجتماعية والسياسية....

وكان أوّل من تقلّد منصب الإمارة فيها هو: أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. وأُمُّهُ سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية.

وهو صحابي جليل، وكان أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام، وبالرغم من أنّه ابن خال معاوية بن أبي سفيان إلاّ أنّه كان من الموالين المخلصين، ومن العلماء المتبحرّين في العلم والفقه والحقيقة، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لازم الإمام عليه السلام.

ذهب إلى مصر للغزو، وأخذ هناك يؤلّب الناس على عثمان، ثمّ وثب

على خليفة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[١] وأخرجه منها، وبايعه أهل مصر بالإمارة، ولمّا استُخلِفَ أمير المؤمنين عليه السلام أقرَّه عليها[٢].

وكان أحد المحامدة التي تأبى أن يعصى الله، فعن أمير بن علي، عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ المحامدة تأبى أن يعصى الله عزوجل، قلت: ومَن المحامدة؟ قال: محمدبن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد ابن أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

ومن شعره في قتل عثمان قوله:

من كانَ من قَتْلِهِ عـثمانَ مُـعتذِراً ... فلستُ منه طـوالَ الدَّهـر أَعْـتَذِرُ

لا بأس بالقتل عن قـتلٍ ومَـظلَمَةٍ ... ولا انتصارِكَ مـنه حـينَ تـنتصرُ

ألقى الإمام كذئب الشاة يـنهشها ... لا تسلمُ الشاءُ فيها الذِّئبُ والنَّمِرُ[٤]

عندما عزم معاوية على احتلال مصر أرسل عبدَهُ المطيع عمرو بـن العاص إلى مصر لغرض إثارة الفتن في أبناء مصر واستقطاب قسم من أبنائها لمحاربة الإمام علي عليه السلام.

لمّا علم ابن أبي حذيفة بقدوم عمرو إلى مصر استعدّ لمحاربته، وفعلاً جرت معركة بينهما سميت بمعركة (العريش)، ولمّـا رأى عـمرو بـن

---

(١) وذلك أنّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح ذهب في سنة (٣٥هـ) إلى المدينة وأنـاب مكانه عقبة بن مالك أو السائب بن هشام بن عمرو العامري.

(٢) أحاديث أمّ المؤمنين عائشة، للسيّد مرتضى العسكري ١: ١٣٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١: ٢٨٦ / ح ١٢٥.

(٤) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٥٢: ٢٧١.

العاص أنّ الهزيمة ستكون من نصيبه وأنَّ النصر سيكون لابن أبي حذيفة طلب عقد الصلح، وتمّ الصلح بينهما، إلّا أنّ مكر وخداع ابن العاص انطلى على ابن أبي حذيفة ونجح ابن العاص بإيقاعه بفخٍّ نصَبَهُ له، فتمكّن من اعتقاله.

بعد اعتقاله أرسله عمرو بن العاص إلى معاوية فأدخله الأخير في السجن[1]، وبعد مضيّ فترة من الوقت أرسل عليه معاوية وخاطبه قائلاً:

يا محمد بن أبي حذيفة، ألم يَأْنِ لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك علي بن أبي طالب؟! ألم تعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنّ عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه؟! وأنّ عليّاً هو الذي دسّ في قتله؟! ونحن اليوم نطلب بدمه.

فأجابه محمد: إنّك لَتَعْلَم أنّي أمسُّ القوم بك رحماً وأعرفهم بك.

فقال معاوية: أجل.

فقال له محمد: فوالله الذي لا إله غيره ما أعلم أحداً شَرِكَ في دم عثمان وألّبَّ الناس عليه غيرك لمَّا استعملك ومن كان مثلك، وسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى، ففعلوا به ما بلغك.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣: ٥٤٨، حوادث سنة (٣٦هـ) ٤: ٨٠ حوادث سنة (٣٨هـ)، والبداية والنهاية، لابن كثير ٧: ٢٧٩، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٦٤ ـ ٢٦٨، وفي كيفية قتله اختلاف كثير استقصاه ابن الأثير، لكنّ ما ورد عن طرق الإمامية هو الأصح.

ووالله ما أحدٌ شَرِكَ في قتله بديئاً ولا أخيراً إلّا طلحة والزبير وعائشة، فهم الَّذين شهدوا عليه بالعظيمة، وألَّبُوا عليه الناس، وشركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعمّار والأنصار جميعاً.

قال معاوية: قد كان ذلك.

فقال محمّد: فوالله إني لأشهد أنّك منذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعَلَى خُلُقٍ واحد، ما زاد الإسلام فيك قليلاً ولا كثيراً، وأنّ علامة ذلك فيك لبيِّنة. تلومني على حبِّي علياً؟! لقد خرج مع علي عليه السلام كلّ صوّام قوّام مهاجريّ أنصاريّ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء، خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك، والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعتَ، وما خفي عليهم ما صنعوا؛ إذ أحلوا بأنفسهم سخط الله في طاعتك، والله ما أزال أحبُّ علياً لله ولرسوله، وأبغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيتُ.

بعدسماع معاوية هذه الكلماتالمفعمة بالحب والودّ لأميرالمؤمنين عليه السلام.

قال له معاوية: وإنّي أراك على ضلالك بعد، ردّوه إلى السجن.

ما إن صدر أمر معاوية هذا حتّى تسابق جلاوزته في سحبه من القصر وإدخاله السجن، فردُّوه وهو يقرأُ ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[1] وبقي هذا المناضل الصامد في السجن إلى أن جاء أجله رحمة الله عليه[2].

---

(١) يوسف: ٣٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١: ٢٨٦ ـ ٢٨٨ / ح ١٢٦.

فأيّ رجالٍ هؤلاء الذين لا يرهبهم السجن، ولا يخيفهم البطش، ولا يردعهم العنف الذي كان يستعمله زبانية معاوية، بل صمّموا على أن يكونوا من المدافعين عن الحقّ وعن الإمام علي عليه السلام، ومن الذين يتغنون بمناقبه وفضائله.

ثاني ولاته على مصر : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري

هو : قيس بن سعد بن عُبادة بن دُليم بن حارثة بن حِام بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر، الأنصاري الخزرجي[١].

من أفذاذ القادة الإسلاميين، وعَلَمٌ من أعلام الجهاد في الإسلام، ومن ذخائر الرجال الذين أنجبتهم مدرسة الإسلام.

كان وسيماً جسيماً، قد أُوتي بسطة في الجسم فهو أطول إنسان في عصره، وكان إذا ركب الفرس المشرف تخط رجلاه في الأرض[٢].

وتميّز قيس بوفور العقل وحسن التدبير، وروي عنه أنّه قال : لولا أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «**المَكْرُ وَالخَديعَةُ فِي النّار**»، لكنتُ من أَمْكَرِ هذه الأُمة[٣].

---

(١) ديوان قيس بن سعد الأنصاري، صنعة قيس العطار : ٩.

(٢) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني : ٤٧، الدرجات الرفيعة، للسيد علي خان المدني : ٣٣٤.

(٣) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لباقر القرشي ١٠ : ٥٤ عن النجوم الزاهرة، لابن تغري بردى ١ : ٩٥.

وكان قيس نديّ الكفّ جواداً لا يبارى، فكان يستدين ويطعم الفقراء، وقال أبو بكر وعمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه، فمشيا في الناس يمنعونهم من سؤاله، وسار النبيّ ﷺ يوماً، فقام سعد بن عبادة خلفه، وقال: من يعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطّاب يبخّلان على ابني، فنهاهما النبيّ عن قيس وقال: إنّه من أهل بيت جود وكرم[1].

ولايته على مصر:

قلّده الإمام عليه السلام ولاية مصر في سنة (٣٦هـ)، وقال له الإمام عليه السلام:

«سِرْ إلى مِصْرَ فَقَدْ وَلَّيْتُكَها، واخْرُجْ إلى ظاهِرِ المَدِينَةِ، وَاجْمَعْ إلَيْكَ ثِقاتِكَ وَمَنْ أَحْبَبْتَ أَن يَصْحَبَكَ حَتَّى تَأْتِيَ مِصْرَ وَمَعَكَ جُنْدٌ، فإنَّ ذلِكَ أَرْعَبُ لِعَدوِّكَ، وأَعزُّ لِوَلِيِّكَ، فإذا أَنْتَ قَدِمْتَها إنْ شاءَ اللهُ فأَحْسِنْ إلى المُحْسِنِ، وَاشتدَّ عَلَى المُرِيبِ، وَارْفُقْ بِالعامَّةِ والخاصَّةِ، فإنَّ الرِّفقَ يُمْنٌ».

فقال له قيس: رَحِمَكَ اللهُ يا أَميرَ المؤمنين، قد فهمتُ ما ذكَرْت أَمَّا قَوْلُكَ: أَخْرُجُ إليها بجند، فوالله! لئن لم أدخلها إلّا بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبداً، فأنا أدعُ ذلك الجند لك، فإن احتجتَ إليهم كانوا منك قريباً، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدّة لك، ولكنّي أسيرُ إليها بنفسي وأهل بيتي.

---

(١) المغازي، للواقدي ٢: ٧٧٦، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣: ١٠٦.

وأَمَّا ما أَوْصَيْتَني بِهِ مـنَ الرِّفْـقِ والإِحسـانِ، فـإِنَّ اللهَ تـعالى هُـوَ المُسْتَعانُ على ذلك.

وخرج قيس في سبعة من أصحابه، حتّى انـتهى إلى مـصر، وفـور انتهائه صعد المنبر، وأمر بقراءة كتاب الإمام عليه السلام الذي فيه ولايته[1].

ثمّ خطب الناس قائلاً:

الحمدُ الله الذي جاء بالحقّ، وأمات الباطل، وكَبَتَ الظالمين.

أيّها الناس، إنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، فـقوموا أيّها الناس فبايعوا على كتاب الله وسنّة رسوله، فـإنْ نـحن لم نـعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله فلا بيعة لنا عليكم.

وانبرت الجماهير فبايعت الإمام عليه السلام[2].

مكائد معاوية :

وورم أنف معاوية، وانتفخ سَحَرُهُ حينما علم بتقلّد قيس ولاية مصر، فراح يدبّر المؤامرات لجلبه إليه، وقد كتب إليه الرسالة التالية:

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد بن عبادة، سلام عليك.

أما بعد: فإنّكم إن كنتم نقمتم على عثمان فـي أُمـور رأيـتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو شتمة شتمها، أو في سير سيّره، أو في استعماله

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٥٧ ـ ٥٨، عن الغارات، للثقفي ١: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، تاريخ الطبري ٣: ٥٤٨ ـ ٥٤٩، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٥٩، عن الغارات، للثقفي ١: ٢١١، تاريخ الطبري ٣: ٥٥١، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٦٩.

الفيء، فقد علمتم أنّ دمه لم يكن حلالاً لكم، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدّاً، فتُب إلى الله يا قيس بن سعد ـ فإنّك ممّن أعان على قتل عثمان ـ إن كانت التوبةُ من قتل المؤمن تغني شيئاً، وأمّا صاحبك ـ يعني الإمام أمير المؤمنين ـ فقد تيقّنّا أنّه الذي أغرى به الناس، وحملهم على قتله حتّى قتلوه، وأنّه لم يسلم من دمه عُظْمُ قومك، فإن استطعت أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل، فإن بايعتنا على هذا الأمر فلك سلطان العراقَيْن، ولمن شئت من أهلك سلطان الحجاز مادام لي سلطان، وسَلْني غيرَ هذا ممّا تحبّ فإنّك لا تسألني شيئاً إلاّ أُوتِيتَهُ، واكتُبْ إليَّ برأيك فيما كتبتُ به إليك، والسلام.

وحفلت هذه الرسالة بالخداع والأكاذيب، فليس قيس ولا الإمام لهما ضلع في إراقة دم عثمان، وإنّما أجهز عليه عمله وسوء سياسته، وقد بسطنا الكلام فيها.

جواب قيس :

وأراد قيس أن لا يبدي لمعاوية ما في نفسه، فطاوَلَهُ ودافعه، وأجابه بهذه الرسالة :

أمّا بعد : فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرتَ فيه.

فأمّا ما ذكرت من أمر عثمان، فذلك أمر لم أُقارِبْهُ، ولم أَنْتَطِفْ فيه[1].

---

(١) لم انتطف فيه : أي لم أتلطّخ به.

وأمّا قولك : إنّ صاحبي أغرى الناس بعثمان، فهذا أمر لم أطّلع عليه.

وذكرت أنّ معظم عشيرتي لم يسلموا من دم عثمان، فأوّل الناس فيه قياماً عشيرتي، ولهم أُسوة بغيرهم.

وأمّا ما ذكرت من مبايعتي إيّاك وما عرضت عليَّ، فلي فيه نظر وفكرة، وليس هذا ممّا يُسارَعُ إليه، وأنا كافٌّ عنك، ولن يبدو لك من قِبَلِي شيءٌ ممّا تكره، والسلام.

ولمّا قرأها معاوية لم يجد فيها ثغرة يسلك فيها لإفساد قيس، فكتب إليه :

رسالة أُخرى من معاوية :

أمّا بعد : فقد قرأتُ كتابك فلم أركَ تدنو فأَعِدَكَ سِلْماً، ولم أرك مباعِداً فأَعِدَكَ حرباً، وليس مثلي من يُخْدَع وبيده أعنّة الخيل ومعه أعداد الرجال، والسلام.

جواب قيس :

ورأى قيس أنّ معاوية لا يقبل المماطلة، فأظهر له ما في نفسه وكتب له :

أمّا بعد، فالعجب من اغترارك بي يا معاوية! وطمعك فيّ تسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالأمر، وأقربهم بالخلافة، وأقولهم بالحقّ، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم إلى رسوله وسيلة، وأوفرهم فضيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعَةِ أَبْعَدِ الناس من هذا الأمر،

وأَقْوَلِهم بالزُّور، وأَضَلِّهِمْ سبيلاً، وأبعِدهِمْ من الله ورسوله وسيلة، وَلَدِ ضالّين ولا مضلّين، طاغوت من طواغيت إبليس. وأمّا قولك: معك أعنّة الخيل وأعداد الرجال، لتُشْتغلنّ بنفسك حتّى العدم[١].

وقطعت هذه الرسالة كلّ أمل في معاوية، فراح يفتّش عن مكيدة أُخرى لإقصاء قيس عن مصر، فأذاع بين الشاميِّين أنّ قيساً قد بايعه، واختلق في ذلك كتاباً ينعى فيه عثمان بن عفان، وأنّه لا يسعه مسالمة المتّهمين بقتله...

وشاع بين أهل الشام أنّ قيساً قد بايع معاوية وأخلص له، وبلغ ذلك الإمام عليه السلام فشقّ عليه ذلك، وأشار عليه عبد الله بن جعفر بعزل قيس، فامتنع الإمام، وتكرّرت الأحداث وإشاعة معاوية أنّ قيساً قد بايع معاوية، فاضطُرَّ الإمام إلى عزله لئلّا ينفرط عقد الناس الّذين راحوا يلهجون بأنّ قيساً واطأ معاوية، وولّى محمد بن أبي بكر، وبعد شهادة محمّد ولّى الزعيم مالك الأشتر مكانه[٢].

ثالث ولاته على مصر: محمد بن أبي بكر

بعد ما عزل الإمامُ عليه السلام قيسَ بن سعد بن عبادة الأنصاري أعطى محمد بن أبي بكر ولاية مصر، وهو من ألمع الرجال في فضله وتقواه،

---

(١) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١: ١٠١.

ومن أكثرهم حبّاً وولاءً للإمام عليه السلام، فكان ابناً باراً للإمام، وولداً مخلصاً له، وكان الإمام شفيقاً عليه.

نشأ محمد في حجر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وتولّى الإمام عليه السلام تربيته، فتأدَّب بأدبه وأخذ من علمه، حتَّى عُدَّ من أبرز الفقهاء في زمانه.

قال عنه الإمام علي عليه السلام: «محمّد ابني من صُلْب أبي بكر»[1].

وكان الإمام عليه السلام قد تزوّج السّيّدة أسماء بنت عميس الخثعمية وكان ابنها محمد صغيراً، فترعرع في البيت الطالبيّ الطاهر، وأصبح فيما بعد من الزُّهّاد الكبار، وصار صُلْبَ الإيمان شجاعاً ومقداماً.

وقد شارك مشاركة فعّالة في تخليص الناس من حكم عثمان بن عفان، وكان من قاتليه، فقد جاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر نفراً حتّى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته وقال: ما أغنى عنك ابن عامر؟! ما أغنت عنك كتُبُك؟! فقام إليه بمِشْقَص حتَّى وَجَأَ به في رأسه[2].

وفي نصّ آخر: فتقدّمهم محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته وقال: قد أخزاك الله يا نَعْثَل... ثمّ طعن جبينه بمشقص في يده[3].

وكان محمّدٌ من المسارعين إلى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام والمتمسّكين بركابه، وكانت له أدوار مشرِّفة في حرب الجمل، فقد شارك مشاركة

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٠٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٢٣.

فعّالة في عَقر الجمل الملعون، وقَتَلَ مقتلة كبيرة من جيش أُخته عائشة وتابِعَيْها طلحة والزُّبير، ولمّا عُقِر الجمل عاتب أُختَهُ عائشة وقرَّعها وذكّرها بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام[١].

وفي الإمامة والسياسة: فلمّا بلغ عليّاً عليه السلام تعبئة القوم عَبَّأَ الناس القتال، فاستعمل على المقدّمة عبد الله بن عباس، وعلى الساقة هند المرادي، وعلى جميع الخيل عمار بن ياسر، وعلى جميع الرَّجّالة محمد بن أبي بكر[٢].

وعندما نشبت الحرب بين الإمام عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان في صفين كان محمد على ميسرة الإمام عليه السلام تحت إمرة ابن الإمام عليه السلام محمد بن الحنفية عليه السلام.

قال ابن أعثم الكوفي: وعَبَّأَ علي بن أبي طالب عليه السلام أصحابه، فكان على خيل ميمنته الحسن والحسين سبطا النبي صلى الله عليه وآله، وعلى رجّالتها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وعلى خيل الميسرة محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر..[٣].

وفي الإمامة والسياسة: فسار عليٌّ عليه السلام بالناس من الكوفة في مائة ألف وتسعين ألفاً، فجعل على المقدّمة الأشتر النخعي، وعلى ساقته

---

(١) انظر مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٢: ٣٤٦، والفتوح، لابن أعثم ٢: ٤٨٢، والمناقب، للخوارزمي: ١٨٨، الجمل، للمفيد: ٢٠١.

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ٨٩.

(٣) الفتوح، لابن أعثم ٣: ٢٤ ـ ٢٥.

شريح بن هانئ، وعلى المهاجرين والأنصار محمد بن أبي بكر، وعلى أهل البصرة عبد الله بن عباس، وعلى الكوفة عبد الله بن جعفر، وعلى جماعة الخير عمار بن ياسر، وعلى القلب الحسن بن علي عليهما السلام، وسار عليٌّ حتّى نزل صفين[1].

سطّر محمد بن أبي بكر أروع الملاحم في هذه المعركة وأذهل معاوية وأتباعه.

بعد انتهاء معركة صفّين وعودة الإمام علي عليه السلام وجيشه إلى الكوفة، وبعد عزل قيس بن سعد ابن عبادة الأنصاري عن مصر، أصدر الإمام أمراً بتعيين محمد والياً على مصر، وكتب إليه عهداً كُلُّه حِكَمٌ وتعاليم ونصائح سمحاء تتمثل في العدل والصدق والأمانة والمساواة بين الناس والرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وآله.

عهد الإمام عليه السلام لمحمد :

زوّد الإمام محمد بن أبي بكر بالرسالة التالية حينما قلّده ولاية مصر، وهذا نصّها :

أَمّا بَعْدُ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي مَقامِكَ وَمَقْعَدِكَ، وَسِرِّكَ وَعَلانِيَتِكَ، وَإذا أَنْتَ قَضَيْتَ بَيْنَ النَّاسِ[2]، فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ،

---

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ : ١٢٤.

(٢) إلى هنا أخذناه عن كتاب تحف العقول، لابن شعبة الحراني : ١٧٧، وما بعده عن نهج البلاغة.

وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ[1] بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ بِهِمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ[2].

ومثّلت هذه الكلمات روعة العدل الذي لم يقنّن مثله في جميع ما شُرِّع من الشؤون السياسية، فقد أمر الإمامُ عليه السلام محمّداً بالمواد التالية:

١ ـ أن يخفض للرعية جناحه، فلا يتكبّر، ولا يعلو عليهم، بل يكون كأحدهم.

٢ ـ أن يلين للناس جانبه فلا يظهر عليهم أهلُ العظمة والكبرياء.

٣ ـ أن يبسط للجميع وجهه، فلا يخصّ قوماً ببسماته ويقبض وجهه عن قوم آخرين.

٤ ـ أن يساوي بين الناس حتى في اللحظة والنظرة، وهذا هو منتهى العدل..

ويستمرّ الإمام في رسالته قائلاً:

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ! أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ

---

(١) آس: أي ساوِ بينهم.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٢٧ / الكتاب ٢٧.

الْمُتَكَبِّرُونَ ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ ؛ وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ ، لا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ .

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ ، بِخَيْرٍ لا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً ، أَوْ شَرٍّ لا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً .

فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا ؟!

وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا ؟!

وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ .

وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ . الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ ؛ وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ .

فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ .

دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ، وَلا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ .

وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلهِ[1] .

وحكت هذه الكلمات النصائح الرفيعة ، والمواعظ الكاملة التي يجب أن يعتبر بها الناس ليكونوا بمأمن من عذاب الله تعالى ، ويفوزوا بمغفرته ورضوانه ...

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ٢٧ ـ ٢٩ / الكتاب ٢٧ .

ثمّ يستمر الإمام في عهده قائلاً:

وَاعْلَمْ ـ يَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ـ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي، أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ[1]، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلا تُسْخِطِ اللهَ بِرِضَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ.

صَلِّ الصَّلاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاشْتِغَالٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاتِكَ[2].

وحفلت هذه الكلمات بدعوة محمد بن أبي بكر لِمخالفة هوى نفسه والمنافحة عن دينه، وأن لا يسخط الله تعالى في أيِّ عمل من أعماله، فإنّه ليس لله تعالى خَلَفٌ في جميع الكائنات.

ثمّ أوصى الإمام عليه السلام محمّداً بأداء الصلاة في وقتها فإنّها من أفضل العبادات، ومن أعظمها عند الله تعالى.. ويأخذ الإمام في عهده قائلاً:

فَإِنَّهُ لا سَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ، وَعَدُوُّ النَّبِيِّ.

وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنِّي لا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلا مُشْرِكاً أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ

---

(١) محقوق: أي مطالب بمخالفتك شهوة نفسك.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٢٩ / الكتاب ٢٧.

مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ »[1].

وتمثّلت روعة الإسلام وما ينشده من تقوى وهدى واستقامة في سلوك الإنسان بهذا العهد المبارك الذي زوّد به الإمام عليه السلام واليه على مصر لينشر في ربوعه العدل والحقّ والمساواة بين المصريين.

صورة أُخرى من عهد الإمام عليه السلام لمحمد :

وهذه صورة أُخرى من عهد الإمام عليه السلام لمحمد رواها الطبري، وهذا نَصُّ العهد بعد البسملة :

هذا ما عهَدَ عبدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ إلى مُحَمَّدِ بنِ أَبي بَكْرٍ حِينَ ولَّاهُ مِصْرَ :

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ في السِّرِّ والعَلانِيَةِ، وَخَوْفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في المَغِيبِ والمَشْهَدِ، وَأَمَرَهُ باللِّينِ عَلَى المُسْلِمِ، والغِلْظَة على الفاجِرِ، وبِالعَدْلِ على أَهْلِ الذِّمَّةِ، وبإِنْصافِ المَظْلُومِ، وبِالشِّدَّةِ عَلَى الظَّالِمِ، وبالعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، وبالإِحْسانِ ما اسْتطَاعَ، واللهُ يَجْزِي المُحْسِنِينَ، ويُعَذِّبُ المُجْرِمِينَ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ مَنْ قِبَلَهُ إلى الطَّاعَةِ والجَماعَةِ، فإِنَّ لَهُمْ في ذلِكَ مِنَ العاقِبَةِ، وعَظِيمِ المَثُوبَةِ، ما لا يَقْدِرُونَ قَدْرَهُ ولا يَعْرِفُونَ كُنْهَهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْبِيَ خَراجَ الأَرْضِ عَلى ما كانَتْ تُجْبَى عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، لا يَنْتَقِصَ مِنْهُ ولا يَبْتَدِعَ فِيهِ، ثُمَّ يَقْسِمَهُ بَيْنَ أَهْلِهِ عَلَى ما كانُوا يَقْسِمُونَ

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ٣٠ / الكتاب ٢٧.

عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ.

وَأَنْ يُلِينَ لَهُمْ جَناحَهُ، وأَنْ يُواسيَ بَيْنَهُمْ في مَجْلِسِهِ وَوَجْهِهِ، وَلْيَكُنِ القَرِيبُ والبَعِيدُ في الحَقِّ سَواءً.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس بِالحَقِّ، وَأَنْ يَقُومَ بالقِسْطِ، وَلا يَتَّبعَ الهَوَى، وَلا يَخَافَ في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْمَةَ لائِمٍ، فإِنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤُهُ مَعَ مَنِ اتَّقاهُ وآثَرَ طاعَتَهُ وأَمْرَهُ عَلَى ما سِواهُ.

وكتب هذا العهد عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ لغرّة شهر رمضان[1].

وحفل هذا العهد بجميع ألوان التّقوى، والتّمسّك بطاعة الله تعالى التي هي الدرع الحصين لمن التجأ إليها.

رسالة محمد إلى معاوية:

ولمّا استقرّ محمد في مصر كتب رسالة إلى معاوية يوبّخه ويدعوه فيها إلى الجماعة والطاعة، ويذكر فيها فضائل الإمام عليه السلام وهذا نصّها:

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر:

سلامٌ على أهل طاعة الله ممّن هو سِلْمٌ لأهل ولاية الله، أمّا بعد:

فإنّ الله بجلاله وعظمته، وسلطانه وقدرته، خلقَ خَلقاً بلا عبث منه، ولا ضعف في قوّته، ولا حاجة به إلى خَلقهم؛ ولكنّه خَلَقهم عبيداً، وجعل منهم غويّاً ورشيداً وشقيّاً وسعيداً.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٦، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٦٥ ـ ٦٦، عن الغارات، للثقفي ١: ٢٢٣ ـ ٢٢٥. وانظر تحف العقول، للحراني: ١٧٦.

ثمّ اختار على عِلْمٍ، فاصطفى وانتخب منهم محمّداً صلى الله عليه وآله، فاختصّه برسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أَمْرِهِ، وبعثه رسولاً، ومبشّراً ونذيراً، مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

فكان أوَّلَ مَن أجاب وأناب، وآمن وصدّق، وأسلَمَ وسلّم، أخوه وابنُ عَمِّه، عليّ بن أبي طالب، صَدَّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حَمِيم، ووقاه بنفسه كُلَّ هَول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، وحارب حربه، وسالم سِلمه، فلم يبرَح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأَزْلِ[1] ومَقاماتِ الرَّوْع، حتى برَّز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقاربَ له في فعله.

وقد رأيتُكَ تساميه، وأنتَ أنتَ، وهُوَ هُوَ، السابق المبرّز في كلِّ خير، أوّلُ النَّاس إسلاماً، وأصدقُ النَّاس نيّةً، وأطيبُ الناس ذريّةً، وأَفْضَلُ النّاس زوجةً، وخيرُ النّاس ابنَ عمٍّ، أخوه الشاري لنفسه يوم مَوْتِهِ[2]، وعمُّهُ سيّد الشهداء يوم أُحد، وأبوه الذّابّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن حوزته.

وأنت اللعينُ ابنُ اللعين، لم تَزل أنت وأبوكَ تَبغيان لدينِ اللهِ الغوائلَ، وتَجْهَدانِ في إطفاء نور الله، وتُجَمِّعانِ على ذلك الجُمُوع، وتَبْذُلانِ فيه المال، وتؤلّبان عليه القبائلَ، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خَلَفْتَهُ، والشَّاهدُ عليك بذلك مَن يأوي ويلجأ إليك، من بقيّة الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) الأزل : الضيق والشدّة.

(٢) كذا في المروج، والظاهر أنها مصحّفة عن « يوم مبيته ».

والشاهد لعليٍّ مع فضله المُبين وسابقته القديمة أنصارهُ الَّذين معه، الَّذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب، يُجالدون حوله بأسيافهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الحقّ في اتِّباعه، والشِّقاقَ والعصيان في خلافه، فكيف ـ يا لكَ الوَيْلُ ـ تَعْدِلُ نفسَكَ بعليٍّ، وهو وارث رسول الله ﷺ، ووصيّه، وأبو ولده، وأوّل الناس له اتِّباعاً، وأقربهم به عهداً، يُخْبِرُهُ بسرِّه، ويُطْلِعُهُ على أمره، وأنتَ عدوّه وابنُ عدوّه.

فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك، وليمدِدْكَ ابنُ العاص في غوايتك، فكأنَّ أجلَكَ قد انْقَضَى، وكَيْدَكَ قد وَهى، وسوفَ يستبين لك لِمَنْ تَكُونُ العاقبةُ العليا، واعلَمْ أنّك إنَّما تُكايِدُ ربّك الذي قد أَمِنْتَ كَيْدَهُ، وأَيِسْتَ من رَوْحِهِ، وهولَكَ بالمرصاد، وأنتَ منه في غرور وبالله وبأهل بيت رسوله عنكَ الغَناء، والسلام على من اتّبع الهدى..[1].

وهذه الرسالة ناطقة بالحقّ، ملمّة بالواقع، طافحة بولاء محمّد وإيمانه، فقد حكت جهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعظيم مكانته عند النبي ﷺ، كما حكت زيغ معاوية وضلاله، وتطاوله على أخي النبي ﷺ، ومنازعته له بغير حقّ، وعلى أَيَّةِ حال فهذه الرسالة من غرر الرسائل الحافلة بالواقع والحق.

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٢ : ٥٩، أنساب الأشراف، للبلاذري : ٣٩٣ ـ ٣٩٥، الاختصاص، للمفيد : ١٢٤ ـ ١٢٦، وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ١١٨ ـ ١١٩، وعنه في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣ : ١٨٨ ـ ١٨٩.

جواب معاوية :

وأجاب معاوية عن رسالة محمد، بهذه الرسالة التي جاء فيها :

من معاوية بن صخر إلى الزَّاري[١] على أبيه محمَّد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة الله.

أمّا بعد، فقد أتاني كتابُك تذكر فيه ما الله أهلُه في عظمته وقدرته وسلطانه، وما أصفى[٢] به نبيّه مع كلام كثير ألَّفته ووضعته، لرأيكَ فيه تضعيفٌ، ولأبيك فيه تعنيفٌ، ذكرت فيه حقّ ابن أبي طالب، وقديمَ سوابقه وقرابته من نبيّ الله، ونُصرَتَهُ له، ومواساته إيّاه، في كلّ هَول وخوف، فكان احتجاجُكَ عليَّ، وفخرُك بفضل غيرك لا بفضلك، فَأَحْمَدُ إلٰهاً صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كُنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نعرف حقَّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مُبَرّزاً علينا.

فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ما وَعده، وأظهر دعوته، وأَفْلَجَ حُجَّته[٣]، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفارُوُقُه أوَّلَ من ابتزّه حقّه[٤]، وخالفه على أمره، على ذلك اتَّفقا واتّسقا، ثمّ إنَّهما دعواه إلى أنفسهما فأبطأ عنهما، وَتَلَكَّأَ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم ـ أي القتل ـ.

---

(١) الزاري : العائب.

(٢) أصفى : أي آثره.

(٣) أفلج حجّته : أي أظهرها.

(٤) ابتزه حقّه : أي سلبه حقّه.

ثمّ إنّه بايعهما وسلّم لهما، وأقاما لا يُشْرِكانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما حتّى قُبضا وانقضى أمرهما، ثمّ أقاما بعدهما عثمان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما، فعبتُه أنت وصاحبك، حتّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، وبَطَنْتُما وظَهَرْتُما، وكشفتما له عداوتكما وغِلَّكُما، حتّى بلغتما منه مُناكُما.

فَخُذْ حِذْرَكَ يابن أبي بكر، فسترى وَبالَ أمرك، وقِسْ شِبْرَكَ بِفِتْرِكَ، تَقْصُرْ عن أن توازي أو تساوي من يَزِنُ الجبال حلمُهُ، ولا تَلِينُ على قَسْرٍ[1] قَناته، ولا يَدْرُكُ ذُو مَدىً أناتَهُ، أَبُوكَ مَهَّدَ له مِهاده، وبَنَى ملكه وشادَهُ، فإنْ يكُ ما نحن فيه صَواباً فأبوك أوّله، وإن يكُ جَوراً فأبوك أُسّه ونحن شركاؤه، فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما فعل أبوك مِنْ قَبْلُ ما خالفنا ابنَ أبي طالب، ولَسَلَّمنا إليه، ولكِنَّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فاحتذينا مثاله، واقتدينا بفعاله، فعِب أباك بما بدا لك، أَوْ دَعْ، والسلام على من أنابَ، ورجع من غوايته وتاب[2].

وشيء بالغ الأهميّة في رسالة معاوية، وهو أنّه عزى مخالفته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر وعمر، فهما اللّذان مهّدا الطريق، وفتحا الباب لمنازعة الإمام ومناجزته، وقد سلك معاوية ما رسمه الشيخان له،

---

(١) القسر: الإكراه.

(٢) مروج الذهب، للمسعودي ٢: ٦٠، أنساب الأشراف، للبلاذري: ٣٩٥ ـ ٣٩٧، الاختصاص، للمفيد: ١٢٦ ـ ١٢٧، وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١١٩ ـ ١٢١، وعنه في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣: ١٨٩ ـ ١٩٠.

وهذا الرأي وثيق للغاية، فإنّه لولا منازعة الشيخين للإمام، وقَسْرُهما له لما استطاع معاوية سبيلاً إلى مناجزة الإمام عليه السلام.

شهادة محمد :

لمّا تسلّم محمّد قيادة ولاية مصر قامت قيامة معاوية، فأرسل جيشاً بقيادة ابن العاص لاحتلال مصر، والتحم الجيشان، فانهزم أهل الشام، فاستنجد ابنُ العاص بمعاوية فأمدّه بجيش جرّار بقيادة معاوية بن خُدَيْج، ودارت بين الجيشين معركة رهيبة استشهد فيها القائد العامّ لجيش محمد، وعلى أثره انهزم الجيش وفرّ محمد، ولم يجد ركناً شديداً يأوي إليه، فالتجأ إلى خربة فأقام فيها، وخرج ابن خُدَيْج في طلبه، فأخبره بعضُ عُلُوج المصريين أنّه في الخربة، فهجم عليه وألقى عليه القبض، وقد بلغ منه العطش مبلغاً عظيماً، فطلب الماء فردَّ عليه السَّفَّاك الأثيم ابن خُدَيْج قائلاً :

لا سقاني الله إن سقيتك قطرة، إنّكم منعتم عثمانَ الماءَ، ثمّ قتلتموه وكان صائماً، والله! لأقتلنّك يابن أبي بكر فيسقيك الله من الحميم...

وتمثّلت الروح الأموية القذرة التي تحمل طبيعةَ الأشرار وخِسَّتهم بهذا الإنسان الممسوخ الذي منع الماء عن أسير عنده.

والتفت إليه البطل قائلاً : يابن اليهودية النسّاجة!.. أما والله! لو كان سيفي بيدي ما بلغتم بي هذا.

والتفت ابن خديج إلى محمد قائلاً : أتدري ما أصنع بك؟ أُدخلك في جوف حمار ثمّ أحرقه عليك بالنار.

وأجابه البطل المؤمن : إن فعلتم ذلك بي فطالما فعلتموه بأولياء الله .

وطال الجدل بينهما فانبرى ابن خديج فأنفذ فيه حكم الإعدام، وألقى جسده الطاهر في جيفة حمار ميّت وأحرقه بالنار بعد أن احتزّ رأسه الشريف، وأرسله هديّة إلى ابن آكلة الأكباد سيّده معاوية، وهو أوّل رأس طيف به في الإسلام[1].

وانتهت بذلك حياة هذا المجاهد الكبير الذي وهب حياته لله تعالى، وقد خسر المسلمون بوفاته علماً من أعلام العقيدة والجهاد.

ولمّا انتهى الخبر المؤلم بشهادة محمد إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بلغ به الحزن أقصاه، وراح يقول عليه من الأسى : «لقد كان إلَيَّ حبيباً، وكان لي ربيباً»[2].

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ ، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً ، وَعَامِلاً كَادِحاً ، وَسَيْفاً قَاطِعاً ، وَرُكْناً دَافِعاً .

---

(١) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١ : ١١٠. وانظر شهادة محمد بن أبي بكر تاريخ الطبري : ٧٨ ـ ٧٩، أنساب الأشراف، للبلاذري : ٤٠٢ ـ ٤٠٣، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٣٥٦ ـ ٣٥٧، البداية والنهاية، لابن كثير ٧ : ٣٤٨ ـ ٣٤٩، كتاب الغارات، للثقفي ١ : ٢٨١ ـ ٢٨٤، وعنه في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ٨٥ ـ ٨٨.

(٢) نهج البلاغة ١ : ١١٧ / خ ٦٨.

وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً ، وَعَوْداً وَبَدْءاً ، فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً ، وَ مِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً ؛ وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً .

أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً ؛ فَوَاللهِ لَوْلا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ ، لأَحْبَبْتُ أَنْ لا أَبْقَى مَعَ هَؤُلاءِ يَوْماً وَاحِداً وَلا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً[1] .

فرحم الله محمداً وأجزل له المزيد من الأجر ، فقد كان من عمالقة المجاهدين العارفين للحق ، فرحمة الله عليه .

رابع ولاته على مصر : مالك الأشتر النخعي :

لقد ذكرنا شيئاً عن ترجمته لمّا ولّاه الإمام عليه السلام على الجزيرة . ثمّ عيّنه الإمام عليه السلام والياً على مصر ، فهو سيف من سيوف الله تعالى ، وعَلَمٌ من أعلام الجهاد في الإسلام ، قد وهب حياته لله تعالى ، وأخلص لدينه كأعظم ما يكون الإخلاص ... وقد وقف بحزم وإخلاص إلى جانب إمام المتّقين وسيّد الموحّدين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يحميه ، ويذبّ عنه في أحلك الظروف ، وأشدّها محنة وبلاءً ، وقد أدلى الإمام عليه السلام بعظيم منزلته وجهاده تجاهه قائلاً : « لَقَدْ كانَ لِي كَما كُنْتُ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله »[2] .

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ٦٠ / الكتاب ٣٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ٢ : ٢١٤ و ١٥ : ٩٨ .

وقد انتخبه الإمام لولاية مصر بعد استشهاد محمد بن أبي بكر، وذلك لسموّ شخصيته، وحزمه الجبار، وقدرته الفائقة، وإحاطته التامّة بالشؤون السياسية والإدارية، وقد زوّده برسالتين مع العهد الذهبي الذي لم يُنْشَأْ مثله في الإسلام وغيره، أمّا الرسالتان فهما:

الرسالة الأُولى: تضمّنت الإشادة بمكانة مالك، وحكت كريم صفاته، وقد جاء فيها:

«مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، إِلى القَومِ الَّذِينَ غَضِبُوا للهِ حِينَ عُصِيَ في أَرضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الجَوْرُ سُرادِقَهُ عَلَىٰ البَرِّ وَالفَاجِرِ، وَالمُقيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلا مَعرُوفٌ يُستَرَاحُ إِليهِ، وَلا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَىٰ عَنه».

أشاد الإمام ﷺ بهذه الكلمات بالجهود الجبّارة التي بذلها الجيش المصري لحماية الإسلام في أيّام محنته حينما توالت عليه الأحداث الرهيبة أيّام حكومة عثمان، فهبّ الجيش المصري للإطاحة بحكومته، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في بعض بحوث هذا الكتاب.. ثمّ أخذ الإمام في الثناء على مالك:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ[1]، وَلَا نَابِي

---

(١) الظّبة: حدّ السيف، الكليل: الذي لا يقطع.

الضَّرِيبَةِ[١] : فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي ؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ »[٢].

وهذه الكلمات وسام شرف لمالك ، فقد حكت بعض قيمه ومُثُلُه ، والتي منها :

١ ـ أَلَمَّت بشجاعة مالك الأشتر ، وقوّة بأسه ، وصلابة عزيمته ، وأنّه لا ينام أيّام الخوف ، ولا ينكل عند الروع .

٢ ـ أنّ مالك الأشتر أشدّ من النار على المارقين والمنحرفين عن الحقّ ، الذين لا يرجون لله وقاراً .

٣ ـ أنّ مالك الأشتر من سيوف الله الواقعيين الذين لم يُلَوَّثُوا بجريمة ولا باقتراف منكر .

٤ ـ أمر الإمام ـ بهذه الرسالة ـ الشعب المصري بإطاعة مالك والانصياع لأوامره ، فإنّه لا يقدم على شيء ، ولا يعمل عملاً إلّا بعد أخذ رأي الإمام عليه السلام .

الرسالة الثانية: عرضت إلى الأحداث المؤسفة التي عاناها الإمام عليه السلام بعد وفاة أخيه وابن عمّه الرسول صلى الله عليه وآله ، قال عليه السلام :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ،

---

(١) الضريبة : الشيء المضروب .

(٢) نهج البلاغة ، بتعليق محمّد عبده ٣ : ٦٣ ـ ٦٤ / الكتاب ٣٨ .

وَمُهَيْمِناً[١] عَلَى الْمُرْسَلِينَ.

فَلَمَّا مَضَى ﷺ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ. فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي[٢]، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ[٣] يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ؛ فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ».

عرض الإمام في هذا المقطع إلى الخلافة التي هي من حقّه وهو أولى بها من غيره، وما كان يدور في خَلَدِهِ الشريف أنّها تنصرف عنه إلى غيره، ولم يدخل مع القوم الذين انتزعوا منه تراثه وحقّه في ميدان الصراع المسلّح، وذلك خشيةً على الإسلام من أن تشيع فيه الرِّدَّة، وينقلب المسلمون على أعقابهم، فصبر على ضياع حقّه وفي العين قذى وفي الحلق شجى ـ كما يقول في خطبته الشقشقية ـ، ومن بنود هذه الرسالة قوله:

---

(١) المهيمن: الشاهد.

(٢) روعي: أي في خاطري.

(٣) يعني بفلان: أبا بكر.

« إِنِّي وَاللهِ ! لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلاعُ الأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلا اسْتَوْحَشْتُ ، وَإِنِّي مِنْ ضَلالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي . وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللهِ ، وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ ؛ وَلَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا ، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً ، وَعِبَادَهُ خَوَلاً ، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً ، وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ[1] ، وَجُلِدَ حَدّاً فِي الإِسْلامِ ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلامِ الرَّضَائِخُ[2] .

فَلَوْلا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ[3] وَتَأْنِيبَكُمْ وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ .

أَلا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ ؟! وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ ؟! وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى ؟! وَإِلَى بِلادِكُمْ تُغْزَى ؟!

انْفِرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَلا تَثَّاقَلُوا إِلَى الأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ ، وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأَرِقُ[4] ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ ، وَالسَّلامُ »[5] .

---

(١) الحرام : وهو الخمر .

(٢) الرضائخ : العطايا ، ويشير بذلك إلى عمرو بن العاص فإنّه لم يسلم حتى أعطاه النبي

(٣) التأليب : التحريض .

(٤) الأرق : السَّهر .

(٥) نهج البلاغة ، بتعليق محمد عبده ٣ : ١١٨ ـ ١٢١ / الكتاب ١٢ .

حكت هذه الكلمات عن يقين الإمام عليه السلام بأنّه على ثقة وبصيرة من أمره، وأنّه على اتّصال وثيق بالله تعالى لا يستوحش من الّذين فارقوه وحاربوه ونابذوه، فإنّهم على ضلال يا لَهُ من ضلال، كما أعرب عليه السلام عن زهده في السلطة، وأنّه لولا خوفه من أن يحكم المسلمين من لا دين له ـ فيتّخذ مال الله دولاً، وعباده خولاً ـ لما تصدّى إلى الحكم، ولم يُقِمْ لَهُ أيَّ وزن، لأنّ السلطة عنده ليست مغنماً وإنّما هي من سبل الإصلاح الاجتماعي، فليس فيها إلّا التعب والجهد والعناء.

ثمّ دعا الإمامُ عليه السلام الشعب المصري إلى جهاد المارقين عن الإسلام، وهم الحزب الأموي، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي أفنى حياته في محاربة الله ورسوله[1].

العهد الذهبي :

وهو أروع عهد حافل بحقوق الإنسان، وقضاياه المصيرية، لم يُقَنَّن مثلُهُ، ولم يوضع في جميع المحافل الدولية نظيره، قد صاغه رائد العدالة الاجتماعية في الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد عرضنا إلى بعض بنوده في البحوث التمهيدية التي صدّرنا بها هذا الكتاب، وقد ختم الإمام عليه السلام هذا العهد الشريف بهذه الكلمات القيّمة، وهي قوله :

« وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَتَقْتَدِيَ

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لباقر القرشي ١٠ : ٥٨.

بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ، لِكَيْلا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ ، وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلادِ ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ ، وَإِنَّا إِلى اللهِ رَاغِبُونَ .

وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً ، وَالسَّلامُ »[1] .

أرأيتم هذه الآداب العلوية الحافلة بجميع مقوّمات السموّ والكرامة ، وما تعتزّ به الإنسانية في جميع أدوارها ؟!

شهادة مالك الأشتر :

خرج الأشتر ميمّماً وجهه صوب مصر ، وسارت قافلته تطوي البيداء ، لا تلوي على شيء ، فلمّا انتهت إلى « أَيْلَةَ »[2] فالتقى به نافع مولى عثمان بن عفّان ، وقد أرسله معاوية لاغتياله ، وكان لبقاً ، فأخذ مالك يسأله : ممّن أنت ؟

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ١١٠ ـ ١١١ / الكتاب ٥٣ .

(٢) أَيْلَةُ : مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام . معجم البلدان ، لياقوت الحموي ١ : ٢٩٢ .

فقال : من أهل المدينة .

فقال مالك : من أيّهم ؟

فأخفى وضعه ، وقال : مولى عمر بن الخطاب .

قال مالك : أين تريد ؟

فقال نافع : مصر .

فقال مالك : ما حاجتك بها ؟

فقال نافع : أشبع من الخبز فإنّا في المدينة لا نشبع منه .

فرقّ له وقال له : اِلزمْني فإنّي سأُصيبك بخير .

ومضى مالك رضوان الله عليه في سفره ، وعميل معاوية ملازم له ، حتّى انتهى إلى القُلْزُم[1] ، فنزل ضيفاً على امرأة من جهينة فرحّبت به ، وقابلته بمزيد من التكريم ، وسألته : أيُّ الطعام أحبُّ إليه في العراق حتى تصنعه له ؟ فقال لها : الحيتان الطريّة ، فقدّمت له ما اشتهى ، فلمّا أكل أصابه عطش شديد ، فأخذ يكثر من شرب الماء ، فقال له نافع مولى عثمان : إنّ الطعام لا يقتل سمّه إلّا العسل ، فدعا الأشتر بإحضاره من ثقله ، فلم يكن فيه ، فبادر نافع قائلاً : هو عندي ، فقال الأشتر : عَلَيَّ به ، فأَحْضَرَهُ فتناولَ منه ، وكان قد دسّ فيه سمّاً قاتلاً ، ولمّا انتهى إلى جوفه تقطّعت أمعاؤه ، وأخذ الموت يدنو منه سريعاً ، وطلب الأشتر

---

(١) القُلْزُم : مدينة تقع على شفير البحر ليس بها زرع ولا ماء ، يحمل إليها الماء من آبار بعيدة ، وبين مدينة القلزم ومصر ثلاثة أيّام . معجم البلدان ، لياقوت الحموي ٤ : ٣٨٨ .

إحضار نافع فوجده منهزماً، فلم يعثر عليه، وسرى السمّ في جميع أوصاله، وقد طوت حياته شربة العسل التي كان يردّدها معاوية : «إنّ لله جنوداً من عسل»[١].

لقد انتهت حياة هذا العملاق العظيم الذي جاهد أعداء الله كأعظم ما يكون الجهاد، وقد كانت شهادته على يد أقذر أُمويّ عرفه تاريخ البشرية، وهو ابن هند الذي حارب الإسلام هو وأبوه وأُمّه وقبيلته بجميع ما يملكون من طاقات.

تأبين الإمام عليه السلام لمالك :

ولمّا انتهى النبأ الفجيع بوفاة القائد العظيم إلى الإمام عليه السلام ذابت نفسه أسى وحزناً، وأخذ يذرف عليه أحرّ الدموع قائلاً :

«إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعون، وَالحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

اللهمَّ إنّي احتسبُهُ عِندك، فإنّ موتَهُ من مصائب الدهر ...».

ثمّ قال :

«رَحِمَ اللهُ مالِكاً، فَقَدْ وَفَى بعَهْدِهِ، وقَضَى نَحْبَهُ، وَلَقِيَ ربَّهُ، مَعَ أَنَّا قَدْ وطَّنَّا أَنْفُسَنا أن نَصْبِرَ على كُلِّ مُصِيبةٍ بَعْدَ مُصابِنا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فإنَّها مِنْ أَعْظَمِ المُصيبات»[٢].

وأخذ الإمام يتلهّف وهو يقول بحزن بالغ :

---

(١) مالك الأشتر، لمحمد رضا الحكيم : ١٧٤ ـ ١٧٥. وانظر الاختصاص، للمفيد : ٧٩ ـ ٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ٧٧، عن الغارات، للثقفيت ١ : ٢٦٤.

«لله دَرُّ مالِكٍ، وما مالِكٌ؟ لَوْ كانَ جَبَلاً لَكانَ فِنْداً[١]، وَلَوْ كانَ حَجَراً لكَانَ صَلْداً، أَما واللهِ! لَيَهُدَّنَّ موتُكَ عالَماً، ولَيُفْرِحَنَّ عالَماً، عَلى مِثْلِ مالِكٍ فَلْتَبْكِ البَواكِي، وَهَلْ مَوْجُودٌ كَمالِكٍ؟»[٢].

لقد كانت شهادة مالك من الأحداث الجسام التي مُني بها العالم الإسلامي، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أفجع المصابين به.

سرور معاوية:

وطار معاوية سروراً وبهجة بشهادة مالك، وخطب الناس، وقال:

أمّا بعد: فإنّه كانت لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان، قُطِعَتْ إحداهما يوم صفّين، وهو عمّار ابن ياسر، وقطعت الأُخرى اليوم، وهو مالك الأشتر[٣].

لقد انتهت حياة عمار ومالك، وسمت روحاهما إلى الله تعالى كأسمى رُوحَيْن صعدتا إلى السماء، فقد لُفِّعا بالشهادة في أقدس قضيّة نصرا فيها الإسلام، فقد وَقَفا إلى جانب وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّان عنه، ويحيمانه من الردّة الجاهلية المتمثّلة في كسرى العرب معاوية!

رثاء مالك:

ورثى جماعة من الشعراء الزعيمَ مالك الأشتر، وكان منهم المثنّى، حيث يقول:

---

(١) الفند: القطعة العظيمة من الجبل.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٧٧، عن الغارات، للثقفي ١: ٢٦٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٧٦، عن الغارات، للثقفي ١: ٢٦٤.

ألا ما لِضَوءِ الصُّبْحِ أَسْوَدُ حـالِكُ ... وَما للرَّواسي زَعْزَعَتْها الدَّكادِكُ ؟
وَما لِهُمُومِ النَّفسِ شَتَّى شُـؤُونُها ... تَظَلُّ تُناجِيها النُّجُومُ الشَّوابِكُ ؟
على مالِكٍ فَلْيَبْكِ ذُو البَثِّ مُعْوِلاً ... إذا ذُكِرَتْ في الفَيْلَقَيْنِ المَـعارِكُ
إذا ابْتَدَرَ الخَطِّيُّ وانْتَدَبَ المَـلا ... وكانَ غِياثَ القَوْمِ نَصْرٌ مُـواشِكُ
إذا ابْتَدَرَتْ يَوْماً قَـبائِلُ مَـذْحِجٍ ... ونُودِيْ بِها : أَيْنَ المُظَفَّرُ مالِكُ ؟
فَلَهْفِي عَلَيْهِ حِينَ تَـخْتَلِفُ القَـنا ... ويُرْعِشُ للمَوْتِ الرِّجالُ الصَّعالِكُ
وَلَهْفِي عَلَيْه يَوْمَ دَبَّ لَـهُ الرَّدَى ... وَدِيفَ لَهُ سَمٌّ مِنَ المَوْتِ حـانِكُ
فَلَوْ بارَزُوهُ يَـوْمَ يَـبْغُونَ هُـلْكَهُ ... لَكانُوا بـإِذْنِ اللهِ، مَـيتٌ وهـالِكُ
وَلَو مارَسُوهُ مارَسُوا لَيْثَ غَـابَةٍ ... لَهُ كالَّتي لا تَـرْقُدُ اللَّـيلَ فـاتِكُ
فَقُلْ لابنِ هِنْدٍ : لَوْ مُنِيتَ بِـمالِكٍ ... وفي كَفِّه ماضِي الضَّرِيبَةِ بـاتِكُ
لأَلْفَيْتَ هِنْداً تَشْتَكي عِلَلَ الرَّدَى ... تَنُوحُ وتَخْبُوها النِّساءُ العَواتِكُ[1]

ورثته السيّدة الفاضلة سلمى أُمّ الأسود بن الأسود النخعي ـ أو أُخت مالك الأشتر ـ بهذه الأبيات :

نَبا بي مَـضْجَعي وَنَـبا وِسـادِي ... وَعَـيْني مـا تَـهِمُّ إلى رُقـادي
كَأَنَّ اللَّـيلَ أُوثِـقَ جـانِباهُ ... وأَوْسَـطُهُ بأَمْـراسٍ شِـدادِ
أَبَـعْدَ الأَشْـتَرِ النَّـخَعِيِّ نَـرْجُو ... مُكـاثَرَةً ونَـقْطَعُ بَـطْنَ وادِ
أَكَـرَّ إذا الفَـوارِسُ مُـحْجِماتٌ ... وأَضْرَبَ حِينَ تَخْتَلِفُ الهَوادِي[2]

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١٠: ٦٦، عن الولاة والقضاة، للكندي: ٢٥ ـ ٢٦.
(٢) انظر نهج السعادة، للمحمودي ٢ : ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٦، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨ : ٣٠٤.

رحم الله مالكاً، وأجزل له المزيد من الأجر لنصرته أخا رسول الله وابن عمّه، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أُولئك رفيقاً.

الباب الرابع

دور ولاة أمير المؤمنين عليه السلام وعُمّاله سياسياً واجتماعياً في إيران وما والاها

البحث يقع في فصول :

الفصل الأول :

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على فارس والأهواز

الفصل الثاني :

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على أصفهان والرّيّ وهمدان وقزوين

الفصل الثالث :

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على خراسان وسجستان وكرمان

الفصل الرابع :

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على آذربيجان

الفصل الأول «من الباب الرابع»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على فارس والأهواز

فأ مّا اللَّذانِ على الأهواز، فهما :

١ ـ الخريت بن راشد الناجي

٢ ـ عمرو بن المفرّغ الحميري

وأ مّا الذين على فارس، فهم :

١ ـ المنذر بن الجارود العبدي

٢ ـ حضين بن المنذر الرِّقاشي

٣ ـ مصقلة بن هبيرة المخزومي

٤ ـ زياد بن أبيه

أوّل والييه على الأهواز
الخِرِّيتُ بن راشد النَّاجي

روى ابن أعثم الكوفي وغيره أنّ الخرّيت بن راشد في ابتداء أمره كان والياً من قِبَلِ أمير المؤمنين عليه السلام على الأهواز، وفي سنة (٣٨) للهجرة وبعد قضيّة التحكيم في صفين انقلب على عقبيه وارتدّ عن الإمام عليه السلام مع ثلاثمائة من بني ناجية ـ والذين كانوا مع علي عليه السلام في صفين ـ وخرجوا من الكوفة ضد الإمام عليه السلام بعدما أحدثوا بها، وجاءوا إلى الأهواز وعمان، ومرّوا على منطقة نصارى بني تغلب، ومنعهم الخرّيت من إعطاء الجزية لعليٍّ عليه السلام، إلى أن أرسل إليه الإمامُ عليه السلام معقلَ بن قيس وقاتله في عمّان مع أصحابه وقَتَلَهُ وأسر مجموعة من أصحابه المرتدة[1].

قال البلاذري: كان الخرّيت بن راشد مع علي بن أبي طالب عليه السلام في ثلاثمائة من بني ناجية، فشهد معه الجمل بالبصرة، وشخص معه إلى صفين فشهد معه الحرب، فلمّا حُكِّم الحَكمان مَثُلَ بين يدي علي عليه السلام بالكوفة، فقال له: والله لا أطعت أمرك، ولا صلّيتُ خَلْفَكَ[2].

---

(١) الفتوح، لابن أعثم الكوفي ٤: ٢٤٢ ـ ٢٤٤، تاريخ الطبري ٤: ٨٦ ـ ١٠٠، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٣٦٤ ـ ٣٦٨، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) أنساب الأشراف، للبلاذري: ٤١١.

ولكن نقل صاحب كتاب الاستيعاب أنّه كان في معركة الجمل مع طلحة والزبير وكان قائداً على مُضر، وقال ابن الأثير: كان قائداً على بني ناجية[1].

فعلى هذا الكلام يكون كونه والياً من قبل الإمام على الأهواز غير صحيح، إلّا أن نقول: إنّه كان من قبل عثمان والياً عليها، وأُقِرَّ على عمله، ثمّ التحق بطلحة والزبير. وعلى هذا التقدير أيضاً لا يمكن أن يكون والياً على الأهواز حتّى صفّين. نعم ربّما يكون تاب بعد الجمل ورجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ ارتدّ عنه بعد التحكيم في صفّين.

إنَّ الخرّيت بن راشد الناجي خرج على أمير المؤمنين عليه السلام بعد انقضاء صفين بعد ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: لا والله لا أطيع أمرك ولا أُصلّي خلفك، وإنّي غداً لمفارقٌ لك. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّك، إذاً تَنْقُضُ عَهْدَكَ، وتَعْصِي رَبَّكَ، ولا تَضُرُّ إلَّا نَفْسَكَ، أَخْبِرْني لِمَ تَفْعَلُ ذلِكَ؟**» قال: لأنّك حكّمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جدّ الجِدّ، وركنتَ إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك رادٌّ وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مباين.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**ويحك! هَلُمَّ أُدارِسكَ وأُناظرك في السُّنَنِ، وأُفاتِحك أُمُوراً مِنَ الحَقِّ أَنا أَعْلَمُ بِها مِنْكَ، فَلَعَلَّكَ تَعْرِفُ ماأَنْتَ**

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢: ٤٥٨ / الترجمة ٦٩٢. وانظر أسد الغابة، لابن الأثير ٢: ١١٠.

الآنَ لَهُ مُنْكَرٌ ، وتُبْصِرُ ما أَنْتَ الآنَ عَنْهُ عَمٍ وَبِهِ جاهِلٌ ». فقال الخرّيت : فإنّي غادٍ عليك غداً ، فقال عليه السلام : **« اغْدُ وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكَ الشَّيْطانُ ، وَلا يَتَقَحَّمَنَ بِكَ رَأْيُ السُّوءِ ، ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الجُهلاءُ الَّذِين لا يَعْلَمُونَ ، فَواللهِ إِنِ اسْتَرْشَدْتَنِي واسْتَنْصَحْتَنِي وَقَبِلْتَ مِنِّي لأَهْدِيَنَّكَ سَبِيلَ الرَّشادِ »**.

فخرج الخرّيت من عنده منصرفاً إلى أهله ولم يَأْتِ أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال لأصحابه : إنّي رأيت أن أُفارق هذا الرجل ، وقد فارقته على أن أرجع إليه من غد ، ولا أرى إلّا المفارقة ، فقال له أكثر أصحابه : لا تفعل حتّى تأتيه ، فخرج مع أهله ومجموعة من أصحابه من الكوفة متوجّهاً إلى البصرة ثمّ إلى الأهواز ، وأرسل إليه الإمام عليه السلام معقل بن قيس وتقاتلا في الأهواز ، وانهزم الخرّيت إلى سِيفِ البحر ، وانتصر معقل عليه وأسر منهم جماعة ، وكتب إلى أمير المؤمنين انتصاره وانهزام الخرّيت بن راشد ، ثمّ سار إليه معقل إلى سِيفِ البحر إلى أن قُتل الخريت بن راشد وقُتِلَ من كان معه من قومه من بني ناجية مائة وسبعون ، وانهزم الباقون ، فسبى معقل من أدرك من الرجال والنساء ، ثمّ نظر فيهم ؛ فمن كان مسلماً خلّاه وأخذ بيعته ، ومن كان ارتد عن الإسلام عرض عليه الرجوع إلى الإسلام وإلّا قُتِلَ ، فأسلموا إلّا مجموعة من النصارى سباهم وأسرهم[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ٣ : ١٢٨ ـ ١٤٣.

ثاني والييه (عاملُهُ) على الأهواز
عمرو بن المُفَرِّغ الحِمْيَرِيّ

ذكر أبو الفرج الإصفهاني أنّ عمرو بن المفرِّغ كان عامل عليٍّ عليه السلام على الأهواز من قِبَلِ ابن عباس حيث أرسله إليها[1]، ولم يذكر عنه شيئاً، وهو عمّ يزيد بن ربيعة بن المفرغ الحميري الشاعر المعروف صاحب الأبيات التي هجا بها زياد بن أبيه لمّا استلحقه معاوية بن أبي سفيان، فحبسه عبيد الله بن زياد لذلك، وعذّبه، ثمّ أطلقه معاوية، وأبياته المعروفة هي :

ألا أَبْلِغُ مُعاوِيَةَ بنَ صَخْرٍ ... مُغَلْغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ اليَماني

أَتَغْضَبُ أَن يُقالَ أَبُوكَ عَفٌّ ؟ ... وتَرْضَى أَن يُقالَ : أَبُوكَ زانِ ؟

فقال له معاوية : اعزُبْ فلا عفا الله عنك قد عفوتُ عن جرمك، ويزيد بن المفرّغ من أجداد السيّد إسماعيل الحميري الشاعر المعروف[2].

---

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ١٨ : ٢٩٥.

(٢) الغدير ١٠ : ٢٢٠ ـ ٢٢١.

وأمّا ولاته عليه السلام على فارس
فأوّلهم هو : المنذر بن الجارود العبدي

واسمُ الجارود بِشْرُ بن خُنَيْسِ بن المُعَلَّى، وإنّما سُمِّي بالجارود لبيت قاله بعض الشعراء فيه :

وَسانَدَهُمْ بالخَيْلِ من كُلِّ جانِبٍ كَما جَرَدَ الجارُودُ بَكْرَ بنَ وائِلِ

ووفد والده الجارود على النبي صلى الله عليه وآله في سنة تسع وقيل عشر وكان نصرانياً فأسلم وحَسُن إسلامه، وسكن الجارُود البصرةَ وقُتِلَ بأرض فارس ـ وقيل بنهاوند ـ مع النعمان بن مقرن، وقيل : إنّ عثمان بن العاص بعثه نحو ساحل فارس فقتل بموضع يُعرف بعقبة الجارود وسميت باسمه وذلك سنة إحدى وعشرين[1].

قال صاحب الغارات: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام استعمل المنذر على ولاية فارس[2]، ولكنّه خان بيت مال المسلمين وأخذ منه لنفسه أربعمائة ألف درهم[3].

وكتب له أمير المؤمنين كتاباً أَنَّبَهُ فيه قائلاً :

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ١ : ٢٦٢ ـ ٢٦٤، وشرح النهج، لابن أبي الحديد ١٨ : ٥٤ ـ ٥٦.

(٢) في الطبقات الكبرى، لابن سعد ٥ : ٥٦٢ ولّاه علي بن أبي طالب عليه السلام اصْطَخر، فلم يأته أحدٌ، إلّا وَصَلَهُ. وذكر اليعقوبي في تاريخ ٢ : ٢٠٣ أنّه كان على اصطخر. واصطخر من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها.

(٣) الغارات، للثقفي ٢ : ٥٢٢.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ، وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ. وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ؛ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

قال الرضي رحمه الله:

المُنذر [بن الجارود] هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه لَنظَّارٌ في عطفيه، مختالٌ في برديه، تفّالٌ في شراكيه[1].

ولمّا وصلت رسالة الإمام إليه جاء إلى الكوفة وعزله الإمام وأغرمه ثلاثين ألفاً وحبسه، ثمّ تركها لصعصعة بن صوحان بعد أن صار شفيعاً وضامناً له بعد أن أحلفه عليها فحلف أنّه لم يأخذها، فخلّى الإمام سبيله وأطلق سراحه بعد حلفه[2].

وذهب ابن أبي الحديد إلى أنّ المنذر كان على رأي الخوارج[3]، وكانت بَحْرِيَّةُ ـ أو هِنْد ـ ابنتُهُ زوجةَ عبيد الله بن زياد، ولذلك جاء في

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٣٢ ـ ١٣٣ / الكتاب ٧١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٥: ٧٦ قال: ومنهم [أي من الخوارج] المنذر بن الجارود العبدي.

الأخبار الطوال : أنّ الإمام الحسين عليه السلام كتب كتاباً إليه وإلى مالك بن مسمع ومسعود بن عمرو، والأحنف بن قيس، وقيس بن الهيثم، جاء فيه : «أمَّا بَعْدُ، فإنِّي أَدْعُوكُمْ إلى إحْياءِ مَعالِمِ الحَقِّ، وإماتَةِ البِدَعِ، فَإنْ تُجِيبُوا تَهْتَدوا سُبُلَ الرَّشادِ، والسَّلامُ».

ولكنّ المنذر أخذ الكتابَ والرسولَ وجاء بهما إلى عبيد الله بن زياد، فقتل عبيدُ الله بن زياد رسولَ الإمام الحسين الذي جاء بالكتاب، وكان المنذر مع الذين جاؤوا من البصرة إلى الكوفة مع عبيد الله بن زياد[1]. وعلى هذا الكلام لم تكن سيرته صحيحة كأبيه، ولذلك أَنَّبَهُ الإمامُ في كتابه وعَزَلَهُ.

وقال ابن سعد في طبقاته : ولّاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند، فمات هناك في سنة (٦١) أو (٦٢)[2].

قال الذهبي : ولي إصطخر لعلي عليه السلام، ثم ولي ثغر الهند من قبل عبيد الله بن زياد، فمات هناك سنة (٦١هـ)، وله ستون سنة[3].

ولكنّه قال في حوادث سنة (٦٢هـ) : وفيها استعمل عبيدُ الله بن زياد أميرُ العراق على السِّنْد المنذر بن الجارود العبدي... وكان المنذر من وجوه أهل البصرة من أصحاب عليٍّ عليه السلام، قَتَلَهُ الحجّاج[4].

---

(١) الأخبار الطوال، للدينوري : ٢٣١ ـ ٢٣٢، مثير الأحزان، لابن نما الحلي : ١٧، اللّهوف، لابن طاووس : ٢٩.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٥ : ٥٦٢.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي ٥ : ٢٥٦.

(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي ٥ : ٢٢.

ثمّ قال في موضع آخر: ولي إمرة إصطخر لعليّ عليه السلام، ووفد على معاوية، ثمّ ولي السِّند من قِبَل عبيد الله بن زياد، يقال: إنّه قُتل في زمن الحجّاج[1].

والظاهر أنّه قُتل في ثورة ابن الأشعث على الحجاج، وكان كثير ممن شاركوا في تلك الثورة من القراء والخوارج.

ثاني ولاته على فارس
الحضين بن المنذر الرقاشي
وهو واليه على اصطخر من بلاد فارس

الحضين بن المنذر بن الحارث بن وَعْلَة بن مجالد بن يثربي بن الرّيّان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، كنيته أبو ساسان البصري[2].

كان الحضين شابّاً مخلصاً ومتحمّساً في نصرة الإسلام ونصرة الإمام علي عليه السلام وصاحبَ رايةِ عليٍّ في بعض حروبه، وهو من ثقات التابعين.

كان من جملة أُمراء أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل، حيث كان على رجّالة عبد القيس[3].

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي ٥: ٥٢٩.

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٤: ٣٩٤، ويكنّى أيضاً أبا محمد. وقال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار: ١٥٧ / الترجمة ٧٢٥ أبو ساسان لقب وكنيته أبو محمد.

(٣) تهذيب الكمال، للمزي ٦: ٥٥٨ / الترجمة ١٣٨٢.

وعندما قامت حرب صفين جاء الحضين إلى الإمام علي عليه السلام وطلب منه حمل راية ربيعة؛ حيث تزاحم على حملها عدّةُ أشخاص من فرسان هذه القبيلة الموالية للإمام علي عليه السلام والّتي أنجبت عدداً من الفرسان الأبطال الذين نصروا الإسلام.

ولمّا رأى الإمامُ عزيمةَ الحضين وتصميمه على حمل الراية وافق على طلبه وسلّمها له، وما إن حملها الحضين حتّى انطلق نحو جيش معاوية بن أبي سفيان وانقضّ على الأعداء انقضاض الصَّقر.

عندما لاحظ الإمام عليه السلام شدّة عزيمته وشجاعته واشتياقه للتضحية، وإبداعه في الاقتحام بالراية في مواجهة جيش الأعداء، أنشأ هذه الأبيات:

لِمَنْ رايةٌ حَمْراءُ يَخْفِقُ ظِلُّها ... إذا قِيلَ قَدِّمْها حُضَيْنٌ تَقَدَّما
ويَدْنُو بها في الصَّفِّ حَتَّى يُزِيرَها ... حِياضَ المَنايا تَقْطُرُ المَوْتَ والدِّما
تَراهُ إذا ما كانَ يَوْمُ عَظِيمَةٍ ... أَبَى فِيه إلَّا عِزَّةً وتَكَرُّما
جَزَى اللهُ قَوْماً صابَرُوا في لِقائِهِمْ ... لَدَى البَأْسِ خَيْراً ما أَعَفَّ وأَكْرَما
وأَحْزَمَ صَبْراً يَوْمَ يُدْعَى إلى الوَغَى ... إذا كانَ أَصْواتُ الرِّجالِ تَغَمْغَما
رَبِيعَةَ أَعْني أَهْلَ نَجْدَةٍ ... وبَأْسٍ إذا لاقَوا خَميساً عَرَمْرَما[1]

وقال له: «سِرْ على اسم الله يا حُضَيْنُ، واعْلَمْ أَنَّهُ لا تَخْفِقُ عَلَى رَأْسِكَ رايةٌ مِثْلُها أَبداً، إنَّها رايةُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٨٩، الفتوح، لابن أعثم ٣: ٢٨، تاريخ الطبري ٤: ٢٦، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٠٠.

فحمل الحضين على القوم وأوقع فيهم أفدح الخسائر.

وكان الحضين بن المنذر على بَكْرِ البصرة في صفين[١].

أما في معركة النهروان ـ التي خاضها الإمام عليه السلام ضد الخوارج ـ فقد كان فيها للحضين دورٌ كبيرٌ، فكان من أوائل المقاتلين الذين هجموا على الأعداء ولقّنوهم دروساً بليغة وأوقع فيهم العديد من القتلى والجرحى، وظل يصول ويجول إلى أن انتهت الحرب. بعدها عاد مع الإمام عليه السلام وهو فخور بما قام به من جهد بطولي وجهاد بين يدي الإمام عليه السلام[٢].

وظل ملازماً للإمام علي عليه السلام لا يفارقه أبداً، فأخذ منه الكثير، وقضى حياته في العبادة والزهد مقتدياً بسيرة إمامه علي بن أبي طالب عليه السلام. ثمّ إن الإمام عليه السلام بعد معركة صفين استعمله على اصطخر فارس.

وبعد استشهاد الإمام عليه السلام صحب ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، وظلّ قلبه ينبض بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، وذهب للجهاد إلى خراسان، إلى أن توفّي فيها سنة (٩٧) للهجرة[٣] رضوان الله عليه.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٦، وعنه في تهذيب الكمال، للمزي ٦: ٥٥٧ / الترجمة ١٣٨٢.

(٢) المجالس السنية، للسيّد محسن الأمين ٣: ٢٦٩، حياة الإمام علي عليه السلام، لباقر القرشي: ٤٧، الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ١٠٥، كتاب صفين، لنصر بن مزاحم: ٢١٠.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٧: ٣٤٢، تهذيب الكمال، للمزي ٦: ٥٦٠ / آخر الترجمة ١٣٨٢.

ثالث ولاته (عامله) على فارس :
أبو مغلس مصقلة بن هبيرة الشيباني
وهو واليه على منطقة أردشير خُرَّه من بلاد فارس

استعمله أمير المؤمنين عليه السلام على أردشير خُرَّه وهي من أَجَلِّ مدن فارس، وهي اسم مركَّب معناها بهاء أردشير، وأردشير ملك من ملوك فارس[1]، وتولّاها مصقلة من قِبَل عبد الله بن عباس؛ لأن فارس وكرمان وأهواز كانت تابعة للبصرة التي كان عليها عبد الله بن العباس.

وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام أنّه يفرّق ويهب أموال أردشير خرّه وكأنها ملك له، فكتب له عليه السلام :

« أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ أَكْبَرْتُ أَنْ أُصَدِّقَهُ، أَنَّكَ تُقَسِّمُ فَيْءَ المُسْلِمِينَ في قَوْمِكَ ومَنِ اعْتَرَاكَ من السَّأَلَةِ وَالأَحْزابِ وَأَهْلِ الكِذْبِ مِنَ الشُّعَراءِ كما تُقَسِّمُ الجَوْزَ، فَوالَّذي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرأَ النَّسَمَةَ، لَأُفَتِّشَنَّ عَنْ ذلِكَ تَفْتِيشاً شافِياً، فَإِنْ وَجَدْتُهُ حَقّاً لَتَجِدَنَّ بِنَفْسِكَ عَلَيَّ هَواناً، فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ».

فكتب مصقلة إليه : أمَّا بعدُ، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، فليسأَلُ إن كان حقاً فليعجِّل عزلي بعد نَكالي، فكُلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ،

---

(١) معجم البلدان، لياقوت الحموي ١ : ١٤٦.

وَعَلَيَّ أَيّامُ ربيعة ومضر إن كنتُ رَزَأْتُ من عَمَلي دِيناراً، ولا دِرْهَماً، ولا غيرهما، منذ وليته إلى أن وَرَدَ عَلَيَّ كتابُ أَميرِ المؤمنين، ولْتَعْلَمَنَّ أَنَّ العَزْلَ أَهْوَنُ عليَّ من التُّهَمَةِ.

فلما قرأ كتابه قال: ما أَظُنُّ أبا الفضل إلّا صادقاً[1].

ذكرنا فيما سبق أنّ الخِرّيت بن راشد الناجي خرج على أمير المؤمنين عليه السلام بعد انقضاء صفين، وأنّه سار إليه معقل بن قيس إلى سيف البحر إلى أن قُتل الخريت بن راشد مع من كان معه من قومه من بني ناجية وهم مائة وسبعون، وانهزم الباقون، فسبى معقل من أدرك من الرجال والنساء، ثمّ نظر فيهم؛ فمن كان مسلماً خلّاه وأخذ بيعته، ومن كان ارتد عن الإسلام عرض عليه الرجوع إلى الإسلام وإلّا قُتِلَ، فأسلموا إلّا مجموعةً من النصارى سَباهم وأَسَرَهُمْ[2].

مصقلة وأسرى نصارى ناجية:

ثمّ إن معقل بن قيس أقبل بالأسارى حتّى مرّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامل لعليٍّ عليه السلام على أردشير خرّة من كور فارس وهم خمسمائة إنسان، فبكى إليه النساء والصبيان، وتصايح الرجال: يا أبا الفضل ـ وكانت كنيته ـ يا حامِلَ الثَقَل[3]، يا مُؤْوِي الضَّعيف، وفكَّاك العصاة، امنن علينا فاشترنا وأَعْتِقْنا.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣: ١٢٨ ـ ١٤٣.

(٣) الثقل: متاع الإنسان وحشمه.

فقال مصقلة : أقسم بالله لأتصدقنّ عليهم ، إنّ الله يجزي المتصدقين . فبلغ قوله معقل بن قيس ، فقال : والله لو أعلمه قالها توجّعاً لهم وإزراءً عليَّ لضربتُ عنقه ، وإن كان في ذلك فناء بني تميم وبكر بن وائل .

ثمّ إنّ مصقلة بعث ذُهْلَ بنَ الحارِثِ الذُّهْلي إلى معقل ، فقال : بعني نصارى ناجية ، فقال : أبيعكهم بألف ألف درهم ـ يعني مليون ـ فأبى عليه ، فلم يزل يراوده حتّى باعه إيّاهم بخمسمائة ألف درهم ، ودفعهم إليه ، وقال : عَجِّلْ بالمال إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال مصقلة : أنا باعث الآن بصدرٍ منه ، ثُمَّ أُتْبِعُكَ بصدرٍ آخر ، ثمّ كذلك حتّى لا يبقى منه شيء . وأقبل معقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخبره بما كان من الأمر ، فقال له : «**أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ ووُفِّقْتَ**» .

وانتظر الإمام عليٌّ عليه السلام مصقلةَ أن يبعث بالمال ، فأبطأ به . وبلغ علياً عليه السلام أنّ مصقلة خلّى الأسارى ولم يسألهم أن يُعينوه في فَكاكِ أنفسهم بشيء ، فقال : «**ما أَرَى مَصْقَلَةَ إِلَّا قَدْ حَمَلَ حَمالَةً ، وَلا أَراكُمْ إِلَّا سَتَرَوْنَهُ عَنْ قَرِيبٍ مُبَلْدَحاً**[1]» ، ثمّ كتب إليه : «**أَمّا بَعْدُ ، فإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الخِيانَةِ خِيانَةَ**[2] **الأُمَّةِ ، وَأَعْظَمَ الغَشِّ عَلَى أَهْلِ المِصْرِ غَشُّ الإِمامِ ، وعِنْدَكَ مِنْ حَقِّ المُسْلِمِينَ خَمْسمائةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فابْعَثْ بِها إِلَيَّ حِينَ يَأْتيكَ رَسُولي ؛ وإِلَّا فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتابي ؛ فإِنِّي قَدْ تَقَدَّمْتُ**

---

(١) المبلدح : الملقى على الأرض من الضرب .

(٢) كلمة « خيانة » ساقطة من ا ، ب ؛ ثابتة في ج والطبري .

إلى رَسُولي أَلَّا يَدَعَكَ ساعةً واحِدَةً تُقِيمُ بَعْدَ قُـدُومِهِ عَـلَيْكَ ؛ إِلَّا أَنْ تَبْعَثَ بِالمالِ ، والسَّلامِ » .

وكان الرسول أبو جرة الحنفي ، فقال له أبو جرّة : إن تبعث بهذا المال وإلّا فاشخص معي إلى أمير المؤمنين . فلمَّا قرأ كتابه أقبل حـتّى نـزل البصرة ، وكان العمّال يحملون المال من كور البصرة إلى ابـن عـباس ؛ فيكون ابن عباس هو الذي يبعث به إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ثمّ أقبل من البصرة حتّى أتى علياً عليه السلام بالكوفة ، فأقرّه أيّاماً لم يذكر له شيئاً ، ثمّ سأله المالَ ، فأدّى إليه مائتي ألف درهم ، وعَجَزَ عن الباقي[1] .

قال ابن أبي الحديد : فروى ابن أبي سيف ، عن أبي الصـلت ، عـن ذهل بن الحارث ، قال : دعاني مصقلة إلى رحله ، فقدّم عشاءً فـطعمنا منه ، ثمّ قال : والله إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يسألني هذا المال ، ووالله ما أقدر عليه ، فقلت له : لو شئتَ لم يَمْضِ عليك جُمعةٌ حتّى تجمعَ هذا المال ، فقال : ما كنتُ لأحمّلها قومي ، ولا أطلبُ فيها إلى أحد .

ثمّ قال : والله لو أنَّ ابنَ هندٍ مُطالبي بها ، أو ابنَ عفان ، لَتَرَكها لي ؛ ألم تَرَ إلى عثمان كيف أعطى الأشعث مائة ألف درهم من خراج أذربيجان في كل سنة ! فقلت : إنّ هذا لا يرى ذلك الرأي ، وما هو بتاركٍ لكَ شيئاً . فسكت ساعة ، وسَكَتُّ عنه ؛ فما مكث ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتّى لحق بمعاوية .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ٣ : ١٤٤ ـ ١٤٥ .

فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال : « **ما لَهُ تَرَّحَهُ اللهُ ! فَعَلَ فِعْلَ السَّيِّدِ ، وفَرَّ فِرارَ العَبْدِ ، وخَانَ خِيانَةَ الفاجِرِ ؛ أَمَّا إِنَّهُ لَوْ أَقامَ فَعَجَزَ ما زِدْنا على حَبْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدْنا لَهُ شَيْئاً أَخَذْناهُ ، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ لَهُ مالاً تَرَكْناهُ** » . ثمّ سار عليّ عليه السلام إلى داره فهدمها .

وكان أخوه نعيم بن هبيرة الشيباني شيعة لعلي عليه السلام ، مناصحاً ، فكتبَ إليه مصقلةُ من الشَّام مع رجل من نصارى تَغلب ، يقال له حلوان :

أمّا بعد ، فإنّي كلَّمْتُ معاوية فيك ، فوَعَدَكَ الكرامةَ ، ومنَّاكَ الإمارةَ ، فأَقْبِلْ ساعةَ تَلْقَى رَسُولي ، والسلام .

فأخذه مالك بن كعب الأرحبي فَسَرَّحَ به إلى عليٍّ عليه السلام ، فأخذ كتابه فقرأه ، ثُمَّ قَدَّمه فقطع يده ، فمات . وكتب نعيم إلى أخيه مصقلة شعراً لم يردّه عليه :

لا تَرْمِيَنَّ هَداكَ اللهُ مُعْتَرِضا ... بالظَّنِّ مِنْكَ فَما بالي وحُلْوانا
ذاكَ الحَرِيصُ على ما نالَ مِن طَمَعٍ ... وَهْوَ البَعِيدُ فَلا يُورِثْكَ أَحْزانا
ماذا أَرَدْتَ إلى إرسالِهِ سَفَهاً ... تَرجُوُ سِقاطَ امْرِئٍ لَمْ يُلْفَ وَسْنَانا
عَرَّضْتَهُ لِعَلِيٍّ إنَّهُ أَسَدٌ ... يَمْشِي العِرَضْنَةَ مِن آسادِ خَفَّانا[1]
قَدْ كُنْتَ في خَيْرِ مُصْطافٍ ومُرْتَبَعٍ ... تَحْمِي العِراقَ وتُدْعَى خَيْرَ شَيْبانا
حتَّى تَقَحَّمْتَ أَمراً كُنْتَ تَكْرَهُهُ ... للرَّاكِبِينَ لَهُ سِرّاً وإِعْلانا
لو كُنْتَ أَدَّيْتَ مالَ اللهِ مُصْطَبِراً ... للحَقِّ زَكَّيْتَ أَحْيانا ومَوْتانا

---

(١) العِرَضْنَة : القوّة في المشي من النشاط . وخَفَّان : مأسدة قرب الكوفة .

لٰكِنْ لَحِقْتَ بأَهْلِ الشَّامِ مُلْتَمِساً ... فَضْلَ ابنِ هِنْدٍ فَذاكَ الرَّأْيُ أَشْجانا
فالَيْومَ تَقْرَعُ سِنَّ العَجْزِ مِنْ نَدَمٍ ... ماذا تَقُولُ وقَدْ كانَ الَّذي كانا!
أَصْبَحْتَ تُبْغِضُكَ الأَحياءُ قاطِبَةً ... لَمْ يَرْفَعِ اللهُ بالعِصْيانِ إِنْسانا

فلما بلغ الكتاب إليه علم أنّ النصرانيَّ قد هلك، ولم يلبث التغلبيّون إلّا قليلاً حتى بلغهم هلاكُ صاحبهم، فأتوا مصقلة، فقالوا: أنت أهلكتَ صاحبنا؛ فإما أن تَجِيئنا به، وإما أن تَدِيَهُ؛ فقال: أمّا أن أجيء به، فلست أستطيع ذلك؛ وأمّا أن أدِيَه فنَعم، فوَداه.

قال إبراهيم: وحدّثني ابن أبي سيف، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: قيل لعلي عليه السلام حين هرب مَصقلة: اردد الّذين سُبوا ولم تَسْتَوْفِ أثمانهم في الرّقِّ، فقال: ليس ذلك في القضاء بحقٍّ؛ قد عُتِقُوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم، وصار مالي دَيْناً على الذي اشتراهم[1].

فساد أخلاق مصقلة وانحرافه:

قال أبو الفرج: كان مصقلة بن هبيرة الشيباني قد لاحى المغيرة بن شعبة في شيء كان بينهما منازعةً، فضرع له المغيرة وتواضع في كلامه، حتّى طمع فيه مصقلة فاستعلى عليه وشتمه وقال: إنِّي لَأَعْرِفُ شَبهي في عروة ابنك، فأَشْهَدَ المغيرةُ على قوله هذا شُهُوداً، ثمّ قدّمه إلى شريح القاضي، فأقام عليه البيّنة، فضربه شُرَيْحٌ الحدَّ، وآلى مصقلة أن لا يقيم ببلدة فيها المغيرة، فلم يدخل الكوفة، حتّى مات المغيرة[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ١٤٥ ـ ١٤٧.
(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ١٢٤.

وهذا يدل على فساد أخلاقه علاوة على فساد دينه، وهو الذي شهد على حجر بن عدي لابن زياد لمَّا أراد أن يرسل حجر بن عديّ إلى الشام لمعاوية؛ حيث شهد مع مجموعة من أهل الكوفة على خروج حجر بن عدي عن طاعة الخليفة، وأنّه يلعن معاوية ويفرّق المسلمين عليه[1]. وهذا كُلّه إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على سوء أخلاقه ودينه وانحرافه عن الحق وعن أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد اختلف في وفاته، فقيل: في أيام معاوية، وقال الطبري: إنّه قُتل في سنة (٩٨) في معركة طبرستان[2].

رابع ولاته عليه السلام على فارس
زياد بن أبيه

● سهل بن حنيف الأنصاري

لقد ولّى أميرُ المؤمنين عليه السلام سَهْلاً على فارس وذلك في سنة (٣٧هـ)، فأخرجه أهل فارس، فوجَّه زياداً فأرضوه وصالحوه وأدَّوا الخراج[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٩٦.

(٣) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢ : ٦٦٣ / الترجمة ١٠٨٤، أسد الغابة، لابن الأثير ٢ : ٣٦٥، تاريخ خليفة بن خياط : ١٤٤ في حوادث سنة (٣٧هـ)، الثقات، لابن حبان ٢ : ٢٩٤.

فمن هو زياد :

هو زياد بن أبيه، ويقال له زياد بن سمية، وزياد بن عبيد الثقفي قبل الاستلحاق بأبي سفيان، لم يَرَ النبي ﷺ، وأسلم في عهد أبي بكر، وهو قائد عسكري في عهد الخلفاء وسياسي أموي، ارتبط اسمه بمعاوية بن أبي سفيان واستلحقه به وساهم في تثبيت الدولة الأموية، وكان أحد دهاة العرب، وهو أشهر سفّاكي الدماء البريئة، ومن أبرز الطغاة الملاعين، تتّبع شيعة أمير المؤمنين تحت كلّ حجر ومدر وقتلهم وشرّدهم.

ولد في السنة الأُولى من الهجرة في الطائف، وقيل : عام الهجرة. أُمه سُمَيّة كانت جارية عند الحارث بن كلدة الثقفي الطبيب الشهير.

كان مع أمير المؤمنين عليه السلام في جميع مشاهده، ومع الإمام الحسن عليه السلام إلى زمان صلحه مع معاوية، ولحق بعد ذلك بمعاوية وصار يُنَكِّل بالشيعة. هلك بالكوفة في شهر رمضان سنة (٥٣) وهو ابن ست وخمسين[1].

عمل كاتباً لأبي موسى الأشعري، ونبغ في عهد عمر بن الخطاب. وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام تولّى زياد عَمَل فارس وكرمان والبصرة، فلمّا أراد معاوية أن يستميله إليه ليستعين به على مناوئيه ويمنعه من معاونة الحسن بن علي، أبى زياد، فلَجأَ معاويةُ إلى الحيلة وذكر ما كان من أمر أبيه يوماً ومقالته في زياد، فأرسل إليه أنه سيقرّ بنسبته إلى أبيه ويصبح اسمه زياد بن أبي سفيان، فوافق زياد، وقدم على معاوية الذي ولّاه البصرة والكوفة، وكان ذلك سنة (٤٤ هـ).

---

(١) تنقيح المقال، للمامقاني ٢٨ : ٣٥٤.

ولم يعجب هذا الاستلحاق السياسي المسلمين فتمسّكوا بتسميته «زياد بن أبيه»، وهاجموا معاوية بالشعر، ومن أشهرها شعر يزيد بن المفرّغ الحميري :

أَلا أَبْلِغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً عَنِ الرَّجُلِ اليَمانِي

أَتَغْضَبُ أَن يُقالَ : أَبُوكَ عَفٌّ ! ... وتَرْضَى أَن يُقالَ : أَبُوك زانِ ؟

فأَشْهَدُ أَنَّ رَحْمَكَ مِنْ زِيادٍ ... كرَحْمِ الفِيلِ مِنْ وَلَدِ الأَتانِ

وفي السنة الخامسة والأربعين ولّاه معاوية البصرة وخراسان وسجستان، فقدم البصرة آخر شهر ربيع الأول سنة (٤٥)، فخطبهم خطبته الشهيرة بالبتراء، وإنّما سمّيت بذلك لأنه لم يحمد الله فيها ولم يُصَلِّ على النبيّ وآله، وراح يُرعد ويُزْبد ويهدّد قائلاً :

أمّا بعد، فإنّ الجهالة الجهلاء، والضّلالة العمياء، والغيّ الموقد لأهله النار، الباقي عليهم سعيرها، ما يأتي سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأُمور التي يَشبُّ فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير... وإني أُقسم بالله لآخذنَّ الوليَّ بالمولى، والمقيم بالظَّاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح بالسقيم، حتّى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : «أُنْجُ سعدٌ فقد هلك سَعِيد»، أو تستقيمَ قناتكم، وإيّايَ ودلج اللَّيل، فإنّي لا أُوتَى بمُدْلِجٍ إلّا سفكت دمه، وإيّاي ودعوى الجاهلية فإنّي لا أجد داعياً بها إلّا قطعت لسانه، ولقد احدثتم أحداثاً لم تكن، ولقد أحدثنا لكلِّ ذنب عقوبة، فمن غرّق قوماً غرّقناه ومن أحرق قوماً

أحرقناه، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قبله، ومن نبش قبراً دفنّاه فيه حيّاً، وأيم الله إنّ لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كُلُّ منكم إن يكون من صَرْعاي[1].

ولايته على فارس :

في سنة (٣٩) استعمل أمير المؤمنين عليه السلام زياد بن أبيه على كرمان وفارس وشيراز ونواحيها، بعد ما كان على البصرة حيث استخلفه عبد الله بن عباس، وقدم على أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة يعزّيه عن محمد بن أبي بكر، وفي تلك الفترة أرسل معاويةُ عبَد الله بن الحضرمي إلى البصرة طالباً بدم عثمان بن عفان، واجتمع عنده الناس منهم بنو تميم، ففزع زياد لذلك وهو في قصر الإمارة، وكتب لأمير المؤمنين عليه السلام فأرسل إليه الإمام أَعْيَنَ بنَ ضُبيعة المجاشعي لقتال ابن الحضرمي، ثمّ أرسل إليه الإمامُ جاريةَ بنَ قُدامة في خمسين رجلاً، إلى أن اقتتلوا ساعة مع ابن الحضرمي فانهزم أصحاب ابن الحضرمي وحصره، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً، ثمّ كتب ابن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

أمّا بعد، فإنّ جارية بن قدامة العبد الصالح قَدِم من عندك فناهَضَ جمعَ ابن الحضرمي بمن نصره وأعانه من الأزد، ففضّه واضطره إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه، فلم يخرج حتّى حَكَمَ الله

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤ : ١٦٥ ـ ١٦٧، والكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٤٤٧ ـ ٤٥٠، والفتوح، لابن أعثم ٤ : ٣٠٢ ـ ٣٠٤، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦ : ٢٠٠ ـ ٢٠٣.

تعالى بينهما، فقتل ابن الحضرمي وأصحابه، ومنهم من أُحْرِقَ بالنار، ومنهم من أُلقي عليه جدار، ومنهم من هُدِمَ عليه البيت من أعلاه، ومنهم من قتل بالسيف، وسلم منهم نفر أنابوا وتابوا، فصفح عنهم، وبعداً لمن عصى وغوى! والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فلمّا وصل كتاب زياد قرأه الإمام عليٌّ عليه السلام على الناس، وأثنى على جاريةَ وعلى الأزد، وذمَّ البصرة فقال: «إنّها أوّل القرى خَراباً، أمّا غَرْقاً وأمّا حَرْقاً حتّى يَبْقَى مسجدُها كجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ» ثمّ قال لحامل الرسالة وهو ظبيان بن عمارة: أين منزلك منها؟ فقال: مكان كذا، فقال: عليك بضواحيها[1].

فلمّا قُتِل ابن الحضرمي طمع أهل فارس وكرمان في كَسْر الخراج وأخرجوا عاملهم سهل بن حنيف، فاستشارَ أميرُ المؤمنين عليه السلام الناسَ، فأشار جاريةُ بنُ قُدامة بتولية زياد وقال: إنّه صلب الرأي عالم بالسياسة كافٍ لما وَلِيَ، فأمر أميرُ المؤمنين عليه السلام ابنَ عباسٍ أن يولّيها زياداً، فسيّره إليها في جمع كثير، وقيل: إنّ ابن عبّاس أشار بولايته، فلم يزل يبعث إلى رؤوسهم يَعِدُ مَنْ ينصره ويُعِينه، ويخوّف من امتنع عليه، وضرَبَ بعضهم ببعض حتّى صَفَتْ له فارس ولم يَلْقَ منهم حرباً.

ثمّ أدرك زياداً سوءُ العاقبة، فاستلحقهُ معاوية في خلافة الحسن عليه السلام بشهادة أبي مريم الخمّار أنّ أبا سفيان زنى بأُمّه سميّة وهي تحت عُبَيْد،

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ٤١ ـ ٥٣.

فكان ابن زياد أَضَرَّ على شيعة عليٍّ عليه السلام وأبنائه من فرعون على بني إسرائيل[١].

استلحاقه بأبي سفيان :

من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه يُريد خديعته باستلحاقه :

« وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ، يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ لا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ.

فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ الْكِتَابَ قَالَ : شَهِدَ بِهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ ».

* * *

قال الرضيّ رحمه الله تعالى :

قوله عليه السلام : « الواغل »، هو الذي يهجُمُ على الشَّرْب ليشربَ معهم وليس منهم، فلا يزال مُدَفَّعاً مُحاجَزاً. والنَّوطُ المُذَبْذَب : هو ما يُناط برحل الراكب من قَعْبٍ أو قَدَح، أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ١ : ٥٢٩.

حُثَّ ظهره، واستُعْجِلَ سيره[١].

قال ابن أبي الحديد : وروى أبو عمر بن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس : أنّ عمر بعث زياداً في إصلاح فسادٍ واقع باليمن، فلمّا رجع من وجهه خطب عند عمر خطبةً لم يُسمع مثلها ـ وأبو سفيان حاضر وعليّ عليه السلام وعمرو بن العاص ـ فقال عمرو بن العاص : للهِ أبو هذا الغلام! لو كان قرشيّاً لساقَ العربَ بعصاه، فقال أبو سفيان : إنّه لقرشيّ، وإنّي لَأَعْرِفُ الّذي وضعه في رحم أُمّه؛ فقال علي عليه السلام : ومن هو؟ قال : أنا؛ فقال : مهلاً يا أبا سفيان، فقال أبو سفيان :

أَما واللهِ لولا خَوْفُ شَخْصٍ ... يَراني يا عَلِيُّ من الأَعادي
لأَظْهَرَ أمرَهُ صَخْرُ بنُ حربٍ ... ولم يُخْفِ المقالةَ في زِيادِ
وقد طالَتْ مُجامَلَتي ثَقِيفاً ... وتَرْكي فِيهِمُ ثَمَرَ الفُؤادِ

عنى بقوله : «لولا خوف شخص» : عمر بن الخطاب[٢].

وروى محمد بن عمر الواقدي، قال، قال : أبو سفيان وهو جالس عند عُمر وعليٌّ هناك، وقد تكلّم زياد فأحسن : أبتِ المناقب إلّا أن تظهر في شمائل زياد؛ فقال علي عليه السلام : من أيّ بني عبد مناف هو؟ قال : اِبني، قال : كيف؟ قال : أتيت أُمّه في الجاهلية سِفاحاً! ... قال :

---

(١) نهج البلاغة ٣ : ٦٩ / الكتاب ٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦ : ١٨٠، عن الاستيعاب، لابنعبد البر ٢ : ٥٢٥ / الترجمة ٨٢٥.

فعرف زياد ما دار بينهما، فكانت في نفسه[١].

وروى علي بن محمد المدائني، قال: لما كان زمن عليٍّ عليه السلام ولّى زياداً فارسَ أو بعض أعمال فارس، فضبطها ضبطاً صالحاً، وجبى خراجها وحماها، وعرف ذلك معاوية، فكتب إليه: أما بعد، فإنّه غرّتك قلاع تأوي إليها ليلاً، كما تأوي الطيرُ إلى وكرها، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك منّي ما قاله العبد الصالح: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٢]. وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تَنْسَى أباكَ وقد شالَتْ نَعامَتُهُ إذ يَخْطُبُ النّاسَ والوالي لَهُمْ عُمَرُ

فلمّا ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس، وقال: العَجبُ من ابن آكلة الأكباد، ورأس النفاق! يهدّدني وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج سيّدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب الولاية والمنزلة والإخاء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم باحسان! أما والله لو تخطّى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدني أَحْمَرَ مِخَشّاً[٣] ضرّاباً بالسيف، ثمّ كتب إلى عليّ عليه السلام، وبعث بكتاب معاوية في كتابه.

فكتب إليه علي عليه السلام، وبعث بكتابه:

«أَمَّا بَعْدُ، فإنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ ما وَلَّيْتُكَ وأَنا أَراكَ لِذلكَ أَهْلاً، وإنَّهُ قَدْ

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي آلحديد ١٦: ١٨١.

(٢) سورة النمل: ٣٧.

(٣) المخش: الماضي الجريء.

كانَتْ مِنْ أَبي سُفْيانَ فَلْتَةٌ في أَيَّامِ عُمَرَ مِنْ أَمانِيَّ التِّيهِ وكِذْبِ النَّفْسِ، لَمْ تَسْتَوجِب بها مِيراثاً، ولَمْ تَسْتَحِقّ بِها نَسباً، وإنَّ مُعاوِيَةَ كالشَّيطانِ الرَّجِيمِ، يأْتِي المَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ، فاحْذَرْهُ ثُمَّ احْذَرْهُ، ثُمَّ احْذَرْهُ؛ والسّلام»[1].

كتاب معاوية إلى زياد بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام :

روى أبو جعفر محمد بن حبيب، قال : كان عليٌّ عليه السلام قد ولّى زياداً قطعةً من أعمال فارس، واصطنعه لنفسه، فلمّا قُتِلَ عليٌّ عليه السلام بقي زياد في عمله، وخاف معاوية جانبه، وعلم صعوبة ناحيته، وأشفق من مُمالأته الحسنَ بن علي عليه السلام، فكتب إليه :

من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد، أمّا بعد، فإنّك عبد قد كفرتَ النّعمة، واستدعيت النّقمة، ولقد كان الشكرُ أولى بك من الكفر، وإنّ الشجرة لتضرب بعِرْقها، وتتفرّع من أصلها، إنّك ـ لا أُمّ لك بل لا أب لك ـ قد هلكتَ وأهلكتَ، وظننتَ أنّك تخرج من قبضتي، ولا ينالك سلطاني، هيهات! ما كلُّ ذي لُبٍّ يصيب رأيُهُ، ولا كلُّ ذي رأي ينصح في مشورته. أمسِ عبدٌ واليومَ أميرٌ! خطّة ما ارتقاها مثلك يابن سميّة، وإذا أتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة، وأسرع الإجابة، فإنّك إن تفعل فدَمَكَ حقنتَ، ونفسَكَ تداركْتَ، وإلّا اختطفتُكَ بأضعفِ ريشٍ[2]، ونلتُكَ بأهونِ سعي. وأُقسمُ

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦ : ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) بأضعف ريش؛ يريد بأضعف قوة؛ وكانوا يلزقون الريش على السهم ليقووه.

قسماً مبروراً أَنْ لا أُوتَى بك إلّا في زمَّارةٍ[١]، تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام حتَّى أُقيمَكَ في السُّوق، وأبيعَكَ عبداً، وأرُدَّكَ إلى حيث كنتَ فيه وخرجتَ منهُ، والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على زياد غضب غضباً شديداً، وجمع الناس وصعد المنبر. فحمد الله ثمّ قال: إنَّ ابن آكلةِ الأكباد وقاتلَةِ أسدَ الله، ومُظْهِرَ الخلاف، ومُسِرَّ النِّفاق، ورئيسَ الأحزاب، ومَنْ أنفق ماله في إطفاء نور الله، كتب إليّ يُرعِدُ ويُبْرِقُ عن سحابةٍ جُفْلٍ لا ماء فيها، وعمّا قليل تُصيِّرها الرِّياح قَزَعاً، والذي يدلُّني على ضعفه تهدُّدُه قبل القدرة؛ أفمن إشفاقٍ عَلَيَّ تُنْذِر وتُعْذِرُ! كلّا، ولكنْ ذهبَ إلى غير مذهبٍ، وقَعْقَعَ لِمَنْ رُبِّي بين صواعق تِهامة. كيف أَرْهَبُهُ وبيني وبينه ابنُ بنت رسول الله ﷺ وابنُ ابنِ عمّه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار، والله لو أذن لي فيه، أو ندبني إليه، لأريته الكواكِبَ نهاراً؛ ولأَسْعَطْتُهُ ماءَ الخَرْدَل. دونَهُ الكلامُ اليومَ، والجمعُ غداً، والمشورةُ بعد ذلك إن شاء الله. ثمّ نزل[٢].

جواب زياد إلى معاوية:

بعد هذه الخطبة كتب زياد إلى معاوية:

أمّا بعد، فقد وصل إليّ كتابُكَ يا معاوية، وفهمتُ ما فيه، فوجدتُك كالغريق يغطّيه المَوْجُ فيتشبّثُ بالطُّحْلُب، ويتعلّق بأرجل الضفادع،

---

(١) أي في جماعة زمارة تزمر حولك بالمزامير لتشهيرك والتشنيع عليك.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٨٢ ـ ١٨٣.

طمعاً في الحياة. إنّما يكفر النعم، ويستدعي النقم مَنْ حادَّ الله ورسوله، وسعى في الأرض فساداً. فأمّا سبُّكَ لي فلولا حِلْمٌ ينهاني عنك، وخوفي أن أُدعَى سفيهاً، لأَثَرْتُ لك مخازيَ لا يغسلها الماء. وأمّا تعييرك لي بسميّة، فإن كنتُ ابن سميّة فأنت ابنُ جماعةٍ. وأمّا زعمك أنّك تختطفني بأضعف ريش، وتتناولي بأهون سَعْي، فهل رأيت بازياً يُفْزِعُهُ صغير القنابر؟! أم هل سمعت بذئب أكله خروف؟! فامضِ الآن لِطِيَّتِكِ، واجتَهِدْ جَهدك، فلستُ أنزل إلّا بحيث تكرهُ، ولا أجتهد إلّا فيما يسوءُك، وستعلم أيّنا الخاضع لصاحبه، الطالع إليه. والسلام[1].

كتاب آخر من معاوية لزياد :

فلمّا ورد كتاب زياد على معاوية غمّه وأحزنه، وبعث إلى المغيرة بن شعبة، فخلا به وقال : يا مغيرة، إنّي أريد مشاورتك في أمر أهمّني، فانصحني فيه، وَأَشِر عَلَيَّ برأي المجتهد، وكُنْ لي أَكُنْ لك، فقد خصصتك بسرّي، وآثرتُكَ على ولدي، قال المغيرة : فما ذاك؟ والله لتجدنّي في طاعتك أمضى من الماء إلى الحُدُورِ، ومن ذي الرَّونق في كفّ البطل الشجاع. قال : يا مغيرة، إنّ زياداً قد أقام بفارس يَكُشُّ لنا كَشِيشَ الأفاعي، وهو رجل ثاقبُ الرأي، ماضي العزيمة، جوّالُ الفكر، مصيبٌ إذا رمى؛ وقد خِفْتُ منه الآن ما كُنْتُ آمَنُهُ إذ كان صاحبه حيّاً، وأخشى ممالأته حَسَناً، فكيف السبيل إليه، وما الحيلة في إصلاح

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ١٨٣ ـ ١٨٤.

رأيه؟ قال المغيرة: أنا له إن لم أَمُتْ، إنّ زياداً رجلٌ يُحِبُّ الشرف والذِّكر وصعود المنابر، فلو لاطَفْتَهُ المسألة، وأَلَنْتَ له الكتاب، لكان لك أَمْيَلَ، وبك أَوْثَقَ، فاكتب إليه وأنا الرسول.

فكتب معاوية إليه:

من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان، أمّا بعد، فإنّ المرءَ رُبَّما طرحه الهوى في مطارح العَطَبِ، وإنَّك لَلْمَرْءُ المضروبُ به المثل، قاطعُ الرِّحِم، وواصِلُ العَدُوِّ. وحَمَلَكَ سُوءُ ظنّك بي، وبُغْضُكَ لي، على أن عَقَقْتَ قرابتي، وقطعتَ رحمي، وبَتَتَّ[1] نَسَبي وحرمتي؛ حتَّى كأنَّكَ لستَ أَخِي، وليسَ صخرُ بنُ حرب أباك وأبي، وشتَّان ما بيني وبينك، أَطلُبُ بدم ابن أبي العاص[2] وأنت تقاتلني! ولكن أدركَكَ عِرقُ الرَّخاوة من قِبَلِ النِّساء، فكُنْتَ:

كَتارِكَةٍ بَيْضَها بالعَراءِ ومُلْحِفَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَناحا

وقد رأيتُ أن أعطف عليك، ولا أُؤاخذك بسوء سعيك، وأن أصل رحمَكَ، وأبتغي الثواب في أمرك. فاعلم أبا المغيرة، أنّك لو خُضْتَ البحر في طاعة القوم ـ فتضرب بالسَّيف حتّى انقطع مَتْنُهُ ـ لما ازددتَ منهم إلّا بُعْداً؛ فإنّ بني عبد شمس أبغضُ إلى بني هاشم من الشَّفْرة إلى الثَّور الصَّريع وقد أُوثِقَ للذَّبْح؛ فارجع ـ رحمك الله ـ إلى أصلك،

---

(١) بَتَتَّ: قطعت.

(٢) أي عثمان؛ وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُمية.

واتَّصِلْ بقومك، ولا تَكُنْ كالموصول بريش غيره، فقد أصبحتَ ضالَّ النَّسَب. ولَعمري ما فعل بك ذلك إلّا اللِّجاج، فَدَعْهُ عنك، فقد أصبحتَ على بَيِّنَةٍ من أمرِكَ، ووُضُوحٍ من حُجَّتِكِ، فإن أحببتَ جانبي، ووَثِقْتَ بي، فإمْرَةٌ بإمْرَة، وإن كَرِهْتَ جانبي، ولم تَثِقْ بقولي، ففِعْلٌ جميلٌ لا عليَّ ولا لي، والسلام[1].

ابن زياد والمغيرة :

فرحل المغيرة بالكتاب حتّى قدم فارس، فلمّا رآه زياد قرّبه وأدناه ولطف به، فدفع إليه الكتاب، فجعل يتأمّله ويضحك، فلمّا فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه، ثمّ قال : حسبك يا مغيرة! فإنّي أَطَّلعُ على ما في ضميرك، وقد قدمتَ من سفرةٍ بعيدة، فقُمْ وأَرِحْ ركابك. قال : أجل، فدع عنك اللّجاج يرحمك الله، وارجع إلى قومك، وصِلْ أخاك، وانظر لنفسك، ولا تقطع رحمك! قال زياد : إنّي رجلٌ صاحبُ أَناةٍ، ولي في أمري رَوِيَّةٌ، فلا تعجل عليَّ، ولا تبدأني بشيء حتى أبدأك.

ثمّ جمع الناس بعد يومين أو ثلاثة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيها الناس : ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم، فقد نظرتُ في أُمور الناس منذ قتل عثمان، وفكّرت فيهم فوجدتهم كالأضاحي، في كلّ عيدٍ يُذْبَحُون، ولقد أفنى هذان اليومان ـ يوم الجمل وصفّين ـ ما يُنيف على مائة ألف؛ كلّهم يزعم

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ١٨٤ ـ ١٨٥.

أنّه طالبُ حقٍّ، وتابعُ إمامٍ، وعلى بصيرةٍ من أمره، فإن كان الأمر هكذا فالقاتلُ والمقتول في الجنّة، كلّا ليس كذلك، ولكن أشكل الأمر، والتبس على القوم، وإنّي لخائف أن يرجع الأمر كما بدا، فكيف لامرئٍ بسلامة دينه! وقد نظرتُ في أمر الناس فوجدت أحد العاقبتين العافية، وسأعمل في أُموركم ما تحمدون عاقبته ومغبّته، فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله. ثمّ نزل.

وكتب جواب الكتاب:

أمّا بعد، فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه، فالحمد لله الذي عرّفك الحقَّ، وردّك إلى الصِّلة، ولستُ ممّن يجهل معروفاً، ولا يُغْفِلُ حَسَباً، ولو أردتُ أن أُجيبك بما أَوْجَبَتْهُ الحُجَّة، واحتمله الجواب، لطال الكتابُ، وكثر الخطابُ، ولكنّك إن كنتَ كتبتَ كتابَك هذا عن عقدٍ صحيح، ونيّةٍ حسنةٍ، وأردتَ بذلك برّاً، فستزرع في قلبي مودّة وقَبُولا، وإن كنت إنّما أردتَ مكيدة ومكراً وفسادَ نيّةٍ، فإنّ النفس تأبى ما فيه العطب، ولقد قمت يوم قرأتُ كتابك مقاماً يَعْيىٰ به الخطيب المِدْرَهُ[1]، فتركتُ من حَضَرَ، لا أَهْلَ وِرْدٍ ولا صَدَرٍ، كالمتحيِّرين بِمَهْمَهٍ[2] ضلّ بهم الدليل، وأنا على أمثال ذلك قدير، وكتب في أسفل الكتاب:

---

(١) المِدْرَهُ: اللَّسِنُ الذي ينطلق في الكلام.

(٢) المَهْمَهُ: الصحراء.

إذا مَعْشَرِي لم يُنْصِفُوني وَجَدْتُني ... أُدافِعُ عَنِّي الضَّيْمَ ما دُمْتُ باقِياً
وكَمْ مَعْشَرٍ أَعْيَتْ قَناتي عَلَيْهِمُ ... فلامُوا وأَلْفَوْني لَدَى العَزْمِ ماضِيا
وَهَمٍّ به ضاقَتْ صُدُورٌ فَرَجْتُهُ ... وكُنْتُ بِطِبِّي للرِّجال مُداوِيا
أُدافِعُ بالحِلْمِ الجَهُولِ مَكِيدةً ... وأُخْفِي لَهُ تحتَ العِضاه الدَّواهِيا
فإنْ تَدْنُ مِنِّي أُدْنُ مِنْكَ وإنْ تَبِنْ ... تَجِدْني إذا لم تَدْنُ مِنِّيَ نائِيا

فأعطاه معاوية جميع ما سأله، وكتب إليه بخط يده ما وثق به، فدخل إليه الشام، فقرّبه وأدناه، وأقرّه على ولايته، ثم استعمله على العراق[1].

فضيحة الاستلحاق :

روى علي بن محمد المدائني، قال : لمّا أراد معاوية استلحاق زياد وقد قدم عليه الشام، جمع الناس وصعد المنبر، وأصعد زياداً معه فأجلسه بين يديه على المِرْقاة الّتي تحت مِرْقاته، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال : أَيُّها الناس، إنّي قد عرفتُ نسبنا أهلَ البيت في زياد؛ فمن كان عنده شهادة فليقم بها. فقام ناس فشهدوا أنّه ابن أبي سفيان؛ وأنهم سمعوا ما أقرّ به قبل موته.

فقام أبو مريم السَّلُولي ـ وكان خمّاراً في الجاهلية ـ فقال : أشهد يا أمير المؤمنين أنّ أبا سفيان قدم علينا بالطائف، فأتاني فاشتريت له لحماً وخمراً وطعاماً، فلمّا أكل قال : يا أبا مريم، أَصِبْ لي بَغِيّاً[2]،

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦ : ١٨٥ ـ ١٨٦.
(٢) أي امرأة زانية تبغي الزّنا.

فخرجتُ فأتيتُ بسُمَيَّة، فقلت لها: إنّ أبا سفيان ممّن قد عرفتِ شَرَفهُ وجُودَهُ، وقد أمرني أن أُصيب له بغِيّاً، فهل لك فيه؟ فقالت: نعم، يجيء الآن عُبَيْد بغنمه ـ وكان راعياً ـ فإذا تَعَشَّى، ووضع رأسه أتيتُهُ. فرجعتُ إلى أبي سفيان فأعلمته، فلم نلبث أن جاءت تجرّ ذيلها، فدخَلَتْ معه، فلم تزل عنده حتى أصبَحَتْ؛ فقلتُ له لمّا انصرفَتْ: كيف رأيت صاحبتك؟ قال: خير صاحبة، لولا ذَفَرٌ[1] في إبِطَيْها.

فقال زياد من فوق المنبر: يا أبا مريم، لا تَشتم أُمّهات الرجال، فتشتم أُمّك.

فلمّا انقضى كلام معاوية ومناشدته قام زياد، وأنصت الناس؛ فحمد الله وأُثنى عليه ثمّ قال: أيها الناس، إنّ معاويةَ والشُّهود قد قالوا ما سمعتم، ولستُ أدري حَقَّ هذا من باطله! وهو والشُّهودُ أعلم بما قالوا، وإنّما عُبَيْدٌ أبٌ مبرور، ووالٍ مشكور. ثمّ نزل[2].

فأما أبو عمر بن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» فإنه قال: لمّا ادّعى معاوية زياداً في سنة أربع وأربعين وألحقه به أخاً زوَّج ابنته من ابنه محمد بن زياد ليؤكّد بذلك صحّة الاستلحاق، وكان أبو بكرة أخا زياد لأُمّه، أُمّهما جميعاً سُمَيَّة، فحلف أن لا يكلّم زياداً أبداً، وقال: هذا زَنَّى[3] أُمّه، وانتفى من أبيه، ولا والله ما علمتُ سميَّةَ رأت أبا سفيان

---

(١) الذَّفَر: الرائحة الكريهة.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٣) زَنَّاها: نَسَبَها إلى الزِّنا.

قَبْلُ، وَيله ما يصنع بأُمّ حبيبة أُخت معاوية زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله ! أيريدُ أن يراها ؟ فإن حَجَبَتْهُ فَضَحَتْهُ ؛ وإن رآها فيالها مصيبة ! يهتك من رسولِ الله صلى الله عليه وآله حرمةً عظيمة !

وحجّ زيادٌ مع معاوية، ودخل المدينةَ، فأراد الدخول على أُمّ حبيبة ثمّ ذكر قول أبي بكرة، فانصرف عن ذلك، وقيل : إنّ أُم حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها، وقيل : إنّه حجّ ولم يَرِدِ المدينة من أجل قول أبي بكرة، وإنّه قال : جزى الله أبا بكرة خيراً فما يَدَعُ النّصيحة في حال[1].

وقد تقدم أنّه مات سنة (٥٣ هـ) في أيّام حكومة معاوية، وأنّه جمع الناس في الرَّحَبَة ليعرضهم على البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، فتناوله النقّاد ذو الرقبة، وسُمِعت واعيته[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦ : ١٨٩.

(٢) انظر ما تقدم تحت عنوان « زياد بن أبيه ودَوْرُهُ في البصرة ».

الفصل الثاني «من الباب الرابع»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على أصفهان والرّيّ وهمدان وقزوين

فأما الَّذين على أصفهان والرّيّ وهمدان، فهم :

١ ـ مخنف بن سليم الأزدي

٢ ـ يزيد بن قيس الأرحبي

٣ ـ عمرو بن سلمة الأرحبي

٤ ـ يزيد بن حجية التَّيمي

وأ مّا الَّذي على قزوين، فهو :

ربيع بن خُثيم الثَّوري الكوفي

أول ولاته عليه السلام على إصفهان والري وهمدان
مخنف بن سليم الأزدي الغامدي

إن الإمام عليه السلام عيّن الولاة على مناطق الدولة الإسلامية، ومنها مناطق إيران وغيرها، وزودّهم بنصائحه القيّمة، ووصاياه الجليلة، كما طلب من بعضهم الالتحاق به لجهاد عدوّه الباغي معاوية بن أبي سفيان.. ومن هؤلاء مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن الدُّؤل بن سعد مناة بن غامد الأزدي الغامدي[1]، له صحبة، وشارك في حرب الجمل إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام[2]، وكان نقيب الأزد في الكوفة، وكان على رايتهم في صفين، وكان من أصحاب الإمام عليه السلام، استعمله على أصبهان والرّيّ وهمدان[3].

وقد زوّده الإمام بهذه الرسالة حين استعمله وولّاه على أصبهان والرّيّ وهمدان:

« آمُرُهُ بتَقْوَى اللهِ في سَرائِرِ أَمْرِهِ وخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لا شَهِيدَ غَيْرُهُ، ولا وَكِيلَ دُونَهُ.

---

(١) الإصابة، لابن حجر العسقلاني ٦: ٤٥ / الترجمة ٧٨٦٥، الاستيعاب، لابن عبد البر ٤: ١٤٦٧ / الترجمة ٢٥٣٤.

(٢) بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٣٢: ١٧٥ / ح ١٣٢.

(٣) أسد الغابة، لابن الأثير ٤: ٣٣٩، وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١١.

وَآمُرُهُ أَنْ لا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طاعَةِ اللهِ فِيما ظَهَرَ فَيُخالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيما أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وعَلانِيَتُهُ، وفِعْلُهُ ومَقالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الأَمانَةَ، وأَخْلَصَ العِبادَةَ.

وَآمُرُهُ أَن لا يَجْبَهَهُمْ وَلا يَعْضَهَهُمْ، ولا يَرْغَبُ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بالإِمارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الإِخْوانُ في الدِّينِ، والأَعْوانُ على اسْتِخْراجِ الحُقُوقِ.

وَإِنَّ لكَ في هٰذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وحَقّاً مَعْلُوماً، وشُرَكاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ، وضُعَفاءَ ذَوِي فاقَةٍ، وإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وإِلَّا تَفْعَلْ فإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ القِيامَةِ، وبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ ـ عِنْدَ اللهِ ـ الفُقَراءُ والمَساكِينُ، والسَّائِلُونَ والمَدْفُوعُونَ، وَالغارِمُ، وابْنُ السَّبِيلِ! ومَنِ اسْتَهانَ بالأَمانَةِ، ورَتَعَ في الخِيانَةِ، ولَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِيْنَهُ عَنْها، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ والخِزْيَ في الدُّنْيا، وَهُوَ في الآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى.

وَإِنَّ أَعْظَمَ الخِيانَةِ خِيانَةَ الأُمَّةِ، وأَفْظَعُ الغَشِّ غَشُّ الأَئِمَّةِ، والسَّلام»[1].

وأنت ترى أنّ هذه الرسالة قد حوت جميع مقوّمات الأمانة والإخلاص للرعية، والعطف على البؤساء والمحرومين ومراعاة حقوقهم، ولم يرع هذه القيم إلّا رائد العدالة الاجتماعية في الإسلام إمام المتقين وسيّد الموحّدين.

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٢٦ / الكتاب ٢٦ دون ذكر اسم العامل، وقد صرّح القاضي نعمان المغربي في دعائم الإسلام ١: ٢٥٢ أنّ المكتوب إليه هذه الرسالة هو مخنف بن سليم الأزدي.

ولمّا عزم الإمام عليه السلام على حرب معاوية أرسل إلى مخنف بن سليم الرسالة التالية يطلب منه أن يكون معه لمناجزة طاغية الأمويين، وهذا نصّها :

« سَلامٌ عَلَيْكَ، فإنِّي أَحْمَدُ اللهَ إلَيْكَ الَّذِي لا إلٰهَ إلَّا هُوَ.

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ جِهادَ مَنْ صَدَفَ عَنِ الحَقِّ رَغْبَةً عَنْهُ، وهَبَّ في نُعاسِ العَمَى وَالضَّلالِ اخْتِياراً لَهُ، فَرِيضَةٌ على العارِفِينَ.

إنَّ اللهَ يَرْضَى عَمَّنْ أَرْضاهُ، وَيَسْخَطُ عَلَى مَنْ عَصاهُ، وَإنَّا قَدْ هَمَمْنا بِالسَّيْرِ إلى هٰؤلاءِ القَوْمِ الَّذينَ عَمِلُوا في عِبادِ اللهِ بِغَيْرِ ما أَنْزَلَ اللهُ، وَاسْتَأْثَرُوا بالفَيْءِ، وعَطَّلُوا الحُدُودَ، وأَماتُوا الحَقَّ، وَأَظْهَرُوا في الأَرْضِ الفَسادَ، وَاتَّخَذُوا الفاسِقِينَ وَلِيجَةً[1] مِنْ دُونَ المُؤْمِنِينَ، فَإذا وَلِيُّ اللهِ أَعْظَمَ أَحْداثَهُمْ أَبْغَضُوهُ وأَقْصَوْهُ وحَرَمُوهُ، وَإذا ظالِمٌ ساعَدَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَحَبُّوهُ وأَدْنَوْهُ وبَرَّوْهُ، فَقَدْ أَصَرُّوا عَلَى الظُّلْمِ وأَجْمَعُوا عَلَى الخِلافِ، وقَدِيماً ماصَدُّوا عَنِ الحَقِّ وتَعاوَنُوا عَلَى الإثْمِ وَكانُوا ظالِمِينَ.

فَإذا أُتِيتَ بِكِتابِي هٰذا فَاسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ أَوْثَقَ أَصْحابِكَ في نَفْسِكَ، وَأَقْبِلْ إلَيْنا لَعَلَّكَ تَلْقَى مَعَنا هٰذا العَدُوَّ المُحِلَّ[2]، فَتَأْمُرَ بالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، وتُجامِعَ الحَقَّ وتُبايِنَ الباطِلَ، فإنَّهُ لا غِنَى بِنا ولا بِكَ عَنْ أَجْرِ الجِهادِ، وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ.

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ».

---

(١) الوليجة : البطانة.

(٢) المحل : الذي أحلّ ما حرّم الله تعالى.

كتب هذه الرسالة عبيد الله بن أبي رافع في سنة (٣٧هـ)، ونفر مخنف للجهاد، واستعمل على أصبهان الحارثَ بن أبي الحارث بن الربيع، واستعمل على همذان سعيد بن وهب ـ وكلاهما من قومه ـ وأقبل يجدُّ السيرَ حتَّى شهد مع الإمام صفّين[١].

وحكت هذه الرسالة الخطر الذي داهم المسلمين من معاوية وبطانته الذين جهدوا على محق دين الله تعالى، ونهب ثروات المسلمين وإذلالهم، وإرغامهم على ما يكرهون.

وعاش مخنف إلى سنة (٦٤هـ)، واشترك مع التوّابين في قتال قتلة الإمام الحسين عليه السلام، واستشهد في تلك السنة مع التوابين[٢]، فرضوان الله تعالى عليه ورحمته.

● **الحارث بن أبي الحارث بن الربيع :**

قال النمازي : لم يذكروه، استعمله مخنف بن سليم على أصفهان، وذلك حين كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عامله مخنلف يستنفره إليه... فساتخلفه مخنف على عمله[٣].

ومقتضى ما تقدّم من كونه من قَوْم مخنف بن سليم، يكون هذا الوالي ـ من قِبَلِ الوالي الأصلي ـ غامديّاً أزديّاً.

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر ١٠ : ٧٠ / الترجمة ١٣٧، المسترشد في الإمامة، للطبري الشيعي : ٢١١.

(٣) مستدركات علم رجال الحديث، للنمازي ٢ : ٢٥٦ / الترجمة ٣٠٠٣.

● **سعيد بن وهب :**

قال النمازي : سعيد بن وهب الهَمْداني، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهو مع سعيد بن قيس كانا مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين.

وذكرنا أن مخنف بن سليم عامل أمير المؤمنين عليه السلام على أصفهان وهَمَدان استعمله على هَمَدان حين طلبه[1].

وقد خَلَط رحمه الله بين سعيد بن وهب الهَمْداني، وبين سعيد بن وهب هذا، إذ يقتضي ـ كلام نصر بن مزاحم الآنف ـ كون هذا غامديّاً أزديّاً لا هَمْدانيّاً. فهما شخصان لا شخص واحد.

ثاني ولاته على إصفهان والري وهمدان : يزيد بن قيس الأرحبي

مرت ترجمته في ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على المدائن حيث كان هو من ولاتها، فقد كان رئيساً كبيراً عظيماً عند الناس.

أدرك النبي صلى الله عليه وآله، ولمّا ثار أهل الكوفة على عثمان اجتمع قُرّاء الكوفة وأَمَّروه على الكوفة بعد أن طردوا عنها سعيد بن العاص الأموي. وكان يزيد بن قيس الأرحبي مع أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، وقد ولّاه على شرطته، ثمّ ولّاه على إصفهان والري وهمدان، وهو المعنيُّ في قول ثمامة:

مُعاوِيَ إنْ لا تُسْرِعِ السَّيْرَ نَحْوَنا ... نُبايِعْ عَـلِيّاً أَوْ يَـزِيدَ اليَـمانِيا

---

(١) مستدركات علم رجال الحديث، للنمازي ٤ : ٨٥ / الترجمة ٦٣٣٠.

وله يوم صفين مواقف وخطابات تُعْرِبُ عن نفسيّاته الكريمة وملكاته الفاضلة، تذكر وتشكر[١].

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين: أنّه دخل يزيد بن قيس الأرحبي على عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين عزم على المسير إلى صفّين، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن على جهاز وعدّة، وأكثرُ النّاس أهل قُوَّةٍ ومَنْ ليس بمُضَعَّف وليس به علّة، فَمُرْ مناديك فلينادِ النّاس يَخْرُجُوا إلى معسكرهم بالنخيلة، فإنّ أخا الحرب ليس بالسَّؤُومِ ولا النَّؤُوم، ولا مَنْ إذا أمكنته الفُرَص أَجَّلها واستشار فيها، ولا من يؤخِّر الحرب في اليوم إلى غد وبعد غد[٢].

وروى نصر أيضاً: أنّه لمّا وقعت الهدنة بصفين في المحرّم وقَرُبَ انقضاؤها أرسل أمير المؤمنين عليه السلام جماعة إلى معاوية، فكان منهم يزيد بن قيس الأرحبي، فقال لمعاوية في جملة كلام: إنّ صاحبنا لَمَنْ عرفتَ وعرفَ المسلمون فضلَهُ، ولا أظنّه يخفى عليك أنّ أهل الدين والفضل لن يعدلوك بعليّ، ولن يميلوا بينك وبينه، فاتّق الله يا معاوية ولا تخالف علياً، فإنَّا والله ما رأينا رجلاً قط أَعْمَلَ بالتَّقوى ولا أَزْهَدَ في الدنيا ولا أَجْمَعَ لخصال الخير كلّها منه[٣].

وروى نصر أيضاً: أنّ يزيد بن قيس الأرحبي حرَّض الناس بصفين

---

(١) الغدير، للأميني ٩: ٤٤.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٠١، المعيار والموازنة، للإسكافي: ١٢٨.

(٣) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٩٨.

فقال : إنّ المسلم السَّليم مَنْ سَلِمَ دينه ورأيه ، إنّ هؤلاء القوم والله ما إنْ يقاتلونا على إقامة دينٍ رأونا ضيَّعناه ، ولا إحياء عدل رأونا أَمَتْناه ، ولا يقاتلونا إلّا على إقامة الدُّنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً ، فلو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً ولا سُرُوراً ـ إذاً ألزموكم مثل سعيد والوليد وعبد الله بن عامر السفيه ؛ يحدّث أحدهم في مجلسه بـذَيْتِ وذَيْتِ ، ويأخذ مال الله أفاءَهُ ويقول : هذا لي ولا إثم عليَّ فيه ، كأنّما أُعْطِيَ تُراثَهُ من أبيه ، وإنَّما هو مال الله علينا بأسيافنا ورماحنا . قاتِلُوا عبادَ الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تَأْخُذْكُمْ في جهادكم لومة لائم ، إنّهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم ، وهم مَنْ قد عرفتم وجربتم ، والله ما أرادوا إلى هذا إلّا شراً[1] .

وصرع يزيد بن قيس يوم صفّين ، فحمله أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى المعسكر ، فمرّ به الأشتر محمولاً إلى المعسكر ، فقال : من هذا؟ قالوا : يزيد بن قيس ؛ لمَّا صُرِعَ زياد بن النضر رفع لأهل الميمنة رايته فقاتل حتّى صُرِعَ ، فقال الأشتر : هذا والله الصبر الجميل ، والفعل الكريم ، ألا يستحي الرجل أن ينصرف لم يَقْتُلْ ولم يُقْتَلْ ولم يُشْفَ به على القتل[2] !!

واستشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين ، فرحمه الله وجزاه خير جزاء من دافع عن دينه وإمامه .

---

(١) وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

(٢) وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم : ٢٧٩ .

ثالث ولاته على إصفهان وهمدان
عمرو بن سلمة الأرحبي الهمداني

هو عَمْرُو ـ أو عُمَر ـ بن سلمة بن الحارث ـ أو بن الخَرِب ـ الأرحبي الهمداني[١].

قال الخطيب البغدادي: عمرو بن سلمة بن الخَرِب الهَمْداني، من أهل الكوفة، سمع علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وسليمان بن ربيعة... وكان ممن حضر حرب الخوارج بالنهروان، وورد المدائن[٢].

وقد شارك في حرب الجمل، روى الشيخ المفيد: أنّ عليّاً عليه السلام كتب بعد فتح البصرة مع عمر بن سلمة الأرحبي إلى أهل الكوفة: «**من عبد الله علي بن أبي طالب إلى قرظة بن كعب ومَنْ قِبَلَهُ من المسلمين، سلام عليكم، فإنّي أحمد الله إليكم الذي لا إله إلّا هو. أمّا بعد، فإنّا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفرّقين لجماعتنا، الباغين علينا من أُمَّتنا، فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم، وقتل طلحة والزبير... ولاذ أهل البغي بعائشة، فقُتِلَ حولها جَمٌّ لا يُحصي عددهم إلّا الله، ثمّ ضرب الله وَجْهَ بقيّتهم فأدبروا...**» كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة (٣٦هـ)[٣].

---

(١) تهذيب الكمال، للمزي ٢٢: ٤٩ / الترجمة ٤٣٧٦.

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ١٢: ١٦١ / الترجمة ٦٦٥٠.

(٣) الجمل، للمفيد: ٢١٥ ـ ٢١٦، بحار الأنوار، للمجلسي ٣٢: ٢٥٣ / ح ١٩٨ نقلاً عن كتاب الكافئة للشيخ المفيد.

وقال أبو نعيم الأصبهاني : واستعمل علي عليه السلام على إصبهان عمرو بن سلمة ، فلمّا أقبل عمرو بن سلمة عَرَض له الخوارج ، فتحصَّنَ في حلوان ومعه الخراج والهديّة ، فلمّا انصرف عنه الخوارج أقبل بالهدية وخلّف الخراج بحُلوان ، فلمّا قدم عمرو بن سلمة على علي عليه السلام أمره أن يضعها في الرحبة ويضع عليها أُمناءه حتى يقسمها بين المسلمين[١].

وقد كتب له الإمام عليه السلام حينما كان والياً على إصفهان وهمدان :

«أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ دَهاقِينَ عَمَلِكَ شَكَوْا غِلْظَتَكَ ، وَنَظَرْتُ في أَمْرِهِمْ فَما رَأَيْتُ خَيْراً ، فَلْتَكُنْ مَنْزِلَتُكَ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ : جِلْبابِ لِينٍ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ في غَيْرِ ظُلْمٍ وَلا نَقْصٍ ، فَإِنْ هُمْ أَجْبَوْنا صاغِرين فَخُذْ مالَكَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ صاغِرُونَ ، ولا تَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً ، فَقَدْ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾[٢] ، وَقالَ جَلَّ وَعَزَّ في أَهْلِ الكِتابِ : ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾[٣] ، وَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٤] ، وقَرِّعْهُمْ بِخَراجِهِمْ ، وَقاتِلْ مَنْ وَراءَهُمْ ، وَإِيَّاكَ وَدِماءَهُمْ والسَّلامُ»[٥].

والدهاقين هم مجوس إيران ، وهم أهل كتابٍ كتبوا للإمام أن يراعيهم في أُمورهم ، فكتب الإمام له ذلك الكتاب يَعِظُهُ فيه .

---

(١) ذكر أخبار إصبهان ١ : ٧٢.

(٢) آل عمران : ١١٨.

(٣) و(٤) المائدة : ٥١.

(٥) تاريخ يعقوبي ٢ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، أنساب الأشراف ، للبلاذري : ١٦١ / الرقم ١٨٠.

وبقي عمرو بن سلمة بعد أمير المؤمنين عليه السلام مع الإمام الحسن عليه السلام، فكان أحد رُسُل الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية، قال ابن حجر: فوقع الانتهاب في العسكر حتّى انتهبوا فسطاط الحسن عليه السلام، وطعنه رجل من بني أسد بخنجر، فدعا عليه السلام عمرو بن سلمة الأرحبي وأرسله إلى معاوية يشترط عليه[١].

وقد مات عمرو بن سلمة سنة (٨٥هـ) بالكوفة[٢].

رابع ولاته على الرّيّ ودَسْتَبي
يزيد بن حجية التَّيمي

هو يزيد بن حجية بن عبد الله بن خالد بن حجية بن عبد الله بن عائذ بن ثعلبة بن الحارث بن تيم اللّات بن ثعلبة.

ويقال: يزيد بن حجية بن عامر.

ويقال: يزيد بن حجية بن ربيعة التيمي[٣].

قال ابن حبّان: فلما دخلت السنة (٣٩هـ) استعمل عليٌّ عليه السلام يزيد بن حجية التيمي على الرّيّ، ثمّ كتب إليه بعد مدّة أَنْ أَقْدِم، فقَدِم على عليٍّ عليه السلام، فقال له: «**أين ما غَلَلْتَ من مال الله ؟**» قال: ما غَلَلْتُ، فَخَفَقَهُ

---

(١) الإصابة، لابن حجر ٢: ٦٤ / ترجمة الإمام الحسن عليه السلام برقم ١٧٢٤، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٧٦.

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ١٢: ١٦١ / الترجمة ٦٦٥٠.

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٦٥: ١٤٧ / الترجمة ٨٢٥٦.

بالدرّة خفقاتٍ وحبسه في داره. فلما كان في بعض الليالي قرب يَزيد البَوَّاب وما حَلَهُ ولحق بالرقة، وأقام بها، حتى أتاه إِذْنُ معاوية للقدوم إلى دمشق.

فلمّا بَلَغَ عليّاً عليه السلام لحوقه بمعاوية قال: «**اللّهمَّ إنَّ يزيدَ ذَهَبَ بمالِ المُسْلِمينَ، ولَحِقَ بِالقَوْمِ الظَّالِمين، اللّهُمَّ فاكْفِنا مَكرَهُ وكَيْدَه**»[1].

وقال إبراهيم الثقفي: وكان يزيد بن حجية قد استعمله عليٌّ عليه السلام على الرّيّ ودستبي، فكَسَرَ الخراجَ واحْتَجَنَ المال لنفسه، فحبسه عليٌّ وجعل معه مولى له يقال له: سعد، فقَرَّبَ يزيد ركائبَهُ وسعدٌ نائم، فلحق بمعاوية[2].

وقال ابن أبي الحديد: وذكر الزبير بن بكّار في الموفقيّات أنّ يزيد بن حجية التيمي شهد الجمل وصفين والنهروان مع عليٍّ عليه السلام، ثمّ ولّاه الرّيّ ودستبي[3]، فسرق من أموالهما، ولحق بمعاوية[4].

وقال إبراهيم الثقفي: وكان ممّن فارق عليّاً عليه السلام من أصحابه ولحق بمعاوية يزيد بن حجية... وكان أصحابه لما نزل بقلوبهم من الفتنة والبلاء والركون إلى الدُّنيا يغدرون ويختانون مال الله ويهربون إلى معاوية.

---

(١) الثقات، لابن حبان ٢: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) الغارات، للثقفي ٢: ٥٢٦.

(٣) دَسْتَبي: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمدان.

(٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٢.

فعن الأعمش، قال: كان عليٌّ عليه السلام يولّيهم الولايات والأعمال فيأخذون ويهربون إلى معاوية[١].

وقال ابن عساكر: شهد مع عليٍّ صفين، وكان أحد الشهود في كتاب الصلح، من أصحاب علي عليه السلام، واستعمله على الرّيّ فجمع مالها ثمّ قدم على عليٍّ عليه السلام فحبسه على المال، فهرب ولحق بمعاوية، وقال في ذلك شعراً، وقد ذكر قصته المدائن في كتاب «الخَوَنة». ووجَّهه زياد إلى معاوية يحثّه على قتل حجر بن عدي وأصحابه[٢].

لم يعرف تاريخ وفاته بالضبط، لكنه مات على سوء العاقبة، بعد سنة (٥١ هـ)، وهي السنة التي استشهد فيها حجر بن عدي وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

وأمّا واليه عليه السلام على قزوين فهو: الربيع بن خُثيم الثوري الكوفي

أبو زيد ـ أو يزيد ـ ربيع بن خُثَيم[٣] بن عائذ ـ أو عابد ـ بن عبد الله بن مرهبة بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن مالك بن ثور بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة ـ واسمه عامر ـ ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن

---

(١) الغارات، للثقفي ٢: ٥٢٢.

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٦٥: ١٤٧ / الترجمة ٨٢٥٦.

(٣) يذكر هذا الاسم بعدّة أشكال فلا تغفل: خَيْثَم، خُثَيْم، خَيْثَمة، خُثَيْمة.

عدنان الثوري التميمي الكوفي[١]، المعروف اليوم بـ« خواجة ربيع ».

المتنسك الأديب اللغوي المفسّر المحدّث الصوفي المتعبّد، المذكورة أقواله في التفسير وغيره. المدفون بأرض خراسان في جوار مولانا الرضا عليه السلام، المعروف بين الأعاجم بخواجة ربيع، وكان الربيع ورعاً قانتاً مُخْبتاً ربّانياً حجّةً، قال صاحب «إكليل الرجال» في ترجمته : إنه كان من العباد السبعة.

أدرك الجاهلية والإسلام، وهو أحد الأربعة الأتقياء أو الزّهّادِ الثمانية[٢].

وفي بعض مصنفات حمد بن أبي بكر بن حمد بن نصر المستوفي صاحب كتاب «نزهة القلوب» وغيره : أنّ ربيع بن خيثم هذا كان والياً على قزوين من قِبَلِ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

وعن تاريخ ابن أعثم الكوفي : أنّه كان آخر من اتّصل بعليٍّ عليه السلام من جملة عُمّاله حين توجهه إلى حرب صفين، وكان عليه السلام ينتظر وروده، فورد في أربعة آلاف[٤] من عساكر أرض الرّيّ مكمّلين مسلّحين، وبمحض وروده تحرّك الموكب المبارك المرتضوي إلى حرب معاوية، وناهيك له بذلك درجةً وفضلاً.

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٦ : ٤٥٣.

(٢) انظر الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي ٢ : ٣٠٠ «الزّهّاد الثمانية».

(٣) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٦ : ٤٥٥.

(٤) هكذا في أعيان الشيعة، للسيد الأمين ٦ : ٤٥٤ نقلاً عن ابن أعثم في تاريخه. لكن الذي في الفتوح لابن أعثم ٢ : ٥٤٣ وآخر من قدم عليه من عمّاله الربيع بن خيثم، قدم من الرّيّ في أربعمائة رجل أو يزيدون.

ومن جملة طرائف ذكاء وأخبار الربيع برواية صاحب «الإحياء» ـ عامله الله بما يستحقه ـ: أنّه كان قد حفر في داره قبراً، فكان إذا وجد في قلبه قساوةً دخل فيه واضطجع ومكث فيه ما شاء الله، ثمّ يقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾[١]، يردّدها ثمّ يَرُدُّ على نفسه: يا ربيعُ قد رجعناك فاعمل[٢].

لم يغتب أحداً:

ونقل في كشكول شيخنا البهائي ﷺ أنه قيل للربيع بن خيثم: ما نراك تغتاب أبداً؟ فقال: لست عن نفسي راضياً فأتفرّغ لذمّ الناس، ثمّ أنشد:

لِنَفْسِيَ أَبْكِي لَسْتُ أَبْكِي لِغَيْرِها ... لِنَفْسِيَ فِي نَفْسِي عَنِ النَّاسِ شاغِلُ[٣]

وفيه أيضاً: أنّ من جملة كلمات الربيع: لو كانتِ الذُّنُوب تفوحُ روائحُها لم يجلس أحدٌ إلى أحدٍ[٤].

ومنها: أنّ العجب من قوم يعملون لدارٍ يبعُدُون منها كلَّ يوم مرحلةً، ويتركون العمل لدار يرحلون إليها كلَّ يوم مرحلةً[٥].

وكان يقول: إن عُوفينا من شرِّ ما أُعطينا لم يضرَّنا ما زُوي عنّا[٦].

قال: ولمّا رأت أُمّ الربيع ما يلقى هو من البكاء والسهر، قالت له: يا بني لَعلَّكَ قتلتَ قتيلاً؟ قال: نعم يا أُماه، قالت: ومَن هو حتَّى نَطْلُبَ إلى

---

(١) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) و(٣) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٦: ٤٥٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ١٠٠.

(٥) و(٦) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٦: ٤٥٧.

أهله فيعفوا عنك، فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك، فقال : يا أُماه هي نفسي[١].

هذا، وقد كان قليلَ الكلام جدّاً بحيث نقل أنّه لم يتكلّم بشيء من أُمور الدنيا عشرين سنة إلّا أنه قال يوماً لبعض تلاميذه : هل لكم مسجدٌ في قريتكم ؟ فقال التلميذ : نعم، وقال له : أَحَيٌّ أبوك أم لا؟ ثمّ إنّه ندم وخاطب نفسه : يا ربيعُ قد سَوَّدْتَ صحيفتك، ثمّ لم يتكلم بشيء من أُمور الدنيا إلى أن قُتِلَ الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام، فجاءه رجل وقال : يا ربيع قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يتكلّم، ثمّ جاءه ناعٍ آخر وأخبره بذلك فلم يقل شيئاً، إلى أن ورد عليه ثالثٌ فأخبره بذلك، فبكى وقرأ : ﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٢][٣].

ما يلاحظ عن حاله :

لكن روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين تَخَلُّفه عن أمير المؤمنين عليه السلام وعدم خروجه معه لحرب معاوية. قال نصر : لمّا ندب عليٌّ عليه السلام الناسَ بالكوفة إلى حرب معاوية أجاب علياً عليه السلام جلُّ الناس، إلّا أنّ أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه ـ ومنهم الربيع بن خثيم وهم أربعمائة رجل ـ فقالوا : يا أمير المؤمنين! إنّا قد شككنا في هذا القتال على معرفتنا

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٦ : ٤٥٦.

(٢) الزمر : ٤٦.

(٣) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٦ : ٤٥٥.

بفضلك، ولا غنى بنا ولا بِكَ ولا بالمسلمين عمّن يقاتل العدوّ من الكفّار، فَوَلِّنا بعض الثغور نكون به، ثمّ نقاتل عن أهله، فوجّه عليٌّ عليه السلام الربيعَ بن خثيم على ثغر الرّيّ[١].

وزاد البعض عدم حضوره حرب الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، ولا شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ممّا يؤيّد كلام نصر. ولم يُعَدَّ من أصحاب الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام.

يقول صاحب مستدرك تنقيح المقال: يمكن الاعتذار من عدم حضور المترجم حرب الإمام السبط مع معاوية، وكذلك عدم حضوره يوم الطّفّ، وعدم عدّه من أصحاب السِّبطين والسجاد عليهم السلام، بأنّه لم يكن في الكوفة أو المدينة، بل لمّا انصرف إلى قزوين أو الرّيّ أو خراسان ـ على اختلاف الروايات ـ لم يرجع إلى الكوفة أو المدينة كي يصاحبهم عليهم السلام. لكنْ كيفَ يمكن توجيه موقفه مع أمير المؤمنين عليه السلام وشكّه في قتال القاسطين معاوية وحزبه؟! مع أنّ عدّه من أصحابه عليه السلام يقتضي معرفته بمقامه. وشَكُّهُ في قتال معاوية الذي لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وأباه وأخاه بقوله: لعن الله راكب الناقة وسائقها وحاديها، وتورُّعُهُ من القتال مع أمير المؤمنين عليه السلام ـ مع إعلام رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه «عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي يدور معه حيث ما دار» ـ لا يمكن توجيهه أو تصحيحه.

أقول[٢]: شكُّه في حرب معاوية معناه أنّه شَكَّ في حقّانيّة عمل

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١١٥.

(٢) القائل هو صاحب مستدرك تنقيح المقال.

أمير المؤمنين عليه السلام ، ونقض كلام النبي صلى الله عليه وآله أنه مع الحق ، وهو على حدّ الكفر والارتداد فتدبّر[١].

قال محيي الدين المامقاني : إنّ حال الربيع هذا مريب جدّاً ... وعدم العثور له على رواية عن أهل البيت عليهم السلام ولا رواية منقبة أو فضيلة لهم عليهم السلام ، ثمّ وضع الفضائل له في الزهد والتقشّف بحيث انطلت على كثير من محققي علمائنا ، وغفلتهم عن شكّه في قتال القاسطين ، ومن حاله عند إخباره بفاجعة الطف .

كلُّ ذلك يوجب التوقّف في الحكم عليه بشيء ، بل يمكن عدّه ضعيفاً منحرفاً عن الحق ، بل غير مُوالٍ لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم أفضل الصلاة ، لموقفه في حرب صفين وفاجعة الطف ، أمّا شكّه في حرب القاسطين ـ أهل الشام ـ فذاك ردٌّ على إمام زمانه عليه السلام ورد على النبي صلى الله عليه وآله لقوله : « **عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ** » ، ولمثل هذا ينبغي عدّه ضعيفاً مرائياً خبيثاً ومستحقّاً للّعنة والعذاب ، والله سبحانه العالم بسرائر العباد[٢].

وفاته :

مات سنة إحدى وستّين ، وقيل : ثلاث وستين . وعن المقدسي أنّه توفّي في ولاية عبيد الله ابن زياد[٣].

---

(١) مستدرك تنقيح المقال ، لمحيي الدين المامقاني ٢٧ : ١١٥ .

(٢) مستدرك تنقيح المقال ، لمحمد رضا المامقاني ٢٧ : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٣) تنقيح المقال ، لعبد الله المامقاني ٢٧ : ١٢٤ .

وأمّا كيفيّة وفاة الرجل، فقيل: بينما ربيع بن خُثَيم جالس على باب داره، إذ جاءه حَجَرٌ فصكَّ وجهه، فسجد وجعل يمسح الدم عن جبهته، ويقول: لقد وُعِظْتَ يا ربيعُ! فقام ودخل داره ولم يخرج حتّى أُخرِجَتْ جنازته[1].

ومرقده إلى هذا الأوان معروف يزار، وعليه بناء عال، وهو على رأس فرسخ أو أقلّ من مشهد مولانا الرضا عليه السلام بناحية طوس.

ذكر حمد الله المستوفي صاحب كتاب «تاريخ گزيده» في الفصل السابع من الباب السادس من كتابه، بعنوان حكّام قزوين أربعةً من الحكام عليها ـ عدا الربيع ـ وهم:

١ ـ أبو العريف الأرحبي.

٢ ـ مرّة بن شراحيل الهمداني.

٣ ـ عُبيدة بن عمرو السلماني.

٤ ـ قرظة بن أرطاة[2].

لا تسع الرسالة لذكرهم، وهم غير معروفين كثيراً.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٠: ٤١، أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٦: ٤٥٧.

(٢) تاريخ كزيده: ٧٩٣.

الفصل الثالث «من الباب الرابع»

ولاة أمير المؤمنين عليه السلام

على خراسان

وسجستان (سيستان) وكرمان

فأ مّا الّذين على خراسان ، فهم :

١ ـ جعدة بن هُبيرة المخزومي

٢ ـ حريث بن جابر الحنفي ـ أو الجعفي ـ البكري

٣ ـ وعبد الرحمن بن أَبْزَى الخزاعي

وأ مّا الَّلذان على سجستان (سيستان) ، فهما :

عبد الرحمن بن جرو الطائي

ربعي بن كأس العنبري التميمي

وأ مّا الذي على كرمان ، فهو :

عبد الله بن أهتم

أوّل ولاته عليه السلام على خراسان
جعدة بن هُبيرة المخزومي

هو : جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، القرشي المخزومي.

هو ابن اخت أمير المؤمنين عليه السلام، أُمّه أُمّ هاني بنت أبي طالب بن عبد المطلب، وأبوه هبيرة بن أبي وهب بن عمرو، وكان جعدة فارساً شجاعاً فقيهاً، وولي خراسان من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله مع أُمّه أُمّ هاني، وهرب أبو هبيرة بن أبي وهب في يوم فتح مكة إلى نجران[1].

قال ابن أبي الحديد : وروى أهل الحديث أنّ أُم هانئ كانت يوم الفتح في بيتها، فدخل عليها هبيرة بن أبي وهب بعلها، ورجل من بني عمّه هارِبَيْنِ من عليّ عليه السلام وهو يتبعهما وبيده السيف، فقامت أُم هانئ في وجهه دونهما، وقالت : ما تريد منهما! ولم تكن رأته من ثماني سنين، فدفَعَ في صدرها، فلم تَزُلْ عن موضعها، وقالت : أتدخل يا عليُّ بيتي،

---

(١) انظر الإصابة، لابن حجر ١ : ٥٩٠ / الترجمة ١١٦٣ و ٦٢٨ / الترجمة ١٢٦٧، و ٨ : ٤٥٨ / الترجمة ١٢٢٨٩ «أمّ هانئ بنت أبي طالب».

وتهتك حرمتي، وتقتل بعلي، ولا تستحي مني بعد ثماني سنين! فقال: إنّ رسول الله ﷺ أهدر دمهما، فلابدّ أن أقتلهما. فقبضت على يده التي فيها السيف، فدخلا [زوجها وابن عمه] بيتاً ثم خرجا منه إلى غيره، ففاتاه.

وجاءت أُم هانئ إلى رسول الله ﷺ فوجدته يغتسل من جَفنة فيها أثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبها، فوقفت حتى أخذ ثوبه، فتوشّح به، ثمّ صلّى ثماني ركعات من الضُّحَى، ثمّ انصرف، فقال: «**مرحباً وأهلاً بأُمّ هانئ! ما جاء بك؟**» فأخبرته خبر بعلها وابن عمّه، ودخول علي عليه السلام بيتها بالسيف. فجاء عليٌّ عليه السلام ورسول الله ﷺ يضحك، فقال له: «**ما صنعت بأُم هانئ؟ فقال: سَلْها يا رسول الله ما صَنَعَتْ بي؟ والّذي بعثك بالحق لقد قَبَضَتْ على يدي وفيها السيف؛ فما استطعتُ أن أُخلّصها إلّا بعد لَأْيٍ، وفاتني الرَّجُلان**»، فقال ﷺ: «**لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا شجعاناً، قد أجرنا من أجارت أم هانئ، وأَمَّنَّا مَن أَمَّنَتْ، فلا سبيلَ لكَ عليهما**».

فأما هبيرة فلم يرجع؛ وأمّا الرجل الآخر، فرجع فلم يعرض له[1].

وقال ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»:

ولدت أُمّ هانئ لِهُبَيْرَةَ بن أبي وهب بنين أربعة: جعدة، وعمراً، وهانئاً، ويوسف، قال: وجعدة الذي يقول:

---

(١) شرح النهج، لابن أبي الحديد ١٠: ٧٨ ـ ٧٩.

أَبي مِنْ بَني مَخْزُومٍ إِنْ كُنْتَ سائِلاً وَمِنْ هاشِمٍ أُمِّي لِخَيْرِ قَبِيلِ
فَمَنْ ذا الَّذي يَبْأَى عَلَيَّ بِخالِهِ كخالي عَلِيٍّ ذِي النَّدى وعَقِيلِ![1]

روى نصر بن مزاحم بسنده عن أبي جحيفة، قال: جمع معاوية كلّ قرشي بالشّام، وقال لهم: العجب يا معشر قريش! إنّه ليس لأحد منكم في هذه الحرب فعال يطول بها لسانه غداً.. إلى أن قال: فقال عتبة بن أبي سفيان: ألّهوا عن هذا، فإني لاق بالغداة جعدةَ بن هبيرة.. فقال معاوية: بَخْ بَخْ! قومه بنو مخزوم، وأُمّه أُم هاني بنت أبي طالب، وأَبُوهُ هُبيرة بن أبي وهب، كُفْءٌ كريم.. وكثر العتاب والخصام بين عتبة والقوم.. إلى أن قال: وبعث معاوية إلى عتبة، فقال: ما أنت صانع في جعدة؟ قال: ألقاه اليوم وأقاتله غداً.. وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحبّ الناس إلى عليٍّ عليه السلام، فغدا عليه عتبة، فنادى: أيا جعدة! أيا جعدة! فأستأذن علياً عليه السلام في الخروج إليه، فأذن له، واجتمع الناس، فقال عتبة: يا جعدة! والله ما أخرجك علينا إلّا حُبُّ خالك وعمّك عامل البحرين، وإنّا والله ما نزعم أنّ معاوية أحقّ بالخلافة من علي لولا أَمْرُهُ في عثمان، ولكنَّ معاوية أحقّ بالشام لرضا أهلها به، فاعفُوا لنا عنها، فوالله ما بالشَّام رجل به رَمَقٌ إلّا وهو أجدّ من معاوية في القتال، وليس بالعراق رجلٌ له مثل جدّ عليٍّ في الحرب، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعليٍّ أن

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ١ : ٢٤١.

يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب..!

فقال جعدة: أمّا حبّي لخالي؛ فلو الله لو كان لك خال مثله لنسيتَ أباك. وأمّا ابن أبي سلمة.. فلم يصب أعظم من قَدْرِهِ، والجهادُ أحبّ إليّ من العمل. وأمّا فضل عليٍّ على معاوية.. فهذا ما لا يختلف فيه اثنان. وأمّا رضاكم اليوم بالشام.. فقد رضيتم بها أمس فلم نقبل. وأمّا قولك: ليس بالشام أحد إلّا وهو أجدّ من معاوية، وليس بالعراق رجل له مثل جدّ علي؛ فهكذا ينبغي أن يكون، مَضَى بعليٍّ يقينه، وقَصَّرَ بمعاوية شكُّهُ، وقَصْدُ أهل الحق خير من جَهْدِ أهل الباطل. وأمّا قولك: نحن أطوع لمعاوية منكم لعلي.. فوالله ما نسأله إن سكت، ولا نردّ عليه إن قال. وأمّا قتل العرب.. فإنّ الله كتب القتل والقتال فمن قتله الحقّ فإلى الله.

فغضب عتبةُ وأَفْحَشَ على جعدة، فلم يجبه وأعرض عنه. فلمّا انصرف عنه، جمع خيله فلم يستَبْقِ منها شيئاً، وجُلُّ أصحابه السَّكُونُ والأَزْدُ والصَّدَفُ، وتهيّأ جعدةُ بما استطاع، والتقيا، فصبر القوم جميعاً، وباشر جعدةُ يومئذ القتالَ بنفسه، وجزع عتبةُ، فأسلم خيله وأسرع هارباً إلى معاوية، فقال له: فضحك جعدةُ وهَزَمَكَ، لا تغسل رأسك منها أبداً، فقال: والله لقد أعذرتُ، ولكن أبى الله أن يديلنا منهم، فما أصنع؟! وحَظِيَ جعدةُ بعدها عند عليٍّ عليه السلام.

وقال النجاشي[١] فيما كان من شتم عتبة لجعدة :

إنَّ شَتْمَ الكَرِيمِ ـ ياعُتْب ـ خَطْبٌ ... فَاعْلَمَنْهُ مِنَ الخُطُوبِ عَظِيمُ
أُمُّـــهُ أُمُّ هـــانئٍ وأَبُـــوهُ ... مِـنْ مَـعَدٍّ ومِـنْ لُـؤَيٍّ صَـمِيمُ
ذاكَ مِنْها هُـبَيْرَةُ بْـنُ أَبـي وَهْـ ... ـبٍ أَقَـرَّتْ بِـفَضْلِهِ مَـخْزُومُ
كانَ فـي حَـرْبِكُمْ يُـعَدُّ بأَلْـفٍ ... حِينَ يَلْقَى بِها القُـرُومَ القُـرُومُ
وَابْـنُهُ جَـعْدَةُ الخَـلِيفَةُ مِـنْهُ ... هٰكَـذا تُـنْبِتُ الفُـرُوعَ الأُرُومُ
كُـلُّ شَـيْءٍ تُـرِيدُهُ فَـهْوَ فِـيهِ ... حَسَبٌ ثـاقِبٌ ودِيـنٌ قَـوِيمُ
وَخَـطِيبٌ إذا تَـمَعَّرَتِ الأَوْ ... جُهُ يَشْجَى بِـهِ الأَلَـدُّ الخَـصِيمُ
وَحَلِيمٌ إذا الحُبَى حَـلَّها الجـهـ ... ـلُ وخَفَّتْ مِنَ الرِّجالِ الحُـلُومُ
وشَكِيمُ الحُرُوبِ قَدْ عَـلِمَ النَّـا ... سُ إذا حُلَّ في الحُرُوبِ الشَّكِيمُ
وَصَحِيحُ الأَدِيمِ مِنْ نَـغَلِ العَـيْـ ... ـبِ إذا كـانَ لا يَـصِحُّ الأَدِيـمُ
حامِلٌ للعَظِيمِ في طَـلَبِ الحَـمْـ ... ـدِ إذا عَـظَّمَ الصَّـغِيرَ اللَّـئِيمُ
ما عَسَى أَنْ تَقُولَ للذَّهَبِ الأَحْمـ ... ـر عَيْباً هَيْهاتَ مِـنْكَ النُّـجُومُ
كُـلُّ هٰـذا بِـحَمْدِ رَبِّكَ فِـيهِ ... وَسِوَى ذاكَ كانَ وَهْـوَ فَـطِيمُ[٢]

وقال ابن أبي الحديد : ونزل عليٌّ عليه السلام بالكوفة على جعدة بن هبيرة المخزومي وسكن داره[٣].

---

(١) هو قيس بن عمرو النجاشي، شاعرُ أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨ : ٩٧ ـ ١٠٠، عن وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٤٦٢ ـ ٤٦٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣ : ١٠٤.

وفي إرشاد المفيد بسنده عن الحسن البصري، قال: سهر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في اللّيلة التي قُتِلَ في صبيحتها، ولم يخرج إلى المسجد لصلاة اللّيل على عادته، فقالت له ابنته أُمُّ كلثوم عليها السلام: ما هذا الذي قد أسهرك؟ فقال: «إنّي مقتول لو قَدْ أَصْبَحْتُ» فأتاه ابن النبّاح[1] فآذنه بالصلاة، فمشى غير بعيد، ثم رجع، فقالت له ابنته أُمّ كلثوم: مُرْ جعدةَ فليصلّ بالناس، قال: «نَعَمْ، مُرُوا جَعْدَةَ لِيُصَلِّيَ»، ثم قال: «لا مَفَرَّ مِنَ الأَجَلِ» فخرج إلى المسجد[2].

وروى الكشي بسنده: .. عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من قريش خمسة نفر، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية، فأما الخمسة: فمحمد بن أبي بكر رحمة الله عليه، أتته النجابة من قِبَل أُمّه أسماء بنت عميس. وكان معه هاشم ابن عُتبة بن أبي وقاص المرقال. وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنّما لك هذه الشّدّة في الحرب من قِبَلِ خالك، فقال له جعدة: لو كان خالُكَ مثلَ خالي لنسيتَ أباك..»[3] إلى آخره.

وقال الطبري لمّا ضرب ابن ملجم لعنه الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) أو ابن التَّيّاح، على اختلاف الضبط، وهو مؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) إرشاد المفيد ١: ١٦.

(٣) رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٢٨١ / ح ١١١.

وتأخّر عليٌّ عليه السلام ودفع في ظهر جعدة بن هبيرة بن أبي وهب فصلّى بالناس الغداة[١].

ولاؤُهُ لأمير المؤمنين عليه السلام :

قال صاحب تنقيح المقال : ومن لاحظ شدّته في حرب صفّين مع خاله عليه السلام، ومقاماته مع معاوية بعد عام الجماعة، يعرف قوّة إيمانه، ونصرته لأهل البيت عليهم السلام، فلا أقلّ من حسنه، بل يمكن إثبات وثاقته وعدالته من تولية أمير المؤمنين عليه السلام إيّاه خراسان قبل حرب صفين، وشدّة حبّه عليه السلام له؛ لعدم تعقّل توليته عليه السلام غير العدل الثقة الأمين على رقاب الناس وأموالهم، وأعراضهم وأحكامهم، وقد حَظِيَ عنده عليه السلام بعد صفّين لما رأى من بسالته وثباته، وشدّة شكيمته.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : كان فارساً شجاعاً، فقيهاً، ولي خراسان لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح، مع أُمّه أُمّ هاني بنت أبي طالب[٢].

وقال نصر : كان لجعدة شرف عظيم في قريش، وكان له لسان، وكان مِنْ أحبّ الناس إلى خاله عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٣]. وقال له عتبة بن أبي سفيان في صفين: ما أخرجك علينا إلّا حبُّك لخالك، فقال : أجل لو كان لك

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١١١.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٠ : ٧٧.

(٣) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٤٦٣.

خالٌ مثلَهُ لنسيتَ أباك[١]، انتهى ما قاله عبد الله المامقاني[٢].

قال الشيخ محيي الدين المامقاني محقق تنقيح المقال في تعليقته في حصيلة البحث: لم أجد مغمزاً في المترجَم، ومواقفه المشرّفة تحت راية خاله العظيم صلوات الله وسلامه عليه، وأقواله المخرسة لأعدائه، وتفانيه في الولاء لإمام زمانه، وحبّ أمير المؤمنين عليه السلام له، وتقديم أمير المؤمنين عليه السلام عند ما ضربه المعلون ابن ملجم لإكمال الصلاة، وشدّة اهتمامه عليه السلام به.. كلُّ ذلك يجعله فوق مرتبة الوثاقة، فالحكم بوثاقته وجلالته هو المتعيِّن[٣].

ثاني ولاته عليه السلام على خراسان
حريث بن جابر الحنفي ـ أو الجُعْفي ـ البكري

كان رئيس بني حنيفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام المخلصين في ولائه، وشهد معه حرب صفّين، وكان شاعراً، قال نصر: وأمره عليٌّ عليه السلام على لهازم البصرة يوم صفين[٤].

ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام جانباً من المشرق، فبعث إليه ابنتي يزدجرد بن

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٤. والكلام.

(٢) تنقيح المقال، لعبد الله المامقاني ١٤: ٣٤٩.

(٣) مستدرك تنقيح المقال ١٤: ٣٥١.

(٤) أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين ٤: ٦١٥.

شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زنان منهما فأولدها زين العابدين عليه السلام، ونحل الأُخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر فهما ابنا خالَةٍ[١].

وقال نصر بن مزاحم في كتابه صفين في عقد الألوية : وعلى لهازم البصرة، حريث بن جابر الحنفي[٢].

وحمل عبيدُ الله بن عمر وهو يرتجز ويقول في أبيات له يمدح نفسه ويفتخر بأبيه عمر بن الخطاب : ...

فحمل عليه حُرَيْثُ بنُ جابر الحنفي وهو يقول :

قَدْ سارَعَتْ في نَصْرِها رَبِيعَةْ ... في الحَقِّ والحقُّ لَهُمْ شَرِيعَةْ

فاكفُفْ فَلَسْتَ تارِكَ الوَقِيعَةْ ... في العُصْبَةِ السَّامِعَةِ المُطِيعَةْ

حَتَّى تَذُوقَ كَأْسَها الفَظِيعَةْ

فطعنه فصرعه[٣].

وكان ذو الكلاع الحميري من كبار قوّاد معاوية، فقتله حريث بن جابر، قال ابن عبد البر : وقَتَلَ ذا الكلاع حريثُ بنُ جابر، وقيل : قتله الأشتر[٤].

---

(١) الإرشاد، للمفيد ٢ : ١٣٧، مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٣ : ٢٠٨، عمدة الطالب، لابن عنبة : ١٩٢.

(٢) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٢٠٥.

(٣) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٣٠٠.

(٤) الاستيعاب، لابن عبد البر ١ : ٤١٠ ترجمة «حوشب بن طخية الحميري» ٢ : ٤٧٣ ترجمة «ذي الكلاع الحميري».

ويُرْوَى أنّ عبيد الله بن عمر بعث إلى الإمام الحسن عليه السلام فقال: إنّ لي إليك حاجة فالقَني، فلقيه الحسن عليه السلام، فقال له عبيد الله بن عمر: إنّ أباك قد وَتَرَ قريشاً أوّلاً وآخِراً، وقد شَنِئُوه، فهل لك أن تَخْلُفَهُ ونولّيك هذا الأمر؟

فقال الإمام الحسن عليه السلام: كلا والله لا يكون ذلك، ثمّ قال له الإمام الحسن عليه السلام: «**لكأنّي أَنْظُرُ إِليكَ مَقْتُولاً في يَوْمِكَ أَوْ غَدِكَ. أَما إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ زَيَّنَ لَكَ وَخَدَعَكَ حتَّى أَخْرَجَكَ مُخَلَّقاً بالخَلُوقِ تُرِي نِساءَ أَهْلِ الشَّامِ مَوْقِفَكَ، وسَيَصْرَعُكَ اللهُ ويَبْطَحُكِ لِوَجْهِكَ قَتِيلاً**». قال: فوالله ما كان إلّا كيومه أو كالغد وكان القتال، فخرج عبيد الله بن عمر في كتيبة رقطاء ـ وهي الخضرية، كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر ـ فنظر الإمام الحسن عليه السلام فإذا هو برجل متوسِّدٍ رِجْلَ قتيلٍ، قَدْ رَكَزَ رمحَهُ في عينه وربط فرسه برجله، فقال الإمام الحسن عليه السلام لمن معه: «انْظُرُوا مَنْ هٰذا؟» فإذا القتيل هو عبيد الله بن عمر بن الخطاب[1].

خطبته لنصرة علي عليه السلام:

لمّا خطب أمير المؤمنين بعد ما اعترض عليه بعض الخوارج وطالبوهُ بالصلح ـ منهم الأشعث ابن قيس ـ قام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبهم، وقال في كلامه عليه السلام: «**... أَلا إِنِّي كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَأَصْبَحْتُ اليَوْمَ مَأْمُوراً، وكُنْتُ ناهِياً فَأَصْبَحْتُ مَنْهِيّاً، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ البَقاءَ، وَلَيْسَ لي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى ما تَكْرَهُونَ**». ثمّ قعد عليه السلام.

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٩٨.

ثمّ تكلّم رؤساء القبائل، إلى أن قام حريث بن جابر، فقال : أَيُّها الناس، إنَّ عليّاً لو كان خِلْواً من هذا الأمر لكانَ المفزع إليه، فكيف وهو قائده وسائقه ؟! وإنّه والله ما قبل من القوم اليوم إلّا ما دعاهم إليه أمس، ولو ردّه عليهم كُنْتُم له أَعْنَتَ ،ولا يُلْحِدُ في هذا الأمرِ إلّا راجع على عقبيه أو مستَدْرَجٌ بغرور، فما بيننا وبين مَنْ طَغَى علينا إلّا السَّيف[1].

قال ابن أبي الحديد : هذا حريث بن جابر هو الذي كتب معاوية إلى زياد في أمره بعد عام الجماعة ـ وحريث عامل زياد على همدان ـ : أمّا بعد، فاعزل حريث بن جابر عن عمله، فما ذكرتُ مواقفه بصفين إلّا كانت حزازة في صدري[2].

قال صاحب تنقيح المقال : عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين، فهو إماميٌّ لم نقف فيه على مَدْحٍ يلحقه بالحسان[3].

وقال مُسْتَدْرِك التنقيح محيي الدين المامقاني : لولا ولايته على همدان من قبل زياد بن أبيه لرجَحَ عندي حُسْنُهُ، ولكنّ ولايته عن هذا الدّعيّ أوجب التوقّف فيه[4].

لكن قال النمازي : حريث بن جابر الحنفي البكري أو الجعفي، من أصحاب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، عُدَّ مجهولاً، لكن يستفاد حسنه وكماله

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٤٨٤ ـ ٤٨٥، الفتوح، لابن أعثم ١ : ١٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٥ : ٢٤٠.

(٣) تنقيح المقال، لعبد الله المامقاني ١٨ : ١٩٠.

(٤) مستدرك التنقيح، لمحيي الدين المامقاني ١٨ : ١٩٢.

مما نقله ابن شهر آشوب في المناقب من أنّه ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام جانباً من المشرق... واستعمله أمير المؤمنين عليه السلام على لهازم البصرة، وحملاته يوم صفين وأشعاره مفيدةٌ حُسْنَهُ[١].

قال أبو الحسن المدائني: قدم المغيرة بن حريث بن جابر الحنفي على معاوية بوفاة حريث... وذكر غيره أنّ حريثاً لم يزل عاملاً على البحرين حتى مات معاوية[٢].

ثالث ولاته عليه السلام على خراسان
عبد الرحمن بن أَبْزَى الخزاعي

له صحبة مع النبي صلى الله عليه وآله ورواية وفقه وعلم، وهو مولى نافع بن عبد الحارث الخزاعي، سكن الكوفة، واستعمله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على خراسان.

كان نافع مولاه استنابه على مكّة؛ لأنّ نافع بن عبد الحارث كان والياً على مكّة من قبل أبي بكر، وكان عبد الرحمن كاتبه، فلمّا جاء إلى المدينة تلقّاه عمر بن الخطاب لدى عسفان، فقال له: مَن استخلفت على أهل الوادي؟ يعني مكة، قال: ابن أَبْزَى، قال: إنّه عالم بالفرائض، قارئٌ لكتاب الله.

---

(١) مستدركات علم رجال الحديث ٢: ٣٢٥ / الترجمة ٣٢٤٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر ٦٠: ٣ ـ ٤ / الترجمة ٧٥٨٩.

سكن الكوفة، وكان من قرّاء القرآن، وكان مع عليٍّ في صفّين، وهو من جملة الثمانمائة الذين بايعوا بيعة الرضوان وقُتِلَ منهم في صفين ثلاثة وستون نفراً من جملتهم عمار بن ياسر[١].

قال البلاذري : قال أبو عبيدة : أوّل عمال علي عليه السلام على خراسان عبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة، ثمّ جعدة بن هبيرة[٢].

قال الصفدي : توفي في حدود الثمانين[٣].

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢ : ٨٢٢ / الترجمة ١٣٨٨، الإصابة، لابن حجر ٤ : ٢٣٨ ـ ٢٤٠ / الترجمة ٥٠٩٠، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٤.

(٢) فتوح البلدان، للبلاذري ٣ : ٥٠٥ / ٩٩٢.

(٣) الوافي بالوفيات، للصفدي ١٨ : ٦٠.

وأمَّا أوّل واليَيْه عليه السلام على سجستان (سيستان) فهو : عبد الرحمن بن جرو ـ أو جزء ـ الطائي

كان الوالي على سجستان في زمن عثمان عبد الرحمن بن سمرة، ولمَّا حوصر عثمان في قصره خرج عبد الرحمن بن سمرة منها مع الأموال والتحق بمعاوية، فلمّا سمع أمير المؤمنين عليه السلام بخبره أرسل إلى سجستان عبد الرحمن بن جرو الطائي.

في سنة (٣٦هـ) استشهد هذا الوالي، إذ لمّا فرغ الناس من وقعة الجمل اجتمع صعاليك من العرب وعليهم حسكة بن عتاب الحبطي وعمران بن الفضيل البرجمي وقصدوا سجستان وقد نكث أهلُها، وخرجوا من طاعة أمير المؤمنين عليه السلام، فأرسل إليهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عبد الرحمن بن جرو الطائي، ثم كتب الإمام عليه السلام إلى ابن عبّاس في البصرة أن يرسل إِلَيْها جَيْشاً لتهدئة الأُمور؛ لأن فارس كانت تابعة للبصرة، فأرسل ابن عباس أربعة آلاف فارس إليها مع رَبْعِيّ بن كاس العنبري، فوقع القتال بينهما إلى أن استقرّ الوضع على يد ربعيّ بن كاس[1].

---

(١) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٦٤، تاريخ ابن خلدون ٢ ق ٢ : ١٦٦، تاريخ خليفة بن خياط : ١٥١.

وثاني واليَيْهِ على سجستان
هو : ربعي بن كأس العنبري التميمي

هو ربعي بن عامر بن خالد بن لأي بن وقدان العنبري، وكأس هو اسم أُمّه، وإليها يُنْسَبُ[١]. تقدّم كيفية توليته على سجستان.

وقال أبو حنيفة الدينوري : ثمّ وجّه عليّ عليه السلام عمّاله إلى البلدان، فاستعمل على المدائن وجوخى كلّها يزيد بن قيس الأرحبي... وعلى سجستان وحيّزها ربعي بن كأس[٢].

وقال خليفة بن خباط يعد ما ذكرنا من مقتل عبد الرحمن بن جرو الطائي : فكتب عليّ عليه السلام إلى ابن عباس أن وجِّه رجلاً إلى سجستان، فوجّه ربعي بن كأس العنبري، فظهر على حسكة وعمران، وأقام حتى قُتل علي عليه السلام وبويع لمعاوية[٣].

وعلى هذا يكون ربعي بن كأس قد ولي سجستان مرّتين، الأُولى في أوائل خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، والثانية في أواخر خلافته وحياته الشريفة.

---

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري ١٣ : ٨٦. وفي وقعة صفين : ١٢ قال : وهو من بني تميم.

(٢) الأخبار الطوال، للدينوري : ١٥٣، ومثله في وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ١٢.

(٣) تاريخ خليفة : ١٥١.

وأمّا واليه عليه السلام على كرمان، فهو:
عبد الله بن أَهْتَم

ذكر صاحب أنساب الأشراف أنّ أمير المؤمنين عيّن عبد الله بن أهتم والياً على كرمان[١]، وهو من قبيلة تميم من أهل البصرة، ولكنّه لمّا سمع خطبة زياد بن أبيه في البصرة ـ وهي الخطبة المعروفة بالبتراء حيث لم يبدأ فيها بحمد الله تعالى ولا الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله كما ذكرنا في ترجمة زياد بن أبيه ـ أَيَّد عبدُ الله بن أهتم خطبةَ زياد بن أبيه الّتي هدّد بها أهل البصرة، وصار معه[٢]، وعمل مع الحجاج بن يوسف الثقفي[٣]، إلى أن مرض في أيّامه ومات على سوء عاقبةٍ في البصرة[٤].

---

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري: ١٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٦٧، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٤٥٠، الفتوح، لابن أعثم ٤: ٣٠٤.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٥ و ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٤) انظر ترجمته وعاقبته في موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، لمحمد الريشهري: ١٨٢ / الترجمة ٥٤.

الفصل الرابع «من الباب الرابع»
ولاة أمير المؤمنين عليه السلام
على أذربيجان

وهم :

١ ـ الأشعث بن قيس الكندي

٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري

٣ ـ سعد بن الحارث الخزاعي

أوّل ولاته ﷺ على أذربيجان
الأشعث بن قيس الكندي

اسم الأشعث معدي كرب، وأبوه قيس الأشجّ ـ سُمّي الأشج؛ لأنه شُجّ في بعض حروبهم ـ ابن معدي كرب بن معاوية بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عبد العزى بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتّع[1] بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أُدد.

وأُمُّ الأشعث كبشةُ بنت يزيد بن شرحبيل بن يزيد بن امرئ القيس بن عمرو المقصور الملك.

كان الأشعث أبدا أشعثَ الرأس، فسُمِّي الأشعث، وغلب عليه حتّى نُسي اسمه؛ ولعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث يقول أعشى هَمدان[2]:

---

(١) مرتع، كمحدث، وكمحسن أيضاً. القاموس.

(٢) هو أبو مصبح عبد الرحمن بن عبد الله؛ من أبيات في ديوان الأعشين: ٣١١؛ أولها:

مَن مبلغ الحجاج أنّ ... ي قد ندبتُ إليه حَرْبا
حرباً مذكّرة عوا ... ناً تترك الشُّبّانَ شُهْبا

يـــابنَ الأَشَـــجِّ قَـــرِيعِ كِـنْ ... دَةَ لا أُبـالي فِـيك عَـتْبا[١]

أَنتَ الرَّئِـــيسُ ابـــنُ الرَّئـيـ ... ـسِ وأَنْتَ أَعلى النَّاسِ كَعْبا[٢]

وتزوّج رسول الله ﷺ قتيلة أخت الأشعث، فتوفّي قبل أن تصل إليه[٣].

كان الأشعث بن قيس من المقاتلين الأشداء، لكنّه كان منافقاً، وكان يميل إلى العصبية والقوميّة، ولم يكن مخلصاً لأمير المؤمنين عليه السلام.

ومن كلام له عليه السلام؛ قاله للأشعث بن قيس، وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخَفض إليه بصره عليه السلام، ثمّ قال:

«مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ؛ حَائِكُ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ. وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالإِسْلامُ أُخْرَى، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلا حَسَبُكَ. وَإِنَّ أَمْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الأَقْرَبُ وَلا يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ»[٤].

قال الشريف الرضي: يريدُ عليه السلام أنّه أُسِرَ في الكفر مرّة وفي الإسلام مرّة. وأما قوله: «دل على قومه السيفَ» فأراد به حديثاً كان للأشعث

---

(١) في الديوان:

لابن الأشجّ قريع كـنـ ... ـدَة لا أُبيّن فـيه عـتبا

(٢) الديوان: «أعلى القوم».

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٤) نهج البلاغة ١: ٥٦ ـ ٥٧ / خ ١٩.

مع خالد بن الوليد باليمامة غَرَّ فيه قومَهُ ومكر بهم، حتّى أوقع بهم خالد، وكان قومه بعد ذلك يسمّونه «عرف النار»، وهو اسم للغادر عندهم[١].

قال ابن أبي الحديد:

فأمّا الأسر الذي أشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه في الجاهلية فقد ذكره ابن الكلبي في «جمهرة النسب»، فقال: إنّ مراداً لمَّا قتلت قَيْساً الأشجَّ، خرج الأشعث طالباً بثأره، فخرجت كندةُ متساندين على ثلاثة ألوية: على أحد الألوية كبس بن هانئ بن شرحبيل بن الحارث بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ـ ويعرف هانئ بالمطّلع، لأنّه كان يغزو فيقول: اطّلعت بني[٢] فلان، فسمّي المطّلع ـ وعلى أحدها القشعم أبو جبر بن يزيد الأرقم. وعلى أحدها الأشعث. فأخطأوا مراداً، ولم يقعوا عليهم، ووقعوا على بني الحارث بن كعب، فقُتِلَ كبسٌ والقشعمُ أبو جبر، وأُسِرَ الأشعث، ففدي بثلاثة آلاف بعير، لم يُفْدَ بها عربيٌّ بعده ولا قبله، فقال في ذلك عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

فَكانَ فِداؤُهُ أَلْفَي بَعِيرٍ ... وَأَلْفاً مِنْ طَرِيفاتٍ وَتُلْدِ

وأما الأسر الثاني في الإسلام، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدمت كندة حجاجاً قبل الهجرة، عرض رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه عليهم، كما كان يعرض نفسه على أحياء العرب، فدفعه بنو وليعة من بني عمرو بن معاوية ولم

---

(١) نهج البلاغة بتحقيق الشيخ قيس العطار: ٧٤ ـ ٧٥ / خ ١٩.

(٢) اطَّلَعَ القومَ: هجم عليهم.

يقبلوه، فلما هاجر ﷺ وتمهدت دعوته، وجاءته وفود العرب، جاءه وفد كندة، فيهم الأشعث وبنو وليعة، فأسلموا، فأطعم رسول الله ﷺ بني وليعة طعمة من صدقات حضرموت، وكان قد استعمل على حضرموت زياد بن لبيد البياضي الأنصاري، فدفعها زياد إليهم، فأبوا أخذها، وقالوا: لا ظهر لنا[1]، فابعث بها إلى بلادنا على ظهرٍ من عندك، فأبى زياد، وحدث بينهم وبين زياد شرّ كاد يكون حربا، فرجع منهم قوم إلى رسول الله ﷺ، وكتب زياد إليه عليه السلام يشكوهم.

وفي هذه الوقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله ﷺ، قال لبني وليعة: «**لتنتهنّ يا بني وليعة، أو لأبعثنّ عليكم رجلاً عديل نفسي، يقتل مقاتلتكم، ويسبي ذراريكم**». قال عمر بن الخطاب: فما تمنيت الإمارة إلّا يومئذ، وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول: هو هذا، فأخذ بيد علي عليه السلام، وقال: «**هو هذا**»[2].

قال أبو جعفر محمد بن جرير في التاريخ: وكان المسلمون يلعنون الأشعث ويلعنه الكافرون أيضاً وسبايا قومه، وسمّاه نساء قومه عُرف النار، وهو اسم للغادر عندهم[3].

---

(١) الظهر: الركاب التي تحمل الأمتعة في السفر، سميت بذلك لحملها إياها على ظهورها.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ٢٩٦. ونص عبارة الطبري كما في تاريخه ←

فأمّا الكلام الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام قاله على منبر الكوفة فاعترضه فيه الأشعث، فإنّ عليّاً عليه السلام قام إليه ـ وهو يخطب، ويذكر أمر الحكمين ـ رجلٌ من أصحابه، بعد أن انقضىٰ أمرُ الخوارج، فقال له: نهيتَنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أيّ الأمرين أرشد؟! فصفق عليه السلام بإحدى يديه على الأُخرى، وقال: «**هٰذا جَزاءُ مَنْ تَرَكَ العُقْدَةَ**». وكان مراده عليه السلام: هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم، وأصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم؛ فظنّ الأشعث أنّه عليه السلام أراد: هذا جزائي حيث تركتُ الرأي والحزم وحكّمتُ... فلمّا قال له الأشعث: هذه عليك لا لك، قال له عليه السلام: «**وَما يُدْرِيكَ ما عَلَيَّ مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِين!**».

وكان الأشعث من المنافقين في خلافة علي عليه السلام، وهو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان عبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؛ كلٌّ واحد منهما رأس النفاق في زمانه.

وأما قوله عليه السلام للأشعث: «حائك ابن حائك»، فإن أهل اليمن يعيّرون بالحياكة، وليس هذا مما يخصّ الأشعث.

ومن كلام خالد بن صفوان: ما أقول في قوم ليس فيهم إلّا حائك

← ٢ : ٥٤٨ وبعث [المهاجرين بن أبي أُمية] به [بالأشعث] إلى أبي بكر مع السبي فكان معهم يلعنه المسلمون ويلعنه سبايا قومه، وسمّاه نساء قومه «عرف النار» وهو كلام يمانٍ يسمّون به الغادر.

بُرد، أو دابغ جلد، أو سائس قرد؛ ملكتهم امرأة، وأغرقتهم فأرة، ودلّ عليهم هدهد[١]!

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يلعنه لخُبْثه، حتّى إنّ الأشعث استأذن أمير المؤمنين عليه السلام فردّه قنبرٌ، فأدمى الأشعثُ أنفه، فخرج عليٌّ عليه السلام فقال: «**مالِي وَلَكَ يا أَشْعَثُ ؟! أَما وَاللهِ لَوْ بِعَبْدِ ثَقِيفٍ تَمَرَّسْتَ، لاقْشَعَرَّتْ شُعَيْراتُ اسْتِكَ**»[٢]، قيل: ومن غلام ثقيف؟ قال عليه السلام: «**غُلامٌ يَلِيهِمْ لا يُبْقي بَيْتاً مِنَ العَرَبِ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ الذُّلَّ**». قال: كم يلي؟ قال: «**عِشْرِينَ إِنْ بَلَغَها**»، قال الراوي: فَوِلِيَ الحجّاج سنة خمس وسبعين ومات سنة (خمس وتسعين)[٣].

عن الأعمش: أنّ جريراً والأشعث خرجا إلى جبّان الكوفة، فمرّ بهما ضبّ يعدو ـ وهما في ذمّ عليٍّ عليه السلام ـ فناداياه: يا أَبا حِسْل[٤]! هلمّ يدك نبايعك بالخلافة..! فبلغ علياً عليه السلام قولهما: فقال: «أَمَا إِنَّهُما يُحْشَرانِ يَوْمَ القِيامَةِ وَإِمامُهُما ضَبٌّ»[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) تمرست: أي تعرضت له بشرٍّ.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦: ١١٧، مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني: ٢٠، بحار الأنوار، للمجلسي ٣٤: ٣١٣ / ح ١٠٨٤، و ٤١: ٢٩٨ حديث ٢٨، الخرائج والجرائح، للقطب الراوندي ١: ١٩٩.

(٤) أبو حِسْل: كنية الضّبّ.

(٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ٧٥.

وقد كان الخوارج ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام وواطأهم على ذلك، وحضر الأشعث بن قيس لعنه الله في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه..[1].

وعن سليمان ـ كاتب عليّ بن يقطين ـ عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الأشعثَ بن قيس شَرِكَ في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنَتُه جعدة سمَّتِ الحسن عليه السلام، ومحمَّداً ابنَهُ شَرِكَ في دم الحسين عليه السلام[2].

وعن الأسود والأجلح: أنّ ابن ملجم أتى إلى الأشعث بن قيس ـ لعنهما الله ـ في اللَّيلة التي أراد فيها بعليّ عليه السلام ما أراد، والأشعثُ في بعض نواحي المسجد، فسمع حجرُ بنُ عديٍّ الأشعثَ يقول لابن ملجم ـ لعنه الله ـ: النَّجاءَ النَّجاءَ لحاجتك! فقد فضحك الصُّبح، فقال له حجر: قتلته يا أعور! وخرج مبادراً إلى علي عليه السلام وأسرج دابّته، وسبقه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ فضرب عليّاً عليه السلام، وأقبل حجر والناس يقولون: قتل أمير المؤمنين[3].

قال أبو الفرج الأصفهاني: وللأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام أخبار يطول شرحها... ثم روى بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: حدثتني امرأة منّا قالت:

---

(١) الإرشاد، للشيخ المفيد رحمه الله ١ : ١٩ / فصل «ومن الأخبار الواردة بسبب قتله عليه السلام».

(٢) الكافي، للكليني ٨ / ١٦٧ حديث ١٨٧ بسنده.

(٣) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني : ٢٠.

رأيت الأشعث بن قيس دخل على عليّ عليه السلام فأغلظ له عليٌّ عليه السلام، فعرَّضَ له الأشعث بأنّه يفتك به، فقال له علي عليه السلام: «أَبِالْمَوْتِ تُهَدِّدُني.. فَواللهِ ما أُبالي وَقَعْتُ عَلَى المَوْتِ، أَوْ وَقَعَ المَوْتُ عَلَيَّ»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن الصلاة في خمسة مساجد بالكوفة؛ مسجد الأشعث بن قيس الكندي، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد سِماك بن مخرمة، ومسجد شبث بن ربعي، ومسجد تيم. قال: وكان أمير المؤمنين إذا نظر إلى مسجدهم، قال: هذه بقعة تيم، ومعناه أنّهم قعدوا عنه لا يصلّون معه عداوة له وبغضاً لعنهم الله[2].

قال علي أكبر الغفاري: لا يقال: إنّ هذه المساجد قد أُحدِثَتْ بعد أمير المؤمنين، فكيف يستقيم نهيه عن الصلاة فيها؟ لأنّا نقول: هذه المساجد بُنِيَتْ قبلُ، ودَرَسَتْ وجُدِّدَتْ بعدُ، كما في خبر عبيس بن هشام[3].

قال الشيخ محيي الدين المامقاني: وأشار بالخبر إلى ما رواه في الكافي بسنده عن عبيس بن هشام، عن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

---

(١) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) الخصال، للشيخ الصدوق ١: ٣٠١ حديث ٧٦ باب النهي عن الصلاة في خمسة مساجد بالكوفة، ومثله في الكافي ٣: ٤٩٠ حديث ٣.

(٣) الخصال، للشيخ الصدوق: ٣٠٢ / الهامش ١.

« جُدِّدَتْ أربعة مساجد بالكوفة فَرَحاً لقتل الحسين عليه السلام : مسجد الأشعث ، ومسجد جرير ، ومسجد سماك ، ومسجد شبث بن ربعي »[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « إنَّ بالكوفة مساجد ملعونة ومساجد مباركة ، فأمّا المباركة فمسجد غنيّ ، والله إنّ قبلته لقاسطة ، وإنّ طينته لطيّبة ، ولقد وضعه رجلٌ مؤمنٌ ، ولا تذهب الدنيا حتّى تفجّر منه عينان ، وتكون عنده جنّتان ، وأهله ملعونون ، وهو مسلوب منهم ، ومسجد بني ظفر ـ وهو مسجد السهلة ـ ومسجد بالخمراء ، ومسجد جعفي ، وليس هو اليوم مسجدهم » ، قال : درس « فأمّا المساجد الملعونة : فمسجد ثقيف ، ومسجد الأشعث ، ومسجد جرير ، ومسجد سماك ، ومسجد بالخمراء[٢] ، بني على قبر فرعون من الفراعنة »[٣].

وروى الصدوق رحمه الله بسنده : عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خطبنا عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : « **أَيُّها النَّاسُ : إنَّ قُدَّامِ مِنْبَرِكُمْ هذا أربعة رهط من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، منهم : أنس بن مالك ، والبراء بن عازب ، والأشعث بن قيس الكندي ،**

---

(١) مستدرك تنقيح المقال ، للمامقاني ١١ : ١٠٨ ، والخبر في الكافي ، للكليني ٣ : ٤٩٠ / ح ٢.

(٢) الخمراء : قرية قرب الكوفة ، وفي التهذيب ، للطوسي : مسجد الحمراء ـ بالحاء المهملة ـ فراجع.

(٣) الكافي ، للكليني ٣ : ٤٩٠ ، حديث ١ ، التهذيب ، للشيخ الطوسي ٣ : ٢٥٠ / حديث ٦٨٥.

وخالد بن يزيد البجلي ..»، ثمّ أقبل على أنس فقال: «يا أنس! إن كنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك الله حتى يبتليك ببرص لا تغطّيه العمامة. وأما أنت يا أشعث! فإن كنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك الله حتى يذهب بكريمتيك[1]. وأما أنت يا خالد بن يزيد! فإن كنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه ..» ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله إلّا ميتة جاهلية. وأمّا أنت يا براء بن عازب! فإن كنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك الله إلّا حيث هاجرتَ منه».

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: والله لقد رأيت أنس بن مالك وقد ابتُلي ببرص يغطّيه بالعمامة فما تستره. ولقد رأيت الأشعث بن قيس وقد ذهبت كريمتاه، وهو يقول: الحمد لله الذي جعل دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيَّ بالعمى في الدنيا، ولم يَدْعُ عَلَيَّ بالعذاب في الآخرة فأُعذّب. وأمّا خالد بن يزيد فإنّه مات فأراد أهله أن يدفنوه، وحُفِرَ له في منزله فدفن، فسمعت بذلك كندة فجاءت

(١) أي بعينيك.

بالخيل والإبل، فعقرتها على باب منزله، فمات ميتة جاهلية. وأما البراء بن عازب فإنّه ولّاه معاوية اليمن، فمات بها، ومنها كان هاجر[١].

وعند رفع المصاحف، وقبول المنافقين وضعاف العقول به، أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يرسل عبد الله بن العباس مُفاوِضاً من قِبَلِهِ، فرفضوا لأنّه ابن عَمِّه، وقالوا: لا نبالي أنت كنت أو ابن عباس، فقال عليٌّ عليه السلام: «**فإنّي أجعل الأشتر!**»، فقال الأشعث: وهل سعّر الأرض علينا إلّا الأشتر! وهل نحن إلّا في حكم الأشتر[٢]؟!

قال ابن أبي الحديد: وحدث من بعض أُمراء أمير المؤمنين عليه السلام الخيانة، كالقعقاع بن شور، لأنّه ولّاه على ميسان، فأخذ مالها ولحق بمعاوية، وكذلك فعل الأشعث بن قيس بمال آذربيجان[٣].

وعن ذهل بن الحارث، قال: دعاني مصقلة إلى رحله، فقدّم عشاء فطعمنا منه، ثم قال: والله إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يسألني هذا المال، ووالله ما أقدر عليه.. إلى أن قال: ألم تر إلى عثمان كيف أعطى الأشعث مائة ألف درهم من خراج آذربيجان في كلّ سنة..[٤].

من كُلِّ هذا يتجلّى لنا أنّ الأشعث كان منافقاً ومنحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الخصال، للصدوق ١ : ٢١٩ ـ ٢٢٠ / باب الأربعة، الحديث ٤٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٦، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣ : ٣١٩، شرح النهج، لابن أبي الحديد ١ : ٢٢٨، عن كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

(٣) شرح النهج، لابن أبي الحديد ٣ : ١٣.

(٤) شرح النهج، لابن أبي الحديد ٣ : ١٤٥.

وأمّا وفاته :

مات الأشعث بن قيس بعد مقتل علي عليه السلام بأربعين ليلة، ودفن بداره بالكوفة، وقيل : مات قبله بيسير[١]، وقيل : سنة اثنتين وأربعين، روى عنه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة[٢].

وفي شذرات الذهب في حوادث سنة أربعين ومن مات فيها : والأشعث بن قيس الكندي بالكوفة[٣].

وفي أُسد الغابة : كان الحسن بن علي عليهما السلام تزوّج ابنته، فقيل : هي التي سقت الحسن عليه السلام السمّ فمات منه[٤].

ثاني ولاته عليه السلام على أذربيجان
قيس بن سعد بن عبادة

قد مرّ شيء من ترجمته لمّا كان والياً على مصر من قِبَل أمير المؤمنين عليه السلام.

وهو من كبار الصحابة، وكان من النّبيّ صلى الله عليه وآله بمنزلة صاحب الشرطة

---

(١) وهذا غير صحيح، فإنّه كان من المشاركين في مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الجمع بين رجال الصحيحين، للمقدسي : ٤٤ برقم ١٦٤، الكاشف، للذهبي ١ : ١٣٥ برقم ٤٥١، الوافي بالوفيات، للصفدي ٩ : ٢٧٤ برقم ٤١٩٣، تهذيب الكمال ٣ : ٢٨٦ برقم ٥٣٢، تقريب التهذيب، لابن حجر ١ : ٨٠ برقم ٢٠٨.

(٣) شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ١ : ٤٩.

(٤) أسد الغابة، لابن الأثير ١ : ٩٨.

من الأمير، شهد مع النبي صلى الله عليه وآله المشاهد كلّها، وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وآله، أخذ النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم الفتح الراية من أبيه ودفعها إليه.

وكان كريماً شجاعاً طوالاً جدّاً أَمَدَّ الناس قامةً، وما في وجهه طاقة شعر، وكانت الأنصار تقول: وددنا لو نشتري لقيس بأموالنا لحية[1]، وكان مع ذلك جميلاً.

وكان من دهاة العرب، وأهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة والسخاء، وكان شريف قومه غير مدافَع، وكان أبوه وجدّه كذلك. وكان يقول «لولا الإسلام، مَكَرْتُ مكراً لا تطيقه العرب»، وعنه أنه قال: لولا أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المكر والخديعة في النار» لكنت من أمكر هذه الأُمة[2].

وكان كريماً حتى روى عن جابر في قصة جيش العسرة أنّ قيساً كان في ذلك الجيش، وأنّه كان ينحر ويطعم حتّى استدان بسبب ذلك، فنهاهُ أمير الجيش وهو أبو عبيدة، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله، فقال: «**الجُودُ من شيمة أهل هذا البيت**»[3].

وجاءته عجوز كانت تألفه، فقال لها: كيف حالك؟ فقالت: ما في بيتي جرذ، فقال ما أَحْسَنَ ما سألتِ، لأُكْثِرَنَّ جرذ بيتك، املأوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً[4].

---

(١) ذهب بعض المحققين إلى أنّ هذا من وضع الأمويين.

(٢) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨: ٤٥٣.

(٣) الاستيعاب، لابن عبد البر ٣: ١٢٩٠ / الترجمة ٢١٣٤.

(٤) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨: ٤٥٣.

ولاؤه لأمير المؤمنين علي عليه السلام

كان مخلصاً في الولاء لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عارفاً بقدره، وبلغ به الأمر أن خاصم أباه حين ذكر أمامه مرَّةً كلاماً كان سمعه من النبي صلى الله عليه وآله في حقّ عليٍّ، فقال قيس لأبيه: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هذا الكلام في عليٍّ بن أبي طالب ثمّ تطلبُ الخلافة ويقول أصحابك: منا أمير ومنكم أمير؟! والله لا كلّمتك من رأسي بعد هذا كلمة أبداً.

وقال عنه الفضل بن شاذان: إنّه كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال ابن أبي الحديد: كان قيس من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وقاتل بمحبّته وولائه، وشهد معه حروبه كلّها، وكان مع الحسن عليه السلام ونقم عليه صلحه معاوية، وكان طالبيَّ الرأي مخلصاً اعتقاده وودّه.

وقال إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب الغارات: كان قيس من شيعة عليٍّ مناصحاً له ولولده، ولم يزل على ذلك إلى أن مات[1].

توليته مصر وعزله عنها ثمّ توليته أذربايجان

قال إبراهيم: لمّا ولي عليّ عليه السلام الخلافة قال لقيس من كلام له: «**سِرْ إلى مِصْرَ فَقَدْ وَلَّيتُكَ، فَإذا أَنْتَ قَدِمْتَها إنْ شاءَ اللهُ فأَحْسِنْ إلى المُحْسِنِ، واشْتَدَّ عَلَى المُرِيبِ، وارْفُقْ على العامَّةِ والخاصَّةِ فالرِّفْقُ أَيْمَنُ.**

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨: ٤٥٣.

فقال قيس من كلام له : وأمّا ما أوصيتني به من الرِّفق والإحسان، فالله تعالى هو المستعان على ذلك.

فخرج قيس في سبعة من أهله حتى دخل مصر، فصعد المنبر، وأمر بكتاب معه فقرئ على الناس، فيه : «مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلى مَنْ بَلَغَهُ كِتابي هٰذا مِنَ المُسْلِمِينَ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنّي أَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكُمُ الَّذِي لا إِلٰهَ إِلَّا هُو، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ بِحُسْنِ صَنِيعِهِ وَقَدْرِهِ وتَذْكِيرِهِ اخْتارَ الإِسْلامَ دِيناً لِنَفْسِهِ ومَلائِكَتِهِ ورُسُلِهِ، وبَعَثَ بِهِ أَنْبياءَهُ إِلى عِبادِهِ، فَكانَ مِمَّا أَكْرَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ هٰذِهِ الأُمَّةَ، وخَصَّهُمْ مِنَ الفَضْلِ، أَنْ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله إِلَيْهِمْ فَعَلَّمَهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ والسُّنَّةَ والفَرائِضَ، وأَدَّبَهُمْ لِكَيْما يَهْتَدُوا، وجَمَعَهُمْ لِكَيْما لا يَتَفَرَّقُوا، وزَكَّاهُمْ لِكَيْما يَطْهُرُوا، فَلَمَّا قَضَى مِنْ ذلِكَ ما عَلَيْه قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ، فَعَلَيْهِ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ ورَحْمَتُهُ وَرِضْوانُهُ.

ثمّ إِنَّ المُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ اسْتَخْلَفُوا أَمِيرَيْنِ مِنْهُمْ أَحْسَنا السِّيرَةَ، ثُمَّ تُوُفِّيا فَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِما والٍ أَحْدَثَ أَحْداثاً فَوَجَدَتِ الأُمَّةُ عَلَيْهِ مَقالاً، فَقالوا ثُمَّ نَقِمُوا فَتَغَيَّرُوا، ثُمَّ جاءُونِي فَبايَعونِي، وأَنا أَسْتَهْدِي اللهَ الهُدَى، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى التَّقْوَى، أَلا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنا العَمَلَ بِكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ وَالقِيامَ بِحَقِّهِ والنُّصْحَ لَكُمْ بِالغَيْبِ، واللهُ المُسْتَعانُ، وَحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ.

وقَدْ بَعَثْتُ لَكُمْ قَيْسَ بنَ سَعْدٍ الأَنْصارِيَّ أَمِيراً فَوازِرُوهُ وأَعِينُوهُ عَلَى الحَقِّ. وَقَدْ أَمَرْتُهُ بالإِحْسانِ إِلَى مُحْسِنِكُمْ، والشِّدَّةِ عَلَى مُرِيبِكُمْ،

والرِّفْقِ بِعَوامِّكُمْ وخَواصِّكُمْ، وَهُوَ مِمَّنْ أَرْضَى هَدْيَهُ وأَرْجُو صَلاحَهُ ونُصْحَهُ. أَسأَلُ اللهَ لَنا ولَكُمْ عَمَلاً زاكِياً، وثَواباً جَمِيلاً، وَرَحْمَةً واسِعَةً، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: الحمد للهِ الذي جاء بالحقّ وأمات الباطل وكبت الظالمين. أيّها النّاس، إنّا بايعنا خيرَ من نعلم من بعد نبينا محمد ﷺ، فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنّة رسوله، فإنْ نحن لم نعمل بكتاب الله وسنّة رسوله فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا. واستقامت أُمور مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عُمَّاله.. إلّا أنَّ قرية منها قد أعظم أهلُها قَتْلَ عثمان، وبها رجل من بني كنانة يقال له: يزيد بن الحارث، فبعث إلى قيس: إنّا لا نأتيك فابعث عمّالك فالأرض أرضك، ولكنْ أَقِرَّنا على حالنا حتَّى ننظر إلى ما يصيرُ إليه أمرُ النّاس.

ووثب مسلمة بن مخلّد الأنصاري فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس: ويحَكَ، أَعَلَيَّ تَثِبُ؟! واللهِ ما أُحِبُّ أن لي ملك الشام ومصر وأنّي قتلتك، فاحقن دمك. فأرسل إليه مسلمة: إنّي كافٌّ عنك ما دمتَ أنت والي مصر.

وبعث قيس إلى الّذين اعتزلوا: إنّي لا أكرهكم على البيعة، ولكنّي أدعكم وأكفّ عنكم، فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلد، وجبى الخراج، وليس أحد ينازعه.

وخرج عليٌّ عليه السلام إلى الجمل وقيسٌ على مصر، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه، فكان أَثْقَلَ خلق الله على معاوية لقربِ مصر وأعمالها من الشام، ومخافةَ أن يُقْبِل عليٌّ بأهل العراق ويُقْبِل إليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما.

وكتب معاوية إلى قيس ـ وعليٌّ يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين ـ:

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد، سلام عليكم، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو. أما بعد، فإنّكم إن كنتم نقمتم على عثمان في عثرة رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو شَتْمَه رجلاً، أو تسييره أحداً، أو في استعماله الفتيان من أهله، فإنّكم قد علمتم ـ إن كنتم تعلمون ـ أنّ دمه لم يكن ليحلّ لكم بذلك، فقد ركبتم عظيماً من الأمر، وجئتم شيئاً إِدّا. فتُبْ يا قيس إلى رَبِّك إذ كنت من المجلبين على عثمان إنْ كانت التوبة قبل الموتِ تغني شيئاً، وأما صاحبك فقد تيقَّنّا أنّه أغرى الناس به وحملهم على قتله، وأنّه لم يسلم من دمه عُظْمُ قَوْمِكَ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل وبايِعْنا على عَلِيٍّ في أمرنا هذا، ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيتُ، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لي سلطان، وسَلْنِي غير هذا ممّا تحب فإنك لا تسألني شيئاً إلاّ أثبّته، واكتب إليَّ برأيك فيما كتبت إليك، والسلام.

فلمّا جاء إليه كتاب معاوية أحبّ أن يرافقه ولا يبدي له أمرهُ، ولا يعجّل له حَرْبَهُ فكتب إليه: أما بعد، فقد وصل إليّ كتابك وفهمت الذي ذكرت من

أمر عثمان، وذلك أمر لم أقاربه. وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان ودسّهم إليه حتّى قتلوه، وهذا أمر لم أطّلع عليه. وذكرت لي أنّ عُظْمَ عشيرتي لم تسلم من دم عثمان، فلعمري إنّ أَوْلى النّاس كان في أمره عشيرتي. وأما ما سألتني من مبايعتك على الطَّلب بدمه وما عرضت عليَّ، فقد فهمته، وهذا أمر لي فيه نظر وفكر، وليس هذا ممّا يُعْجَلُ إلى مثله. وأنا كافٌّ عنكَ وليس يأتيك من قِبَلِي شيءٌ تكرهه حتّى نرى وتَرى إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلّا مقارباً مباعداً، ولم يأمن من أن يكون في ذلك مخادعاً مكايداً، فكتب إليه:

أمّا بعدُ، فقد قرأت كتابك فلم أَرَكَ تدنو فأَعِدَك سِلْماً، ولم أرك مُباعداً فأعِدَك حرباً، أراك كحَبْلِ الجَرورِ، وليس مثلي يصانع بالخدائع، ولا يخادع بالمكائد، ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل، فإن قبلتَ الذي عرضتُ عليك فلك ما أعطيتُك، وإن أنت لم تفعل أَمْلَأْ عليكَ مصرَ خيلاً ورَجْلاً، والسلام.

فلما قرأ قيس كتابه وعلم أنه لا يقبل منه المدافعة والمطاولة أظهر له ما في نفسه، فكتب إليه:

من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد، فالعَجَب من استسقاطك رأيي والطمع في أن تسومني ـ لا أبا لغيرك ـ الخروجَ من طاعة أولى الناس بالأمر، وأقولهم بالحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعةِ أبعد الناس من

هذا الأمر، وأقولهم بالزُّور، وأَضَلِّهم سبيلاً، وأنآهم من رسول الله وسيلة، ولذلك قومٌ ضالّون مضلّون طواغيت من طواغيت إبليس. وأما قولك: إنّك تملأ عليَّ مصر خيلاً ورجلاً، فلئن لم أشغلك في ذلك حتى يكون منك إنَّك لَذُو جِدٍّ. والسلام.

فلمّا أتى معاويةَ كتابُ قيس أيس منه وثقل مكانه عليه، وكان أن يكون مكانه غيره أحبّ إليه، فأظهر للناس أنّ قيساً قد بايعكم فادعوا الله له، وقرأ عليهم كتابه الذي لانَ فيهِ وقاربه، واختَلَقَ كتاباً نسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام. قال: فشاع في الشام كلّها أنّ قيساً صالح معاوية. وأتت عيون عليٍّ إليه بذلك فأعظمه وأكبره وتعجّب له، ودعا ابنيه حسناً وحسيناً وابنه محمداً وعبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك، وقال: ما رأيكم؟ فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، اعزل قيساً عن مصر. قال علي عليه السلام: والله إنّي غيرُ مصدِّقٍ بهذا على قيس. فقال عبد الله: اعزله يا أمير المؤمنين، فإن كان ما قد قيل حقاً فلا يعتزل لك إن عزلته. قال: وإنّهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد فيه:

أمّا بعد، فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله وأعزّك أن قِبَلي رجالاً معتزلين سألوني أن أكفّ عنهم وأدعهم على حالهم حتّى يستقيم أمر الناس فترى ويرون، وقد رأيتُ أن أكفّ عنهم ولا أعجّل بحربهم، وأن أَتَأَلَّفَهُمْ فيما بين ذلك لعلَّ الله أن يُقْبِلَ بقلوبهم ويفرّقهم عن ضلالهم إن شاء الله، والسلام.

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين إنّك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقمت الفتنة وقعد عن بيعتك كثير ممّن تريده على الدخول فيها ، ولكنْ مُرْهُ بقتالهم .

فكتب إليه علي ﷺ يشير بقتالهم ، وأجابه قيس بأنّ الرأي ترك قتالهم ، فلمّا أجابه بذلك قال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ابعث محمَّد بن أبي بكر إلى مصر يَكْفِكَ أمرها ، واعزل قيساً فوالله لبلغني أن قيساً يقول : إنّ سلطاناً لا يتمّ إلّا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء ، والله ما أُحِبُّ أنَّ لي سلطان الشّام مع سلطان مصر وأنّني قتلتُ ابن مخلّد .

وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأُمّه ، وكان يحبّ أن يكون له إمرة وسلطان ، فاستعمل عليٌّ محمَّد بن أبي بكر على مصر ، وكتب معه كتاباً إلى أهل مصر ، فقدمها ، فقال له قيس : ما بال أمير المؤمنين ؟ ما غيّره ؟ أَدَخَلَ أحدٌ بيني وبينه ؟ قال : لا ، وهذا السلطان سلطانك ، وكان بينهما نسب ، كان قيس متزوِّجاً (قَرِيبَةَ) بنتَ أبي قحافة أُخت أبي بكر ، فكان قيس زوج عمَّة محمَّد ، فقال قيس : لا والله لا أُقيم معك ساعةً واحدة ، وغضب حين عزله عليٌّ ﷺ ، وخرج من مصر مقبلاً إلى المدينة ، ولم يمضِ إلى عليٍّ بالكوفة .

قال إبراهيم : ثمّ أقبل قيس حتّى قدم المدينة ، فجاءه حسان بن ثابت شامتاً وكان عثمانياً ، فقال له : نزعك عليٌّ بن أبي طالب وقد قتلتَ عثمان ، فبقي عليك الإثم ولم يُحْسِنْ لك الشُّكْر ، فزجره قيس ، وقال : يا أعمى القلب يا أعمى البصر ، والله لولا أن ألقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربتُ عنقك ، ثم أخرجه من عنده .

ثمّ إنّ قيساً وسهل بن حنيف خرجا حتّى قدما على عليٍّ بالكوفة، فخبَّره قيس الخبر وما كان بمصر، فصدَّقَهُ، وشهد مع عليٍّ صفين هو وسهل بن حنيف[١].

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفّين : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا عزم على المسير إلى صفّين دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فاستشارهم، فقام فيمن قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال : يا أمير المؤمنين، انكَمِشْ بنا إلى عدوِّنا ولا تعرج، فوالله لَجِهادُهُم أحبُّ إليّ من جهاد الترك والروم؛ لإدْهانهم في دين الله، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيّروه، وفيئُنا لهم في أنفسهم حلال، ونحن لهم فيما يزعمون قَطِينٌ، قال : يعني رَقِيقٌ.

فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيّوب الأنصاري وغيرهما : لِمَ تقدَّمْتَ أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام؟ فقال : أما إنّي عارف بفضلكم، معظّم لشأنكم، ولكنّي وجدت في نفسي الضِّغْن الذي جاش في صدوركم حين ذكرتُ الأحزاب[٢].

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين : أنّ معاوية لمّا تعاظمت عليه الأُمور يوم صفين جمع خواصّ أصحابه فقال لهم : إنّه قد غمّني رجال

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨ : ٤٥٤.

(٢) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨ : ٤٥٥، وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ٩٣.

من أصحاب عليٍّ، وَعَدَّ فيهم قيسَ بن سعد في الأنصار، فعَبَّأَ لكلِّ رجل منهم رجلاً من أصحابه، فجعل من قريش بسر بن أرطاة لقتال قيس بن سعد، فخرج بسر في الخيل فلقي قيس بن سعد في كُماة الأنصار، فاشتدّت الحرب بينهما، وبرز قيس وهو يقول:

أَنا ابنُ سَعْدٍ زانَهُ عُبادَهْ ... والخَزْرَجِيُّونَ رِجالٌ سادَهْ

لَيْسَ فِراري في الوَغَى بِعادَهْ ... إنَّ الفِرارَ للفَتَى قِلادَهْ

يا رَبِّ أَنْتَ لَقِّني الشَّهادَهْ ... القَتْلُ خَيْرٌ مِنْ عِناقِ غادَهْ

حَتَّى مَتَى تُثْنَى لِيَ الوِسادَهْ

فطعن خيلَ بُسْر، وبرز له بسر فطعن قيساً، فضربه قيس بالسيف فردَّه على عقبيه، ورجع القوم جميعاً ولقيس الفضل[1].

ودعا معاوية يوماً بصفين النعمان بن بشير الأنصاري ومسلمة بن مخلد الأنصاري ولم يكن معه من الأنصار غيرهما فقال: لقد غمَّني ما لقيت من الأوس والخزرج؛ واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال؛ حتَّى ما أسأل عن فارس إلّا قالوا: قتله الأنصار، أما والله لأرمينهم بأعدادهم من رجال لم يَغْذُهُمُ التَّمْرُ والطَّفَيْشَل[2]، يقولون: نحن الأنصار!! قد والله آووا ونصروا، ولكنْ أفسدوا حقَّهم بباطلهم.

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨: ٤٥٥، وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٤٢٦ ـ ٤٢٩.

(٢) الطَّفَيْشَلُ: مرق معروف، يعيبُ الأنصار بأنّ طعامهم التمر.

فغضب النعمان وقال : يا معاوية لا تلومنّ الأنصار بسرعتهم في الحرب، فإنّهم كذلك كانوا في الجاهلية. وأمّا دعاؤهم إلى النزال، فقد رأيتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله. وأمّا لقاؤك إيّاهم في أعدادهم من قريش، فقد علمتَ ما لَقِيَتْ قريشٌ منهم. وأمّا التَّمر والطَّفيشل، فإنَّ التمر كان لنا، فلمَّا أَن ذُقْتُمُوهُ شاركتمونا فيه، وأمَّا الطفيشل فكان لليهود فلمَّا أكلناه غلبناهم عليه كما غلبَتْ قريشٌ على السَّخِينَة[1].

ثمّ تكلّم مسلمة بن مخلد بما يشبه ذلك، وقال في آخر كلامه : وأمّا التَّمر والطفيشل فيجرَّان عليك نسب السَّخينة والخُرْنُوب.

وانتهى الكلام إلى الأنصار فجمع قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريُّ الأنصارَ، وقام فيهم خطيباً فقال :

إنّ معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم، فلعمري لئن غِظْتُمْ معاوية اليومَ لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام لقد وترتموه في الشِّرْك، وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصرة هذا الدين الذي أنتم عليه، فجِدُّوا اليوم جدّاً تُنْسُونَ ما كان أمس، وجِدُّوا غداً جداً تُنْسُون ما كان اليوم، وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب. وأمّا التمر، فإنا لم نغرسه ولكنْ غلبنا عليه من غرسه. وأمّا الطفيشل، فلو كان طعامنا سُمِّينا به كما سُمِّيَتْ قريش السخينة، ثمّ قال قيس بن سعد في ذلك :

---

(١) السَّخينة : طعام رقيق يتخذ من دقيق كانت تأكله قريش فعيرت به وصار لقباً لها.

يا ابنَ هِنْدٍ دَعِ التَّوَثُّبَ في الحَرْ ... بِ إذا نَحْنُ بالجِيادِ سَرَيْنا
نَحْنُ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ فادْنُ إذا شِئْـ ... ـتَ بِمَنْ شئتَ في العَجاجِ إلَيْنا
إنْ تَشَأْ فارسٌ لَهُ فارِسٌ مِنَّـ ... ـا وإنْ شِئْتَ باللَّفِيفِ التَقَيْنا
ثُمَّ لا تَنْزِعُ العَجاجةُ حَتَّى ... تَنْجَلي حَرْبُنا لَنا أَوْ عَلَيْنا
إنَّنا إنَّنا الَّذينَ لَدَى الفَتْـ ... ـحِ شَهِدْنا وَخَيْبَراً وحُنَيْنا
بَعْدَ بَدْرٍ وتلكَ قاصِمَةُ الظَّهْـ ... ـرِ وأُحْدٍ وبالنَّضِيرِ ثَنَيْنا
يَوْمَ الاحْزابِ فِيهِ قَدْ عَلِمِ النّا ... سُ شَفَيْنا مِنْ قَبْلِكُمْ واشْتَفَيْنا

فلمّا بلغ شعرُهُ معاويةَ دعا عمرو بن العاص، فقال: ما ترى في شتم الأنصار؟ فقال: أرى أن توعد ولا تشتم، قال معاوية: إنّ قيس بن سعد يقومُ كُلَّ يوم خطيباً، وهو يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس الفيل، فما الرأي؟ قال: الرأي التَّوكُّلُ والصَّبرُ، وأن تبعث إلى رجال من رؤساء الأنصار فتعاتبهم، فبعث إليهم فمشوا إلى قيس فقالوا: إنّ معاوية لا يريد شتمنا فكفَّ عن شتمه، فقال: إنّ مثلي لا يشتم، ولكنْ لا أكفُّ عن حربه حتَّى ألقى الله[1].

وقال نصر: إنّ عليّاً عليه السلام دعا قيس بن سعد يوم صفين، فأثنى عليه خيراً وسوَّده على الأنصار[2].

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨: ٤٥٥ ـ ٤٥٦، وقعيد صفين، لنصر بن مزاحم: ٤٤٥ ـ ٤٤٧.

(٢) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨: ٤٥٦، وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٤٥٣.

ولمّا بعث الحسن عليه السلام عبيدَ الله بن العباس على مقدّمته إلى لقاء معاوية أمره أن يشاور قيس بن سعد وسعيد بن قيس الهمداني وكانا معه.

ولمّا خطب الحسنُ عليه السلام الناسَ وحثّهم على الجهاد معه فتثاقلوا، قام عديّ بن حاتم فخطب وحثّ النّاس على الطاعة والسّير إلى العدوّ، ثمّ قام قيس في جماعة فأنّبوا الناس ولاموهم وحرّضوهم، وكلّموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عديّ بن حاتم، فقال لهم الحسن عليه السلام: «**صَدَقْتُمْ رَحِمَكُمُ اللهُ، ما زِلْتُ أَعْرِفُكُمْ بِصِدْقِ النِّيَّةِ والوَفاءِ والقَبُولِ والمَوَدَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَجزاكُمُ اللهُ خَيْراً**».

ولمّا انسلَّ عبيد الله بن العباس ليلاً من عسكر الحسن عليه السلام إلى عسكر معاوية وأصبحوا بغير أمير، صلّى بهم قيس بن سعد، ثمّ خطبهم فقال: أيُّها النّاس، لا يهولَنَّكُمْ ولا يَعْظُمَنَّ عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الوَرِع[1]... وإنّ هذا ولّاه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على اليمن فهرب من بسر بن أرطاة وترك ولده حتّى قُتِلُوا، وصنع الآن هذا الذي صَنَع.

فتنادى الناس: الحمد لله الذي أخرجه من بيننا، امضِ بنا إلى عدوِّنا، فنهض بهم، وخرج إليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفاً، فصاحوا بهم: هذا أميركم قد بايع، وهذا الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم؟ فقال لهم قيس: اختاروا إمّا القتال من غير إمام أو تبايعون بيعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا وضربوا أهل الشام حتّى ردوهم إلى مصافّهم.

---

(١) أي الجبان.

وكتب معاوية إلى قيس يدعوه ويمنّيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلّا وبيني وبينك الرمح، فكتب إليه معاوية: أمّا بعد، فإنّما أنت يهوديّ ابن يهوديّ، تُشْقِي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحبُّ الفريقين إليك نبذك وعزلك، وإن ظهر أبغضهما إليك نكّل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، وأكثر الحزّ وأخطأ المفصل، فخذله قومُهُ وأدركه يومُهُ، فمات بحوران طريداً غريباً، والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد: إنّما أنت وثن ابن وثن من هذه الأوثان، دخلتَ في الإسلام كرهاً، وأقمت عليه فَرَقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم تتقدّم بإسلامك ولم يَحْدُث نفاقك، ولم تزل حرباً لله ورسوله وحزباً من أحزاب المشركين، فأنت عدوّ الله ورسوله والمؤمنين من عباده. وذكرتَ أبي، ولعمري ما أوتر إلّا قوسه، ولا رمى إلّا غرضه. وزعمتَ أنّي يهوديّ ابن يهوديّ، ولقد علمتَ وعلمنا أنّ أبي من أنصار الدِّين الذي خرجتَ منه، وأعداء الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه، والسلام.

فلمّا قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته، فقال له عمرو بن العاص: مهلاً، إن كاتبته أجابك بأشد من هذا، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس، فأمسك عنه، وانصرف قيس بمن معه إلى الكوفة.

وروى أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين: أنّه لمّا صالح الحسن عليه السلام معاوية اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف، وأبى أن يبايع.

وفي رواية أُخرى لأبي الفرج : أنّ معاوية أرسل إلى قيس يدعوه إلى البيعة، فأُتي به ـ قال : وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس ورجلاه تخطّان في الأرض، وما في وجهه طاقة شعر ـ فلمّا أرادوا بأن يُدخلوه إليه قال : إنّي حلفت أن لا ألقاه إلّا وبيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح أو سيف فوضع بينه وبينه ليبرَّ يمينه، فأقبل قيس على الحسن فقال : أنا في حِلٍّ من بيعتك؟ قال : نعم، فأُلقِيَ لقيس كرسيّ وجلس معاوية على سريره، فقال له معاوية : هل تبايع؟ قال : نعم، فوضع يده على فخذه ولم يمدَّها إلى معاوية، فجاء معاوية عن سريره وأَكَبَّ على قيس حتّى مسح يده على يده، فما رفع قيس إليه يده[1].

توفّي قيس بن سعد بن عبادة سنة ستّين، وهي السنة التي مات فيها معاوية، وقيل : مات بعد ذلك[2].

ثالث ولاته عليه السلام على أذربيجان
سعد بن الحارث الخزاعي مولى أمير المؤمنين عليه السلام

له إدراك لصحبة النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان على شرطة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة، وولّاه أذربيجان، وانضمّ بعده إلى الحسن عليه السلام، ثمّ إلى الحسين عليه السلام وخرج

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٨ : ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

(٢) الدرجات الرفيعة، للسيد علي خان المدني : ٣٥٠، تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ٢ : ٣٣ / الترجمة ٥٥٩٣.

معه إلى مكة، ثمّ إلى كربلاء، وتقدّم يوم العاشر أمامه، وقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه. وشهادته برهان عدالته، مضافاً إلى كون تولية أمير المؤمنين عليه السلام إيّاه على أذربيجان أيضاً تعديلاً له.. زاد الله شرفه، وحشره مع مواليه[١].

قال السماوي: كان سعدٌ مولى لعلي عليه السلام، فانضمّ بعده إلى الحسن عليه السلام، ثم إلى الحسين عليه السلام، فلمّا خرج من المدينة خرج معه إلى مكة، ثمّ إلى كربلاء، فقُتل بها في الحملة الأُولى، ذكره ابن شهر آشوب في المناقب وغيره من المؤرخين[٢].

وعدّه البرقي في رجاله، والعلّامة في الخلاصة، من خواص أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

إن عدّ البرقي والعلّامة للمُعَنْوَن من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام يوجب عدّه ثقة، واستشهاده بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وإمامه المعصوم للدفاع عنه وعن مخدّرات الرسالة ترفعه إلى قمّة الوثاقة والجلالة، فرضوان الله تعالى عليه، وحشرنا معه في زمرته تحت لواء الحمد، وسلام عليه يوم ولد ويوم استُشهِدَ ويوم يُبْعَثُ حيّاً.

---

(١) تنقيح المقال، للمامقاني ٣٠: ٢٧٠.

(٢) إبصار العين في أنصار الحسين: ٧٢. وانظر مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٣: ٩٠ حيث قال: وسعد ونصر قتلا مع الحسين عليه السلام.

(٣) رجال البرقي: ٤١ / الرقم ٣٤: وخلاصة الأقوال، للعلّامة الحلي: ٣٠٧.

خاتمة الكتاب

١ ـ عمّار بن ياسر
٢ ـ أبوذر الغفاري
٣ ـ أُويس القرني
٤ ـ صعصعة بن صوحان العبدي
٥ ـ رشيد الهجري
٦ ـ حجر بن عديّ الكندي

وفي خاتمة الكتاب :

نشير إلى بعض رجال أمير المؤمنين عليه السلام الذين وقفوا إلى جنبه في حكومته، وكانوا موضع مشورته، ولم يتسلّموا ولاية على المدن والأقطار، وهم من أصحابه الخلّص الذين جاهدوا تحت رايته، حتّى صارت عاقبة أمرهم الشهادة بين يديه أو من بعده على نهجه وولايته، وذاقوا التنكيل والتهجير والنفي، فنالوا تلك الكرامات من الله تعالى عزّ وجل، لذلك ترى الإمام يتأوّه على أمثالهم ويبكي عليهم إذا ذكرهم، حتّى قال عنهم في خطبته في نهج البلاغة : «**مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ، قَدْ وَاللهِ لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ وَ أَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ، أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ، وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ، وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ؟! وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ**».

قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ ثُمَّ قَالَ عليه السلام : «**أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ**»[1].

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ١٠٩ / خ ١٨٢.

نشير إلى بعضهم الذين هم مصداق بارز للآية المباركة: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1]، فمن أبرزهم عمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وصعصعة بن صوحان، وأُويس القرني، ورُشَيْد الهجري، وحجر بن عديّ الكندي، وغيرهم من الأبطال فأما:

١ ـ عمار بن ياسر[2]

هو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين المذحجي، كان من أوائل المسلمين، ومن الذين تحمّلوا أقسى أنواع العذاب على

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني ٣: ٤٩٥، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥٠، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ١: ١٥٠، الاستيعاب، لابن عبد البر ٢: ٤٧٨ ـ ٤٧٩، المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ٣: ٣٨٨ ـ ٣٩٠، رجال الكشي: ٣٣، حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني ١ / ١٤٢، صفوة الصفوة، لابن الجوزي ١ / ٤٤٢، سيرة ابن هشام ١ / ٤٩٧، أنساب الأشراف، للبلاذري ١ / ١٦٢، ١٦٨، ١٧٤، الخصال، للصدوق: ٤٤، مروج الذهب، للمسعودي ٢ / ٣٥٢، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣ / ٧١، وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٤٢، الاحتجاج، للطبرسي ٦ / ٢٦٦، أسد الغابة، لابن الأثير ٤ / ٤٣، صحيح الترمذي ٥ / ٢٣٣، الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ / ١٦٧، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٤، العقد الفريد، لابن عبد ربّه ٤ / ٣٤١، ٣٤٣، ينابيع المودة، للقندوزي: ١٢٨ ـ ١٢٩، تذكرة الخواص، لسبط ابن الجوزي: ٩٣، الغدير، للأميني ٩ / ٢٠٠، احقاق الحق، للتستري: ٤٢٢، المناقب، للخوارزمي: ٥٧، ١٢٣، ١٢٤، ١٥٩، رجال حول الرسول: ٢٥٧ ـ ٢٨٠.

أيدي المشركين، هاجر إلى الحبشة مع مجموعة من المسلمين، وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله معظم المعارك التي خاضها المسلمون.

ولّاه عمر بن الخطاب الكوفة. وكان أحد الصحابة الأجلّاء الذين صحبوا الإمام عليّاً عليه السلام ولازموه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

شارك في حرب الجمل التي خاضها الإمام علي عليه السلام ضد طلحة والزبير وعائشة.

وكان له دورٌ عظيم في معركة صفّين، حيث سطّر في هذه المعركة أروع الملاحم وانقضّ كالصقر على معاقل جند معاوية، فجندل قادتهم وشتّت شملهم وأدخل في قلوبهم الرعب.

لقد عانى عمار وأُسرته في بداية إسلامهم الأمرّين على أيدي المشركين، حيث يذكر ابن سعد في طبقاته: أنّ الرسول صلى الله عليه وآله مرّ بعمار وأبيه وأُمه وهم يعذّبون في البطحاء، فقال صلى الله عليه وآله: «**أَبْشِرُوا آلَ ياسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ**».

حيث لم يقتصر تعذيبهم على عمّار وأبيه فقط، بل طال حتّى أُمه حيث توفّيت من شدّة التعذيب رحمة الله عليها، وهي أوّل شهيدة في الإسلام.

ونال عمّار نصيباً كبيراً من تعذيب قريش، لكنّه صمد وصبر فنال بذلك الموقف العظيم درجة رفيعة عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

كان الرسول صلى الله عليه وآله يُجْلِسُ عمّاراً جنبَهُ في المسجد وذلك لاعتزازه به واحترامه الكبير له، وكان عليه الصلاة والسلام يثني عليه كثيراً ويتحدّث عن صبره وصموده.

كان عمار ملازماً للرسول ﷺ لا يفارقه أبداً، حيث كان يؤدّي الصلاة معه ويذهب معه عندما يتفقد فقراء المسلمين، ويتجوّل معه في المدينة، ويذهب معه إلى داره ويتناول الطعام المتواضع عنده، وكان الرسول ﷺ يقدّم الطعام بيديه الكريمتين له اعتزازاً به، وظلّ على هذا المنوال إلى أن توفي الرسول ﷺ.

حضر عمار مع الإمام عليه السلام لتغسيل الرسول ﷺ ومن ثمّ تكفينه ودفنه.

وقد قال فيه الرسول ﷺ العشرات من الكلمات والأقوال الشريفة، ومنها أنّ الرسول ﷺ قال: «ابنُ سُمَيَّة ما عُرِضَ عَليهِ أَمْرانِ قَطُّ إلّا أَخَذَ بالأَرْشَدِ مِنْهُما».

وقال ﷺ: «إنَّ عمَّاراً مُلِئَ إيماناً إلى مَشاشِهِ».

وقال ﷺ وهو يرحب به: «مَرْحباً بالطَّيِّبِ المُطَيَّبِ، ائْذَنُوا لَهُ».

وقال ﷺ: «ما لَهُمْ ولِعَمَّارٍ، يَدْعُوهُمْ إلى الجَنَّةِ ويَدْعُونَهُ إلى النَّارِ».

وقال ﷺ لعمار يوم الخندق: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ».

وقال ﷺ: «الجَنَّةُ تَشْتاقُ إلى ثَلاثَةٍ: عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَبِلالٍ».

وقال ﷺ: «مَنْ عادَى عَمَّاراً عاداهُ الله، ومَنْ أَبْغَضَ عَمّاراً أَبْغَضَهُ اللهُ».

وقال ﷺ: «اهْتَدُوا بهَدْيِ عَمَّارٍ، وتَمَسَّكُوا بعَهْدِ ابْنِ مَسْعُود».

وقال ﷺ: «إنَّ عَمَّاراً مُلِئَ إيماناً مِنْ قَرْنِهِ إلى قَدَمِهِ».

وقال ﷺ وهو يتكلم مع الإمام عليّ عليه السلام: «إنّه سَيَشْهَدُ مَعَكَ مَشاهِدَ، أَجْرُها عَظِيمٌ، وذِكْرُها كَثِيرٌ، وثَناؤُها حَسَنٌ».

عندما عُقِدَ مؤتمر السقيفة كان عمّار أحد أبرز الصحابة الذين وقفوا موقفاً حازماً ضدّ ما آلت إليه قرارات هذا المؤتمر المُدَبَّر، فبعد أن عرف الإمام ما قرّره المجتمعون في السقيفة اعتكف في بيته، فجاء إليه عمّار وعدد من الصحابة إلى الدار وصحبوه شاهرين سيوفهم وتوجّهوا إلى أبي بكر، وكان عمّار أوَّلَ المتكلمين، فخاطب أبا بكر قائلاً:

« يا أبا بكر لا تجعل لنفسك حقاً جعله الله عزّ وجل لغيرك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله صلى الله عليه وآله وخالفه في أهل بيته، واردُدِ الحَقَّ إلى أهله تُخِفَّ ظهرَكَ، وتُقِلَّ وزرك، وتَلْقَ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنك راض، ثمّ تصيرُ إلى الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عمّا فعلت »[1].

وحاول أبو بكر وعمر استمالة عمار إلى جانبهم وملاطفته، إلّا أنّ عمّاراً بقي يطالبهم بإعادة الحقّ إلى أهله.

وعندما عُقِدت الشورى ـ التي تسلّم عثمان بن عفان الخلافة فيها ـ حاول عمّار وعدد من الصحابة إقناع أصحاب الشورى بجعل الأمر للإمام علي عليه السلام إلّا أنّهم فشلوا في مسعاهم هذا.

لم يدّخر عمّار جهداً في إفهام الناس بأنّ أهل البيت عليهم السلام أحقّ بالخلافة من غيرهم، فقد جاء في إحدى خطبه وهو في المسجد ـ عندما علم بأنّ بني أُمية قد سيطروا على أركان الدولة الإسلامية بدعم من عثمان بن عفان ـ أنّه قام خطيباً فقال رضي الله عنه: يا معشر قريش، أمّا إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم هاهنا مرة، وهاهنا مرة، فما أنا

---

(١) الخصال، للصدوق: ٤٦٤ / ح ٤ من أبواب الاثني عشر.

آمن من أن ينزعه الله منكم، فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله[١].

وسار عمّار على هذا النهج الذي ينتقد فيه مغتصبي الحق من أهله، وكان يمشي وهو ينادي:

يا ناعِيَ الإسلامِ قُمْ فانْعَهُ قَدْ ماتَ عُرْفٌ وَبَدا مُنْكَرُ

ويقول: أمَا والله لو أنّ لي أعواناً لقاتلتهم، والله لئن قاتلهم واحدٌ لأكونن له ثانياً، فقال له الإمام علي عليه السلام: «**يا أَبا اليَقْظان، وَاللهِ لا أَجِدُ عَلَيْهِمْ أَعْواناً، وَلا أُحِبُّ أَنْ أُعَرِّضَكُمْ لِما لا تُطِيقُونَ**»[٢].

وفي معركة صفّين استعدّ الإمام عليه السلام وأصحابه وجهّزوا جيشاً جراراً قادهُ الإمام بنفسه لمحاربة معاوية، وقد أوصى أصحابه بعدم البدء بالقتال.

فبدأ معاوية وجيشه يتعدّون على جيش الإمام عليه السلام، فما كان من الإمام وجيشه إلّا أن يَرُدُّوا عدوانهم. بدأت الحرب فكان أصحاب الإمام يتسابقون لنيل شرف الشهادة بين يدي الإمام عليه السلام، وكان في مقدّمتهم عمار بن ياسر رضي الله عنه.

حيث توجّه عمّار بالكلام لعمرو بن العاص ـ الساعد الأيمن لمعاوية بن أبي سفيان وأمين سرّه ـ قائلاً: يا عمرو بعتَ دينك بمصر، تبّاً لك، وطالما بغيتَ الإسلام عِوَجاً.

ثمّ حمل على الأعداء وهو يقول:

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢: ٢٦٥، مروج الذهب، للمسعودي ٢: ٣٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩: ٥٥.

صَدَقَ اللهُ وَهْوَ للـصِّدْقِ أَهْـلٌ وَتَعالَى رَبِّـي وَكـانَ جَـلِيلا
رَبِّ عَـجِّلْ شَـهادَةً لي بِـقَتْلٍ في الَّذي قَدْ أُحِبُّ قَتْلاً جَمِيلا
مُـقْبِلاً غَـيْرَ مُـدْبِرٍ إنَّ للـقَتْـ ـلِ عَلَى كُلِّ مِـيْتَةٍ تَـفْضِيلا[1]

ثمّ اقتحم صفوف الأعداء فقتل العشرات منهم، ثمّ عاد إلى صفوف جيش الإمام عليه السلام.

وبعد استراحة وجيزة عاد عمّار إلى ساحة القتال وهو ينادي: هل من مبارز؟ فبرز إليه عمرو بن العاص وجماعة من أتباعه، فانقضَّ عليهم ففرّوا منه.

وحَمَل عمّارٌ راية أمير المؤمنين عليه السلام عندما نظر إلى راية معاوية، فَحَمَل عليهم وهو يقول: واللهِ لقد قاتلتُ هذه الراية ثلاث مرّات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وما هذه المرَّة بأَبَرَّهُنَّ ولا أَتْقاهُنَّ[2].

لمّا علم جنود معاوية بأنَّ المتقدِّم المقتحم هو عمار بن ياسر البطل المقدام، فروا من أمامه، وأيقن معاوية أنّ وجود راية عليٍّ عليه السلام مع عمّار يشكّل عليه خطراً، فَهَيَّأَ مجموعة من أشجع مقاتليه، وتوجّه هؤلاء وانقضّوا على عمّار، ودار قتالٌ ضارٍ تمكّنوا فيه من إصابة عمار إصابات بليغة وبالتالي استُشهد وهو مُقبل غير مدبر.

ففرح معاوية بقتل عمار وكان بقربه عمرو بن العاص، فجاء اثنان من مجموعة المقاتلين وهما يتنازعان فيما بينهما ويقول أحدهما للآخر

---

(١) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٢٠.

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٤٣: ٤٦٥.

بأنه هو الذي قتل عـمّاراً، فـقال عـمرو بـن العـاص: إنّـهما والله مـا يختصمان إلّا في النار، لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول لعـمار: «**يـا عَمَّارُ تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ**».

فقال معاوية: اسكُتْ قبّحك الله[١].

كان عمّار قبل أن يستشهد يصول ويجول في ساحة الحـرب، ثـمّ يعود إلى الإمام عليه السلام ليتزوّد من رؤيته، ثمّ يرجع مرة أُخرى وهو ينادي «اليومَ ألقى الأحبَّة محمَّداً وحزبه».

وجيء إليه بقدح من لبن فحمد الله وشكره، وقال: قال لي حـبيبي رسول الله ﷺ: «**تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ وآخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُها ضِـياحٌ مِـنْ لَبَنٍ**»[٢]، ثمّ قال: أهلاً بالشهادة التي طالما انتظرتها.

ذهب عمّار إلى ربّه شهيداً بعد أن أفزع معاوية وأتباعه، وظلّ متمسّكاً بدينه ومبادئه وحبّه للإمام علي عليه السلام إلى آخر لحظة من عمره الشريف.

عندما وصل خبر استشهاد عمار رضي الله عنه للإمام علي عليه السلام حزن الإمام عليه كثيراً، وقد بدا على وجهه الألم الشديد، فـتوجّه إلى جسـده الطـاهر واحتمله إلى خيمته، وأخذ يمسح الدم عن وجهه الشريف وهو يقول:

وَما ظَبْيَةٌ تَسْبِي القُـلُوبَ بِـطَرْفها ... إذ نَـفَثَتْ خِـلْنا بأَجْـفانِها سِـحْرا
بأَحْسَنَ مِنْهُ كَـلَّلَ السَّـيْفُ وَجْـهَهُ ... دَماً في سَبِيلِ اللهِ حَتَّى قَضَى صَبْرا[٣]

---

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ١٤٦.

(٢) شرح الأخبار، للقاضي نعمان المغربي ٢: ١٥ / ح ٤٠٤.

(٣) الدرجات الرفيعة، للسيد علي خان المدني: ٢٨٢.

ثمّ أبّنه الإمام عليه السلام قائلاً : «إنَّ امْرَءاً مِنَ المُسْلِمِينَ لَمْ يَعْظُمْ عَلَيْهِ قَتْلُ ابنِ ياسِرٍ، وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ المُصِيبةُ المُوجِعَةُ، لَغَيْرُ رَشيدٍ، رَحِمَ اللهُ عَمَّاراً يَوْمَ أَسْلَمَ، وَرَحِمَ اللهُ عَمّاراً يَوْمَ قُتِلَ، وَرَحِمَ اللهُ عمَّاراً يَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً، لَقَدْ رَأَيْتُ عَمّاراً وما يُذْكَرُ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله أَرْبَعَةٌ إلَّا كانَ رابِعاً، ولا خَمْسَةً إلَّا كان خامِساً، وَما كانَ أَحَدٌ من قُدماءِ أَصْحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَشُكُّ في أَنَّ عَمَّاراً وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ في غَيْرِ مَوْطِنٍ وَلا اثْنَيْنِ، فَهَنِيئاً لَهُ الجَنَّةُ، عَمَّارٌ مَعَ الحَقِّ والحَقُّ مَعَهُ، يَدُورُ عَمَّارٌ مَعَ الحَقِّ أَيْنَما دارَ، وقاتِلُ عَمَّارٍ في النَّارِ»[1].

ثم قام الإمام عليه السلام مع عدد من أصحابه الأجلّاء بالصلاة عليه ودفنوه في مدينة الرّقّة السورية، والآن له مزار مهيب يتوافد عليه الزائرون من كلّ الأقطار الإسلامية، وقد تشرفنا بزيارته والحمد لله.

٢ ـ أبو ذَرٍّ الغِفاري[2]

هو جندب بن جنادة من قبيلة بني غِفار، وكنيته أبو ذر، وكان آدم طويلاً أبيض الرأس واللحية.

---

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣ : ٢٦٢.

(٢) الإصابة، لابن حجر ٧ : ١٠٥ ـ ١٠٩ / الترجمة ٩٨٧٧، أسد الغابة، لابن الأثير ١ : ٣٠١ ـ ٣٠٣ و ٥ : ١٨٦ ـ ١٨٨، تهذيب الكمال، للمزي ٣٣ : ٢٩٤ ـ ٢٩٨ / الترجمة ٧٣٥١، الاستيعاب، لابن عبد البر ١ : ٢٥٢ ـ ٢٥٦ و ٤ : ١٦٥٢ ـ ١٦٥٦ / الترجمة ٢٩٤٤، الغدير، للأميني ٨ : ٢٩٢ ـ ٣٠٨، أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٤ : ٢٢٥ ـ ٢٤٢.

أسلمت أُمّه رملة بنت الوقيعة وأخوه أنيس معه، وكان من الخمسة الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام، وكان أوّل الطائفين حول الكعبة.

كان أبو ذرّ رجلاً عميقَ الإيمانِ يتأمّل في الكون وهو يفكّر في نفسه أنّه لابدّ لهذا الكون من خالق، وما أَنْ سمع بظهور نبيٍّ يدعو إلى وحدانية الباري عز وجل حتّى همَّ بالذهاب إليه لكي يعلن انتماءَهُ لهذا الدين.

جاء أبو ذر إلى مكّة المكرمة ووصلها ليلاً، فما كان منه إلّا أن افترش الأرض لكي يقضي ليلته، وما أنْ تهيّأ للنوم حتّى مرّ أمامه رجل يشعّ النور من وجهه، وإذا بهذا الرجل يتوجّه ويقول له: «**يا رَجُلُ هَلْ أَنْتَ غَرِيبُ الدِّيارِ**»؟ فأجابه: نعم، فقال له: «**إِذَنْ أَنْتَ اليَوْمَ تَكُونَ ضَيْفِي**».

ذهب معه دون أن يعرف من هو! ودخل داره المتواضع، وأعدّ له الزاد والفراش وقضى الليلة، وفي الصباح غادر البيت شاكراً الرجل الذي ضَيَّفَهُ، وقبل خروجه من الدار سأل الرجل وقال: من أنت؟ فقال له: أنا عليّ بن أبي طالب، فشكره على ضيافته. تجوّل أبو ذر في الأسواق يستفسر عن النبيّ الجديد فلم يدّله أحد خوفاً منه لئلّا يكون أحد عيون المشركين.

بعد أن شعر بالتّعب وجاء الليل ذهب إلى جوار الكعبة لكي يقضي ليلته، وكان الإمام عليّ عليه السلام يمر يوميّاً بهذا الطريق، فنظرَ جهةَ الكعبة فرأى أبا ذر الذي استضافه ليلة أمس يفترش الأرض، فتوجّه إليه وطلب منه مرافقته للبيت عنده، فلبّى طلبه، وبعد تناول الطعام توجّه أبو ذر بسؤال للإمام عليٍّ عليه السلام قائلاً: سمعتُ وأنا عند عشيرتي بأنّ نبيّاً

ظهر في مكّة يدعو إلى وحدانية الباري ويدعو إلى هدم الأصنام وإقامة العدل، فهل تعرفه؟

أجابه الإمام عليه السلام : «**نَعَمْ، هُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ وأَنا ابنُ عَمِّهِ**».

فرح أبو ذرٍّ بجواب الإمام هذا، وقال له : هل تدلّني عليه؟ فقال له الإمام عليه السلام : نعم. ولمّا أصبح الصباح أخذ الإمام عليه السلام أبا ذر وذهب به إلى النبي صلى الله عليه وآله.

فدخلا على الرسول صلى الله عليه وآله، وبعد السلام عليه قال النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر : «**مَنْ أَنْتَ**»؟ فقال : أنا أبو ذر، أنا من غفار، واسمي جندب بن جنادة، وكنيتي أبو ذر.

استبشر الرسول صلى الله عليه وآله بقدوم أبي ذر ورحّب به، ولم تمض إلّا لحظات حتّى رفع أبو ذر صوته قائلاً : «**أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلّا الله، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسول الله**»، فقال النبي صلى الله عليه وآله : «**ارجِعْ إِلى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ وَاكْتُمْ أَمْرَكَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَإِنِّي أَخْشاهُمْ عَلَيْكَ**».

قال أبو ذر : فقلت : والذي نفسي بيده لأُصوّتنّ بها بين ظهرانيهم. فخرج حتّى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، فثار القوم إليه وضربوه حتّى أضجعوه، وأتى العباس فأكبّ عليه وقال : ويلكم ألستم تعلمون أنّه من بني غِفار، وأنّ طريق تجارتكم إلى الشام عليهم؟! وأنقذه منهم. ثمّ عاد من الغد إلى مثلها وثاروا عليه فضربوهُ، فأكبّ عليه العباس فأنقذه. ثمّ لحق بقومه، فكان هذا أوّل إسلام أبي ذر.

فخرج أبو ذر من عند النبي ﷺ وتوجّه نحو الإمام عليّ عليه السلام وقبّل رأسه الشريف وشَكَرَهُ على ما قدّم له من خدمة.

ارتبط أبو ذرّ بالإمام عليٍّ عليه السلام روحياً منذ أن رآه أوّل مرة، وأحبَّه حبّاً جمّاً، وأخذ يفكّر كيف يردّ الجميل لهذا الرجل الذي ضيّفه وأطعمه وكان سبباً في إعلان إسلامه؟

بعد أن أظهر الله الإسلام ونصر رسوله الكريم ﷺ وأصبح الإسلام ديناً راسخ الأركان، التفّ حول الرسول ﷺ أصحابه المخلصون، وكان في مقدّمتهم الصحابيّ الجليل أبو ذر الغفاري. وأصبح فيما بعد من أخلص الموالين للإمام عليّ عليه السلام والمحدّثين بفضائله؛ لأنه كان على علمٍ تامٍّ بمنزلة هذا الرجل عند الله عزّ وجل ورسوله ﷺ، بعد أن سمع من فم الرسول ﷺ المئات من الأحاديث الشريفة التي تؤكّد إمامة وخلافة وسموّ منزلة هذا الإمام الهمام.

أخذ نجم أبي ذر يكبر ويسطع شيئاً فشيئاً، وذلك لمواقفه الصلبة وتفانيه من أجل تثبيت دعائم الإسلام، الأمر الذي جعل الرسول يمدحه ويثني عليه.

فقد قال فيه الرسول العديد من الأقوال وفي مناسبات مختلفة، فقد قال ﷺ: «**أَبُو ذَرٍّ فِي أُمَّتِي عَلَى زُهْدِ عِيْسَى بنِ مَرْيَم**».

وقال ﷺ: «**ما أَظَلَّتِ الخَضْراءُ ولا أَقَلَّتِ الغَبْراءُ عَلَى ذِي لَهْجَةً أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ**».

وقال ﷺ: «**رَحِمَ الله أَبا ذَرٍّ، يَعِيشُ وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُحْشَرُ وَحْدَهُ**».

وقال صلى الله عليه وآله : «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلى تَواضُع عِيسَى بنِ مَرْيَم فَلْيَنْظُرْ إلى أَبِي ذَرٍّ**».

أما الإمام علي عليه السلام فقد قال عنه : «**وَعَى أَبُو ذَرٍّ عِلْماً عَجَزَ النَّاسُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَوْكَأَ عَلَيْهِ فَلَمْ يُخْرِجْ شَيْئاً مِنْهُ**».

ظل أبو ذر جنب الرسول صلى الله عليه وآله إلى أن توفّي صلّى الله عليه وآله.

اشتغل الإمام علي عليه السلام بتغسيل النبي صلى الله عليه وآله ودفنه، فاستغلّ بعض الصحابة انشغال الإمام عليه السلام بهذا الأمر، فتداعَوا للاجتماع وسُمِّي هذا الاجتماع بيوم السقيفة، وقد عقدوا العزم على اختيار خليفة الرسول صلى الله عليه وآله ؛ ناسين أو مُتناسين ما كان قد قاله الرسول صلى الله عليه وآله لهم من أنّ الأمر من بعده للإمام علي عليه السلام، وجرت في هذا الاجتماع مناقشات ومحاورات الغرض منها هو إبعاد الإمام عليه السلام عن تولّي الأمر.

وقد حاول عدد من الناس وهم الصحابة المخلصون توضيح الأمر للبقيّة من المسلمين وتذكيرهم بأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أوصى بأن يكون الأمر لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وأنّه خليفته، وكان من ضمن هولاء الصحابة أبو ذرٍّ رضوان الله عليه، وقد خطب بالمسلمين هذه الخطبة التي تُبيِّن حقَّ الإمام عليٍّ عليه السلام، فقال رضي الله عنه :

أما بعد، يا معشر المهاجرين والأنصار، لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «**الأمر لعليٍّ عليه السلام ثم في أهل بيتي في ولد الحسين**»، فاطَّرَحْتُمْ قول نبيّكم وتناسيتم ما أوعز إليكم، واتّبعتم الدنيا، وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا يهدم بنيانها، ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها، ولا يموت سكّانها، وكذلك الأُمم التي كفرت بعد أنبيائها بدلّت

وغيّرت، فحاذيتموها حذو القذّة بالقذّة، والنَّعل بالنعل، فعمّا قليل تذوقون وبال أمركم، وما الله بظلّام للعبيد[١].

وذكر التابعيّ الجليل سليم بن قيس الهلالي ﷺ أنَّ أبا ذرٍّ قام وألقى خطبة بعد يوم السقيفة بعد أن رأى تململ المسلمين واختلاف رأيهم، فقال: أيَّتها الأُمّة المتحيرة بعد نبيّها، المخذولة بعصيانها، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]، وآلُ محمَّد الأخلافُ من نوح، وآلُ إبراهيم من إبراهيم، والصفوة والسلالة من إسماعيل، وعترة النبي محمَّد ﷺ أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وهم كالسماء المرفوعة، والجبال المنصوبة، والكعبة المستورة، والعين الصافية، والنُّجُوم الهادية، والشجرة المباركة، أضاء نورُها، وبورك زيتُها. محمَّدٌ خاتم الأنبياء، وسيّدُ ولد آدم، وعليٌّ وصيُّ الأوصياء، وإمام المتّقين، وقائد الغر المحجّلين، وهو الصّدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، ووصيّ محمّد، ووارث علمه، وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم، كما قال الله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[٣]، فقدِّمُوا

---

(١) الخصال، للصدوق: ٤٦٣ / ح ٤ من باب الاثني عشر، الاحتجاج، للطبرسي ١: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) سورة الأحزاب: ٦.

مَنْ قَدَّمَ الله، وأَخِّروا من أَخَّرَ اللهُ، واجعلوا الولايةَ والوراثة لمن جعل الله[١].

لازم أبو ذرٍّ الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام فأصبح من أبرز مواليه والمقرّبين إليه، وكان من أخلص حواريّيه؛ حيث كان يقضي معظم أوقاته مع الإمام عليه السلام ولا يفارقه إلّا نادراً، وكان الإمام عليه السلام يحبّه ويحترمه كثيراً لأنه كان أهلاً لذلك.

وعند مرض السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام كان أبو ذرٍّ يأتي لزيارتها من وقت لآخر، وهذا يدلّ على منزلته وقربه من الإمام عليه السلام.

بعد وفاة السيّدة الزهراء عليها السلام أرسل الإمام عليٌّ عليه السلام عليه لحضور دفن الزهراء عليها السلام، وكان أبو ذرٍّ أحد الصحابة القلائل الذين أبلغهم الإمام بخبر وفاة الزهراء عليها السلام وموعد ومكان الدفن.

فقد روى المفيد بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**خُلقت الأرض لسبعة بهم ترزقون وبهم تُنْصرون وبهم تُمطرون، منهم: سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: وأنا إمامهم، وهم الّذين صلوا على فاطمة صلوات الله عليها**»[٢].

جاء أبو ذر إلى بيت الإمام وهو يجهش بالبكاء حزناً على فقد سيّدة نساء العالمين عليها السلام، وشارك في حمل النعش مع عدد من أصحاب الإمام

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) الاختصاص، للمفيد: ٦.

المخلصين، بعد إتمام مراسم الدفن عاد مع الإمام عليه السلام إلى داره وقضى تلك اللّيلة معه في الدار لتخفيف حزنه.

بعد تولّي عثمان بن عفان، استحوذ رجال بني أُميّة على أُمور الدولة الإسلامية، الأمر الذي استنكره قادة المسلمين والصحابة الأجلّاء، وكان في مقدّمتهم أبو ذرّ رضي الله عنه؛ حيث استنكر سكوت عثمان على أعمال الولاة من بني أُمية المشينة.

كان صوت أبو ذر يرتفع في الطُّرُقات والمساجد وهو يردد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

فأخذ الناس يسألون عن قصد أبي ذرٍّ من ترديد هذه الآية الكريمة أينما حلّ، وبعدها علموا بأنّه كان يقصد الولاة والمسؤولين في الدولة الذين كانوا يأخذون أموال المسلمين وينفقونها على ملذّاتهم ويحرمون منها فقراء المسلمين التي هي من حقهم. فقام عدد من هؤلاء المستفيدين المتمتّعين بالأموال على حساب فقراء المسلمين بالذهاب إلى الخليفة عثمان وإخباره بأنّ أبا ذر ينتقد سياسته ونَهْجَ ولاته علناً، فأرسل عثمان بطلبه، فجاء أبو ذر إلى دار الخلافة ودار بينه وبين عثمان هذا الحوار:

قال عثمان: ما هذا الذي بلغني عنك يا أبا ذر!!

---

(١) سورة التوبة: ٣٤.

فقال أبو ذر : وما بلغك عنّي ؟

قال عثمان : إنّك تحرّض الناس عليَّ .

قال أبو ذر : وكيف ذلك ؟

قال عثمان : إنك لتقرأ في المسجد ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

قال أبو ذر: أَوَ في هذا تحريض عليك أم أنَّكَ تمنعني من قراءة كتاب الله ؟! إنني مثابر على قراءة كتاب الله وتعليمه للمسلمين وحملهم على قراءته ، وإن أسخط هذا الحاكِمَ وما كنت أحسب أنّه يسخطه ، فلئن كنتُ حريصاً على رضاك ، فإنّني على رضى اللهِ أَحْرَصُ ، هذا ما علّمنيه كتاب الله ورسوله ، وأنا أؤمن بالذي تعلمت وعلمت .

بعد هذا الحوار ، صرخ عثمان : اخرج ، اخرج إلى الشام .

فخرج أبو ذر إلى الشام ، وما أن وصل إليها حتّى بدأ يشرح للناس حقوقهم وواجباتهم ، فأخذ الفقراء يلتفّون حوله ، وتحوّل مجلسه من المساجد التي كان يتواجد بها إلى تظاهرة تضمّ كلّ المحرومين والمستضعفين .

بلغ الخبر معاوية بن أبي سفيان فقرّر استدعاءهُ ، فحضر أمامه فصرخ معاوية في وجهه قائلاً : يا عدوّ الله وعدوَّ رسوله ، تأتينا كلَّ يوم فتقول ما تقول ، أما إنِّي لو كنتُ قاتلَ رجلٍ من أصحاب محمَّد من غير إذنِ

---

(١) سورة التوبة : ٣٤ .

أمير المؤمنين عثمان، لقتلتك. فردّ عليه أبو ذر بصوتٍ عالٍ دون خوف: ما أنا بعدوّ الله ولا رسوله، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام نفاقاً وأبطنتما الكفر[١].

فيا لَها من شجاعة أبداها هذا الصحابي الجليل، فقد أفقد جوابُهُ صوابَ معاوية، فأمر جنده وأعوانه بإخراجه من القصر.

وما أَنْ أُخْرِجَ أبو ذر حتّى أرسل معاوية رسولاً إلى عثمان يعلمه بأفعال أبي ذر وجوابه الجريء له.

بعد وصول رسول معاوية إلى عثمان طلب عثمان من معاوية إرجاع أبي ذرّ إلى المدينة المنورة، فقام معاوية بذلك، وما أَنْ وصل أبو ذرّ للمدينة حتّى استدعاه عثمان، فدخل عليه وكان الإمام علي عليه السلام جالساً هناك، فسأل عثمانُ أبا ذرٍّ: ما لأهل الشام يتذمّرون منك؟

فأجابه أبو ذر: ليس هناك من يشكو منّي غير ابن عمّك معاوية وصحبه الذين يكنزون الذهب والفضة، ويحتكرون أرزاق الناس، ويرفعون راية القهر والقمع والطغيان، بدل راية الحق والعدل والمساواة.

فما كان من عثمان إلّا أن صاح بوجهه: كذّاب، كذّاب.

فأجابه أبو ذر: لقد علمتَ أنّني لا أكذب، وأنّني ما كذبت قطّ.

بعد هذا الحوار تدخّل الإمام علي عليه السلام وقال بصوت مرتفع: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**مَا أَظَلَّتِ الخَضْراءُ وَلا أَقَلَّتِ الغَبْراءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبي ذَرٍّ**».

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨: ٢٥٧.

فلم يستطع عثمان أن يردّ كلام الإمام عليّ عليه السلام، واكتفى بأن منع أبا ذر من مخالطة الناس، ومنع النّاسَ من مخالطته، أي وضعه تحت الإقامة الجبرية في اصطلاح اليوم.

بعد فترة من الزمن حاول عثمان إرضاء أبي ذرٍّ وإرشائه، فأرسل بيد أحد عبيده مائة دينار لإعطائها له، وقال للعبد: إذا قبلها أبو ذرٍّ فأنت حر.

فذهب هذا العبد إلى أبي ذرٍّ وقال له بأنّ الخليفة عثمان أرسل له هذا المبلغ، فرفض أبو ذرٍّ أن يأخذ النقود، فألحّ عليه العبد ورجاه، وقال له: بأنّ قبولك للمبلغ يفكّ رقبتي من قيد العبودية ويجعلني حرّاً.

فقال له أبو ذر: يا بنيّ إنْ يكُ فيها عِتْقُكَ، فإنّ فيها رِقّي[1].

عاد العبد بالدَّنانير إلى عثمان.

فلمَّا رأى عثمانُ موقفَ أبي ذرٍّ هذا ـ وأنّه لا يَألُو جُهداً في انتقاد سياسته وسياسة ولاته في الحكم ـ قرر نفيه إلى منطقة نائية حتّى لا يختلط بالناس ويستريح منه، فأرسل عليه عثمان وقال له: اخترِ المكان الذي تذهب إليه؟!

فاختار أبو ذر الخروج إلى مكّة المكرّمة، فرفض عثمان، فاختار بعد ذلك الشام، فرفض طلبه أيضاً، ثمّ اختار العراق فرفض الطلب أيضاً، ولم تبق غير مصر فاختارها أبو ذرّ ورفضها عثمان أيضاً، فقال أبو ذر لعثمان: أبعدني إلى حيث تشاء.

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٤: ٢٣١، عن كتاب «لباب الآداب».

عندها أمر الخليفة بإبعاده إلى (الربذة)[١]، وهي أرض قاحلة تحيط بها الكثبان، وأصدر أمره بأن لا يقوم بتوديعه أحد، وكلّف مروان بن الحكم بالإشراف على تنفيذ هذا الأمر.

بلغ خبر نفي أبي ذر للإمام عليٍّ عليه السلام، فأسرع الإمام عليه السلام بالنهوض ومعه أخوه عقيل وولداه الحسن والحسين عليهما السلام وبعض أصحابه لوداع أبي ذر رضي الله عنه، واقترب الإمام الحسن عليه السلام من أبي ذر يواسيه، فدنا منهما مروان بن الحكم، وقال: ألا تعلم أنّ أمير المؤمنين عثمان نهى عن مكالمة هذا الرجل وتوديعه؟!

فسمع هذا الكلامَ الإمام عليٌّ عليه السلام، فرفع سوطه على مروان وضرب جبهة راحلته وانتهره قائلاً: «**تَنَحَّ نَحَّاكَ اللهُ إِلَى النَّارِ**».

فتنحَّى مروانُ، وقام الإمام بتوديع أبي ذر، وذهب أبو ذر إلى منفاه[٢].

وما أن وصل إلى المنطقة القاحلة حتّى اشتدَّ عليه المرض، فأخذ يصارع سكرات الموت في تلك الخيمة الصغيرة التي كانت تحميه ولو قليلاً من لهيب الشمس المحرقة.

وعندما دنت منه المنيّة استدعى ابنته المسكينة التي كانت ترافقه، فقال: لقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا أَبا ذَرٍّ، إِنَّكَ رَجُلٌ صالِحٌ، وسَيُصِيبُكَ بَلاءٌ بَعْدي**»[٣]. ثمّ قال لها: إذا أنا متّ فاخرجي إلى خارج

---

(١) والربذة منطقة قرب المدينة.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٢، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٣) كنز العمال، للمتقي الهندي ٥: ٧٨٧ / ح ١٤٣٨٦.

الخيمة وانظري إلى الطريق، تقولين لهم : إنّ أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قد قضى نحبه، وفعلاً عندما مات خرجت هذه المرأة الصابرة إلى الطريق وإذا بها تشاهد قافلةً كوفيّةً كبيرة، فنادتهم فتوجهوا إليها فأبلغتهم بالأمر، فما كان منهم إلّا الإسراع إلى الخيمة، وحملوا ذلك الجثمان الطاهر ودفنوه، وكان يتقدّم رجال هذه القافلة أحد أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو مالك الأشتر رضي الله عنه.

وهكذا قضى أبو ذرٍّ حياته بالنضال والجهاد من أجل كلمة الحقّ، وفضح الأساليب الملتوية التي سار عليها الحكّام والولاة الذين ابتعدوا عن الإسلام وغرقوا بملذّاتهم أخزاهم الله.

وكانت وفاته سنة (٣١) أو (٣٢) وقيل (٣٤)، وصلّى عليه ابن مسعود، وقيل : صلّى عليه مالك الأشتر.

ونختم الكتاب بما رواه رضي الله عنه من مواعظ وحكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر :

في أسد الغابة بسنده عن أبي ذر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبريل عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى أنّه قال : **يا عبادي إنّي قد حرّمت الظّلم على نفسي، وجعلتُهُ بينكم محرَّماً، فلا تَظَالَمُوا يا عبادي؛ إنّكم تخطئون باللّيل والنهار وأنا الذي أغفر الذّنوب ولا أُبالي، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلّكم جائع إلّا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم**[1]... إلى آخر الحديث.

---

(١) أسد الغابة، لابن الأثير ١ : ٣٠١.

روى الصَّدوق في الخصال ومعاني الأخبار بسنده عن عتبة بن عمير اللّيثي، عن أبي ذر، ورواه أبو نعيم الإصفهاني في حلية الأولياء بأسانيده عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، واللّفظ لأبي نعيم: قال أبو ذر: دخلت المسجد وإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فجلست إليه، فقال: «**يا أبا ذر، إنّ للمسجد تحيّة، وإن تحيّته ركعتان، فقم فاركعهما**»، قال: فقمت فركعتهما، ثمّ عدت فجلستُ إليه فقلت: يا رسول الله إنّك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: «**خَيْرُ مَوْضُوعٍ، استَكْثِرْ أَوِ اسْتَقِلَّ**».

قلت: يا رسول الله، فأيّ الأعمال أفضل؟ قال: «**إِيمانٌ بِاللهِ عَزَّ وَجَلّ، وَجِهادٌ في سَبيلِهِ**».

قال: قلت: يا رسول الله، فأيّ المؤمنين أكملهم إيماناً؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**».

قال: قلت: يا رسول الله، فأيّ المؤمنين أسلم؟ قال: «**من سلم الناس من لسانه ويده**».

قال: قلت: يا رسول الله، فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: «**من هجر السيّئات**».

قال: قلت: يا رسول الله، فأيّ الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**».

قال: قلت: يا رسول الله، فما الصّيام؟ قال: «**فرض مَجْزِيٌّ وعندَ الله أَضْعافٌ كَثِيرة**».

قال : قلت : يا رسول الله ، فأيّ الجهاد أفضل ؟ قال : « من عقر جواده وأهريق دمه » .

قال : قلت : يا رسول الله ، فأيّ الرقاب أفضل ؟ قال : « أغلاها ثمناً وأَنْفَسُها عند ربّها » .

قال : قلت : يا رسول الله ، فأيّ الصَّدقة أفضل ؟ قال : « جُهْدٌ من مُقِلٍّ يُسَرُّ إلى فقير » ...

قلت : يا رسول الله ، أوصني ! قال : « أوصيك بتقوى الله فإنّه رأس الأمر كلّه » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنّه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « إيّاك وكثرة الضّحك ، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « عليك بالصَّمت إلّا من خير ، فإنّه مطردة للشيطان عنك ، وعونٌ لك على أمرِ دينك » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « عليك بالجهاد ، فإنّه رهبانية أُمّتي » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « أَحِبَّ المساكين وجالسهم » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك ، فإنّه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك » .

قلت : زدني يا رسول الله ! قال : « **صِلْ قرابتك وإن قطعوك** » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « **لا تَخَفْ في الله تعالى لَوْمَةَ لائِمٍ** » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « **قُلِ الحَقَّ وإن كان مرّاً** » .

قلت : يا رسول الله ، زدني ! قال : « **يَرُدُّكَ عن النَّاسِ ما تعرفُ من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي ، وكَفَى بك عيباً أن تعرف من النّاس ما تجهل من نفسك ، أو تجد عليهم فيما تأتي** » .

ثمّ ضرب بيده على صدري فقال : « **يا أبا ذر ! لا عقل كالتّدبير ، ولا ورع كالكَفِّ ، ولا حَسَبَ كحُسْنِ الخُلُق** »[1] .

وعن أبي ذر ، قال : أوصاني رسول الله ﷺ بسبع : أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقي . وأوصاني بحبّ المساكين والدنوّ منهم . وأوصاني أن لا أسأل أحداً شيئاً . وأوصاني أن أقول الحقّ وإن كان مرّاً . وأوصاني أن أصِل رحمي وإن أدبرت . وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم . وأوصاني أن أستكثر من قول لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم ، فإنّها من كنوز الجنة[2] .

---

(١) حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصفهاني ١ : ١٦٥ ـ ١٦٦ ، الخصال ، للصدوق : ٥٢٣ ـ ٥٢٦ / ح ١٣ ، معاني الأخبار ، للصدوق : ٣٣٣ ـ ٣٣٥ / معنى تحية المسجد ومعنى الصلاة وما يتصل بذلك من تمام الحديث .

(٢) الخصال ، للصدوق : ٣٤٥ / ح ١٢ من باب السبعة ، مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٥٩ .

٣ ـ أُوَيْس القَرَنيّ[١]

هو أويس بن عامر بن سعد بن صفوان بن قرن بن ردمان بن مذحج المرادي، المعروف بـ(أويس القرني). أحدُ الرجال الثقات الذين انقطعوا للصلاة والعبادة. وكان من اليمن. وقال عنه النبي صلى الله عليه وآله: «خَلِيلي مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ أُوَيْسُ القَرَنِيُّ»[٢].

يذكر صاحب كتاب «حلية الأولياء» أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في الأصفياء والأحفياء والأبرياء وهو يحدث المسلمين ـ حين قالوا ـ يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «ذاكَ أُوَيْسُ القَرَنِيُّ»، قالوا: وما أويس القرني؟

قال صلى الله عليه وآله: «أَشْهَلُ ذُو صُهُوبةٍ، بَعِيدُ ما بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، مُعْتَدِلُ القامَةِ، آدَمُ شَدِيدُ الأَدَمَةِ، ضارِبٌ بِذِقْنِهِ إِلى صَدْرِهِ، رامٍ بِذِقْنِهِ إِلى مَوْضِعِ سُجُودِهِ، واضِعٌ يَمِينَهُ على شِمالِهِ يَتْلُو القُرآن، يَبْكي عَلَى نَفْسِهِ، ذُو طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ، مُؤْتَزِرٌ بِإِزارِ صُوفٍ، ورِداءَ صُوفٍ، مَجْهُولٌ في أَهْلِ الأَرْضِ، مَعْرُوفٌ في أَهْلِ السَّماءِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّ قَسَمَهُ،

---

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٦ : ١٦١ ـ ١٦٦، رجال الكشي : ٩١، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، للمحمودي ١ : ٤٦٣، تاريخ دمشق، لابن عساكر ٩ : ٢١٠، مستدرك الحاكم ٣ : ٨٠، خلاصة تذهيب الكمال ٢ : ١٧٠، مناقب ابن شهر آشوب ٣ : ٣٥٩، حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني ٢ : ٨١ ـ ٨٢، صحيح مسلم ٦ : ٩٥، أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين ٣ : ٥١٢ ـ ٥١٦.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٦ : ١٦٣.

أَلا وَإِنَّ تَحْتَ مَنْكِبِهِ الأَيْسَرِ بَيْضاء ، أَلا وإِنَّهُ إِذا كانَ يَوْمَ القِيامَةِ ، قِيلَ لِلْعِبادِ : ادْخُلُوا الجَنَّةَ ، ويُقالُ لأُوَيْسٍ : قِفْ فَاشْفَعْ ، فَيُشَفِّعُهُ الله عَزَّ وَجَلَّ في مِثْلِ عَدَدِ رَبِيعَةَ ومُضَر »[1].

عندما علم أويس ﷺ بقيام الحرب بين الإمام عليه السلام ومعاوية في صفين توجَّه إلى هناك ، وعند وصوله توجَّه إلى الإمام عليه السلام ليعلن انضمامه لصفوف المقاتلين.

يقول الأصبغ بن نباتة أحد أصحاب الإمام عليه السلام ما نصه :

كنَّا مع علي عليه السلام بصفّين ، فبايعه تسعة وتسعون رجلاً ، فقال الإمام : « **أَيْنَ تَمامُ المِائة ؟ لَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ يُبايِعَنِي فِي هٰذا اليَوْمِ مائةُ رَجُلٍ** » ، في هذه الأثناء جاء رجل عليه قباء صوف ، متقلّداً بسيفين ، فقال للإمام عليه السلام : ابسط يدك أُبايعك ، فقال الإمام عليه السلام : « **عَلَى ما تُبايِعُنِي ؟** » قال : على بذل مهجة نفسي دونك.

فقال له الإمام : « **من أنت ؟** ».

قال : أنا أويس القرني. فبايعه ، فلم يزل يقاتل بين يدي الإمام عليه السلام حتى قتل.

وفي رواية أُخرى ، أنّ الإمام عليه السلام قال له : « **كُنْ أُوَيْساً** ».

فقال : أنا أويس.

قال : « **كُنْ قَرَنِيّاً** ».

---

(١) حلية الأولياء ، لأبي نعيم الإصفهاني ٢ : ٨١ ـ ٨٢.

قال : أنا أويس القرني[١].

لعب القرنيّ دوراً كبيراً في معركة صفّين، حيث حمل عدّة حملات على جيش معاوية وأوقع فيهم خسائر فادحة، واستمرّ يطارد فلولهم حتّى نال الشهادة، ونظروا فإذا به نيّف وأربعون جراحة من طعنة وضربة ورمية.

وفي مناقب ابن شهر آشوب : وأتى أويس القرني متقلّداً بسيفين ـ ويقال : كان معه مِرْماة ومِخْلاة من الحصى ـ فسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام وودّعه، وبرز ومعه رجال ربيعة وقتل في يومه[٢].

لمّا علم الإمام عليه السلام باستشهاده جاء إليه وصلّى على جثمانه وشارك في دفنه مع أصحابه. وبهذا نال هذا الشهيد المقام المحمود عند الله جزءاً وفاقاً.

وبذلك نال سعادة الدُّنيا والآخرة، وها هو الآن مرقده الطاهر يزار على مدار السنة، وموقعه في مدينة الرَّقَّة السورية، وقد شُيِّد له ضريحٌ مرموق يليق به، وقد تشرّفنا بزيارته وزيارة بقيّة الشهداء الآخرين الذين نالوا الشهادة في معركة صفين.

وقرأنا نص زيارته التي كانت على النحو التالي :

«السلامُ عليك يا ناصر الإسلام، السلامُ عليك يا مطيعَ وليّ الله، السلامُ عليك أيُّها الصابر المجاهد والمقاتل الزاهد، السلامُ على مَن

---

(١) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١ : ٣١٥ / ح ١٥٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٢ : ٣٥٩.

بايع أمير المؤمنين، وفَدَى بنفسه سيّد الوصيّين، وجاهد في سبيل الله حتّى استُشْهِد صابراً محتسباً، فقد قال رسول الله ﷺ: «سيُقْتَلُ أُوَيْسُ القرنيُّ بأَرْضِ صِفِّين في رِكابِ خَلِيفَتِي أَمِيرِ المُؤْمِنين»، السلامُ عليك يا شَهيدَ الولاء، السلامُ على مَن خَصَّهُ رسول الله ﷺ بالمدح والثناء، وقال ﷺ في حقّه: «أُوَيْسٌ راهِبُ هٰذِهِ الأُمَّةِ»، السلامُ عليك يا قتيلَ الأدعياء، الصابرَ على البلاء، فجزاك الله عن الإسلام أحسنَ الجزاء، وقال ﷺ في حقك: «يَدْخُلُ الجَنَّة بِشَفاعَتِهِ مِثْلُ رَبِيعَةَ وَمُضَر»، وقال ﷺ: «وا شَوْقاهُ إِلَيْكَ يا أُوَيْسُ القَرَنيُّ، ألا فَمَنْ لَقِيَهُ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامُ، أُوَيْسٌ خَيْرُ التَّابِعِينَ»، السَّلام على من ألبسه أميرُ المؤمنين في أرض صفّين أفضل حلية ووِسام، فتقدّم لابساً خرقةَ سيّد الأنام، فقاوم الأعداء اللِّئام، ثابتاً رغم الرماح والسِّهام، حتّى نال شهادةَ الكرام، السّلامُ عليكَ يا أُوَيْسُ القَرَنيُّ وعلى صاحبك عَمَّارِ بن ياسرٍ. سيِّدي ومولاي أتيتُك زائراً، وحاجتي لك مستَوْدِعاً، فأسأل الذي أكرمك أن يُكرمني بكَ يوم القيامة، أشهدُ أَنَّك قد نصحتَ وجاهدتَ حتّى استُشْهِدْت، فيا ليتني كنتُ معكم سيِّدي فأفوز فوزاً عظيماً، والسَّلام على جميعِ الشُّهداء ورحمة الله».

٤ ـ صَعْصَعَةُ بنُ صَوْحان العَبديّ[١]

هو أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام، كان قد أسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وحسن إسلامه، فكان قريباً من الرسول صلى الله عليه وآله، ولمّا توفّي ـ صلوات الله عليه ـ لازم صعصعةُ الإمام عليّاً عليه السلام وأصبح من مقرّبيه.

اشترك العشرات من عشيرة صعصعة وإخوته في المعارك التي خاضها الإمام عليه السلام ضدّ خصومه، فكان مقاتلاً بارعاً وفارساً شجاعاً لقّن الأعداء درساً بليغاً وكان خطيباً مصقعاً، أخرَسَ به حُجَجَ الذين وانقلبوا على أعقابهم.

يقول الشعبي: «كان صعصعة بليغاً وخطيباً فذاً، كنت أتعلّم منه الخطب»[٢].

جاهر في حبّه للإمام عليّ عليه السلام وأبنائه البررة، وعارض الباطل مجاهرة.

---

(١) أسد الغابة، لابن الأثير ٢ : ٢٠، أنساب الأشراف، للبلاذري ٥ : ٣٩، تاريخ الطبري ٦ : ٣١، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني ٢ : ١٩٢، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٩٢، مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني: ٢٥، مروج الذهب، للمسعودي ٢ : ٣٣٨ و ٣ : ٤١، رجال الكشي : ٦٤، شرح النهج، لابن أبي الحديد ٢ : ٤٤، الأعلام، للزركلي ٣ : ٢٩٤، تاريخ الإسلام، للذهبي ٢ : ٢٩٣، العقد الفريد، لابن عبد ربّه ٣ : ١٢٢، ١٣٢، جامع الرواة، للأردبيلي ١ : ٤١٢، البيان والتبيين، للجاحظ ٢ : ٧٠، البدء والتاريخ، للمقدسي ٥ : ٢٢٢، تاريخ الإسلام، للذهبي ٢ : ٢٩٣، البحار، للعلّامة المجلسي ٩ : ٦٧٥، اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير ٢ : ١١٤، أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٧ : ٣٨٧.

(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ٤ : ٣٧٠ / الترجمة ٧٣٨.

كان صوتاً هادراً للحقّ لا يخاف بطش الحاكم، لذا كان يتحدّث عن فضائل الإمام علي عليه السلام في العهد الأموي، فما كان من والي الكوفة آنذاك المغيرة بن شعبة إلّا أن ينفيه من الكوفة إلى الجزيرة ـ وقيل إلى البحرين ـ بأمر من معاوية بن أبي سفيان، وبقي منفيّاً إلى أن توفّي رحمة الله عليه.

ويروى أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام افتقد في أحد الأيّام صعصعة، فقيل له: إنّه طريح الفراش، فما كان من الإمام عليه السلام إلّا أن ذهب لزيارته والاطمئنان على صحّته، وعند انتهاء الزيارة قال الإمام عليه السلام لصعصعة: «**يا صَعْصَعَةُ لا تَتَّخِذْ عِيادَتي لَكَ أُبَّهَةً عَلَى قَوْمِكَ**».

فقال صعصعة: بلى والله، أعدُّها مَنَّةً من الله عَلَيَّ وفَضْلاً.

قال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنْ كُنْتَ ما عَلِمْتُكَ لَخَفِيفَ المَؤُونَةِ، حَسَنَ المَعُونَةِ**».

فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمتُكَ إلّا بالله عليماً، وبالمؤمنين رؤُوفاً رحيماً[1].

إنّ ذهاب الإمام عليه السلام والعشرات من أصحابه الأجلّاء لعيادة صعصعة رحمه الله دليلٌ على قدر هذا الرجل عند الإمام عليه السلام، ومنزلته في قلوب المؤمنين.

ونصر صعصعةُ رحمه الله الإمامَ عليه السلام بلسانه أيضاً، حيث كان بليغ المنطق، قويّ الحجة، إذ يذكر المسعودي صاحب كتاب «مروج الذهب» أنّ معاوية

---

(١) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١: ٢٨٤ ـ ٢٨٥ / ح ١٢١.

أرسل إلى عقيل بن أبي طالب، وسأله عن أصحاب الإمام عليه السلام، وقد تحدّث عقيل عنهم، وبلغ ذلك صعصعة فكتب كتاباً إلى عقيل هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم، ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة، أمّا بعد، فقد بلغ مولاك كلامُك لعدوِّ الله وعدوِّ رسوله ـ يعني معاوية بن أبي سفيان ـ فحمدت الله على ذلك، وسألته أن يفيءَ بك إلى الدرجة العليا، والقضيب الأحمر، والعمود الأسود، فإنّهُ عمودٌ من فارقَهُ فارَقَ الدين الأزهر، ولئن نزعَتْ بك نفسُك إلى معاوية طلباً لماله إنَّك لذو عِلْمٍ بجميع خصاله، فاحذَرْ أن تَعْلَقَ بك ناره فَيُظِلَّكَ عن الحجّة، فإنّ الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، فما كان من فضل أو إحسان فيكم وصل إلينا، فأَجَلَّ الله أقداركم، وحمى أخطاركم، وكتب آثاركم، فإنّ أقداركم مرضيّة، وأخطاركم محميّة، وآثاركم بدريّة، وأنتم سُلَّمُ الله إلى خلقه، ووسيلته إلى طُرُقِهِ، أَيْدٍ عَلِيَّةٌ، ووجُوهٌ جَلِيَّةٌ، وأنتم كما قال الشاعر :

فَما كانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّما ... تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ

وَهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ ... وتُغْرَسُ إِلَّا في مَنابِتِها النَّخْلُ[1]

بهذه الكلمات الشجاعة نطق لسان صعصعة رحمه الله وهو يتكلّم عن منزلة أهل البيت عليهم السلام والظلم الذي وقع عليهم من معاوية، وكان معاوية في أوج عظمته وفي عنفوان سلطته، لكنّ صعصعة لم يُعِرْ للظّالم أيَّ اهتمام،

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٢ : ٣٣٨.

بل استمرّ ينطق بالحق ويفضح الباطل ويبيّن فضائل أهل البيت عليهم السلام الذين أعزهم الله عَزَّ وَجَل.

من هنا نعرف مغزى قول الإمام الصادق عليه السلام: «**ما كانَ مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقه إلّا صعصعة وأصحابه**»[1] الذين ساروا على دربه: كحجر بن عدي، ومالك الأشتر، وعمار بن ياسر، وعدي بن حاتم الطائي، وكميل بن زياد، ورشيد الهجري، وميثم التمار، وغيرهم من الميامين الأبرار.

ويذكر عاصم بن أبي النجود، عن أحد الذين شهدوا دخول معاوية بن أبي سفيان إلى الكوفة: أنّه عندما دخل معاويةُ الكوفةَ دخل عليه عدد من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، وكان الإمام الحسن عليه السلام قد أخذ لهم الأمان، وكان ممّن دخل صعصعة، فقال له معاوية: أما والله إنّي كنت لأُبْغِضُ أن تدخل في أماني.

فقال له صعصعة: وأنا والله أُبْغِضُ أن أسمِّيَكَ بهذا الاسم، ثمَّ سلم عليه بالخلافة.

فقال له معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر والعن علياً.

فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيُّها النّاس، أتيتُكُمْ من عند رجل قَدَّمَ شَرّه وأخَّر خيره، وإنّه أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه لعنه الله.

---

(١) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١: ٢٨٥ / ح ١٢٢.

فضجّ أهل المسجد بآمين، فلمّا رجع إليه فأخبره بما قال، قال : لا والله ما عنيتَ غيري، ارجع حتّى تسمّيه باسمه.

فرجع وصعد المنبر ثم قال : أيها الناس، إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب، فالعنوا من لَعَنَ عليَّ بن أبي طالب. قال فضجّوا بآمين.

قال : فلمّا خُبِّر معاوية قال : لا والله ما عنى غيري، أَخْرِجُوهُ لا يُساكنني في بلدي، فأَخْرَجُوهُ[1].

قال السيد محسن الأمين : قال الشعبي : كان بليغاً خطيباً، كنتُ أتعلّم منه الخُطَب، نفاه المغيرة بأمر معاوية من الكوفة، ووصفه عبد الملك بن مروان بأنّه أَحْضَرُ النَّاس جَواباً.

وروى الحافظ : عن حميد بن هلال العدوي، قال : قام صعصعة إلى عثمان بن عفان وهو على المنبر، فقال : يا أمير المؤمنين مِلْتَ فمالت أُمَّتُكَ، اعتدِلْ يا أمير المؤمنين تَعْتَدِلْ أُمَّتُكَ.

وكان صعصعة من أهل الخطط بالكوفة، وكان من أصحاب عليٍّ، وتوفي في خلافة معاوية، وكان ثقةً قليل الحديث.

وتكلم يوماً فأكثر، فقال عثمان : يا أيُّها النّاس، إن هذا البَجْباج النفّاخ ما يدري مَنِ اللهُ ولا أين الله، فقال له : أما قولك : ما أدري مَنِ الله، فإنّ الله ربّنا وربّ آبائنا الأولين. وأما قولك : لا أدري أين الله، فإن

---

(١) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١ : ٢٨٥ / ح ١٢٣.

الله لبالمرصاد، ثم قرأ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1] الآيات....

وقدم وفد أهل العراق على معاوية، فقال: مرحباً بكم يا أهل العراق، قدمتم أرض الله المقدّسة، منها المنشر وإليها المحشر، قدمتم على خير أمير يَبَرُّ كبيركم، ويرحم صغيركم، ولو أنَّ الناس كلّهم وُلْدُ أبي سفيان لكانوا حُلماءَ وعقلاء.

فأشار الناس إلى صعصعة بن صوحان فقام فحمد الله وصلّى على النبي ﷺ، ثمّ قال: أما قولك يا معاوية: إنّا قدمنا الأرض المقدّسة، فلعمري ما الأرض تُقَدِّس الناس، ولا يقدِّس النّاس إلاّ أعمالهم. وأمّا قولك: إنّ منها المنشر وإليها المحشر، فلعمري ما ينفع قربُها كافراً ولا يضرُّ بُعْدُها مؤمناً. وأمّا قولك: لو أنّ النّاس كلّهم وُلْدُ أبي سفيان لكانوا حلماء وعقلاء، فقد وَلَدَهُمْ من هو خير من أبي سفيان آدم عليه السلام؛ فمنهم الحليم والسفيه، والجاهل والعالم.

فقال له معاوية: والله لأجفينك عن الوساد، ولأشردن بك في البلاد،

فقال له صعصعة: والله إنّ في الأرض لسعة، وإنّ في فراقك لدعة.

فقال له معاوية: والله لأحبسن عطاءك.

قال: إن كان ذلك بيدك فافعل، إنّ العطاء وفضائل النَّعماء في ملكوت من لا تنفد خزائنه، ولا يبيد عطاؤه، ولا يحيف في قضيّته.

---

(١) الحج: ٣٩.

فقال له معاوية : لقد استَقْتَلْتَ.

فقال له صعصعة : مهلاً، لم أَقُلْ جهلاً، ولم أستحلَّ قَتْلاً، لا تُقْتَلُ النَّفسُ التي حرّم الله إلّا بالحق، ومن قُتِلَ مظلوماً كان الله لقاتله مقيماً، يرهقه أليماً ويجرّعه حميماً، ويصليه جحيماً.

فقال معاوية لعمرو بن العاص : اكفناه.

فقال له عمرو : وما تَجَهُّمُكَ لسلطانك ؟

فقال له صعصعة : ويلي عليك يا مأوى مُطَّرِدي أهل الفساد، ومعادي أهل الرشاد، فسكت عنه عمرو.

وروى نصر بن مزاحم : أنّ ابن الأحمر قال : لمّا أجمع معاوية وأهل الشام أن يمنعونا الماء ففزعنا إلى أمير المؤمنين، فأخبرناه بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان، فقال : ائْتِ معاوية فقل : إنّا سرنا مسيرنا هذا وإنا نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنّك قَدْ قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكفّ حتى ندعوك ونحتجّ عليك، وهذه أُخرى قد فعلتموها حتّى حلتم بين النّاس وبين الماء، فخَلِّ بينهم وبينه حتّى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم، وإن كانَ أَحَبَّ إليك أن نَدَع ما جئنا له ونَدَع النّاس يقتتلون على الماء حتّى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فقال معاوية لأصحابه : ما ترون ؟ قال الوليد بن عقبة : امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان؛ حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام، اقْتُلْهُمْ عطشاً قتلهم الله. وقال عمرو : خلِّ بين القوم وبين الماء،

فإنّهم لن يعطشوا وأنت ريّان، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم. فأعاد الوليد مقالته. وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح ـ وهو أخو عثمان من الرضاعة ـ: امنعهم الماء إلى اللّيل؛ فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعُهُم هزيمَتَهم، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة.

فقال صعصعة بن صوحان: إنّما يمنعه الله يومَ القيامة الكفَرَة الفَجَرَة شَرَبَة الخمر ضَرْبُكَ وضَرْبُ هذا الفاسق، يعني الوليد بن عقبة، فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه، فقال معاوية: كُفُّوا عن الرَّجل فإنّه رسولٌ.

ولمّا أراد الانصراف من عنده قال: ما تردُّ عليّ؟ قال: سيأتيكم رأيي، قال: فوالله ما راعنا إلّا تسوية الرجال والخيل والصفوف، فأرسل إلى أبي الأعور: امنَعْهُمُ الماء. فازدلفنا والله إليهم فارتمينا بالرماح، واضطربنا بالسيوف، فطال ذلك بيننا وبينهم، فصار الماء في أيدينا، فقلنا: والله لا نسقيهم، فأرسل إلينا عليٌّ: خُذُوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم، وخَلُّوا بينهم وبين الماء؛ فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم.

وروى أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل: أنّ صعصعة بن صوحان استأذن على عليٍّ عليه السلام وقد أتاه عائداً لمّا ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن، فقال صعصعة للآذن: قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيّاً وميّتاً، فلقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بكلمات الله عليماً، فأبلغه الآذن ذلك، فقال: وأنت يرحمك الله، فلقد كنت خفيف المَؤُونة، كثير المعونة، انتهى كلام صاحب الأعيان[1].

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٧: ٣٨٧ ـ ٣٨٨ / الترجمة ١٣٥١.

وعن الحسين بن عليّ التّمّار، عن محمد بن القاسم الأنباري، عن أبيه، عن علي بن الحسن الأعرابي، عن علي بن عمروس، عن هشام بن السائب، عن أبيه، قال: خطب النَّاسَ يوماً معاويةُ بمسجد دمشق، وفي الجامع يومئذ من الوفود علماء قريش، وخطباء ربيعة ومَدارِهُها[1]، وصناديد اليمن وملوكها.

فقال معاوية: إن الله تعالى أكرم خلفاءه، فأوجب لهم الجنة، وأنقذهم من النار، ثمّ جعلني منهم، وجعل أنصاري أهل الشام: الذَّابِّين عن حرم الله، المؤيَّدين بظفر الله، المنصورين على أعداء الله.

قال: وكان في الجامع من أهل العراق الأحنف بن قيس، وصعصعة بن صوحان، فقال الأحنف لصعصعة: أتكفيني أم أقوم إليه أنا؟ فقال صعصعة للأحنف: بل أكفيكه أنا، ثمّ قام صعصعة فقال: يابنَ أبي سفيان تكلّمت فأبلغت، ولم تقصر دون ما أردت، وكيف يكون ما تقول، وقد غَلَبْتَنا قَسْراً، وملَكْتَنا تَجَبُّراً، ودنتنا بغير الحقّ، واستوليت بأسباب الفضل علينا؟! فأما إطراؤك لأهل الشام فما رأيت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهم؛ قوم ابتعت منهم دينهم وأبدانهم بالمال، فإن أعطيتهم حاموا عنك ونصروك، وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك.

قال معاوية: اسكت يابن صوحان، فوالله لولا أنّي لم أتجرّع غصَّةَ غيظٍ قَطُّ أَفضلَ من حِلْمٍ وأَحْمَدَ من كَرَمٍ ـ سيّما في الكفِّ عن مثلك،

---

(١) المَدارِهُ: جمع المِدْرَه، وهو الخطيب اللَّسِن.

والاحتمال لذويك ـ لما عُدت إلى مثل مقالتك، فقعد صعصعة، فأنشأ معاوية يقول:

قابَلْتُ جاهِلَهُمْ حِلْماً ومَكْرُمَةً والحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ[1]

محمد بن الحسين، عن محمد بن جعفر المؤدِّب، عن محمد بن عبد الله بن عمران، عن عبد الله بن يزيد الغساني، يرفعه قال: قدم وفد العراقيين على معاوية. فقدم في وفد أهل الكوفة عدي بن حاتم الطائي، وفي وفد أهل البصرة الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: هؤلاء رجالُ الدُّنيا، وهم شيعة عليٍّ الذين قاتلوا معه يوم الجمل، ويوم صفين، فكن منهم على حذر، فأمر لكلِّ رجل منهم بمجلس سَرِيٍّ، واستقبل القومُ بالكرامة.

فلمّا دخلوا عليه، قال لهم: أهلاً وسهلاً، قدمتم الأرض المقدّسة، أرض الأنبياء والرسل، والحشر والنشر. فتكلّم صعصعة وكان من أحضر الناس جواباً، فقال: يا معاوية أما قولك: «الأرض المقدّسة»، فإن الأرض لا تُقدِّس أهلَها، وإنّما تُقدّسهم الأعمال الصالحة. وأمّا قولك: «أرض الأنبياء والرسل»، فمن بها من أرض النفاق والشرك والفراعنة والجبابرة أكثر من الأنبياء والرسل. وأمّا قولك: «أرض الحشر والنشر»، فإنّ المؤمن لا يضرّه بُعْدُ المحشر، والمنافقَ لا ينفعه قُرْبُهُ.

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٥ ـ ٦ / ح ٤.

فقال معاوية : لو كان الناس كلّهم أولدهم أبو سفيان لَما كان فيهم إلّا كَيِّساً رشيداً. فقال صعصعة : قد أولد الناس من كان خيراً من أبي سفيان، فأولد الأحمق والمنافق، والفاجر، والفاسق، والمعتوه، والمجنون، آدم أبو البشر. فخجل معاوية[1].

٥ ـ رُشَيْد الهَجَري[2][3]

أحد أصحاب الإمام أمير المؤمنين الخُلَّص، ومن المعروفين بولائه وحبه لأهل البيت عليهم السلام. كان شغل رشيد رحمه الله الشاغل هو الحديث عن مناقب وفضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد وأينما حلّ.

---

(١) الاختصاص، للمفيد: ٦٤ ـ ٦٥.

(٢) في تكملة نقد الرجال : قال الخليل : بضم المهملة وفتح المعجمة وسكون الخاتمة. (والهجري) قال الخليل : بفتح الجيم. وفي الخلاصة : رُشَيْد بضم الراء. وفي رجال ابن داود : رُشَيْد بضمّ الراء وفتح الشين المعجمة، (الهَجَري بفتحتين)، ورأيت بعض أصحابنا قد ضبطوا الهُجْري بضم الجيم، وهو اشتباه. وعادته أن يتعقب بمثل ذلك كلام العلامة في الخلاصة، لكن ذلك لا أثر له في الخلاصة. والهَجَري نسبة إلى هَجَرَ؛ اسم لثلاثة مواضع : بلدة بأقصى اليمن، واسم لجميع أرض البحرين ومنه المثل : كمبضع التمر إلى هجر، وقرية كانت قرب المدينة تنسب إليها القلال الهجرية أو أنها منسوبة إلى هجر اليمن.

(٣) الشيعة والحاكمون، لمحمد جواد مغنية : ٨١، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢ : ٩٤، الإرشاد، للمفيد ١ : ٣٢٥ ـ ٣٢٦، اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١ : ٢٩٠ ـ ٢٩٣، أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٧ : ٦ ـ ٨.

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب عليٍّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين عليهم السلام، وذكر الكفعمي في بعض الأئمّة عليهم السلام أنَّ بَوَّابَهُ رشيد الهجري[1].

روى الكشي بسنده من أبي حيّان البجلي، عن قنواء بنت رشيد الهجري، قالت: سمعت أبي يقول: أخبرني أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقال: يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيُّ بني أُميَّة فقطع يديك ورجليك ولسانك، قلت: يا أمير المؤمنين آخر ذلك إلى الجنة؟ فقال: يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة، قالت: فوالله ما ذهبت الأيّام حتّى أرسل إليه عبيدُ الله بن زياد الدَّعيُّ فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يبرأ منه، فقال له الدعيُّ: فبأيِّ ميتة قال لك تموت؟ قال له: أخبرني خليلي أنّك تدعوني إلى البراءة منه فلا أبرأ، فتقدّمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذّبنَّ قوله، فقدّموه فقطعوا يديه ورجليه وتركوا لسانه، فحملتُ أطرافَ يديه ورجليه... فلمّا احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله، فقال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى يوم الساعة، فأرسل إليه الحجّام حتّى قطع لسانه، فمات في ليلته.

قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسمّيه رشيد البلايا، وكان ألقى إليه

---

(١) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٧: ٦. وذكر ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٢ أنّه باب الإمام الحسين عليه السلام.

علم البلايا والمنايا، وكان في حياته إذا لقي الرجل قال له : يا فلان أنت تموت بميتة كذا، وتقتل أنت يا فلان بقتلة كذا وكذا، فيكون كما قال، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أنت رشيد البلايا؛ أي تقتل بهذه القتلة، فكان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وروى الكشي بسنده عن فضيل بن الزبير، قال : خرج أمير المؤمنين عليه السلام يوماً إلى بستان البرني ومعه أصحابه، فجلس تحت نخلة، ثمّ أمر بنخلة فَلُقِطَتْ، فأُنزِلَ منها رطب فوضع بين أيديهم، فقال رشيد الهجري : يا أمير المؤمنين ما أطيب هذا الرطب! فقال : «يا رُشَيْدُ، أَما إِنَّكَ تُصْلَبُ عَلَى جِذْعِها». قال رشيد : فكنت أَختلف إليها طَرَفَي النهار أسقيها، ومضى أمير المؤمنين عليه السلام فجئتها يوماً وقد قطع سعفها، قلت : اقترب أجلي، ثمّ جئت يوماً فجاء العريف، فقال : أجب الأمير، فأتيته، فلمّا دخلتُ القصر إذا خشب مُلقىً، ثمّ جئت يوماً آخر فإذا النصف قد جعل زُرْنُوقاً[2] يُسْتَقَى عليه الماء، فقلت : ما كَذَبَنِي خليلي، فأتاني العريف، فقال : أجب الأمير، فأتيته، فلمّا دخلت القصر إذا الخشب ملقى وإذا فيه الزرنوق، فجئت حتّى ضربت الزرنوق برجلي، ثم قلت : لَكِ غُذِيتُ ولي أُنْبِتِّ، ثمّ أُدخلت على عبيد الله بن زياد، قال : هات من كذب صاحبك، فقلت : والله ما أنا بكذّاب ولا هو، وقد أخبرني أنّك تقطع

---

(١) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١ : ٢٩٠ ـ ٢٩١ / ح ١٣١.

(٢) الزُّرْنُوق : دعامة البئر، والجمع زرانيق.

يدي ورجلي ولساني، فقال: إذاً والله نكذّبه، اقطعوا يده ورجله وأخرجوه، فلمّا حُمِلَ إلى أهله أقبل يحدّث الناس بالعظائم، وهو يقول: أيُّها النّاس، سَلُوني، فإنَّ للقوم عندي طلبة لَمَّا يقضوها، فدخل رجلٌ على ابن زياد، فقال له: ما صنعت؟! قطعت يده ورجله وهو يحدّث الناس بالعظائم، قال: رُدُّوه ـ وقد انتهى إلى بابه ـ فَرَدُّوه، فأمر بقطع يديه ورجليه ولسانه وأمر بصلبه[1].

٦ ـ حجر بن عدي الكنديّ[2]

هو حجر بن عدي بن معاوية بن جَبَلَة بن عديّ بن ربيعة بن معاوية الكندي.

وفد على النبي ﷺ مع أخيه وأعلنا إسلامهما.

---

(١) اختيار معرفة الرجال، للطوسي ١: ٢٩١ ـ ٢٩٢ / ح ١٣٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني ٢: ٣٢ ـ ٣٤، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٦: ٢١٧ ـ ٢٢٠، الاستيعاب، لابن عبد البر ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٣، كتاب صفين، لنصر بن مزاحم: ١٠٤، ٢٤٣، تاريخ الطبري ٤: ١٨٧ ـ ٢١٠، أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين ٤: ٥٦٩ ـ ٥٨٥، بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ١٠: ١٤٩، المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ٣: ٤٦٩، شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ١: ١٣٠، أسد الغابة، لابن الأثير ١: ٤٦٢، الأعلام، للزركلي ٢: ١٦٩، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٣٩ ـ ٢٤٢، الشيعة والحاكمون، لمحمد جواد مغنية: ٧٧، الاحتجاج، للطبرسي ٢: ١٩ ـ ٢٠، الدرجات الرفيعة، للسيّد علي خان المدني: ٤٢٣ ـ ٤٣١.

كان حجر من أبطال العرب المشار إليهم بالبنان، وأصبح فيما بعد من أشهر فرسان المسلمين، وأبلى بلاءً حسناً مع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في غزواته التي خاضها ضد المشركين.

كان حجر أول مسلم يدخل الشام فاتحاً ويفتح مرج عذراء ويخضعها لسلطة الدولة الإسلامية.

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله أصبح أحد خواصّ الإمام علي عليه السلام، ومن السائرين على دربه، ومن المدافعين عن حقّه سواء في حياة الإمام عليه السلام أو بعد استشهاده.

وفي حرب الجمل كان حجر أحد قادة جيش الإمام عليه السلام؛ حيث تسلّم مراكز حساسة في القيادة التي أشرفت على إدارة المعركة بنجاح، وقد حاول حجر قبل بدء الحرب إقناع عائشة وصاحبيها طلحة والزبير بالعودة إلى المدينة المنورة وعدم إثارة الفتنة، إلّا أنّ عائشة وصاحبيها رفضوا مساعي حجر هذه وأصرُّوا على الحرب. بعد انتهاء الحرب التي انتصر فيها الإمام عليه السلام عاد حجر وبقية الجيش العلوي للكوفة.

لم تمرّ فترة طويلة على انتهاء معركة الجمل حتّى اندلعت معركة صفين بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان.

بعد أن أصرّ معاوية على الحرب استعدّ الإمام للحرب؛ حيث دعا أصحابه والمقرّبين له وأبلغهم قراره بالاستعداد للحرب، فأخذوا كامل الاستعداد لخوض تلك الحرب، وبعد عدّة أيام دعا الإمام حجر بن عدي وعقد له راية على أربعة آلاف من الجند، فتوجّه حجر مع بقية القادة إلى الشام لملاقاة جيش معاوية.

التحم الجيشان ودارت معارك طاحنة بين الجيشين قتل فيها الآلاف من الطرفين، وكادت المعركة أن تحسم لصالح جيش الإمام ﷺ لولا الفتنة التي حصلت من خلال قضية رفع المصاحف التي افتعلها عمرو بن العاص القائد الأعلى لجيش معاوية، وذلك بعد أن علموا أنّ النصر قد أصبح أكيداً لجيش الإمام ﷺ، ونجحت لعبة عمرو بن العاص في نشر الفتنة، ووقع الانقسام بين صفوف جيش الإمام ﷺ حيث خرج عن جيشه جماعة أُطلق عليهم بعد ذلك اسم (الخوارج).

عاد الإمام ﷺ وأصحابه والألم يعصر قلوبهم على ما حدث، إلّا أن مشيئة الله عزّ وجل فوق كل شيء.

بعد انشقاق الخوارج من جيش الإمام ﷺ نظّموا صفوفهم واستعدّوا فيما بعد لقتال الإمام ﷺ، فاستعد الإمام بجيش قاده هو بنفسه، وكان حجر بن عديّ أحد قادة هذا الجيش، وتوجّهوا إلى منطقة النهروان، ودارت في هذه المنطقة معركة طاحنة بين الجيشين، وكان النصر فيها للإمام وجيشه، وكان لحجر بن عدي دور كبير حيث تمكّن من قتل أبرز قادة الخوارج.

عاد بعدها الإمام إلى الكوفة، ولم يمضِ وقت طويل على انتهاء المعركة حتّى أعدّ عددٌ من زعماء الخوارج مؤامرة لاغتيال الإمام ﷺ، وذلك ما حصل فعلاً؛ حيث خطط ثلاثة أشخاص منهم على اغتيال الإمام علي ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص على أساس أنّ هؤلاء الثلاثة هم سبب انقسام المسلمين على حدّ زعمهم.

عجباً لهؤلاء الأوباش ينظرون لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله كما ينظرون لمعاوية وعمرو!! وهما الشخصان اللّذان تلطخت أيديهما بدماء المسلمين وساهما مساهمة فعّالة في زرع بذور الفتنة بين المسلمين.

تمكّن عبد الرحمن بن ملجم ـ وهو أحد الأشخاص الذين اتّفقوا على قتل المذكورين ـ من قتل الإمام عليه السلام، وبهذا انتقل الإمام عليه السلام لجوار ربّه شهيداً على يد أقذر وأقبح وألعن رجل عرفه التاريخ.

بعد استشهاد الإمام عليه السلام صار الأمر للإمام الحسن عليه السلام، ثمّ تمّ الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، بعد أن اضطرّ الإمام عليه السلام لهذا الأمر؛ إذ تخلّى عدد من أتباع الإمام عنه بسبب الأموال التي أغدقها عليهم معاوية، فعقد الإمام الحسن عليه السلام الصلح للحفاظ على بقية الموالين من أتباع أهل البيت عليهم السلام من بطش معاوية الذي كان يتحيّن الفرص للإيقاع بهؤلاء.

بعد استتباب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان بدأ بملاحقة أصحاب الإمام عليه السلام، وكان في مقدّمتهم حجر بن عدي.

عيّن معاويةُ المغيرةَ بن شعبة والياً على الكوفة، وأمره بأن يجعل سبَّ ولعن الإمام عليّ عليه السلام على المنابر يوميّاً بعد أداء الصلاة، وهو ما تمّ فعلاً، فاستنكر حجر وبقية أصحاب الإمام عليه السلام بشدّة هذا القرار الجائر.

ففي إحدى المرّات كان حجر جالساً في المسجد، فسمع المغيرة وهو يسبّ الإمام عليه السلام، فقام وخاطب المغيرة قائلاً: بَلْ إيَّاكُمْ قد ذم الله ولعن،

ثمّ قال : إنّ الله عزّ وجل يقول : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّهِ﴾[١]، وأنا أشهد أنّ من تذمّون وتعيّرون لَأَحَقُّ بالفضل، وأنَّ من تزكّون وتطرون أولى بالذم. ثم نهر المغيرة وخرج[٢].

بعد هذا الموقف قرّر المغيرة نفي حجر من الكوفة، وبلغ قرارهُ هذا معاويةَ فوافق عليه.

بعد وفاة المغيرة عُيِّنَ زياد بن أبيه والياً على الكوفة، فأصبح والياً على البصرة والكوفة معاً، فنهج زياد نفس نهج صاحبه المغيرة في سبّ الإمام علي عليه السلام على المنابر، وكان أوّل عمل يقوم به بعد وصوله الكوفة هو تتبّع أصحاب الإمام عليه السلام البارزين ومحاولة القضاء عليهم، وكان في مقدّمة هؤلاء حجر بن عدي، فأصدر أمراً بإلقاء القبض عليه، فحاول حجر بن عدي الإفلات وقد نجح.

وتدخّل عدد من زعماء الكوفة الذين كانوا على معرفة بزياد لأخذ الأمان لحجر، فوافق زياد لكنّه كان يدبّر مكيدة لهذا المجاهد الصابر، فأبلغ هؤلاء حجراً وقالوا له : بأن زياداً وافق على إعطائه الأمان شرط أن يأتي إليه، فجاء إليه حجر ودخل على زياد، ودار الحديث والجدال بينهما، فقال له حجر : ألم تؤمّني حتّى آتي معاوية فيرى فِيَّ رأيه ؟

فقال له زياد : بلى قد فعلنا. ثمّ أمر زياد بإيداعه السجن[٣].

---

(١) سورة النساء : ١٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ١٨٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ١٩٦.

بقي حجر في السجن عدّة أيام، إلى أن أُرسل فيما بعد إلى دمشق لمقابلة معاوية بن أبي سفيان، فأُرسل ومعه اثنا عشر رجلاً من أصحابه.

قبل إرسال حجر دعا زياد أربعة من أتباعه وطلب منهم أن يشهدوا على حجر بأنّه يؤلّب الناس على معاوية ويجهر بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والأربعة هم: عمرو بن حريث، وخالد ابن عرفطة، وقيس بن الوليد، وأبو بردة بن أبي موسى.

شهد هؤلاء أمام معاوية على أنّ حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حرب أمير الفاسقين معاوية بن أبي سفيان، وزعم أنّ الأمر لا يصلح إلّا في آل أبي طالب، وإخراج عامل معاوية والترحّم على أبي تراب، والبراءة من عدوّه وأهل حربه، وأنّ هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه وهم على رأيه[1].

دوّن زياد هذه الشهادة وأرسلها مع أتباعه الذين أخذوا حجراً وأصحابه إلى دمشق، وما إن وصلوا حتّى أبلغوا معاوية بهذا الأمر، فقرّر معاوية الطلب من حجر وأصحابه أن يتبرّؤوا من عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى يطلق سراحهم، ففعل ستّةٌ منهم ذلك.

بينما انبرى حجر والآخرون مستنكرين هذا الأمر ورفضوا تنفيذه، وهم: حجر بن عدي، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وشريك بن شداد الحضرمي، ومحرز بن شهاب التميمي، وكرّام بن حيّان العنزي، وصيفي بن فسيل

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١٩٨ ـ ١٩٩.

الشيباني، وهمّام بن حجر بن عدي، فما كان من أتباع معاوية إلّا البدء بحفر قبور هؤلاء الأبطال الصامدين.

طلب حجر ورفاقه من جلاوزة معاوية إمهالهم هذه اللّيلة، فوافق الحرس، فقام حجر ورفاقه بإقامة الصلاة وقراءة القرآن طيلةَ اللّيل، وعندما أُصبح الصباح أقبل الحرّاس لتنفيذ حكم الإعدام، فقالوا لحجر ورفاقه: نراكم قد أطلتم في صلاتكم؟ وأحسنتم في الدُّعاء؟ فقالوا: شكرنا ربَّنا على إعطائنا هذه الشهادة.

وقبيل تنفيذ الحكم كرّر الحراس منهم المطالبة بالبراءة من الإمام عليّ عليه السلام، فقالوا: بل نتولّاه ونتبرأ ممّن تبرّأ منه. فأخذ كلّ رجل منهم أحد الرجال وقتله، وبهذا ذهبوا للقاء الباري عزّ وجل وفي قلبهم حبّ الوصي عليه السلام[1].

وقيل: إنّ حجراً قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه طلب من جلاوزة معاوية تنفيذ الحكم أولاً بولده الذي كان برفقته، وسئل عن ذلك، فقال حجر: خفت أن يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام[2].

فلم يرهب هؤلاء الشجعانُ الموتَ، بل كان الموت عندهم أحلى من العسل في سبيل الدفاع عن الحق المتمثّل بالإمام عليّ عليه السلام ومبادئ الإسلام.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٢ ـ ٢٠٧، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣٠ ـ ٢٣١، الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٤٨٣ ـ ٤٨٧.

(٢) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ١: ٢٧ و ٤: ٥٨١.

استنكر المسلمون الأشراف قتلَ حجر بن عدي ورفاقه، وعمّت الأقاليم الإسلامية موجةَ استياء من هذا العمل الجبان، ومن المستنكرين لهذا العمل عائشة، فقد قالت : سَمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « **سَيُقْتَلُ بَعْدِي بِعَذْراءَ أُناسٌ يَغْضَبُ اللهُ لَهُمْ وأَهْلُ السَّماء** »[1]. وكذلك استنكره سعد ابن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهم، إلّا أنَّ معاوية لم يُعِرْ لاستنكارهم أيَّ اهتمام، بل استمرّ بارتكاب الأعمال المخزية وتفنّن في أساليب الانتقام من أصحاب الإمام علي عليه السلام.

وقد رثى أحد الشعراء (حُجْرَ بن عديٍّ) وأصحابَهُ القتلى بهذه الأبيات :

جَماعَةٌ بثَرَى عَذْراءَ قَدْ دُفِنُوا ... وَهُمْ صِحابٌ لَهُمْ فَضْلٌ وإِعْظامُ

حِجْرٌ قَبِيصَةُ صَيْفيٌّ شَرِيكُهُمُ ... ومُحْرَزٌ ثُمَّ هَمَّامُ وكَرَّامُ

عليهِمُ ألفُ رضوان ومكرمة ... تترى تدوم عليهم كلّما داموا[2]

إنّ هذا العمل المخزي الذي قام به معاوية جعل كُلَّ أصحاب الأقلام الحرّة يرفضونَ فعله المشين الّذي ذهب ضحّيته حجر ورفاقه، والذين قال عنهم الإمام علي عليه السلام : **يا أهل الكوفة، سيقتل منكم سبعة نفر خياركم، مَثَلُهُم كمَثَل أصحاب الأُخدود، منهم حجر بن الأدبر وأصحابه**[3].

---

(١) الوافي بالوفيات، للصفدي ١١ : ٢٤٨، كنز العمال، للمتقي الهندي ١١ : ١٢٦ / ح ٣٠٨٨٧.

(٢) أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٤ : ٥٨٢.

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٢ : ٢٢٧.

هكذا رجال يقول عنهم وصيّ الرسول ﷺ هذا القول مؤكّدٌ أنّ منزلتهم عظيمة، فهنيئاً لهم هذا الصمود البطولي، وهذه الوقفة المجيدة.

فقد أجمع أصحاب الكتب الذين تحدّثوا عن مقتل حجر بن عدي ورفاقه بأنّ عمل معاوية هذا كان عملاً إجرامياً، وأنّه بعمله هذا قد أساء للرسول ﷺ؛ لأنّ حجراً وأصحابه كانوا من صحبه المخلصين، ومن الّذين قدّموا خدمات جليلة للإسلام والمسلمين. واليوم نجد أنّ أبناء معاوية وأعداء أهل البيت عليهم السلام يأتون إلى قبره الشريف فيهدمونه وينبش جسده الشريف، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على خبث هؤلاء وعدائهم لأهل البيت عليهم السلام، ألا لعنة الله على القوم الظالمين وعلى الوهّابيّة أعداء الدين.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

وفي الختام نستغفر الله تعالى من الزيادة والنقصان، والسهو والغلط والنسيان، أنه غفور منان والله عالم بعواقب الأُمور ومصالح العباد، ونسأل الله تعالى أن يعجل في فرج مولانا خاتم الأوصياء الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام ويسهل مخرجه ويجعلنا من أنصاره والآخذين بثأر أُمه الزهراء عليها السلام وجدّه الحسين عليه السلام وأجداده الميامين.

«اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة، تعزُّ بها الإسلام وأهله، وتذلُّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة».

«اَللّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آبائِهِ، في هذِهِ السّاعَةِ، وَفي كُلِّ ساعَةٍ، وَلِيّاً وَحافِظاً، وَقآئِداً وَناصِراً، وَدَليلاً وَعَيْناً، حَتّى تُسْكِنَهُ اَرْضَكَ طَوْعاً، وَتُمَتِّعَهُ فيها طَويلاً، وتجعلنا من أنصاره وأعوانه برحمتك يا أرحم الراحمين».

تم بعون الله تعالى

٢٠ / جمادي الثاني / ١٤٣٦هـ

يوم ولادة الزهراء عليها السلام ـ قم المقدّسة

الفهرست

الإهداء ٥
تقديم ٧
المقدمة ١٥
تقريظ ١٩
خصائص الكتاب ٢١
أهمّيّة الولاة وخطر الإمارة ٢٣
انتخاب الأُمراء و تعيينهم وعقابهم ٢٦
إمارة السُّفَهاء ٢٧
واجبات الولاة عند الإمام عليه السلام وذم عُشّاقها ٢٨
محاسبة الولاة عند الإمام عليه السلام وإقالتهم ٣٥
الجيش والشرطة عند الإمام عليه السلام ٣٩
حق الوالي على الرَّعيَّة وحقّها عليه ٤٣

الباب الأَوّل
في بدء خلافة أمير المؤمنين عليه السلام
(٤٥ ـ ٢٠٠)

الفصل الأول : في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله ٤٧
الأمر الأَوَّل : النبي صلى الله عليه وآله واللحظات الأخيرة من حياته ٤٩
الأمر الثاني : رزية يوم الخميس ٥٣
النبي صلى الله عليه وآله يوصي بأهل بيته عليهم السلام ٥٧

الفصل الثاني : في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء (الحكام) ٥٩
الأمر الأول : مؤتمر السقيفة وحكومة أبي بكر ٦١
البواعث لمؤتمر السقيفة ٦٣
خطاب سعد والمؤاخذة عليه ٦٧
ضعف نفسية الأنصار ٦٩
اختلاف الأنصار ٧٠
نظرة وتأمّل ٧٣
مداهمة الأنصار وخطاب أبي بكر ٧٥
دراسة و تحليل ٧٦
هزيمة الأنصار ٨٣
موقف الإمام عليه السلام من بيعة أبي بكر ٨٨
امتناع الإمام من البيعة ٨٩
احتجاجات أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم ٩٣
محتويات الاحتجاج ٩٥
استنجاد الزهراء عليها السلام ببني قَيْلَةَ ٩٨
إجراءات تعسُّفيَّة ١١٣
موقف الإمام عليه السلام وفقده للقوة العسكرية ١١٦
ولاة أبي بكر من الأُسرة الأموية المعادية لأهل البيت عليهم السلام ١٢٠
وفاة أبي بكر وعهده لعمر ١٢٢
موقف الإمام عليه السلام ١٢٦
الأمر الثاني : في حكومة عمر ١٢٨
الأمر الثالث : حكومة عثمان بن عفّان ١٤٣
مظاهر شخصيّته ١٤٤
ولاته وعمّاله ١٤٨

عمال عثمان ١٤٨
الثورة على عثمان ١٦٢
وفود الأمصار ١٦٤
مذكّرة المصريّين لعثمان ١٦٥

الفصل الثالث : حكومة وخلافة أمير المؤمنين عليه السلام الحقة ١٧٧
الأمر الأول : خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ١٧٩
استقبال الناس لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام ١٨١
اضطراب القرشيين ١٨٦
تخلّف القُعّاد عن البيعة ١٨٩
الأمر الثاني : مصادرة الأموال المنهوبة ١٩٣
عزل الولاة وإعلان المساواة ١٩٤
أسماء ولاته وعماله عليه السلام في حكومته المباركة ١٩٦

الباب الثاني
دور ولاة أمير المؤمنين عليه السلام وعُمّاله سياسياً واجتماعياً في مكة والمدينة
(٢٠١ ـ ٢٧٦)

الفصل الأول « من الباب الثاني » : ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على مكة والطائف ٢٠٣
أوّل ولاته وعمّاله على مكّة والطائف أبو قتادة الأنصاري ٢٠٦
ثاني ولاته على مكة والطائف : قُثَم بن العباس ٢١١

الفصل الثاني « من الباب الثاني » : ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة ٢٢٣
أوّل ولاته عليه السلام على المدينة المنوّرة : أبو الحسن تميم بن عمرو الأنصاري ٢٢٥
ثاني ولاته عليه السلام على المدينة المنورة : سهل بن حنيف الأنصاري ٢٢٦

ثالث ولاته عليه السلام على المدينة المنوّره: تمام بن العباس بن عبد المطّلب ٢٣٤
رابع ولاته عليه السلام على المدينة المنورة : أبو أيُّوب الأنصاري ٢٣٦
الخامس من ولاته عليه السلام على المدينة المنورة: أبوزياد الحارث بن ربيع الأنصاري .. ٢٤٦

الفصل الثالث «من الباب الثاني»: ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على اليمن والبحرين وعمان ٢٤٩
أوّل والييه على اليمن : حبيب بن المنتجب ٢٥١
ثاني والِيَيْهِ عليه السلام على اليمن : عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ٢٦٤
خيانةُ عبيد الله بن العباس للإمام الحسن عليه السلام ٢٦٦
عبد الله بن عبد المَدان الحارثي ٢٦٩
أوّل والييه على البحرين : عمر بن أبي سلمة المخزومي ٢٧٠
ثاني والييه على البحرين وعمان : النعمان بن عجلان الأنصاري ٢٧٢
تبذيره لبيت مال المسلمين ٢٧٦
وأما عامله عليه السلام على عمّان فهو : حلو بن عوف الأزدي ٢٧٧

الباب الثالث
دور ولاة أمير المؤمنين عليه السلام وعُمّاله
سياسياً واجتماعياً في العراق ومصر
(٢٧٩ ـ ٤٦٤)

الفصل الأول «من الباب الثالث» : ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على الكوفة ٢٨١
أوّل ولاته عليه السلام على الكوفه : عُمَارة بن شهاب الثوري ٢٨٣
ثاني ولاته عليه السلام على الكوفة : أبو موسى الأشعري ٢٨٤
أبو موسى وحادثة التحكيم ٢٨٧
ثالثُ من ولاته عليه السلام على الكوفة : قَرَظَةُ بن كعب الأنصاري الخزرجي ٢٩٢
رسالة الإمام إلى قَرَظَةَ بن كعب بعد انتصاره في الجمل ٢٩٩
عمرُ يَمْنَعُ قَرَظَةَ من التحديث عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ٣٠٣
وفاة قرظة بن كعب ٣٠٦

رابع ولاته عليه السلام على الكوفة : أبو مسعود الأنصاري عقبةُ بن عمرو ٣٠٧
عاقبة أبي مسعود الأنصاري ٣٠٨
خامس ولاته عليه السلام على الكوفة : هاني بن هوذة النخعي ٣٠٩
سادس ولاته عليه السلام على الكوفة : عمار بن حسان بن شُرَيح الطائي ٣١١

الفصل الثاني « من الباب الثالث » : ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة ٣١٣
أول ولاته عليه السلام على البصرة : عثمان بن حنيف الأنصاري ٣١٥
الناكثون على أبواب البصرة ٣١٥
كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابن حنيف ٣١٧
ابنُ حنيف يَعِظُهُم ٣٢٠
عذر طلحة والزبير بعثمان ٣٢١
مذبحة عائشة في البصرة ٣٢٢
ثاني ولاة أميرالمؤمنين عليه السلام على البصرة : عبد الله بن العباس ٣٢٤
ما اتُّهم به ابن عباس من الطعن ٣٣٤
● زياد بن أبيه ودَوْرُهُ في البصرة ٣٤٠
رسائل الإمام عليه السلام إلى زياد ٣٤٢
رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة ٣٤٤
تأنيب الإمام عليه السلام لزياد ٣٤٦
تحذير الإمام عليه السلام لزياد من أباطيل معاوية ٣٤٨
ثالث ولاته عليه السلام على البصرة : أبو الأسود الدُئلي ٣٥٠
أوَّل مَن نَقَطَ المصحف ٣٥٤

الفصل الثالث «من الباب الثالث»: ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على المدائن والنهروان .. ٣٥٧
أوّل ولاته على المدائن : حذيفة اليماني ٣٥٩
حذيفة يدعو الناس لبيعة علي عليه السلام ٣٦٣
عهد الإمام عليه السلام لحذيفة ٣٦٤
رسالته عليه السلام لأهل المدائن ٣٦٥
وفاة حذيفة ٣٦٧

ثاني ولاته عليه السلام على المدائن: يزيد بن قيس الأرحبي ٣٦٨
وفاة يزيد بن قيس ٣٧١
الثالث من ولاته عليه السلام على المدائن: لَأْم بن زياد، أخو عَدِيّ بن حاتم من جهة الأُمّ ٣٧١
الرابع من ولاته عليه السلام على المدائن: ثابت بن قيس الأنصاري ٣٧٢
الخامس من ولاته عليه السلام على المدائن: سعد بن مسعود الثقفي ٣٧٣
السادس من ولاته عليه السلام على المدائن: هبيرة بن النعمان الجعفي ٣٧٥
السابع من ولاته عليه السلام على المدائن: زحر بن قيس الجعفي ٣٧٦
وأمّا واليه عليه السلام على النهروان، فهو: عبد الله بن خَبّاب بن الأَرَتّ ٣٧٩

الفصل الرابع «من الباب الثالث»: ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على الموصل والأنبار وكَسْكَر والجزيرة وهيت ٣٨٥
أوّل والييه عليه السلام على الموصل: معقل بن قيس الرياحي ٣٨٧
ثاني والييه عليه السلام على الموصل: عبد الرحمن الخثعمي ٣٩١
واليه عليه السلام على الأنبار: أشرس بن حسان البكري ٣٩١
غارة سفيان بن عوف الغامديّ على الأنبار ٣٩٣
واليه عليه السلام على كَسْكَر: قدامة بن عَجْلان الأزدي ٣٩٩
واليه عليه السلام على ميسان من كسكر: القعقاع بن شور السدوسي الذهلي ٤٠١
واليه عليه السلام على الجزيرة: مالك الأشتر النخعي ٤٠٣
مَن هو مالك الأشتر ٤٠٣
موقف مالك من صفين ٤١٢
إرسال الأشتر والياً على مصر وشهادته ٤١٦
واليه عليه السلام على هيت: كميل بن زياد النخعي ٤٢٠
الفصل الخامس «من الباب الثالث»: ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على مصر ٤٢٧
أوّل ولاته على مصر: محمد بن أبي حذيفة ٤٢٩
ثاني ولاته على مصر: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ٤٣٣
ولايته على مصر ٤٣٤

ثالث ولاته على مصر : محمد بن أبي بكر ٤٣٨
عهد الإمام عليه السلام لمحمد ٤٤١
صورة أُخرى من عهد الإمام عليه السلام لمحمد ٤٤٥
رابع ولاته على مصر : مالك الأشتر النخعي ٤٥٣

الباب الرابع
دور ولاة أمير المؤمنين عليه السلام وعُمّاله سياسياً واجتماعياً في إيران وما والاها
(٤٦٥ ـ ٥٧٠)

الفصل الأول « من الباب الرابع » : ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على فارس والأهواز ... ٤٦٧
أوّل والييه على الأهواز : الخِرِّيتُ بن راشد النَّاجي ٤٦٩
ثاني والييه (عاملُهُ) على الأهواز : عمرو بن المُفَرِّغ الحِمْيَرِيّ ٤٧٢
وأمَّا ولاته عليه السلام على فارس : فأوّلهم هو : المنذر بن الجارود العبدي ٤٧٣
ثاني ولاته على فارس : الحضين بن المنذر الرقاشي وهو واليه على اصطخر من بلاد فارس ٤٧٦
ثالث ولاته (عامله) على فارس : أبو مغلس مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو واليه على منطقة أردشير خُرَّه من بلاد فارس ٤٧٩
رابع ولاته عليه السلام على فارس : زياد بن أبيه ٤٨٥
● سهل بن حنيف الأنصاري ٤٨٥
فمن هو زياد ٤٨٦
الفصل الثاني « من الباب الرابع » : ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على أصفهان والرّيّ وهمدان وقزوين ٥٠٣
أول ولاته عليه السلام على إصفهان والري وهمدان : مخنف بن سليم الأزدي الغامدي ٥٠٥
● الحارث بن أبي الحارث بن الربيع ٥٠٨
● سعيد بن وهب ٥٠٩
ثاني ولاته على إصفهان والري وهمدان : يزيد بن قيس الأرحبي ٥٠٩
ثالث ولاته على إصفهان وهمدان : عمرو بن سلمة الأرحبي الهمداني ٥١٢

رابع ولاته على الرّيّ ودَسْتَبي : يزيد بن حجية التَّيمي ٥١٤
وأمّا واليه عليه السلام على قزوين : فهو : الربيع بن خُثيم الثوري الكوفي ٥١٦

الفصل الثالث « من الباب الرابع » : ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على خراسان وسجستان (سيستان) وكرمان ٥٢٣
أوّل ولاته عليه السلام على خراسان : جعدة بن هُبيرة المخزومي ٥٢٥
ثاني ولاته عليه السلام على خراسان : حريث بن جابر الحنفي ـ أو الجُعْفي ـ البكري .. ٥٣٢
ثالث ولاته عليه السلام على خراسان : عبد الرحمن بن أَبْزَى الخزاعي ٥٣٦
وأمّا أوّل واليَيْه عليه السلام على سجستان (سيستان) فهو : عبد الرحمن بن جرو الطائي . ٥٣٨
وثاني واليَيْهِ على سجستان هو : ربعي بن كأس العنبري التميمي ٥٣٩
وأمّا واليه عليه السلام على كرمان، فهو : عبد الله بن أَهْتَم ٥٤٠

الفصل الرابع « من الباب الرابع » : ولاة أمير المؤمنين عليه السلام على أذربيجان ٥٤١
أوّل ولاته عليه السلام على أذربيجان: الأشعث بن قيس الكندي ٥٤٣
ثاني ولاته عليه السلام على أذربيجان: قيس بن سعد بن عبادة ٥٥٤
ثالث ولاته عليه السلام على أذربيجان: سعد بن الحارث الخزاعي مولى أميرالمؤمنين عليه السلام . ٥٦٩

خاتمة الكتاب

(٥٧١ ـ ٦٢٤)

١ ـ عمار بن ياسر ٥٧٤
٢ ـ أبو ذَرٍّ الغِفاري ٥٨١
٣ ـ أُوَيْس القَرَنيّ ٥٩٧
٤ ـ صَعْصَعَةُ بنُ صَوْحان العَبديّ ٦٠١
٥ ـ رُشَيْد الهَجَري ٦١١
٦ ـ حجر بن عدي الكنديّ ٦١٤

الفهرست ٦٢٥